

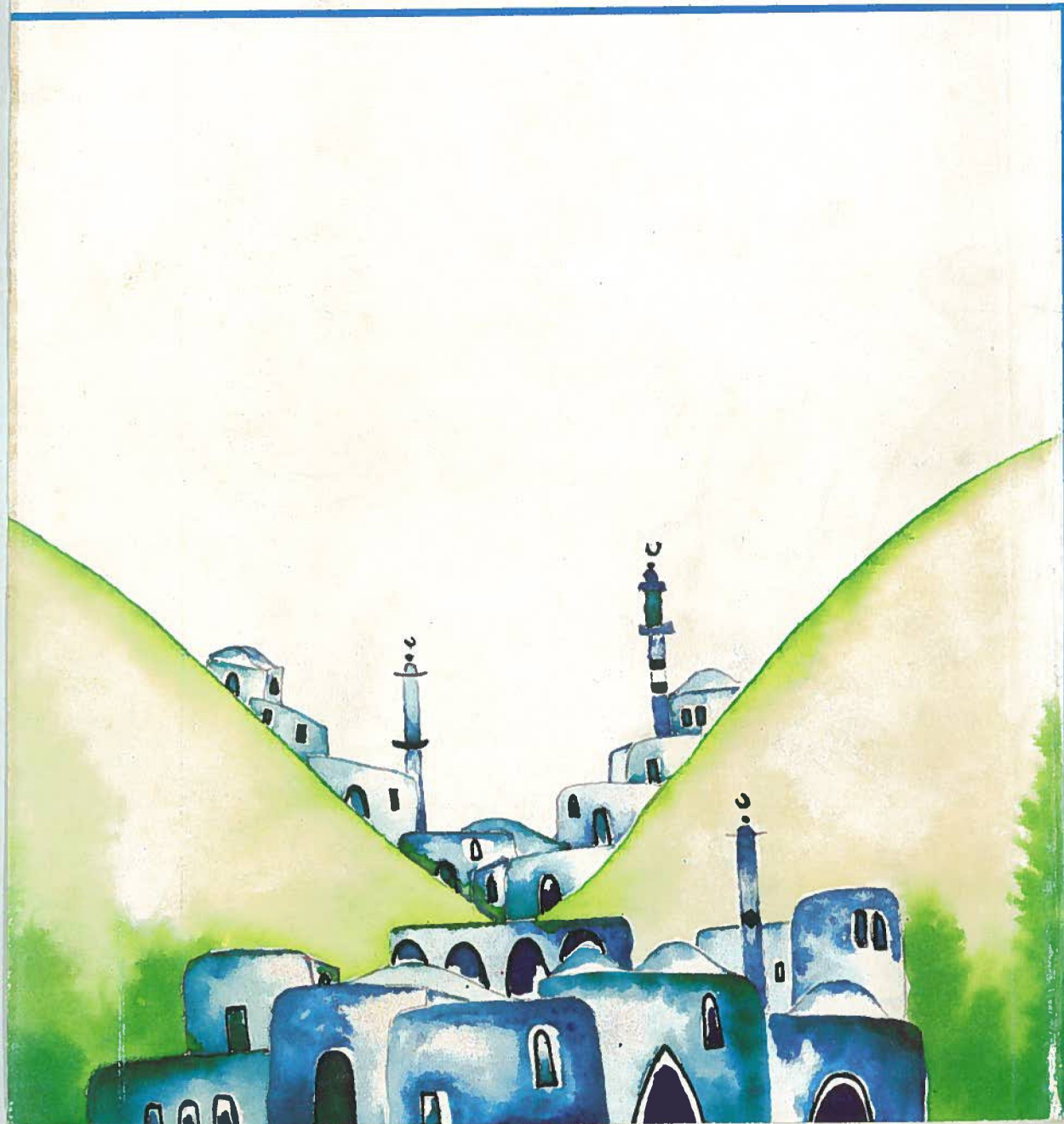
لشؤون فلسطينية

لشؤون فلسطينية

كانون الثاني (يناير) شباط (فبراير) ١٩٧٨

٧٥/٧٤

٧٤
٧٨



كانون الثاني (يناير) شباط (فبراير) ١٩٧٨

شؤون فلسطينية

رئيس التحرير : محمود درويش
سكرتير التحرير : الياس خوري

كانون الثاني (يناير) شباط (فبراير) ١٩٧٨

٧٥/٧٤

شهرية فكرية لعالمة أحداث القضية الفلسطينية وشؤونها المختلفة
تصدر عن مركز الأبحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

جميع الآراء الواردة تعبر عن وجهات نظر كاتبها ولا تعكس بالضرورة آراء
منظمة التحرير الفلسطينية ولا المحررين ولا المستشارين ولا الناشرين .

العنوان : بناية الدكتور راجي نصر ، شارع كولومباني
(متفرع من السادات) ، رأس بيروت ، بيروت - لبنان ،
ص ١٦٩١ ب ٠ تلفون : التحرير ٣٥١٢٦١ ، التوزيع ٢٢٦٥٨٥ ،

برقيا مرابحات ، بيروت .

مدير التوزيع : غازي دانيال

الاشتراك السنوي (بريد جوي) : ٦٠ ل.ل. في لبنان وسوريا ، ٧٥ ل.ل. في سائر
الاقطار العربية ، ١٠٠ ل.ل. في اوروبا ، ١٢٥ ل.ل. في بقية بلدان العالم

الاشتراك السنوي (بريد عادي) : ٦٥ ل.ل. في جميع الدول غير غير العربية .

الغلاف بريشة :

جمانة الحسيني

اعلان حرب

كانت أمطار اخر السنة تجرف اوهاما سياسية وفكرية غزيرة . وكانت اميركا هي الحريصة ، اكثر من حلفائها وعشاقها ، على الاطاحة بصورتها العربية المحاطة بالاماني والصلوات . فرشت زخات من التصريحات الحاسمة حول موقفها النهائي من الصراع العربي - الصهيوني ومن شروط الاتجاه بهذا الصراع التاريخي الى مسار الصلح والنسيان ، رفضت اميركا دور « الحكم » الذي اختاره لها عربها واعرابها ومستعربوها ، وحافظت على موقعها الصهيوني الهجومي .

ليست خيبة الامل لنا ، لاننا لا نتخلى ، بسبب او من شون سبب ، عن ادراكنا التاريخي لجوهر الامبريالية والصهيونية وطبيعتهما ودورهما في بلادنا الصغيرة وفي وطننا الكبير ، مقابل وعد من رئيس لطيف المعشر والمظهر يشترى العالم الثالث بزجاجة كوكا كولا وابتسامة يومية . ولكنها خيبة الذين يعتبرون الارادة الاميركية في هذا العصر بمثابة قضاء وقدر غير قابل للرد ، فسلموها مفاتيح « السلام » القائم على تفكيك عناصر القوة الذاتية العربية .

اميركا هي اميركا . وحين يخف الضغط عنها تعود الى صورة الحصان الفولكلوري وتغزو . وعندما كانت الثورة الفلسطينية تدخل عامها الرابع عشر كان الاميركي - الصهيوني اياه يتحدانا : « وداعا يا منظمة التحرير » ، بعدما قالها الحاكم المصري بطريقة اخرى . لم تغير اميركا طبيعتها لنصاب بالدهشة ، ولكن من الضروري ان نلاحظ ان اندفاع السياسة المصرية ، وسياسات عربية اخرى اكفر حياء ، نحو اميركا والصهيونية ونحو التخلي عن الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية ، قد حرر الاميركي المفرور من متطلبات اللياقة ، فانثقل بالتعبير عن تناقضه التاريخي مع الثورة من التنديد الى التهديد بالتصفية .

ان اميركا هي عدو الثورة بشكل مطلق . وعدو الثورة الفلسطينية بشكل خاص . ومع ذلك فان هذا الشكل من الاعتداء على منظمة التحرير الذي تعد له اميركا هو النتائج المباشر لمسيرة تحكيم اميركا في صراع لاحكم فيه الا ارادة القتال ، وتحتمل مسؤولية الاعتداء ونتائجه القوى الاجتماعية التي تخلت عن مهماتها الوطنية ، حين ميزت بين السياسة الاميركية والسلوك الاسرائيلي ، وحين طمست العلاقة بين الامبريالية والصهيونية .

لقد بدأت الحرب الاميركية العلنية على الثورة الفلسطينية . فليكن ذلك واضحا . لقد قررت اميركا طرد منظمة التحرير من معادلة القوى في الشرق الاوسط . وحين تتخذ الادارة الاميركية هذا القرار فهي لا تتخذ على المستوى النظري فقط . ستفعل كل شيء لتقيم عالم الطوائف المؤلف من القيادة الاميركية والمال العربي والايدي العاملة العربية و « العبقرية » العلمية اليهودية . وتشتترط قيام هذه العلاقات على اباداة الوطن الفلسطيني والارادة الفلسطينية .

هذا هو حلم اميركا . ولنا حلم مضاد ، وارادة مضادة .

رسالة الأخ ياسر عرفات رئيس اللجنة
التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية القائد
العام لقوات الثورة الفلسطينية في الذكرى
الثالثة عشرة لانطلاقة الثورة الفلسطينية

عام القرار الثوري الحاسم

يا رفاق الدرب الطويل

يا رموز الفداء لشعبنا البطل

يا جماهير شعبنا المعطاء المناضلة

عام من عمر ثورتنا المجيدة قد انقضى بكل ما حفل به من مفاجآت وبكل ما احتواه من تحديات وما رافقها من تصديات وصمود ، واقبلت الثورة بكل عنفوانها تدخل عامها الرابع عشر من باب التاريخ الراسع الفسح . متألقة مزهوة ، مرفوعة الرأس مهابة الجانب ، وحولها ثلاثة عشر كوكبا من سنين نضالها مضيئة في سماء فلسطين والوطن العربي الكبير ، وتحمل في جوانحها العريضة امال شعبنا واماني امتنا بل وتطلعات الاحرار والشرفاء في العالم اجمع . ولنقلها للعالم اجمع اننا ناهبون الى المستقبل ، ناهبون الى الوطن مهما غلا الثمن وعظمت التضحيات .

كيف لا ، وهي بالرغم من جميع المؤامرات والمتآمرين قادرة على هذا الصمود الاسطوري والتصدي الجامح والتحدي الكبير في وجه جميع هذه الاعاصير والزوابع السياسية والعسكرية وعلى مختلف الاصعدة وفي العديد من الجبهات والمحاور القتالية والنضالية . وثورتم اليوم لم تكن في يوم من الايام مثلما هي عليه اليوم من قوة وعمق و ارادة وتصميم .

ولعل العام المنصرم عام التصدي والتحدي وما اعتمل فيه من غليان في براكينه السياسية العربية كان الهدف منه هذه الانفجارات المتلاحقة لتفجير الثورة الفلسطينية ، الرقم الصعب في معادلة الشرق الاوسط ليخلو الطريق ولينزاح من الدرب الحقيقة الثابتة والاكيدة الا وهي الوجود الثوري الفلسطيني من هذه المعادلة ليخلو امام المؤامرة البشعة طريقها المرسوم بعناية ودقة ومهارة لتطويع واحتواء واجهاض هذه المسيرة العظيمة وتأثيراتها البعيدة المدى والعميقة الجذور ليس على الساحة الفلسطينية فحسب ، وانما على مجمل الساحة العربية وعلى مجمل

المصالح الدولية والعالمية التي تمتد تشعباتها الى منطقتنا او تصل تفاعلات منطقتنا اليها ، ولذا كانت قضيتنا من جميع ومختلف هذه الابعاد ، قضية الانسان الفلسطيني وقضية الانسان العربي وقضية الانسان والانسانية في عالمنا المعاصر . وثوارنا وهم في خنادقهم المتعددة التواجد والتوضع داخل الارض المحتلة وخارجها يدركون هذه البديهيات والحقائق ادراكهم السليم والصحيح لعدالة قضيتهم وحتمية انتصارها التاريخي ، طال الزمن أم قصر ، ويدركون وهم يتعاملون في نضالهم الدائم وكفاحهم المستمر وحركتهم الدؤوبة انهم يصنعون فجرا جديدا في هذه المنطقة من العالم وهي ليست كأى منطقة اخرى بحدودها الجغرافية وانما هي المنطقة الحساسة والدقيقة والهامة ، هي منطقة الشرق الاوسط ذات الابعاد الاستراتيجية العالمية بالنسبة للتحرك عربيا وعالميا ، وفيها الى جانب هذا الموقع الاستراتيجي الفريد تتواجد هذه الثروات الضخمة في احشاء تربتها وفيها واهمها النفط باعتباره الدم الذي يسيل في شرايين العالم في عصرنا وحتى نهاية هذا القرن على أقل تقدير ، باعتباره مصدر الطاقة والقوة والقدرة المميزة لعالمنا الحديث المعاصر ، في هذا العالم المضطرب المنهك بأزماته الاقتصادية والنفسية والعسكرية والروحية . ولا يظن احد في منطقتنا العربية كذلك انه بمعزل عن خطر المرحلة او بعيد عن مركز الانفجار . لهذا يا ثوارنا ، يا ابطالنا كانت لكل معركة تخوضونها في هذا التيه اكثر من معنى واكثر من أهمية على مستقبل الصراع في منطقتنا العربية وعلى المخططات للحلف الامبريالي الصهيوني بزعامة الولايات المتحدة الاميركية التي تحاول السيطرة على هذه المنطقة وادخالها ضمن دائرة نفوذها الدائم واصطياد اسماكها او حيتانها ضمن شبكاتهم المتعددة والمتناثرة التي يقذفون بها امام مسيرة امتنا العربية العظيمة في دربها القاسي والشاق والطويل الذي تشكل فيه الثورة الفلسطينية والثوار في الثورة الفلسطينية الطليعة المكافحة المناضلة بكل ما تحمله كلمة الطليعة من معاني واهداف ومثل وتضحيات وتبعات ومسؤوليات كبيرة وجسام وخطيرة .

ومن هنا تتبلور المعاني ويتبلور الصراع ويتأتى الفرز الثوري فسي مجال هذا التيه وفي خضم هذه الاحداث لتتقرر ارادة من ستبقى في هذه المنطقة . لقد كشف اعداؤنا القناع عن وجوههم البشعة وعن مطامعهم الخطيرة انهم يريدونها منطقة نفوذ واسلاب وسوقا للنخاسة الجديدة . ونحن كأمة عربية نريدها ارضا نظيفة ، نريدها ارضا المحررة الطاهرة ارضا المحررة من كل انواع القمع والتسلط والاحتلال العسكري والاقتصادي والسياسي . وهم بزعامة الولايات المتحدة الاميركية انطلاقا من كل ذلك يداورون ويحاورون ويناورون لخلق بندوستانات متعددة

الاحجام والاشكال والاهداف ليست في الضفة الغربية وقطاع غزة كما يعرضها علينا والمذلة معها ، هذا الارهابي المتعجرف الغازي بيغن وانما في مختلف ارجاء وطننا العربي وان اختلفت التسميات وتعددت الاشكال واختلفت المرامي والانواع ، انه نمط جديد لاستعمار منطقتنا بهذه الاشكال الغربية النوع والمظهر وليكون لهم في هذه المنطقة اكثر من شرطي بجانب الشرطي الاسرائيلي واكثر من مخفر من مخافر حماية مصالحهم الحيوية في هذه المنطقة ذات الابعاد الاستراتيجية والاقتصادية من ارضنا العربية الميلاذ ، الاصول والجذور .

من هنا كان موقفنا المبدئي الواضح والمتعارض ونحن نضع نصب اعيننا ثقل مصر ووزن شعب الكنانة في هذا الصراع المصيري والحضاري مع الرئيس السادات حول زيارته لقدسنا الحبيبة المحتلة ولارضنا السليبية المغتصبة وما تبع هذه الزيارة من آثار خطيرة بعيده المدى على مجمل الوضع العربي كله والنتائج المدمرة التي تركت بصماتها على جوهر وفحوى الصراع العربي - الصهيوني - الامبريالي فسي منطقتنا العربية ، وهو شيء لا يمس جيلنا او اجيالنا المعاصرة ، انما تشكل مفهوما جديدا لمستقبل اجيالنا المقبلة ، ليس من حقنا ان نمسها او نقرب من حرمانها امام هذا الفكر الصهيوني التوسعي الذي يقول هذه ارضك يا اسرائيل من الفرات الى النيل ، وامام احلامهم بالقدس عاصمة لمملكة اسرائيل الكبرى يأتيها الناس من ارجاء الارض يتلقون فيها الحكمة والرأي والمشورة حسب نبوءة يوشع التي افتتح فيها زعيم عصاة الارجون جلسة الكنيست المشهورة . ولكن ، وليكن معلوما للقاصي والداني ولهواة تزييف وتزوير الحقائق والتاريخ تحت ظلال القوة الغاشمة الاميركية الاسرائيلية المشتركة انه لا يمكن ان تفرض على امتنا العربية مثل هذه الارجيف وان هذه الامة العربية الخالدة لقادرة على تصحيح مسار التاريخ كما صححته دائما عبر مختلف العصور والازمنة لتبقى هذه الارض لشعوبنا ولجماهيرنا صاحبة هذا التراث وصاحبة الارادة وصاحبة الحق الذي لا يمكن ان تنتزعه منها اية قوة مهما تعاضمت هذه القوة في فترة من فترات الزمن .

اخواني يا رفاق السلاح ،

الموقف خطير وخطير والمؤامرة كبيرة ومتشابكة والاعداء كثر ومتعددون ، ولكن ليعلم العالم اجمع ان هذه الثورة الفلسطينية وهذه الامة العربية بكل طلائعها الحرة الابية الشريفة قادرة على التصدي والتصدي والمواجهة والصمود ، هذه الامة الخالدة الراسخة العقيدة والايامن الثابتة الموقف والموقع والتي هزمت جميع الغزوات التي جاءت لها او حاولت تدنيس ترابها او اذلال شعوبها واحتلال امصارها .

وهذا هو المعنى الاساسي لقمة الصمود والتصدي الذي انعقد فسي طرابلس لانه يشكل هذا المنهج في العمل الملتزم تجاه اهداف امتنا العربية ضد جميع ما تحيكه ضدها هذه الغزوة الصهيونية العنصرية التوسعية وان هذا التيار ليس تيارا محدودا ضيقا في المسار التاريخي والحضاري لامتنا العربية ، انما هو تيار هادر جامع يعلو تارة وينخفض اخرى في مختلف مسالك الجهاد واماكن الصراع في امتنا العربية الخالدة ، ولكنه المنتصر ابدا ٠٠ ابدا ٠ من هذا المنطلق الثوري الملتزم ومن هذا المنهج النضالي الحي يتحرك الثوار في الثورة الفلسطينية كطليعة في خضم المسيرة الحضارية لامتنا العربية ويتحرك شعبنا المكافح في ارضنا المحتلة يعطي العطاء كله ويضحى التضحيات الجسام في وجه اعدى واعنف موجات الغزو والاستعمار الحديث الذي تشنه علينا الامبريالية العالمية وربيبتها الصهيونية العنصرية ٠ ومن هنا كانت هذه الوقفة الشجاعة ، الوقفات الرائعة ، الوقفات الجبارة التي اثبت شعبنا في ارضنا المحتلة وفي فلسطيننا الحبيبة المغتصبة ، الجدارة كل الجدارة في التصدي للمؤامرة وعلى مختلف محاورها وتعدد جبهاتها ٠ وفي مواجهة كافة أشكال المغريات الرامية الى تفتيت صفوفه ، بل ظل شامخا في نضاله متماسكا في عقيدته ووجدانه قويا في كفاحه ملتصقا بثورته يعطيها دونما كلل او ملل حافزا في سجل التاريخ باحرف من نور ونار وبدماء الشهداء الابطال الخالدين وجراحات المكافحين الاوفياء ، ان هذه الارض عربية وستبقى عربية طال الزمن ام قصر وان على عتباتها وعلى أسوار قدسها الشريف تحطمت غزوات وغزوات وفي بطاحها وفوق ثراها في مرج دابق وعين جالوت وحطين واليرموك وغيرها تبددت احلام امبراطوريات الاحتلال جميعها ، وبقيت هذه الارض بكل ما فيها من عظمة وكبرياء يسقيها شعبنا من حبات عرقه وسيل دمائه ، دماء المناضلين وجراح المكافحين ومعاناة المعتقلين ، فيها ترقد عظام اجدادنا وفيها ستدفن اجدادنا ٠٠

الدرب قاس وممرير ، ولكن النصر صبر ساعة ، وما يريده العدو ، يا شعبنا ويا اخواننا ويا رفاق السلاح هو تزييف ارادتكم ، فانتم الرقم الصعب والرقم الاساسي في معادلة الشرق الاوسط ، ونحن ثروة عملاقة تفهم دقائق الموقف العربي والدولي بكل ابعاده القريبة والبعيدة المرمى والاهداف ، المطلوب انتم ايها المكافحون من شعبنا ، المطلوب انتم ايها المناضلون من امتنا ، ولن يستقيم حل ولن يستقر الا بكم ومن خلالكم ، ولن يفرض سلامهم الاستسلامي الا على جثتنا الشهيدة ٠ هذه حقيقة صارخة فكونوا على حذر وكونوا على يقظة ولتزيدوا قبضتكم الفولانية على هذه البنادق فمن فوهاتها يأتي الجواب على كل الحلول الانهزامية ،

ومن فوهاتها يأتي السلام الذي نريد والحل الذي ننظر اليه ، وفي ظلها
تترعرع اشجار الزيتون في ارضنا المحررة .
ولقد وجدت هذه الثورة لتبقى وانطلقت لتستمر وولدت حتى تنتصر .
يا اخواني يا رفاق درب الطويل ، أيتها الجماهير من شعبنا وامتنا
المثابرة ،

نحن لسنا دعاة حرب وتدمير ولكننا طلاب حقوق ، اننا شعب اضهد
وشرد وطرد من ارضه ظلماً و عنوة من خلال مؤامرة امبريالية صهيونية
عالمية حملت شعارات واساطير لو حكمنا قواعدها على المقاييس الدولية
اليوم لكان اولى بزعيمة المؤامرة اميركا ان تدفع ثمنها قبلنا وهي حديثة
العهد لما يطرحون . وامام خرافات الازمنة الغابرة التي يتقولونها
ولي فهم هذا الكلام ببغى وغلاة الصهاينة المتعصبين . . . حقا انها مهزلة
العصر الحديث واكذوبة القرن العشرين . . ومن هنا فنحن مصممون على
التصدي لها من اجل مستقبل اطفالنا ومستقبل اولادنا وحفاظا على
حقوقنا ، ونحن لسنا وحيدين في هذا الصراع . ان معنا هذه الشعوب
المحبة للسلام والحرية ، معنا احرار العالم ، معنا اصدقاء كثر في
الدول الاشتراكية ودول عدم الانحياز والدول الاسلامية والافريقية
واميركا اللاتينية والصديقة ، لانها تدرك جميعها فداحة الظلم الذي وقع
ولا زال على شعبنا ، وتدرك كذلك ان ما يحدث ضدنا هنا انما يتترك
آثاره الفورية والخطيرة على منطقتنا وما يحيط وما يتعلق بها ، ومن
يتعامل مع هذه المنطقة . ولذلك ساندتنا ووقفت الى جانبنا ، وهذه
القرارات الدولية خير برهان على هذا الموقف الداعم لنا ، الدافع لهذه
المؤامرة والرافض لها . وهذه المواقف التي نثمنها ونعتمد عليها في
نضالنا وكفاحنا تعطينا مزيدا من الوضوح والصلابة والقوة في مسيرتنا
النضالية من أجل رفع الظلم الواقع على شعبنا ولتحرير بلادنا والعودة
الى ديارنا وبناء دولتنا المستقلة فوق ترابنا الوطني الفلسطيني ، وهو حق
وحقيقة اقرتها جميع المواثيق والشرائع الدولية .

ونحن باسم هؤلاء المناضلين وباسم هذه البنادق الثائرة وباسم الثوار
في الثورة الفلسطينية نعلنها صريحة مدوية ان لا حل في المنطقة سيمر او
يستقر على حساب شعبنا الفلسطيني وحقوقه الوطنية الثابتة ، هذه الحقوق
يصفيها العملاء ولن يحافظ عليها المرتزقة والمأجورون الذين يجتمعون
كدمى مزيفة وكبدائل بعضها من خلال شخصيات مهترئة اكل الدهر
عليها وشرب او من خلال ادوار لهذه الدولة او تلك ، كل حسب ما هو
مرسوم له في المخطط التامري وكل بمعياره وزمنه المقرر ووقته المحدد
للظهور على مسرح الاحداث في المسلسل المسرحي للمؤامرة الكبرى .
ولكنهم عبثا يفعلون ، وعبثا يخططون . البنادق والثوار والاحرار

والمناضلون هم وحدهم المحافظون على اهداف شعبنا السامية النبيلة وهم الامناء على مسيرته الثورية المنتصرة . . من أجل الشعب الواحد والوطن الواحد والصوت الواحد عاليا ومدويا .

هكذا كان الحال في مسيرة الثورة الجزائرية البطلة وفي مسيرة الثورة الفيتنامية الكبيرة وفي مسيرة الثورات جميعها ، ثبت في النهاية ثوار جبهة التحرير الجزائرية وثبت في النهاية ثوار جبهة التحرير الفيتنامية ، وثبت في النهاية الثوار في العالم اجمع ، وسيثبت في نهاية المطاف ورغم كل المؤامرات ثوار ومناضلو منظمة التحرير الفلسطينية باسم الشعب ومن أجل الشعب باسم الحق ومن أجل الحفاظ على الحقوق .

وليعلم بيغن مشاريعه من فلسطين المحتلة او من أرض الكنانة وليعلم بيرتس آراءه ولتنادي الاحزاب الاسرائيلية كلها بتعصبا بمختلف الشعارات والجمل والالفاظ . ولكن الحقيقة ستظل هي الحقيقة . ان ارض فلسطين ليست مشاعا ، وان شعب فلسطين ليس سلعة تباع وتشترى . . اولم تروا الى اشبالنا كيف يواجهون والى نساءنا كيف يقاتلن والى ثوارنا كيف يكافحون ؟؟؟ نعم يا رفاقنا ويا ابطالنا الثوار ويا كل شعبنا وامتنا العربية . شعبنا ليس سلعة تباع وتشترى على موائد المساومات . شعبنا يقود ثورة عملاقة من اعظم ثورات وقن المعاصر والعصر الحديث ، شعبنا الذي صنع معجزة الصمود والتحدي من لاجيء الى ثائر ومن ارقام بطاقات اعاشة مهملة في سجلات وكالات الاغاثة الى الرقم الصعب والاساسي في معادلة الشرق الاوسط ، شعبي هذا ، وثوارنا هؤلاء واحرار امتنا جميعهم لا يهزم تهديد ولا تخيفهم مؤامرة ولا يثنيهم عن عزمهم بعض مصاعب الطريق فقد اعتادوا عليها وعاشوها وعاشتهم ، وهم قادرون على تغييرها وتسييرها وترويضها لصالح اهدافهم ومثلهم وغاياتهم ، وهم قادرون على المضي قدما في طريقهم الثوري وفي مسيرتهم النضالية الثورية يشقون دربهم وسط الظلمات المهيمنة في هذه الفترة من تاريخ امتنا العربية على ارجائها ، ليحيلوا الدرب كله الى مشاعل تنير الطريق لاجيالنا المقبلة ، مشاعل من نور ونار ، مشاعل رفعناها وانرناها مع اخوة احرار لنا في لبنان واخوة لنا في كل مكان من ارجاء امتنا العربية واخوة لنا في عالم اصدقائنا الاوفياء الشرفاء ، واضعين نصب اعيننا وحدة الهدف ووحدة المصير المشترك . .

وهنا لا بد لنا من وقفة لما يجري في الجنوب اللبناني والموقف الشجاع والجري والمصابر والثابر الذي يقفه ابن الجنوب امام الوجه الاخر من المؤامرة البشعة . وانني باسم الثورة الفلسطينية وباسم الشعب الفلسطيني لاسجل بكل التقدير والوفاء هذه المواقف الصلبة امام هذه

المعاناة اليومية التي يعانيتها اهلنا في جنوب لبنان الصامد الابي . احيي الاحرار والوطنيين فيه و احيي المناضلين والمكافحين فيه ، وليكن ثوارنا والثوار الوطنيون بمستوى الاحداث امام تضحيات هؤلاء المواطنين الرائعة ، وان علينا واجبا عربيا وقوميا ووطنيا تجاههم لا يمكن ان نتجاهله .

يا اخوتي يا رفاق السلاح ،

الوحدة الوطنية هي زادنا وهي قوتنا فمزيد من تعزيزها وتصليبها وتمتينها ، العدو لا يفرق في قتاله الشرس بيننا والطلقات المصوبة الى صدورنا لا تعرف التمييز عند اختراقها ، فلنجمع الصفوف ، ولنلم الشمل وما هو العدو قد كشف اوراقه كامله ، هل نظل نختلف على جلد السدب الموهوم والمزعوم ؟؟ الم يكشف الرئيس كارتر في هجومه على منظمة التحرير كامل المخطط ، الم يكشف بيغن في مشروعاته الحالمة التوسعية جميع ابعاد المؤامرة ، الا نرى هذه التحركات هنا وهناك للبدائل والدمى ومدى ارتباطها بالمؤامرة الواسعة على شعبنا ؟ حتما نراها . وحتما ثوارنا يرونها ، وحتما شعبنا يعيها ، وحتما امتنا العربية واعية عليها . . .

فمزيدا من الصلابة الفولاذية على هذه البنادق الواحدة الموحدة ، فبنديقية تضاف الى الالف بنديقية هي قوة وسند للثورة ، ولترتفع كل الايادي متحدة متماسكة متكاتفه لنعطي الثورة بافاقها الواسعة من خلال مفاهيمنا الوطنية الثورية الملتزمة بعيدا عن المكتسبات الذاتية الصغيرة والضيقة ، في سبيل شعبنا المعطاء البطل وفي سبيل الهدف الكبير ولتصعيد نضالنا وكفاحنا العسكري ضد العدو الصهيوني الجاثم على ارضنا وشعبنا . لان وحدتنا المطلوبة هي بحد ذاتها جوهر هذا الهدف القومي وهي وحدة التصدي والمواجهة في هذا الصراع الكبير الخطير .

ولنكن يا رفاق الدرب الطويل في عامنا الرابع عشر ، عام القرار الثوري الحاسم واثقة خطانا ثابتة خطواتنا نسير مع شعبنا العظيم وامتنا الخالدة في المسيرة المنتصرة دائما ، الظافرة ابدا .

بوركت يا شعبنا يا شعب المعجزات والعطاء والتضحية .

بوركتكم يا ثوارنا في الثورة الفلسطينية

بوركتكم يا احرار امتنا العربية

وطوبى للمناضلين والمناضلات في هذه المسيرة العملاقة الثائرة .

والمجد والخلود لشهدائنا الابرار .

وانها لثورة حتى النصر . . .

اخوكم ابو عمار ١-١-١٩٧٨

يحيى رباح

فتح .. بشارة النيران

في الايام الاخيرة من عام ١٩٦٤ ، كانت فلسطين تبحث عن جسدها الممزق ، وصوتها المخنوق ، ووجهها المنسي ، وسط الضجيج المنبعث من صراخ ميكروفونات الاذاعات العربية ، وكانت عملية البحث مضمّنية ، بل وتكاد تشبه في استحالتها ، تلك الخرافات التي تتحدث عن بطل اسطوري ، يتوجب عليه ان يصارع الغيلان ، ويعبر بحور الماء والنيران والاشواك من أجل ان يصل الى الاميرة ٠٠٠ وكانت المسافات بعيدة ، شريط ضيق من الارض يستلقي باهمال على شاطئ المتوسط ، اسمه قطاع غزة وشريط اكبر من الارض ، وقع قسرا فريسة للعبة الخطرة ٠٠ اصبحت اسمه الضفة الغربية للمملكة الاردنية ٠ اما الجزء الثالث فكان اسمه اسرائيل ٠٠٠ وكانت المسافات بعيدة ، تلتقي مزق فلسطين مع اي شيء ، ولكنها لا تلتقي مع بعضها ، ويدور الفلسطينيون في الفراغ تحت اسمائهم المستعارة ٠٠ ولكنهم محرومون من الدوران تحت اسمهم الواحد ٠

وفي الايام الاخيرة من عام ١٩٦٤ ، كان ثلاثة او اربعة رجال من شعبنا ، يختفون في احد البيوت في منطقة الخليل ، يجهزون عبوة ناسفة ، وعاء من الحديد ، وكمية من ملح البارود البلدي ، وعدد من المسامير وقطع الحديد الحادة ٠٠ وقتيل ٠

قال واحد منهم

– انني اتساءل ٠٠ هل نتمكن بهذه العبوة الناسفة من تحرير فلسطين؟؟
وفي ذلك الوقت ايضا ٠٠٠ كانت الخرائط يتم تداولها بنوع صاخب من

الدعاية بين العواصم ، خرائط لتحويل روافد الانهار ٠٠ الاعداء مزقوا فلسطين الى اشلاء ٠٠٠ والعواصم العربية كانت تحاول الرد على ذلك عن طريق لوي اعناق حبات المطر التي تتشكل منها الانهار الصغيرة ٠٠٠ وقال رجل اخر ردا على السؤال

— هذه العبوة الناسفة ، هي الصاعق الذي سيفجر طاقات الامة العربية ٠٠ هذا هو طريق ودور فلسطين .

الرجل الذي طرح السؤال ، هو محمد شرف ، الذي دخل فيما بعد القائمة الاولى للشهداء ، والرجل الذي اعطى الاجابة هو ياسر عرفات « ابو عمار » القائد العام للثورة الفلسطينية المسلحة ، ثورة المجد والصعوبة .
هنا فتح ،

انفجرت العبوة الناسفة ، واصدرت قوات العاصفة بلاغها العسكري الاول ٠٠ لا تستطيع الارقام ان تؤرخ لتدفق الدماء ، ولا تستطيع اعظم القصائد ان تسجل تلك اللحظة الخارقة ، التي يتطابق فيها الفعل والحلم في آن معا .
هنا فتح ،

انفجرت العبوة الناسفة ،

واصدرت قوات العاصفة بلاغها العسكري الاول ، كان الفلسطينيون قبل ذلك ، يخبئون تحت جلد خيامهم ، عذابا يفوق حدود الاحاطة ، لا يمكن ان يفهمه احد سواهم ، صار الفلسطينيون يخبئون في قلوبهم سرا مليئا بالاثار والشوق ، والشعور بالتفوق ، وقوة النبوءة العظيمة .

من اين جاءت فتح ، من اين ولدت فتح ؟؟

كان احد الصحفيين يسأل في مخيمنا ، معه ورقة وقلم ٠٠ ومعه كانت الاذان اللاقطة لاجهزة الاستخبارات كلها

من اين جاءت فتح ؟

وقالت امرأة عجوز من مخيمنا

— لقد جاءت فتح من عام الامطار ٠٠ قذفونا من الوطن الى هذه الرمال الباهتة ٠٠ ثم جاءت الامطار لتجرف الرمال ٠٠ وتجرفنا معها ٠٠ وكنا لا نريد ان نموت ٠٠ ومن تلك اللحظة في مقاومة الموت ٠٠ جاءت فتح .

جاءت فتح من عام الامطار ،

ولدت فتح من رقصة الخيمة على هبوب العاصفة الثلجية ، من صرخة الانكسار

في عيني رجل ، استبدلوا حلقه ببطاقة تسول ، من قسوة الاتهام ضد الفلسطيني ، من الجثث التي كان يتدرب المجندون الاسرائيليون الصغار على ذبحها ، مع عدم السماح بالبكاء حين دفنها ، من اضطرار الفلسطيني ان يقول عند مخافر الحدود انه غير فلسطيني حتى يسمح له بالمرور ، وحتى يتمكن من الحصول على طعام ، ومن اجل ان يتنفس الهواء الجوي ، جاءت فتح من فلسطين التي هي دائما موجودة . . . ولكنهم كانوا ينكرونها . . . جاءت فتح من المعرفة الخارقة للفرق بين السيوف والالغاني الحماسية ، من معرفة الفرق بين الاشياء .

٢

يقولون في احدي الاساطير ، ان الها قديما ، طلب من احد المحاربين في الازمنة الاسطورية ، ان يذهب الى جبال النيران ، ليأخذ منها قبسا يشعل به جبال الجليد ، ويقولون ان ذلك الاله قال لذلك المحارب

- اذهب ، و نفذ هذه المهمة المقدسة ، شريطة ان لا تحترق .

كان ذلك في الازمنة الاسطورية ، أما في الزمان الحاضر ، حيث اختلطت المقاييس ، فان اله الفلسطينيين ، لا يزال يطلب منهم تنفيذ نفس المهمة المقدسة ، ان يأخذوا قبسا . . . وان يشعلوا النيران في جبال الجليد ، شريطة ان لا يحترقوا .

على هذا النحو ، يفهم الفلسطينيون دورهم كطليعة واعية ، ذلك ان الامانة التي يحملونها تجاه فلسطين وتجاه العرب ، والتي انطلقوا من اجلها ، تجعلهم يرفضون القيام بدور كاسحة الالغام الصغيرة المضى بها ، كاسحة الغام تدفع قسرا تحت وطأة الاوهام الجميلة ، لارتياح الطرق الجهولة ، الملية بالالغام المتفجرة ، والمقامرات المجنونة .

ان الفلسطينيين يعرفون بشكل حاسم ، الفرق بين القتال حتى الاستشهاد ، وبين اليأس حتى الانتحار ، وفي مواسم الخصوبة للدم الفلسطيني ، في الاغوار . . . في العرقوب . . . في الجولان . . . في جنوب لبنان ، وفي حصار المدن الخائف في عمان وبيروت ، كان المقاتلون وسط لجة النيران ، يديرون حوارات متوترة وذكية .

- ما هو الفرق بين الاستشهاد والموت ؟؟

- شيء واحد

- لا

- ما هو الفرق اذن ؟

– الفرق ان الاستشهاد قرارنا نحن .

من اجل قرارنا نحن .٠٠ قرار فلسطين ، جاءت فتح .٠٠ ولذلك ، اتهمونا بالتوريط ، والتخريب والتفريط ، ويا لقسوة الشروط التي جابقتها فتح ،

• أن نكون اول الصامتين في موسم الصمت .

وان نكون اول الرافضين في موسم الرفض

• وان نكون اول المصالحين في موسم الصلح .

وقالت فتح .٠٠ وجودنا هو قرارنا .٠٠ وقرارانا هو الاستجابة لنداء فلسطين ، ونداء فلسطين ، ان نقيم علاقة جدلية متوازنة ، بين الثابت والمتغير ، بين المرحلي والاستراتيجي ، بين الممكن والطموح ، علاقة جدلية متوازنة ، تحت سقف ناري واحد ، اسمه استمرار الصراع .

قال موشيه دايان ذات يوم :

– ان فتح كالبيضة في يدي

وقال آخرون عدة مرات لانفسهم :

– ان الثورة الفلسطينية ، ليست اكثر من ورقة للضغط ، نضعها في جيوبنا . وفي ندوة صغيرة في عام ١٩٦٨ ، قال احد شباب فتح ردا على سؤال وجه اليه :

– سنظل نقاتل .

وقالوا له

– ان جيوشا جرارة قد انهزمت ، ماذا بوسعكم ان تفعلوا انتم ؟؟
من عبوة ناسفة في نفق عيلبون ، الى قاعدة محاصرة في الكرامة ، الى انتشار النيران على حافة نهر الاردن ، الى ان تحمل الارض اسمنا ، وتعلق المدن على واجهتها بصمات اصابعنا .٠٠ مطلوبون اكثر لقوائم الاعدام .٠٠ هذا صحيح .٠٠ لاننا نرفض السباحة في المياه الراكدة .

ان نوعا جديدا من الجدل يتكرس الان منهدجا في ذهن الاجيال العربيّة المعاصرة ، جدل يقف ضده بحزم دعاة الامر الواقع ، جدل لا يستطيع ان يفهمه بسهولة حفظة الاناشيد الثورية الجاهزة ، انه جدل البندقية الفلسطينية ، انه الجدل القائم على اساس ان فلسطين هي شحنة الكهرباء الصاعقة ، التي ستكشف عن وجه كل التناقضات .

ولقد تعلمنا ،

حين يتشتت النهر الى جداول صغيرة تضيع في زحف الرمال ، وحين تتوه
الخطوة في الدروب الليلية ، وحين يتحشرج النشيد في الحناجر ، غصة او زيغا
او طنيناً فارغاً ٠٠ تعلمنا ان نعود الى المنابع ، الى البداية المشرقة ٠٠ الى
فتح ٠٠

بنديقة أعلى من كل صوت

ورصاصة اوضح من كل شيء

وفدائياً يثير الخوف اولاً ، ويثير التعاطف بعد ذلك ، وحين ينتصب فسي
الطريق الف جدار ، تنهض امكانية فتح الف ثغرة ، هكذا قالت فتح في بلاغها
العسكري الاول ، ودائماً ٠٠ حيث يعتقد الاعداء انهم وضعوا النهاية ، فان
فلسطين تبدأ ٠٠ هكذا بعد هزيمة عام ١٩٦٧ ، وهكذا في معركة الكرامة عام
١٩٦٨ ، وهكذا دائماً ٠٠ هم ينتهون وفلسطين تبدأ ٠

هم يسقطون وفلسطين تنهض

هم ينطفئون وفلسطين تشعل النيران ٠

٣

من يخلع خاتم صاحبه ؟

من يثبت خاتم صاحبه ؟

من يسقط في الفراغ ؟

هذه هي مسيرة الايام الصعبة لثورة الشعب الفلسطيني ، على امتداد ثلاثة
عشر عاماً متواصلة ، واننا نذكر كل الذي حدث في كل المراحل السابقة ، وكل
من قرر ان ينسانا ٠٠ توجب عليه ان يذكرنا ٠٠ في استقبال خاص في بهو فندق
شيراتون في القاهرة ، وفي رياضتنا المفضلة ، وفي اقترابنا المفاجيء فسي
ساقوي ، وفي انشطار الاشياء كلها الى نصفين ٠

لن نسقط في الفراغ ، لاننا لم نكن خاتماً في اصبع احد من اللاعبين ، وفوق
ذلك ، فان من يريد ان يغسل يديه من دمنا لن يجد سوى الدماء ٠٠ وصليب
فلسطين لن يهرب من فوق الاكتاف ويسقط في الفراغ ، ذلك ان فلسطين قضية
وشعباً وثورة ، ليست احدى الاختيارات المجانية ، فلسطين هي الاختيار الباهظ
الوحيد ٠ وفي مبارزة بدل ان تتم بالسيوف ، تمت بمزامير التوراة ، لا يمكن
لاحد ، ولا يحق لاحد ، تثبيت وعود رب اسرائيل للاسرائييين ، واسقاط وعد
الامة العربية للفلسطينيين ٠

وهذه ليست مجابهة الصعوبة الاولى ، حتى يعتقد البعض ، انه ليس امامنا سوى ان نقوم بدور البحارة على ظهر سقينة تغرق ، ذلك ان فلسطين ليست هي الزجاجاة التي تضع فيها رسالة الاستغاثة الاخيرة ، ونلقها في البحر ، فلسطين قضية وشعبا وثورة تملك كل المفاتيح للابواب الموصدة ، وكل امكانيات النجاة في مواجهة الطوفان .

هنا فلسطين ،

صراع ، وتحد ، وبنديقية . . . وقرار . . . وانتشار . . .

في التفاؤل يتوهج بعد فلسطين الاول .

في الحصار يتوهج بعد فلسطين الاخر .

وفي كل الحالات والمراحل والادوار ، يرتسم الدم علامة على الطرق جميعا . . . في الفترة ما بين عام ١٩٤٨ وعام ١٩٥٦ ، كانت فلسطين تبحث عن نفسها المدفونة في رمال النسيان ، ولكنها سجلت بحسب ما تقول المصادر الاسرائيلية نفسها ، ١١٥٦٠ حادثة تخريب وتسلل وقتل وتدمير ضد الوجود الاسرائيلي ، وفي الفترة نفسها كانت فلسطين تبحث عن وجهها الذي اختلسوه منها ، ولكنها قتلت ملكا ، وهدمت عرشا ، واشعلت نارا لم يكن يتوقعها الذين احترقوا بها ، ولقد عادت فلسطين من غيابتها منذ ثلاثة عشر عاما ، ومن يخلع خاتمه يخلع نفسه ، لان فلسطين ليست احدى البدائل ، بل انها شهادة الميلاد لكل من اراد ان يعيش فوق الارض العربية ، سواء كان حاكما او حزبا او نظاما .

وفلسطين ليست شرنقة تلتف حول ذاتها لذاتها ، فلسطين ارضا وشعبا وقضية وثورة ، كانت دائما من أجل العروبة ، وكانت دائما اول الحاضرين في الخلية القومية الاولى ، وفي الحركة العربية الاولى وفي المعارك القومية الاولى ، وفي انبثاق الجهد العربي على خطوط النار وعلى خطوط الحضارة المعاصرة .

لقد استشهد الفلسطينيون في سيناء ، وفي مسيرات دمشق العربية ، وتحت انقاض النهضة التي ساهموا في بنائها من حافة الخليج الى حافة المحيط .

وحين تبتعد المسافة بين القومي والقطري ، تكون فلسطين هي شريان الدماء ، ولحظة اختصار المسافة ، وقوة تطابق الاشياء مع بعضها ، وفي ظلال البنادق والثورة الفلسطينية ، وفوق ساحاتها ، وفي خضم معاركها ، وفي نطاق مهماتها المختلفة ، يتأكد المناضلون العرب كل يوم من حقيقة الحقائق لدى امتنا ، وهي انه بالامكان ان تتوحد السواعد وتتوحد الارض في ساحة واحدة للقتال .

من يخلع خاتمه صاحبه

من يثبت خاتم صاحبه

من يسقط في الفراغ؟؟؟

ثم ان فلسطين هي الوجه ، والعروبة هي العمق والامتداد والمال .. هكذا
قالت فتح ، وقالت ايضا ان فلسطين هي رأس الحربة .. فمن ذا الذي يجرو
على الادعاء بعد ذلك انه عربي ، ثم يواجه الهجوم بقطعة من الخشب .. اي
من دون فلسطين .

٤

في لقاء عادي تم بين مسؤول فلسطيني كبير ، وشخصية اجنبية مهمة ، تطرق
الحديث الى مواضيع شتى ، كان الوقت يمضي ، وكان الضيف الاجنبي يتحدث
ويناقش ويستمتع ، اخرج من علبة سجائره سيجارة وضعها بين شفتيه ، ولكنه
اكتشف انه لا يحمل ولاعته التي يشعل بها سجائره وهنا اخرج المسؤول
الفلسطيني الكبير علبة ثقاب وقدمها الى ضيفه ، قال الضيف الاجنبي وهو
ياخذ نفسا عميقا من سيجارته

– ما أعرفه عنك انك لا تدخن ؟

وقال المسؤول الفلسطيني الكبير

– هذا صحيح .. أنا لا أدخن

وعاد الضيف الاجنبي يسأل

– أليس غريبا انك تحمل في جيبك علبة ثقاب ؟

عندها ابتسم المسؤول الفلسطيني الكبير ، ابتسم برفق في وجه ضيفه وقال
له

– نحن في هذه المنطقة العربية ، لا يلزمنا سوى عود ثقاب .

هذه هي المسألة التي يعرفها الفلسطينيون جيدا الان ، وهي نفسها المسألة
التي يحاولون افهامها لغيرهم بأقل قدر من الضجيج والانفعال ، وحين تحاول
ان تبحث عن جذور هذه النقطة الهامة ، فان البحث يقودنا الى البدايات .. الى
المنابع الاولى لفتح .

في بداية الخمسينات ، كان الفلسطينيون سكان المخيمات في قطاع غزة ، لا
يزالون يحتفظون بمفاتيح بيوتهم التي طردوا منها ، كما يحتفظون بأدوات
الحصاد وبكميات قليلة من الغلال للبذار . وكان من عادتهم ان يصعدوا الى

تل المنطار شرقي مدينة غزة ، حيث تكون نظراتهم اعلى من مستوى خط الهدنة الوهمي ، وكان بعضهم يقتربون من تخوم قرיתי خزاة وبني سهيلا او يتسربون عبر الوادي الكبير او يخطئون عن عمد فيواصلون السير في الشارع الرئيسي المسفلت المؤدي الى بئر السبع ، وكانت قوارب الصيد الصغيرة تسافر ببعضهم مدفوعة برياح الحنين الجارف ، الى شاطئ يافا ، ولم يكن بوسع احد فسي الكون اقتناعهم ، ان تلك الارض التي يرونها بعيونهم ، والتي يتنفسون رائحة عطونتها حيث تهطل الامطار ، ويرددون مواويلها القديمة ، وحكاياتها الموغلة في البعد والقرب ، لم يكن بوسع احد ان يقنعهم ان تلك الارض لم تعد لهم .

كان الوطن حاضرا

كان الوطن غائبا

وكان المسافة بين الاحتمالين قاسية ومعذبة ، وملئية بالفجيعة ، والجنون ، والموت حيننا ، وملئية ايضا بمحاولات باسلة للبحث عن الخلاص . لم يحدث مطلقا ان اقتنع الفلسطيني ، ان بوسع المخيم ان يكون وطننا ، وكانت تنبثق في الحياة اليومية الفلسطينية ، الاف الاشكال من الممارسات المفهومة وغير المفهومة ، لتأكيد هذه الحقيقة ، حقيقة البحث عن طريق للخلاص .

وفي ذلك الوقت ، اي في بداية الخمسينات ، اعلن راديو العدو الصهيوني ، ان كمية من المواد المتفجرة ، قد انفجرت في احدى تلمبات المياه ، وانها الحقت بها اضرارا بالغة ، وقال راديو العدو الصهيوني ايضا انه تبين من الحادث ان الذين قاموا به خبراء في المتفجرات .

وفي الحقيقة ، فان الرجلين اللذين قاما بتنفيذ تلك العملية ، وخططا لها من اولها الى اخرها ، لم يكونا قد اصبحا خبراء في المتفجرات بعد في ذلك الوقت ، ولكنهما كانا يملكان قدرة خاصة على الاستجابة لارهاصات الشعب الفلسطيني ، وكانا يقتربان بسرعة قصوى في ذلك الزمن من شيء عظيم اسمه الكفاح المسلح . في تلك العملية الصغيرة المكبرة ، كانت فتح موجودة ، فكرة . . . هاجسا . . . استجابة اولى . . . وربما يحين الوقت يوما لمعرفة كافة التفاصيل . . . وخلال انتفاضة عام ١٩٥٥ في قطاع غزة ، ضد مشاريع الاسكان والتوطين في صحراء سيناء ، حيث استيقظت فلسطين في تلك الانتفاضة بطريقة ادهشت كل المراقبين ، وفتحت لشعبنا وامتنا نوافذ جديدة على العالم ، كانت فتح موجودة ايضا ، ثم انه حدث بعد ذلك الانتشار .

فلقد تحولت رابطة الطلبة الفلسطينيين في القاهرة الى مركز نشيط ، ونظمت فتح اول مظاهرة تأييد لفلسطين في أوروبا ، في احدى المدن النمساوية ، وبعد ذلك ، كان هناك رجل يجوب أوروبا مثل كلمة السر ، يركب قطارات الدرجة

الثالثة ، يلتقي بالشباب الفلسطيني هناك ، ينظمهم لفتح ، ويجمع منهم التبرعات التي لم تكن سوى قروش قليلة . ثم اتسعت دائرة الانتشار الى عشش القش والجريد في القنفذة في السعودية . . الجزائر . . الكويت ، وبقية مناطق الخليج العربي .

وعن تلك البدايات ،

عن مرحلة التحضير والميلاد الاول ، قال كمال عدوان احد قادة فتح الشهداء (لقد كان تنظيم فتح خاصا ، وكان فكر فتح عاما) في تلك الفترة ، لم يكن الاعداء قد تنبهوا الى اهمية مهاجمة فلسطين من داخلها ، كانوا يحاصرون فلسطين من الخارج ، يحاصرونها دفعة واحدة . . وفي ذلك الوقت كانت فتح هي فلسطين ، واليوم ، في مطلع العام الرابع عشر من مسيرة المجد والصعوبة ، بعد كل هذه الجبال من الانتصارات ، وفي مواجهة كل هذه الجبال من الاخطار المحدقة . يتأكد لنا بوعي اكبر ان فتح هي فلسطين .

قالوا عن فتح . . .

قلنا عن فتح . . .

لكن وصف الطرق الصعبة مهما كان بارعا ، لا يمكن ان يتعادل مع السير بأقدام عارية ، على الشوك ونتوءات الصخور .

فتح تعني ان فلسطين تحرر حربا

فتح تعني ان فلسطين تشعل حرائق

فتح تعني ان فلسطين تنتصر حتما

وفتح تعني ان شعبا قذفوا به في الفراغ ، خارج حدود الزمان والمكان ، قد نهض واكتشف نقطة البداية ، اكتشفها لنفسه ، وللملايين غيره في هذه المنطقة المهمة . . . وقبل فتح كانت تغزونا صورة الوطن ، ورائحة الوطن ، وذكريات الوطن ، فنيكي ، او نصرخ في داخلنا ، او نصاب بالجنون ، الان نرسم صورة الوطن بدمنا ، وبخطواتنا على ارض الواقع ، وبحديد بناقدنا ، واصبح لنا في السباق مهر جامع ، نصر على ان يكون هو الرابع ، وقبل فتح ، حين كانت الاذاعات تنقل على الهواء ، رسائل بعضنا الى بعضنا ، كانوا يقولون اشفاقا :

– ما اضيع فلسطين .

والان حين ينقل العالم اخبار فعلنا ، وسطور رسائلنا ، وبطاقات حضورنا

الحقيقي ، فانهم يقولون اعترافا .

– ما اكبر فلسطين .

وفتح تعني فلسطين ، وفلسطين هي التعميد بالدماء ، والتطهير بالنار ،
والخلاص بتصعيد الصراع ، انشطرت الارض ، وتنشطر الارض ، وليس بوسع
احد سوى ان يكون مع فلسطين او يكون ضدها .

واستحضرت فلسطين كل صور التاريخ العربي دفعة واحدة ، صورة الغزاة
وصورة المفاوضين ، وصورة المتواطئين ، وتلاطمت موجات الخيول ببعضها
وقاضت الانهار بالدماء ، والتفتت القلوب الى صيحة الحق ، بينما انحازت
كثيرا الى رنة الذهب ، وخطوة الى الامام ، والف خطوة على محيط الدائرة .

— هنا فتح ،

قبل ثلاثة عشر عاما ، اصدرت قوات العاصفة بلاغها العسكري الاول ،
اوصدت المدن ابوابها ، فتحت المدن ابوابها ، اصبح كل الفقراء متهمين بالكفر ،
واصبح لا فرق بين اول الارض واخر الارض ، والنبوءة تعلن عن نفسها ،
والبشارة تجدد دورتها ، انتظروا ٠٠ انها بشارة البنادق ، بشارة النيران .

معن بشور

في مواجهة التسوية .. أوهام ومهّمات

لعل اهم وابرز ما صدر عن مؤتمر الصمود والتصدي هو برنامج طرابلس للوحدة الوطنية الفلسطينية الذي يمكن ان يشكل بداية مرحلة تاريخية هامة من مراحل النضال الفلسطيني المعاصر فيما لو تم استيعابه بروح عالية من المسؤولية ، وبمستوى متقدم من الاخلاص والتجرد ، وبفهم عميق لدلولاته الحقيقية سواء ما كان منها يتعلق بالمستقبل او ما كان منها يرتبط بالماضي ايضا

فهذا البرنامج هو اكثر من اتفاق ، انه مراجعة تقييمية عالية لمسيرة من النضال الفلسطيني تمتد تحديدا الى ما بعد حرب تشرين ، مراجعة لا تشمل طرفا دون اخر بل تشمل الجميع ، مناهج وبرامج وافكار وتحليلات ، تتمسك بالايجابيات التي حملها كل موقف ، وتلغي السلبيات التي ترتبط بكل موقف ايضا

ذلك انه منذ حرب تشرين ساد العمل الوطني الفلسطيني خاصة ، والعمل العربي عامة ، نهجان في التعامل مع المساعي السياسية المبدولة باتجاه تسوية سلمية لما يسمى (بازمة الشرق الاوسط) ركز احدهما ، على الجانب (المبدئي) و (التاريخي) للمسألة الفلسطينية مشددا على رفض اي تفريط بالحقوق القومية الثابتة للشعب الفلسطيني والامة العربية في حين ركز النهج الاخر على الجانب (السياسي) و (الواقعي المرحلي) في التعامل مع هذه المساعي يحركه في ذلك حرص عال على البقاء داخل حلبة الصراع السياسي والديبلوماسي على المستويات العربية والدولية ، ورغبة اكيدة في عدم اضاعة فرصة تاريخية لتجسيد الكيان الوطني الفلسطيني في وجه كل محاولات تغييب

او الغاء هذا الكيان من هذا الطرف او ذاك ...

وبغض النظر عن الجذور الفكرية والسياسية ، والخلفيات الاجتماعية والطبقية ، والتأثيرات والضغوط السياسية الخارجية ، للنهجين السائدتين فقد كان كل واحد منهما يشدد على ناحية ذات اهمية بالغة في النضال الفلسطيني . فاحدهما وهو النهج (المبدئي التاريخي) يعتبر امتدادا للنزعة الوطنية الفلسطينية التي رفضت في اقسى الظروف واصعبها القبول باي مظهر من مظاهر التفريط القومي والوطني ، في حين يحاول الاتجاه الاخر ، مستفيدا من تجارب النضال الفلسطيني السابقة ، ان لا يكرر النهايات ذاتها لكافة الثورات والانتفاضات المسلحة التي خاضها شعب فلسطين منذ ثلاثة ارباع القرن تقريبا وذلك عن طريق اىصال المسيرة الثورية الفلسطينية الراهنة الى مكاسب ملموسة محدودة تشكل قاعدة ثابتة لانطلاق جديد في مسيرة التحرير الطويلة .

وكان واضحا خلال السنوات الاربع الاخيرة ان كلا النهجين يحمل في طياته منطقا قويا و متماسكا ومنسجما مع القواعد التي ينطلق منها ، لكنه كان يحمل في الوقت ذاته نقاط ضعف بارزة قد تتحول مع الوقت الى نقاط ضعف قاتلة ...

فالنهج (المبدئي التاريخي) ، رغم صحة منطلقاته وسلامة توجهاته ، كان يصطدم باستمرار بمسألة عدم طرح البرامج اليومية الواقعية الاكثر قدرة على التعامل مع الوقائع المتجددة والمتحركة التي تمنعه من الجمود والتكرار والمراوحة . بينما النهج (الواقعي السياسي) ، رغم ديناميكيته وتعاطيه الفعال مع مجرى الاحداث ، كان يحتاج باستمرار الى الحدود والضمانات (غير الذاتية) التي تمنعه هذه الحركة النشطة من الانزلاق الى مواقع التفريط الوطني والتنازل القومي ...

وكان يبدو في كثير من الاحيان وكأن الحوار بين النهجين هو (حوار طرشان) حيث ينطلق كل واحد منهما من قاعدة في النقاش ، ومستوى في التحليل ، مختلف عن قاعدة النهج الاخر . ومستواه ، ولكن هذا الحوار ، رغم عقمه في بعض الاحيان ، كان يحفر في الحياة السياسية العربية مجار عميقة ، ويطلق امام العقل السياسي العربي تحديات جديدة وافاقا واسعة ، شكلت جميعها بدون شك تلك النهضة البارزة في الوعي والنضج لدى الجماهير وطلانها الثورية المناضلة ...

وانعكس هذا النضج والوعي بشكل حاد ، حين تمكن شعبنا من ان يفرض حدودا للتباين والصراع بين هذين النهجين ، فاباهاما بشكل عام في اطار وحدة الثورة الفلسطينية . و العلاقات الديمقراطية بين اطرافها ، مكتشفها دون

صعوبة بالغة جوانب التكامل ، لا التعارض ، بين النهجين ، محولا الخلاف الى مصدر للتنوع والغنى في الموقف الفلسطيني، وبالتالي مفوتما الفرصة على المخططات الامبريالية والصهيونية والرجعية الطامحة الى تميزق الوحدة الفلسطينية ، والى الاقتتال الفلسطيني - الفلسطيني .

الا ان المحصلة الايجابية لهذا الصراع بين النهجين ، والتي توجهها برنامج طرابلس الاخير ، لا يجوز ان تحجب عن الازهان انه قد وجدت على السدوام اتجاهات متسرة كانت تبرز هنا وهناك ، اما نتيجة الاسترسال غير الدقيق في تقدير معطيات الموقف وموازن القوى وطبيعة الصراع او نتيجة الفرق في التقييمات الذاتية والافكار المسبقة غير المرتبطة بالاستشراف العملي للمسار العام لقضية الصراع في المنطقة

ففي حين رأى البعض « تسوية قريبة جدا » في الافق فسارع الى ملاقاتها في منتصف الطريق ، مقدما بعض التنازلات الخطرة ، وناشرا جوا من الاسترخاء السياسي والنضالي بعد حرب تشرين ، اندفع البعض الاخر الى رفع الوية (الفرز الوطني) متوسعا في اطلاق التهم والنعت متصرفا وفق القاعدة ذاتها التي تعرف على اساسها اولئك الذين يقفون على طرفي نقيض معه وهي ان « التسوية قريبة جدا » وان الاستسلام قد حصل وان التفريط قد وقع .

غير ان تطور الاحداث جاء في غير تطور اولئك وهؤلاء ، وكانت من ابرز ايجابيات (حرب لبنان) ، التي اطلقتها المؤامرة الاميركية - الاسرائيلية لتوريط المنطقة باسرها في حروب اهلية تمزقها ، انها كشفت ان المؤامرة تستهدف عموم الثورة الفلسطينية ، عموم فصائلها وقياداتها ، وانها لم تميز كثيرا بين نهج واخر ، بل ظهر في بعض الاحيان ان التركيز قد استهدف بشكل خاص بعض القوى الفلسطينية التي تبدو اكثر مرونة من غيرها ربما بسبب ثقلها الاساسي في المعركة وربما ايضا بسبب مرونتها نفسها التي كانت تشكل عامل احراج وارباك للمخطط والقوى التي تقف ورائه .

وعلى كل حال ، خرجت الثورة من (الحرب - المؤامرة) صامدة حية ، لتتمكن اليوم بعد اكثر من سنة على وقف القتال في معظم ارجاء لبنان ، ان تخرج موحدة حول موقف وطني سليم وبرنامج ثوري متماسك .

الا ان صمود واستمرار هذا الموقف الوطني الجديد - القديم سيكونان بالضرورة نابعين من تحليل عميق لطبيعة التسوية المطروحة ، لاهدافها ومراميها ، لواقعياتها والدى الزمني لتنفيذها ، وللمواقف الحقيقية لكافة القوى المشاركة في صياغتها ، وبالتالي ، فان مثل هذا التحليل سيطرد بالضرورة جملة من الاوهام التي طالما لعبت دورا في تشويش الصورة امام العديد من الثوريين والوطنيين .

الوهم الاول : هو الاعتقاد بان التسوية الاستسلامية هي مجرد قرار يتم الاعتراف به ، او مجرد صك دولي يتم التوقيع عليه في حين انها في الحقيقة اكثر واشمل واعمق من ذلك بكثير .٠٠٠ انها اوضاع اقتصادية وسياسية واجتماعية يتم تشكيلها كل يوم باتجاه تكريس الهيمنة « النهائية » والكاملّة للمصالح الامبريالية والوجود الصهيوني في المنطقة .

وبالتالي فان التصدي الحقيقي للتسوية لا يكون بالتالي مجرد معارضة هذا القرار ، او تجنب توقيع ذاك الصك (في بعض الاحيان لا يكون هذا التوقيع مطلوباً او ضرورياً) بل ان التصدي الحقيقي للتسوية يتم على التصدي الكامل لهذه الاوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية حيث تجري **اولا** محاربة التغلغل الاقتصادي الامبريالي بكافة اشكالها من خلال انتهاج سياسة الاستقلال الاقتصادي ، والتكامل العربي في التنمية الاقتصادية والاجتماعية ، و توثيق الروابط مع الدول الاشتراكية ودول العالم الثالث .٠٠٠ و **ثانيا** محاربة الديكتاتوريات وكل مظاهر القمع والارهاب وتكبير الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية في التصدي للتسوية وذلك من خلال التمسك الشديد بالحريات الديمقراطية وخوض معركتها في كل موقع وفي كل قطر ، و **ثالثا** محاربة مخططات التقسيم والتفتيت والتشردم في الواقع العربي من خلال التمسك بوحدة كل قطر ، وبالوحدة العربية التي تشكل الرد التاريخي على كل قوى التجزئة والتخلف والثورة المضادة .

الوهم الثاني : هو الاعتقاد بان التسوية ، بالمفهوم المتعارف عليه دوليا ، قريبة الى الحد الذي تصوره البعض ، القابل والرافض على حد سواء ، غداة حرب تشرين . في حين ان التحليل الموضوعي لطبيعة الصراع العربي - الصهيوني وتحديده ، ايجازا ، بانه صراع وجود وليس تناقض حدود ، بالاضافة الى تحليل شبكة العلاقات والمصالح الدولية المرتبطة بهذا الصراع والقائمة عليه ، تؤكدان التسوية الوحيدة المتاحة ، هي تسوية وحيدة الجانب ، تسوية التنازلات العربية المتواصلة حيث يؤدي كل تنازل الى اضعاف الموقف العربي ، ويؤدي هذا الضعف الى تنازل جديد فضعف جديد مما يدخلنا ، كما هو حاصل اليوم ، في حلقة التنازلات المفرغة .

وبهذا المعنى فان هذه التسوية التصفوية تحتاج الى مرحلة تاريخية كاملة وتستهدف العديد من القوى التي لا تعتبر نفسها قوى جذرية او معادية بشكل كامل لنهج التسوية .

ان استيعاب القوى الاكثر ثورية ، والاكثر جذرية لحقيقة التسوية المطروحة بمداهما الزمني المفتوح ، وباتساع القوى المستهدفة بها ، يجعلها تمتلك قدرات متنامية على خلق الظروف المعرقة لهذه التسوية .

وإذا كانت الدوائر الامبريالية تحاول بين الحين والآخر الايحاء بان هناك حلا قريبا او تسوية على الابواب ، فما ذلك الا للتعجيل بالانقسام العربي من جهة ، ومن اجل تقوية القوى المتحالفة معها كلما تصل هذه الى القوى التي الطريق المسدود في مراهنتها على الدور الاميركي في انجاز التسوية .

وإذا كانت الخطوات الجزئية المحدودة التي تمت على طريق التسوية خلال السنوات الاربع قد كلفت الامة العربية ثمنا غاليا من الانقسام المرير والصراع الدموي الرهيب على المستوى العربي ، فان طموح الخطوات المقبلة المطروحة لن يكون اكثر من المزيد من الاستدراج للعرب وللفلسطينيين التي افضاخ الصراعات الدموية الحادة التي تضمن اختزالا للقوى العربية وديمومة متنامية للقوة الاسرائيلية .

الوهم الثالث : هو الاعتقاد بان حركة التطور التاريخي هي حركة تملئها التكوينات الذاتية والنوايا الشخصية للأفراد والهيئات والحركات اكثر مما تملئها موازين التطور الموضوعي للحركة التاريخية .

ان هذا الوهم الذي وقع فيه بعض الحكام العرب في تعليقهم الامال الكبار على هذا المسؤول الاميركي او ذاك ، والذي تقع فيه ايضا بعض الحركات والمنظمات في تحليلها وتقييمها لبعضها البعض ، يلعب دورا تشويشيا في امكانية بلورة صورة صافية واضحة للصراع وقوانينه وتطوره .

فكما انه ليس كافيا في مجتمع كالمجتمع الاميركي ، حيث تتشابك القوى والمصالح الضخمة والمختلفة ، ان يكون هناك رئيس او وزير اميركي متعاطف مع المطالب العربية حتى يتمكن من الضغط على اسرائيل ، فانه لا يكفي ايضا ان يكون هناك حاكم عربي راغب في التسوية حتى تقع التسوية فعلا

ذلك ان المسألة هي دوما مرتبطة بطبيعة الصراع ، بطبيعة القوى المتصارعة وحجمها ومسار تطورها ، وبطبيعة الاستراتيجيات والسياسات والتكتيكات المتبعة .

ان مثل هذه الحقائق تحمل القوى الثورية والجزرية المتصدية فعلا للتسوية مسؤولية اكبر ليس في كشف نوايا المستسلمين ومخططاتهم فحسب ، وهذه مسألة يمكن للصحف واجهزة الاعلام وحدها القيام بها ، بل في توفير الظروف والقوى والعوامل التي تجعل من الوطني اكثر وطنية ، ومن المستعد للتفريط اقل حاجة الى التفريط .

ان هذه المسؤولية تفرض على القوى الثورية المزيد من التمسك بالنهج الوجودي في معالجة الامور ، وفي الممارسة على حد سواء ، لان منطق الوحدة هو المنطق القادر على منع التفريط ، بينما نرى في الانقسام والتناحر المناخ

النموذجي لنمو اجواء اليأس والتراجع والاستسلام .

الوهم الرابع : هو اعتبار كافة القوى المحلية والعربية والعالمية الراغبة في التسوية السلمية لازمة المنطقة هي قوى متماثلة في دوافعها وغاياتها ، ومشاركة في تحمل مسؤولية المؤامرة الكبرى على شعبنا

ان مثل هذا الوهم ، بغض النظر عن نوايا اصحابه ، يصب في طاحونة المؤامرة ذاتها لانه يشيع اليأس والشعور بالعجز ويضع شعبنا امام خيارين لا ثالث لهما الانتحار او الاستسلام .

والحقيقة ان هناك قوى عديدة ، عالمية وعربية ، تسعى الى التسوية لاهداف متباينة ، ودوافع مختلفة ، فمنها من يرى في فرض التسوية على الامة العربية وشعب فلسطين شرطا لاحكام السيطرة الاستعمارية والوجود الصهيوني ، ومنها من يرى في هذه التسوية تحقيقا لمكتسبات معينة للامة العربية تعبر في حقيقتها عن موازين القوى في هذه المرحلة ، بل ان مستقبل هذه التسوية مرهون بتطورات الوضع العالمي والعربي والمحلي على حد سواء

ان رفضنا للتسوية المطروحة والتي يعبر عن حدودها القراران (٢٤٢) و (٣٣٨) لا يجوز ان يحجب عن رؤيتنا ، لحظة واحدة ، الفروق النوعية في مواقف الاطراف الراغبة في التسوية ، وبالتالي الامكانية التي تتمتع بها قوى التصدي للتسوية في خلق الظروف والاضاع والقوى التي تسهم في رفع مستوى ودرجة المساندة والتأييد الذي نلقاه من بعض هذه الاطراف كالاتحاد السوفياتي مثلا

صحيح ان السوفيات هم مع تسوية تضمن الى جانب الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ ، واقامة دولة فلسطينية مستقلة ، حق دولة العدو الصهيوني في الوجود والبقاء ، لكن السوفيات هم ايضا مع الموقف العربي اولا ومع الفلسطينيين بقيادة منظمة التحرير بشكل خاص وبالتالي فان كل اتجاه فعلي وجدي في تطوير القوى العربية والفلسطينية على نحو يساهم في ميلان موازين القوى لمصلحتنا سيدفع السوفيات بالتأكيد الى تطوير موقفهم باتجاه عدم الاصرار على انتزاع اعتراف عربي وفلسطيني بحق دولة اسرائيل في الوجود والبقاء ان هذا التطور المستمر في الموقف السوفياتي تجاه المسألة الفلسطينية قد ابرزه مسار الاحداث وتطورها وكلما تصاعد النضال العربي واشتد الكفاح الفلسطيني كنا نجد تطورا ملحوظا في الموقف السوفياتي .

وبهذا المعنى يكتسب الموقف من السوفيات مثلا دقة خاصة ، ويعبر عن مستوى من النضج الذي بلغته ثورتنا و جماهيرنا . فهذا الموقف يقوم على

قاعدتين في وقت واحد : الاستقلالية العربية ، والموقع العربي في تحالف قوى الاشتراكية والتحرر في العالم ، فلا نندفع في التهجم على السوفيات واتهامهم بالتفاهم مع الامبريالية الاميركية على حساب الامة العربية ، كما لا نندفع بالمقابل الى مواقع الارتباط الكامل بالسياسة السوفييتية في المنطقة .

الوهم الضامس : الاعتقاد بان الوضع الراهن لموازين القوى الدولية والعربية هو وضع ثابت ونهائي . . .

فنتيجة لمثل هذا الوهم دفع البعض اثر حرب تشرين في خطأ الاعتقاد بانه قد حصل تبدل فعلي في ميزان القوى لصالحنا فاندفع في الدعوة الى الاستفادة من هذا التبدل مساهما ، عن غير قصد طبعا ، في نشر مناخ من الاسترخاء السياسي والنضالي ساد مرحلة ما قبل حرب لبنان ، واذا بهذه الحرب تفاجيء الكثيرين ، واذا بموازين القوى ، نتيجة بعض السياسات والممارسات من بعض الأنظمة العربية ، تتراجع لغير مصلحتنا

وبالمقابل نجد اليوم البعض الاخر ممن ينظر الى التردى الراهن في موازين القوى نظرة ساكنة وشبه ثابتة ، فيقع في خطأ النظرة التشاؤمية التي ترى ان المؤامرة قد شارفت على اكمال فصولها بنجاح

والحقيقة ان المظاهر الطافية على السطح لحقيقة الوضع العالمي والعربي ليست مظاهر نهائية او ابدية ، بل ان تحت هذا السطح الراكد في الحياة العربية تتجمع وتتفاعل عوامل وتناقضات ضخمة ، منها ما يفرزها الوضع الاقتصادي والاجتماعي المتردي لا سيما في انظمة ودول المجابهة ، ومنها ما يفرزها تسارع وتيرة الوعي الشعبي والقومي لمخاطر التحديات المطروحة . فمثل هذه العوامل والتناقضات تشكل ركيزة اساسية لمنطق الثورة والتصدي بل هي الحليف الرئيسي لها اذا احسنت القوى الثورية استيعاب حقيقتها ووضع البرامج والوسائل الكفيلة بالاستفادة من وجودها . . .

فالامبريالية في ازمة بنيوية متفاقمة تعبر عن نفسها في احتدام التناقضات بين اطراف المعسكر الامبريالي وداخل كل طرف ، لاسيما داخل المركز الامبريالي في الولايات المتحدة الاميركية

والصهيونية ، رغم كل مظاهر الاستعداد العسكري المتواصل ، تعاني من مأزق مصيري دخلته بشكل واضح منذ حرب تشرين حتى الان ولم تتمكن بعد من ايجاد المخرج الملائم منه

والانظمة المرتبطة او المشبوهة في بلادنا لم تزل عاجزة عن حل اية مشكلة من المشاكل الجدية التي تواجهها سواء في مجالات السياسة او الاقتصاد او الاجتماع او الصحة او التربية الخ

الا انه بالمقابل لا يجوز لنا ان نهمل الازمة الذاتية العميقة التي تمر بها حركة الثورة العربية بكل فصائلها وقواها ، تلك الازمة التي تفسر العديسـد من التراجعات على كل صعيد ، والتي تسهم بشكل واضح في انعاش كافة القوى والتيارات المعادية للتححرر والتقدم في هذه المنطقـة .

ان طرد هذه الاوهام ، والتمسك بالمهمات المركزية المطروحة ، هما اللذان يشكلان الاطار الحقيقي من اجل تحويل الصمود والتصدي من شعار لمؤتمر السى فعل في ارض الراقع

سياسة أميركا ازاء الفلسطينيين

كثيرا ما قيل أن الولايات المتحدة لا سياسة لها ازاء الفلسطينيين ، وان مشكلة الفلسطينيين كانت تعالج دائما على اساس أن الفلسطينيين جزء لا يتجزأ من القضية الاكبر لسياسة الشرق الاوسط . وفي الواقع كان الفلسطينيون دوما عاملا لا يتجزأ من المناورات الاميركية في الشرق الاوسط ، وبدورهم لاقوا الاهمال والتجاهل المتعمد والتفاضي كما كانوا محط خوف ودم وسوء تفاهم ومهادنة ومغازلة حسبما اتفق ذلك مع مفاهيم الولايات المتحدة لمصالحها في المنطقة . أما التصريحات الاميركية الاخيرة المعبرة عن الحاجة الى وطن فلسطيني وعن قبول بمشاركة فلسطينية في المفاوضات من اجل ذلك الوطن ، فيمكن تفسيرها كمرحلة نهائية للمناورات بالقضية الفلسطينية بغية تحقيق تسوية في جنيف بأقل كلفة ممكنة للمصالح الاميركية . لقد تطورت سياسة الولايات المتحدة نحو الفلسطينيين في هذا القرن على مراحل ، استجابة لتغيرات سياسية واقتصادية داخلية وخارجية . وفي هذه الدراسة أمل في أن اتعقب بايجاز الاتجاهات والتحولات الرئيسية للسياسة الاميركية في نطاق هذه المراحل :

- (١) السياسة السابقة لعام ١٩٤٨ للفلسطينيين بكونهم « لا شعب » ،
- (٢) ١٩٤٨ - ١٩٦٧ الفلسطينيين كلاجئين ،
- (٣) ١٩٦٧ - ١٩٧٣ فترة المواجهة ،
- (٤) ١٩٧٣ - الى الوقت الحاضر - مرحلة العلاقة التي يتجاذبها التقارب والتباعد .

المرحلة السابقة لعام ١٩٤٨

نلاحظ وجود اهتمام اميركي ناشط على المستوى الفردي ، بفلسطين منذ النصف الثاني للقرن التاسع عشر . وقد وثق التقليد اليهودي - المسيحي فيهم العلاقات الدينية والعاطفية مع الارض المقدسة . واليهود بنوع خاص ، مع تركيز الكثير من تقاليدهم الدينية

والثقافية على القدس ، اعربوا عن توقعهم « للعودة » الى ارض فلسطين ، روحيا ان لم يكن جسديا . وبإستثناء عدد ضئيل ، لم تكن فكرة الإستقرار في فلسطين ذات جاذبية كبيرة لدى اليهود الاميركيين (١) ، علما بان عدة طوائف مسيحية اميركية استقرت في فلسطين في اواخر القرن التاسع عشر . وكانت عوامل اخرى ايضا مسؤولة عن الاهتمام بالمنطقة ، بما فيها ما يسمى روح « الريادة » لدى الاميركيين والتنافس مع النفوذ البريطاني على المنطقة . والامر الملفت ، هو ان الاهمية الاقتصادية والاستراتيجية لفلسطين لم تلفت ابدا انظار ومطامح قادة رجال الاعمال الاميركيين واصدقائهم ..

اما على الصعيد المنظم ، فقد كان الصهاينة الاميركيون ، بصورة رئيسية ، هم الذين واجهوا الادارات الاميركية ومجالس الكونغرس والزعماء من رجال الاعمال والقادة الدينيين وغيرهم في محاولة لدفع اميركا الى احتضان الاهداف الصهيونية . ولم يكن من الصعب « بيع » فكرة النفوذ الاميركي الدائم في المنطقة وما لبثت الولايات المتحدة ان حلت محل بريطانيا كأفضل صديق للصهاينة . وقد لا تكون فكرة الصهيونية « ولدت » في اميركا ، الا ان اميركا كانت مسؤولة ، بواسطة الاقنية المالية والدبلوماسية والسياسية، عن تأمين بقاء وتطور المثل الصهيونية وعن خلق وحماية « جليات - الطفل » ، اسرائيل .

واول من حاول كسب دعم حكومي من اجل اقتراح وطن يهودي في فلسطين كانت جماعة من رجال النخبة الاميركيين ، برئاسة الرجل النافذ واي. بلاكستون ، وذلك في ١٨٩١ - اي ستة اعوام قبل المؤتمر الصهيوني العالمي الاول . وقد رفع الاقتراح الى الرئيس وليم هنري هاريسون في شكل عريضة وقعها بعض اصحاب ابرز الاسماء في ذلك الزمان : قاضي القضاة ملفيل فولر ، رئيس مجلس النواب طوماس ريد ، الكاردينال غيبونز ، المصرفي ج . بيربونت مورغان ، جون د . روكفلر ، وليم روكفلر ، والرأسمالي راسل سيج (٢) . وكانت هذه بداية حملة لم تنته ابدا لخلق وطن ، ولحشد قوى قوية ونافذة في اميركا وراء خطة كهذه ، ولدعم الدولة الجديدة بكل قوة عند كل أزمة .

في المرحلة السابقة لعام ١٩٤٨ كانت قرارات ثلاثة رؤساء اميركيين - ولسون وروزفلت وترومان - هي التي شكلت الركيزة الاساسية لسياسة اميركا الفلسطينية . لم تكن ثمة سياسة ازاء « الفلسطينيين » كفلسطينيين . بل كانت السياسة موجهة نحو منطقة فلسطين ولم تشمل سكانها الوطنيين . وتركزت الجهود على الوسائل والاساليب والاجراءات الضرورية لخلق وطن يهودي في المنطقة . ولم يكن الفلسطينيون يشكلون شعبا في اعين رسمي السياسة .

كان الرجال الذين يحيطون بالرئيس ولسون هم الذين غذوا اهتمامه بالصهيونية . وكانت صداقته الطويلة والعميقة مع الصهيوني المتحمس لويز برانديز ، بنوع خاص ، هي التي تركت فيه ابلغ تأثير نحو هذا الموقف . وقد قيل ان ولسون كان يعتبر انه مدين بحياته السياسية لبرانديز . وعندما نجح ولسون في تأمين مقعد لبرانديز في المحكمة العليا عام ١٩١٦ ، كان هذا الاخير رئيسا لاتحاد الصهاينة الاميركيين . ولم يكن ولسون يعطف على أهداف الصهيونية فحسب ، ولكنه كان في الواقع يشير الى نفسه كصهيوني في أحاديثه مع برانديز وفيليكس فرانكفورتير والقاضي جوليان ماك والحاخام ستيفن وايز ، رئيس « اللجنة التنفيذية الموقته » للشؤون الصهيونية العامة ، وغيرهم من زعماء الصهيونية الاميركية . (٣)

يعيد المؤرخون « الفضل » الى ولسون لتشجيعه بلفور على اصدار وعده الشهير . لقد

سعى البريطانيون الى معرفة مشاعر ولسون حول الموضوع ، واراء كبار المسؤولين الاميركيين الاخرين ، واخذوا تلك المشاعر والاراء بعين الاعتبار الدقيق عندما وضع « وعد بلفور » . وفي الرابع من ايلول (سبتمبر) ١٩١٧ كان اللورد روبرت سيسيل ، الامين العام المساعد لوزارة الشؤون الخارجية البريطانية ، قد ابرق الى الكولونيل هاوس ما يلي : « اننا نتعرض للضغط هنا لاعلان عطف على الحركة الصهيونية ، وسأكون شاكرا جدا لك اذا شعرت انك قادر على التأكيد بصورة غير رسمية عما اذا كان رئيس الجمهورية يؤيد مثل هذا الاعلان . . . » (٤) .

كان الرئيس ولسون مستعدا تمام الاستعداد لتأييد الاعلان على الرغم من تردد الكولونيل هاوس ، وبعدما ارجأ رده على الكولونيل هاوس نحو شهر ، اجاب ولسون بالاجاب : « اجد في جيبى المذكرة التي اعطيني اياها حول الحركة الصهيونية . انني لم اخبرك انني اوافق على الصيغة التي اقترحها الجانب الاخر . انا اوافق على تلك الصيغة في الواقع ، وسأكون ممتنا لك اذا اخبرتهم بذلك » . (٥) وعندما صدر الاعلان حدثت ابتهاجات جماهيرية امام القنصليات الاميركية في روسيا وسلاونكا وسيدني وشنغهاي ، وتدفقت على ولسون من جميع انحاء العالم عشرات التلغرافات ، وكأنه هو نفسه اصدر الاعلان .

خلال الفترة الاولى للاقتحام الصهيوني لفلسطين ، افلح الصهاينة الاميركيون في دفع اميركا في طريق تورطها الطويل في المسألة الفلسطينية عن طريق استخدام معونة الكونغرس ، وكسبوا تأييد بعض اقوى الشخصيات في الكونغرس وبينهم هنري كايوت لودج ، رئيس لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ . وفي الثاني عشر من نيسان (ابريل) عام ١٩٢٢ ، نزولا عند الحاح الصهيونيين ، طرح لودج على مجلس الشيوخ قرارا يعيد تأكيد اعلان وعد بلفور في الاساس .

تقرر . . . ان الولايات المتحدة تؤيد اقامة وطن قومي في فلسطين للشعب اليهودي ، وفقا للشروط التي احتواها اعلان الحكومة البريطانية الصادر في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ ، والمعروف باسم اعلان بلفور ، مع الفهم فهما تاما بعدم فعل اي شيء قد يؤذي الحقوق المدنية والدينية للجماعات غير اليهودية الموجودة في فلسطين ، او الحقوق او الوضع السياسي التي يتمتع بها اليهود في اي بلد اخر ، وبوجوب تأمين الحماية الكافية للاماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية في فلسطين . (٦)

وقد شرح لودج ميله نحو وطن يهودي امام حشد من دائرته الانتخابية في واشنطن :

لم يكن بوسعي ابدا ان اقبل بصير فكرة ان القدس وفلسطين يجب ان تكونا تحت سيطرة المحمديين . . . ان تبقى القدس وفلسطين ، المقدستين في نظر اليهود . . . وهي ارض عميقة القداسة لجميع الامم المسيحية العظيمة في الغرب ، بصورة دائمة في ايدي الاتراك ، هذه الفكرة بدت لي منذ اعوام عديدة احدى اعظم اللطحات على جبين المدنية ، ويجب محوها . (٧)

ومع ان الصهاينة ركزوا جهودهم فقط على حث مجلس الشيوخ على العمل ، فقد تلقوا المساعدة من جانب اخر ايضا . ففي الرابع من نيسان (ابريل) قدم النائب هاملتسون فيشي ، ببادرة خاصة على ما يبدو ، مسودة قرار تعاطف في مجلس النواب ، وصف فيه « اعادة خلق » « وطن قومي » لليهود في فلسطين بانه « عدالة تاريخية » . (٨)

ان الفرق في نص مسودتي القرارين مصدره أكثر من مجرد فرق في الشخصين اللذين تبنيّا تقديمهما . فقرار فيش من شأنه فقط ان يجعل مجلس النواب يدخل في سجلاته انه يوحى « بتعهد » في حين ان قبول قرار مجلس الشيوخ كان سينطوي على موافقة الكونغرس على « اقامة وطن قومي » ، وهو فرق ادركه الصهاينة . (٩)

خلال مناقشة القرار تقدم النائب فيش ، وهو يبحث عن صيغة يقبل بها مجلس النواب . بتعديل لقراره السابق . وفي الثلاثين من حزيران (يونيو) ١٩٢٢ وافق المجلس على القرار دون التصويت عليه ، ولم يؤت على ذكر معارضة . (١٠) لقد ابلى الصهاينة بلاء حسنا . واذا كانت أية معارضة قد ظهرت على السطح في واشنطن فقد دفنت تحت وابل من البرقيات والرسائل الموالية للصهيونية من جميع انحاء البلاد ، من اليهود وغير اليهود على السواء . (١١) من هذه الناحية ، استخدم الصهاينة « جمعية اصدقاء فلسطين اليهودية » ، وهي منظمة من المسيحيين كانوا قد دعوا لاستمداد العطف بين السكان بوجه عام . (١٢) وفي الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) تم اخيرا تبني النص الذي يقبل به كلا المجلسين . وفي هذا الشكل ارسل القرار المشترك الى رئيس الجمهورية ، ووقعه هاردينغ بعد تلقي الموافقة الممانعة من وزارة الخارجية . (١٣) وهكذا سجل الصهاينة انتصارا رئيسيا . وجاء في القرار النهائي ما يلي :

قرر مجلسا الشيوخ ونواب الولايات المتحدة في الكونغرس المجتمع ، أن الولايات المتحدة الاميركية تؤيد اقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين على أن يفهم فهما واضحا ان شيئا لن يعمل مما قد يؤذي الحقوق المدنية والدينية للمسيحيين ولجميع الجاليات غير اليهودية الاخرى في فلسطين . وأن الاماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية في فلسطين سوف تحمي حماية كافية . (١٤)

ومهما يكن من امر فقد صار بامكان الصهاينة الان الذهاب الى الحكومات الاخرى وهم يلوحون بهذا القرار . فالقرار اذن لم يعزز مركز الصهاينة في الخارج وحسب ، ولكنه قد يكون حقق احد اهداف الذين تبنوه . الى اية جهة على وجه الدقة الزمت الولايات المتحدة نفسها بتبنيها لذلك القرار ؟ مما لا ريب فيه ان القرار لا ينطوي على اي التزام قانوني . ومن الواضح ان قصد الكونغرس كان تجنب اي التزام سياسي معين . فهو اذن لم يكن سوى تعبير عن تعاطف مع الحركة الصهيونية وتأييد لاعلان بلفور . ومن الواضح أن الكونغرس عهد بتنفيذه الى مهندسيه البريطانيين . الا ان القرار فسر ايضا على انه يلزم الولايات المتحدة لا بحماية الاماكن المقدسة فحسب ، بل ايضا بالوطن القومي نفسه ، اذا ما تخلى البريطانيون عنه لاي سبب كان .

لقد سببت التطورات السياسية في الثلاثينات من هذا القرن قدرا كبيرا من القلق والخوف بين الصهاينة ، ولا سيما الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ ومضاعفاتها في فلسطين والخارج . وقد دفعت الثورة الحكومة البريطانية الى اصدار « الكتاب الابيض » عام ١٩٣٩ ، وهو الذي حدد الهجرة اليهودية الى فلسطين بـ ٧٥ الفا في الاعوام الخمسة اللاحقة ومنع الهجرة اليهودية بعد ذلك دون « موافقة العرب في فلسطين » كما اعطى الفلسطينيين وعدا بزيادة الحكم الذاتي ، علما بان اخلاص تلك الوعود تبقى موضع شك . (١٥)

وجاءت ردة فعل الصهاينة على « الكتاب الابيض » عبر اشكال ثلاثة : (١) عززوا قوتهم العسكرية في فلسطين ، (٢) نقلوا قاعدة عملياتهم السياسية من لندن الى واشنطن ،

(٣) زادوا من جهودهم للحصول على التزام سياسي اكيد من الولايات المتحدة .

واجتمع الصهاينة الاميركيون عام ١٩٤٢ في فندق بلتيمور لاستنكار «الكتاب الابيض» البريطاني لتأكيد التزامهم بوطن قومي يهودي في فلسطين . وبعد هذا المؤتمر برزت الحركة الصهيونية الاميركية اكثر اتحادا من ذي قبل . وأعيد تنظيم «مجلس الطوارئ» الصهيوني الاميركي «وعين الحاخام ابا هيلال سيلفر ، وهو رئيس اللجنة التنفيذية ، مسؤولا عن عمل العلاقات السياسية والعامه في الولايات المتحدة .

وهكذا اتسع نطاق جهوده . ووضع مجلس الطوارئء الاساس لطرح قرارات فسي مجلسي الكونغرس تهدف الى جعل الهيئة التشريعية تسجل تأييدها خلق دولة اسرائيل . وشكلوا حملة منظمة للضغط على النواب والشيوخ في واشنطن وعلى صعيد الولايات للحصول على تأييد زعماء الاكثرية والاقلية في الكونغرس وعلى دعم عام قوي .

وقد جاء في القرارين ، اللذين قدمهما في مجلس النواب النائب جيمس رايت وهو ديمقراطي من ولاية بنسلفانيا وفي مجلس الشيوخ الشيوخ تافت وواغنز ، ما يلي :
في حين أن الكونغرس السابع والستين للولايات المتحدة قرر في الثلاثين من حزيران عام ١٩٢٢ بالاجماع أن : الولايات المتحدة الاميركية تؤيد اقامة وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين ، على أن يفهم فهما واضحا أن شيئا لن يعمل مما قد يؤدي الحقوق المدنية والدينية للمسيحيين ولجميع الجاليات غير اليهودية الاخرى في فلسطين ، وان الاماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية المقدسة في فلسطين سوف تحمي حماية كافية ، وفي حين أن الاضطهاد الذي لا يرحم للشعب اليهودي في اوروبا قد اظهر بوضوح الحاجة الى وطن يهودي كمالذ للاعداد الكبيرة التي اصبحت بلا مأوى نتيجة لهذا الاضطهاد لذلك ، تقرر أن الولايات المتحدة ستستخدم علاقاتها الطيبة وتتخذ الاجراءات المناسبة بغية فتح ابواب فلسطين أمام دخول اليهود الحر الى ذلك البلد ، وان تكون هناك فرصة كاملة للاستعمار لكي يتاح للشعب اليهودي في النهاية اعادة تكوين فلسطين ككومونولث يهودي حر وديمقراطي . (١٦)

وناقشت لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس النواب القرار علنا في شباط (فبراير) عام ١٩٤٤ ، وخلال تلك المناقشات عرضت الاراء الصهيونية والمناهضة للصهيونية والقومية العربية . (١٧) وعلى الصعيد الدولي اثار القرار ردود فعل قوية جدا من العالم العربي ، خصوصا في وقت كانت اميركا فيه بحاجة الى تعاون العرب في جهودها الحربية . وحث وزير الخارجية هل Hull ووزير الحربية ستمبسون الكونغرس على تأخير القضية وأنذرهبالضرر المحتمل الذي ستسببه لمصلحة اميركا في الشرق الاوسط في ذلك الوقت . وطرح القراران على التصويت وكانت الموافقة عليهما مفروغا منها . لكن الالتزام الاميركي لفكرة دولة يهودية لم يكن قد حان وقتها في ذلك الحين .

الرئيس روزفلت وفلسطين :

كان روزفلت اول رئيس اميركي منذ ولسون واجهته معضلة اتخاذ قرارات صعبة للولايات المتحدة فيما يتعلق بفلسطين . بيد أن ادارة روزفلت لم تنجح قط في حل النزاع بين الضرورة العسكرية والاستراتيجية والاقتصادية ظاهريا لترضيةالعالم العربي ، والنزاع

« الانسانية » ظاهريا للصهاينة مدعومة بكثير من الضغط الاقتصادي والسياسي . وبالنظر للاعتبار الأهم وهو كسب الحرب ، لم يكن في مقدور وزارة الخارجية ولا البيت الابيض صياغة سياسة واقعية حول الشرق الاوسط ككل .

طوال عام ١٩٤٣ كان واضحا ان الولايات المتحدة ما تزال تبحث عن صيغة . وفي ربيع وصيف تلك السنة بحثت وزارتتا الخارجية الاميركية والبريطانية اقتراحا بان لا تعلن الامم المتحدة اي قرار حول فلسطين الى ما بعد الحرب ، والا تعلنه آنذاك الا بالتشاور الكامل مع اليهود والعرب . وقد وافق كل من روزفلت والبريطانيين على النص ، لكن الاعلان لم يصدر وذلك نزولا عند اعتراض وزارة الحرب ، وربما خوفا من ان اي تصريح على الاطلاق قد يسيء الى العرب . (١٨) وقرر تشرشل وروزفلت في مؤتمرها في كيبك في آب (اغسطس) ان يراجعا الوضع الفلسطيني من شهر الى شهر . (١٩)

وفي هذه الاثناء كان رئيس الجمهورية يفكر بخطة جديدة . وفي السابع والعشرين من ايلول ١٩٤٣ قال لهوسكنز انه متأثر بفكرة وصاية اوسع على فلسطين ، على ان يكون الاوصياء المسؤولون الثلاثة يهوديا ومسيحيا ومسلما . (٢٠) ويبدو ان وزارة الخارجية الاميركية اخذت هذه الخطة بعين الاعتبار ولكنها اهملت المشكلة عمدا . فقد شعرت وزارة الخارجية انه من غير المحتمل جمع اليهود والعرب معا على اساس ودي في ذلك الحين ، وانه سيكون من الحكمة تجنب اثاره المتاعب عن طريق محاولة تسوية المشكلة بصورة « سابقة للاوان » . (٢١)

ان سياسة التأخير والامل في ان يتفق العرب واليهود تساعد في تفسير الاحداث في واشنطن فيما اقترب الموعد النهائي الذي عينه « الكتاب الابيض » لانهاء الهجرة اليهودية . فقد طلب النائب الاميركي صموئيل وايز من الرئيس روزفلت التدخل مع البريطانيين لالغاء « الكتاب الابيض » . وقال روزفلت في جوابه ، الذي وضعت مسودته وزارة الخارجية ، ان المسألة تحاط « بتفكير دقيق الا ان الكثير من « الصعوبات » و « النزاعات والمشكلات » قد نشأت فيما يتعلق بها » . كذلك رفض رئيس الجمهورية الموافقة على تصريح انكلو - اميركي حول فلسطين وضع في اوائل ١٩٤٤ وقدمه له الامين العام المساعد لوزارة الخارجية ادوارد ستاتينيوس . (٢٢)

وكان الاعلان سينص على ما يلي :

- ١ - يعد بالتشاور الكامل مع العرب واليهود قبل اتخاذ اي قرار .
- ٢ - يرحب باتفاق قبل نهاية الحرب .
- ٣ - يتعهد باعادة النظر في الوضع الفلسطيني بعد الحرب لتثبيت « حل عادل واكيد منصف لجميع الفرقاء المعنيين » .
- ٤ - ينطوي على ائذار من البريطانيين بانهم لن يسمحوا للقوة بتغيير الوضع القائم في ذلك الحين . (٢٣)

وليس واضحا لماذا رفض روزفلت السماح باصدار مثل هذا الاعلان . فالنقاط الثلاث الاولى كانت مجرد ترديد لوقفه هو ، في حين انه ما كان ليعترض على النقطة الرابعة . وكان ستاتينيوس مقتنعا بان مثل هذا التصريح المشترك ضروري « لتوضيح » الوضع ونصح روزفلت بالتحدث مع هوسكنز . وكان سانينوس ومعه وزارة الخارجية الاميركية

راغبين في تحييد الاثار التي تتركها القرارات الموالية للصهيونية والمطروحة آنذاك امام الكونغرس . (٢٤)

ولكن عندما حان الوقت لان ينظر الكونغرس في القرارات الموالية للصهيونية ، اتخذت وزارة الخارجية موقفا حازما ضد المصادقة عليها . وكتب هل Hull يقول :

« في وزارة الخارجية شعرنا ان المصادقة على هذه القرارات ، وان لم تكن ملزمة للحكومة ، ستسبب نزاعا في فلسطين واجزاء اخرى من العالم العربي ، مما يهدد بالخطر القوات الاميركية ويتطلب تحويل القوات في اوروبا وغيرها من مناطق القتال » . (٢٥)

ونتيجة لذلك نقل مساعد وزير الخارجية هذه المخاوف الى جماعة من اعضاء مجلس الشيوخ ووضعت مسودة مذكرة يرسلها الى الكونغرس رئيس الجمهورية ، اذا كان النفوذ الشخصي للرئيس روزفلت ضروريا لمنع المصادقة على القرارات . الا ان التطورات اثبتت ان لا حاجة الى ذلك ، اذ ان معارضة وزارتي الخارجية والحربية مجتمعتين نجحت في منع اتخاذ اي قرار اخر في مجلس النواب والشيوخ ، وفي الواقع كان صوت المعارضة في الشرق الاوسط عاليا كفاية . فقد وردت احتجاجات من العراق ومصر ولبنان وسوريا وشرق الاردن واليمن والعربية السعودية . واكدت وزارة الخارجية الاميركية لهذـه الحكومات القلقة من هذه القرارات ، حتى ولو صدق عليها ، فلن تكون ملزمة للحكومة الاميركية . واتبع الرئيس روزفلت ذلك بتأكيدات شخصية . (٢٦) وكان جواب رئيس الجمهورية الى ابن سعود في الثالث عشر من اذار (مارس) ، والى عبد الله في شرق الاردن في السابع عشر من اذار ان لا « ٠٠٠ قرار يغير الحال الاساسية في فلسطين سيتخذ دون مشاورات كاملة مع كل من العرب واليهود » . (٢٧) وظهرت تعبيرات مماثلة في رسائل ارسلت الى مصر واليمن . وفي الوقت ذاته كتب رئيس مجلس النواب والشيوخ العراقي الى رئيس مجلس النواب سام رايبيرن يشير بقوة الى الخطر على المصالح الاميركية في العالم العربي اذا ما صدق على القرارات . وفي السابع من اذار قال رايبيرن : « اعتقد ان الامر سيؤدي فعلا الى الخطر اذا لم تكن حذرين . واظن ان الامر في يدنا في مجلس النواب » . وعلى ضوء ما صرح به الى الحاخاميين وايـز وسيلفر ذلك اليوم عينه ، فان جواب رئيس الجمهورية لرايبيرن في التاسع من اذار ينطوي على اهمية خاصة . فقد كتب روزفلت يقول ان الرسائل من العراق ليست الا جزءا « ٠٠٠ من عدد ضخم من الاحتجاجات . وتمثل فقط ما يحدث اذا دخلت الاوضاع الدولية الدقيقة في السياسة الحزبية » . واعرب ايضا عن « سروره » لكون القرارات « تحت السيطرة » في مجلس النواب . (٢٨)

ولكن اذا كان روزفلت هنا الاستراتيجي الدولي ، المعني بسياسة القوة ، فان السياسة الداخلية اثرت بوضوح على استنكاره للحاخامين . اذ لم يكن الحزب الديموقراطي معنيا بالانتخابات المقبلة فحسب ، ولكن الرئيس والحاخام وايز كانا صديقين لاعوام، منذ ان كان روزفلت حاكما لمولاية نيويورك ، من ١٩٢٩ الى ١٩٣٣ . (٢٩) وربما فسر هذا لماذا عرف الرئيس نفسه كصهيوني خلال اجتماعه مع ستالين في يالطا :

قال المارشال ستالين ان المشكلة اليهودية مشكلة صعبة جدا - وانهم حاولوا اقامة وطن قومي لليهود في بوروبيجان ، الا انهم لم يمكثوا هنا سوى سنتين او ثلاث سنوات ثم تفرقوا في المدن . وقال ان اليهود هم تجار في طبيعتهم ، لكن الشيء الكثير قد تحقق بوضع جماعات صغيرة في بعض المناطق الزراعية .

وقال رئيس الجمهورية انه هو صهيوني وسأل اذا كان المارشال ستالين صهيونيا .

وقال المارشال ستالين انه صهيوني من حيث المبدأ ، ولكنه يدرك الصعوبة . (٢٠)

ناصر وايز رئيس الجمهورية بنشاط في جميع حملاته من اجل المناصب ، وخطب مؤيدا له في جميع انحاء البلاد . (٣١) وعمل وايز ايضا كمستشار له حول المشكلات المؤثرة في اليهود وفلسطين . (٢٢) وكان رئيس الجمهورية يصفي له بعطف ، ولكنه لم يكن يرضي وايز دائما .

قد يشتهب المرء بان وايز غفل عن احد اهم القرارات الاميركية حول فلسطين ، وهو قرار اتخذه روزفلت نيابة عن الصهاينة ، عندما حث عام ١٩٤٣ الحكومة البريطانية ، السلطة المسؤولة في فلسطين آنذاك ، على السماح بدخول مئة الف لاجيء يهودي الى فلسطين . وكان هؤلاء هم نفس اللاجئين الذين حرّموا الدخول الى الولايات المتحدة . وبهذا القرار ربط روزفلت مصير اللاجئين الاوروبيين بمستقبل فلسطين ، وهكذا ثبت الادعاء الصهيوني بان فلسطين يجب ان تحفظ كملجأ نهائي لليهود العالم .

واكتشف روزفلت قبيل وفاته ان اي حل وسط بين العرب والصهاينة لن يكون سهلا قط ، ولم يتحقق امله ابدأ في اجراء مفاوضات بين الفريقين . وكتب ولز Welles ان الرئيس قال ذات مرة ، انه اذا اخفقت المفاوضات المباشرة بين اليهود والعرب ، فانه يتوجب على منظمة الامم المتحدة ان تخلق كومونولث يهودي وتحميه بقوة شرطة دولية الى ان يستطيع حماية نفسه ، وربما كان هذا اتجاه تفكير روزفلت حين وفاته . (٢٣) ومن جهة اخرى ليست هناك اية ادلة مباشرة من اي مصدر اخر بان هذه السياسة كانت موضع اعتبار جدي ودراسة عميقة . ولم تتخل الولايات المتحدة ابدأ عن التزام الرئيس روزفلت بخلق كومونولث يهودي . فقد كان على خليفته هاري ترومان ان يتخذ اهم القرارات لتأمين تحقيق ذاك الهدف .

الرئيس ترومان وفلسطين :

بعد وفاة روزفلت بثمانية ايام سعى الصهاينة الاميركيون الى الحصول على تأكيدات من خلفه بانه لن يكون هناك تحول عن السياسات التي رسمها الحزب الديمقراطي والرئيس الراحل . وقد واجه الرئيس ترومان اكثر من سلفه التضمنات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية لحالة الشرق الاوسط بعد الحرب . وفي العشرين في نيسان (ابريل) عام ١٩٤٥ استقبل ترومان الحاكم ستيفان وايز الذي ناشد الرئيس بخصوص محنة الضحايا اليهود للاضطهاد النازي . كذلك اكد على الحاجة الى دولة يهودية .

وادرك وزير الخارجية ستاتينيوس ان الزعماء الصهاينة سيقومون بزيارة الرئيس ترومان فقدم له شرحا حول اهداف الصهيونية واستراتيجياتها . وأشار وزير الخارجية الى ان الاهداف البعيدة المدى لفلسطين يجب الا تغيب عن البال لدى معالجة المسألة الفلسطينية . وتبعاً لذلك حاول ستاتينيوس ان يميز بين العطف الاميركي التقليدي على اليهود المضطهدين ومشكلة الاستيطان في فلسطين التي قال انها « تنطوي على أسئلة تتخطى كثيرا جدا محنة اليهود في اوربا » . (٢٤) وبعد ذلك باسبوعين تلقى تعبير وزير الخارجية عن القلق دعما من نائب وزير الخارجية جوزيف دروو الذي ارسل معلومات تفصيلية الى الرئيس . وقال دروو ان الرئيس الراحل ، على الرغم من تعبيره

عن عطف على اهداف صهيونية معينة ، كان قد اعطى تأكيدات ايضا الى العرب الذين اعتبروها « التزامات اكيدة » . (٣٥) وارفقت مذكرة دروو بنص الرسالة الاخيرة التي بعث بها روزفلت التي ابن سعود وكان قد كتبها قبل موته بأسبوع واحد . وأرفقت المذكرة كذلك بخلاصة لحديث الرئيس الراحل مع الملك ، الذي قال دروو « ان نصه الاصلي يفترض ان يكون مع اوراق روزفلت » (٣٦) .

ويقول ترومان انه كان يدرك ادراكا تاما عداء العرب للاستيطان اليهودي . وكالكثيرين من الاميركيين غيره « كانت تقلقه محنة الشعب اليهودي في اوربا ، » (٣٧) وقد اخذ ترومان كلمات وعد بلفور المتعلقة بوطن قومي لليهود في فلسطين وتصور بطريقة ما أن مبدأ تقرير المصير الذي وضعه ولسون يرتبط بوثيقة بلفور . ومع ان تقرير المصير كان مقصودا به أن ينطبق على المهاجرين اليهود الى فلسطين فانه على ما يبدو تجاهل الاكثرية العربية في فلسطين . والى ذلك فان نظرة ترومان الاساسية الى الوضع كانت تصطبغ بعطفه العميق على الضحايا الاحياء لعنصرية هتلر وبموقفه « القانوني » جدا في اعلان بلفور . كما لم يعبر عن اي شك حول محتوى تلك الوثيقة او الظروف التي احاطت بها وافترض ان وجودها ينطوي على وعد جدي يجب ان يستوفى ، تماما كما يجب ان تستوفى جميع الوعود التي تقطعها الحكومات المدنية المسؤولة . (٣٨)

في هذه الظروف لم يجد ترومان صعوبة في تطمين الحاخام وايز ، فقال للزعيم الصهيوني أنه موافق على السياسة التي عبرت عنها ادارة روزفلت حول فلسطين ووعد بعمل كل شيء ممكن لتنفيذ تلك السياسة . (٣٩) ولم ير ترومان اي تصادم بين المصالح الاميركية والمصالح اليهودية في فلسطين عندما قال :

كان شعوري هو انه من الممكن لنا ان نراعي مصلحة بلدنا البعيدة المدى وفي الوقت ذاته ان نساعد ضحايا الاضطهاد السيئي الطالع في العثور على وطن . واعتقد انني اوضحت للحاخام وايز هذا الامر قبل أن يغادرني . (٤٠)

لذلك فان ترومان ، منذ بداية ادارته ، اوضح انه ينوي المضي في نفس سياسة الرؤساء الاميركيين السابقين حيال فلسطين .

تقسيم فلسطين :

في الثاني من نيسان ١٩٤٧ طلب الوفد البريطاني في الامم المتحدة من الامين العام للامم المتحدة ، ان يضع المسألة الفلسطينية على جدول اعمال جلسة الخريف للجمعية العامة . واستعدادا للنظر في القضية في ذلك الوقت طلبت بريطانيا منه ان « يدعو في اقرب فرصة ممكنة الى جلسة خاصة للجمعية العامة بغية تأليف لجنة خاصة يعهد اليها ، رفع تقرير في جلسة الخريف » . (٤١)

وقالت لجنة خاصة حول فلسطين من ١١ امة تابعة للامم المتحدة سميت « Unscop » . وقامت اللجنة بزيارة فلسطين وفي الحادي والثلاثين من اب (اغسطس) ١٩٤٧ رفعت تقريرا الى الجمعية العامة وكانت اكثرية هذه اللجنة تؤيد تقسيم فلسطين الى دولتين منفصلتين عربية ويهودية مع تدويل القدس . (٤٢) وهكذا تهيأ المسرح لمناقشة التقسيم العنيفة في الامم المتحدة ، مع دعم الولايات المتحدة التقسيم دعما قويا . وقد قال ترومان تعليقا على الضغوط الصهيونية التي تعرض لها البيت الابيض :

لا اعتقد انني تعرضت قط لمثل هذا الضغط الكبير واستهدف البيت الابيض للدعاوة كما حصل لي في هذه الحالة . (٤٣)

وكذلك قال مساعد وزير الخارجية روبرت لوفيت انه « لم يتعرض ابدا في حياته لمثل هذا الضغط الكبير الذي تعرض له في الايام الثلاثة التي بدأت صباح الخميس وانتهت ليل السبت » . (٤٤)

وأدعى سمير وِلز Sumner Welles ان البيت الابيض شارك مشاركة مباشرة في المسألة :

بأوامر مباشرة من البيت الابيض مارس المسؤولون الاميريكيون كل شكل من اشكال الضغط المباشر وغير المباشر على تلك البلدان التي تقع خارج العالم الاسلامي ، والمعروفة بأنها اما غير متأكدة من موقفها او معارضة للتقسيم . واستخدم البيت الابيض ممثلي الوسطاء للتثبت من تأمين الاكثرية الضرورية في نهاية المطاف . (٤٥)

أن بعض البلدان التي اختيرت كأهداف كانت الامم الست التي عارضت التقسيم ، وهي هاييتي ، الفلبين ، ليبيريا ، الصين الوطنية ، اليونان ، واثيوبيا . وقالت شركة اطارات ومطاط فايرستون ، التي كان لها امتياز في ليبيريا ، انه اتصل بها هاتفيا وطلب منها ان تنقل رسالة الى ممثليها في ليبيريا تأمره بان يمارس الضغط على الحكومة الليبيرية للتصويت مع التقسيم . (٤٦)

وقام حاكم ولاية سابق ، وهو ديمقراطي بارز ذو صلات بالبيت الابيض شخصيا بالاتصال هاتفيا بهاييتي حاثا اياها على اعطاء التعليمات لوفدها بتغيير تصويتها . (٤٧)

وبالفعل عكست كل من هاييتي وليبيريا موقفهما وصوتنا للتقسيم . وهكذا فعلت الفلبين واثيوبيا ، فيما امتنعت الصين عن التصويت . ومن تلك الامم الست التي وقع الاختيار عليها كأهداف ، وحدها اليونان تمسكت بقناعاتها السابقة ، وكانت النتيجة النهائية موافقة الامم المتحدة على التقسيم في التاسع والعشرين من تشرين الثاني (فبراير) ١٩٤٧ .

الكولونيل وليم ادي EDDY قدم ، بعد تقاعده من الخدمة ، المزيد من الادلة حول الطبيعة السياسية لموقف حكومة الولايات المتحدة بشأن فلسطين . ويصف الكولونيل ادي استعادة الدبلوماسيين الاميركيين الاربعة المتمركزين في الشرق الاوسط الى واشنطن . وهؤلاء هم سفراء الولايات المتحدة في مصر ، ولبنان وسوريا (المنصب المشترك) والعربية السعودية والقنصل العام في فلسطين المنتدبة . وكان الفصل هو اعطاء الرئيس ترومان رأي الدبلوماسيين في تأثيرات السياسة الاميركية في فلسطين . وكان الناطق بلسان هذه الجماعة هو جورج وادزورث Wadsworth الذي تكلم نحو ٢٠ دقيقة مؤكدا الضرر الذي سيلحق بالمصالح الاقتصادية الاميركية اذا استمرت حكومة الولايات المتحدة في مواصلة سياستها المعادية للعرب في فلسطين . وكتب الكولونيل ادي يقول انه عندما انتهى وادزورث من كلامه ، لخص السيد ترومان موقفه بصراحة تامة : « أنا أسف يا سادة ، ولكنني مسؤول تجاه مئات الالوف من الذين يهتمون بنجاح الصهيونية . وليس لدي مئات الالوف من العرب بين ابناء دائرتي الانتخابية » . (٤٨)

ويقول الرئيس ترومان ان الضغط اليهودي على البيت الابيض لم يتناقض في الايام التي تلت تبني القرار . وكان الافراد والجماعات يطلبون منه ، « عادة على نحو غاضب

وعاطفي ان يوقف العرب وأن يمنع البريطانيين من تأييد العرب وأن يقدم الجنود الاميركيين ٠٠٠ « (٤٩) وأوضحت الفوضى وسفك الدماء في فلسطين التي اعقت التصويت في الامم المتحدة ان التقسيم لا يمكن ان يكون فعالا الا باستخدام القوة ، وهو موقف اتخذه روزفلت Rossevelt وسمنر ولز وهربرت لهمان وغيرهم من انصار الصهيونية . اما العسكريون فقد ادركوا ان وجود قوات اميركية في المنطقة لا يساعد الا السوفييات . فان ظهور قوات اميركية من شأنه ان يضع الولايات المتحدة في مركز مؤيد لبرنامج مناهض للعرب ومن ثم سيتيح هذا للاتحاد السوفياتي ان يظهر بمظهر الصديق الفعلي الوحيد للقومية العربية اذا ما قرر ذلك البلد التخلي عن الصهاينة . (٥٠) ولهذه الاسباب وغيرها من الاسباب الاستراتيجية ، تزايد نشاط وزير الدفاع فوريستال في السعي لمنع حصول هذه الحالة . وفي الثالث عشر من كانون الاول (ديسمبر) تكلم فوريستال الى حاكم ولاية نيويورك ديوي حول ضرورة اخراج فلسطين من معارك السياسة الحزبية . وقال الحاكم الجمهوري ديوي انه في حين يوافق فريستال من حيث المبدأ فانه يشك في أن الديمقراطيين سيلتزمون فعلاً بقرار كهذا . (٥١) وأزداد قلق وزير الدفاع بعدما سمع من السيد جينينغز Gennings ، احد مدراء سوكوني فاكيوم ، في السادس من كانون ثاني (يناير) عام ١٩٤٨ ، ان شركات نفط مختلفة قد قررت تعليق عملها على خط النفط العربي بسبب الاوضاع المضطربة في فلسطين . (٥٢) ولم تلق جهود فوريستال نجاحا كبيرا مع الجمهوريين ولا مع اعضاء حزبه هو . وفي الوقت ذاته صار فوريستال يعتقد أن خطورة الحالة تتطلب ان يقوم وزير الخارجية بمحاولة لتأمين اتفاق الحزبين الرئيسيين حول هذا الامر . وأعد تقرير بهذا الخصوص وارسل الى الامين العام لوزارة الخارجية روبرت لوفيت في الحادي والعشرين من كانون الثاني ، ووافق هذا الاخير على استنتاجات فوريستال بصورة عامة . (٥٣)

وقام فرنكلين د . روزفلت الصغير بزيارة الى فوريستال في الثالث من شباط (فبراير) ١٩٤٨ ، وكان من الواضح ان هذه الزيارة تهدف الى تخفيف نشاطات فوريستال . الا ان وزير الحربية رد على انذار روزفلت بان عدم تنفيذ التقسيم لا يمكن ان يؤدي فـرص الحزب الديمقراطي في ولايات رئيسية معينة وقال له « انه يعتقد ان الوقت قد حان لان يعطي احد ما الاعتبار لما اذا كنا قد نخسر الولايات المتحدة » . كما ان فوريستال ابلغ روزفلت ان التكتيكات المستخدمة لتأمين قرار التقسيم تكاد تكون فضيحة ، الا ان عضو الكونغرس الشاب ادعى الجهل حول هذا الامر . (٥٤)

وادت نشاطات الضغط التي تقوم بها المصالح النفطية الى تعزيز المطالبات العسكرية والدبلوماسية من اجل توجه جديد نحو مشكلة فلسطين . فقد اشار ممثلوها الى ان نفط الشرق الاذن قد لا يكون متوفرا للاهداف العسكرية وللجهود الرامية الى حصر الشيوعية اذا استمرت الولايات المتحدة في الضغط من اجل التقسيم . (٥٥)

وربما جاءت اول اشارة الى موقف اميركي جديد في الخامس من كانون الاول عام ١٩٤٧ عندما اعلن انه « للوقت الحاضر » لن تمنح رخص لشحنات اسلحة الى « المناطق المضطربة » في الشرق الاوسط . واثارت هذه السياسة ضغطا صهيونيسا قويا للقضاء الحظر ، (٥٦) الذي لم يمنع في الواقع شحنات غير قانونية من الموانئ الاميركية الى فلسطين . ويلاحظ بارنت ليتفينوف أن مهندسا يدعى سلافين ابتاع امتعة تساوي « ملايين عدة » لقاء ٨٠٠٠٠٠٠ دولار . (٥٧)

كانت الولايات المتحدة قد غيرت موقفها من التقسيم الى الوصاية على فلسطين . وهذا التغيير كان يهدف الى السماح بالتأخير بينما بذلت جهود جديدة للمصالحة . وكان هذا الاتجاه الجديد بعيدا عن التقسيم ونمو المصالحة واضحا في الموقف الاميركي الذي ظهر في سلسلة من الاجتماعات التي عقدها مجلس الامن بدءا من الثامن من اذار ١٩٤٨ وحضرها جميع الاعضاء الدائمين باستثناء بريطانيا . واعلن سفير الولايات المتحدة في الامم المتحدة اوستن عن الامل بأن يتوصل العرب واليهود وبريطانيا الى اتفاق دون تدخل خارجي . وطلبت الولايات المتحدة والصين وفرنسا في الخامس عشر من اذار من اليهود والعرب رسميا أن يتفقوا على هدنة في فلسطين وهي خطوة لم يكن مجلس الامن قد اوصى بها . الا أن الاراء العرب عنها من كلا الفريقين اشارت الى أن الاتفاق ما يزال بعيدا جدا . ولذلك بدا ان القوة وحدها ستحقق التقسيم . وبعد التوصل الى هذه القضية الحاسمة ، رفضت الولايات المتحدة ان تقترح على مجلس الامن وجود خطر على السلام والامن في فلسطين .

ولدى ابتعاد اتجاه السياسة الاميركية عن تنفيذ التقسيم سعت الوكالة اليهودية للوصول الى رئيس جمهورية الولايات المتحدة مباشرة . وطلب وايزمان مقابلة الرئيس ترومان ومنحه الرئيس هذه المقابلة . كان من الواضح انها استراتيجية صهيونية للتغلب على هذه العقبة . وقد استقبل ترومان ايضا ادي جي كوبرون ، وهو عضو منظمة بنساي بريث وصديق للرئيس ولوايزمان وذلك في الرابع عشر من اذار على الرغم من قرار الرئيس تجنب المزيد من المقابلات مع الصهاينة . وبعد حديث دام قرابة ثلاثة ارباع الساعة ، بدا ترومان مقتنعا بان الزعيم الصهيوني « قد توصل الى تفهم كامل » لسياسته . (٥٨)

بعد يوم واحد من المقابلة التي اجراها الرئيس ترومان مع وايزمان ، وصلت الاحداث في الامم المتحدة الى حالة جديدة . ففي التاسع عشر من اذار اكد اوستن امام مجلس الامن ان خطة التقسيم لا تشكل التزاما للامم المتحدة او لاي عضو من اعضائها . وقال اوستن ان الخطة نفسها لم يتفق عليها الا على افتراض ان جميع اجزائها ستنفذ دفعة واحدة . وبما ان هذا صار مستحيلا بشكل واضح ، فان مهمة الامم المتحدة هي التثبيت من اعادة السلام والنظام . ولذلك اقترح تأسيس وصاية مؤقتة تحت اشراف مجلس الوصاية . وقال اوستن ان مثل هذا الاجراء سيزيل خطر العنف ومن شأنه ان يمكن اليهود والعرب من التوصل الى اتفاق حول مستقبل الحكم في البلاد . وقيل ان الوصاية لن تؤدي طابع التسوية السياسية النهائية . ولذلك طلب الوفد الاميركي في مجلس الامن ان يوصي بخلق مثل هذه الوصاية للجمعية العامة ولبريطانيا المنتدبة . وبانتظار جلسة خاصة اقترح ان تعلق لجنة فلسطين جهودها لتنفيذ التقسيم . (٥٩)

وفي اعقاب تصاريح اوستن اتهم انصار خطة التقسيم في الولايات المتحدة الحكومة بالتخلي عن الخطة وبغية توضيح موقف الولايات المتحدة اعلن ترومان في الخامس والعشرين من اذار ان الوصاية لن تقترح كبديل للتقسيم بل هي مجرد جهد للماء الفراغ الذي خلقه انهاء الانتداب .

قال :

لسوء الحظ بات واضحا ان خطة التقسيم لا يمكن تنفيذها بوسائل سلمية . ولا يسعنا القيام بفرض هذا الحل على شعب فلسطين باستخدام قوات اميركية ، وذلك من الناحية

القانونية وكسياسة وطنية . لقد اعلنت المملكة المتحدة نيتها الاكيدة للتخلي عن الانتداب على فلسطين في الخامس عشر من اذار . وما لم يتخذ اجراء عاجل ، فلن تكون هناك اية سلطة عامة في فلسطين في ذلك التاريخ قادرة على حفظ القانون والنظام وسينزل العنف وسفك الدماء على الارض المقدسة . وستكون النتيجة الحتمية قيام قتال واسع النطاق بين شعب ذلك البلد . ومثل هذا القتال ستنتشر عدواه الى الشرق الاوسط كله ويمكن أن يؤدي الى نتائج وخيمة تتعلق بسلام العالم . (٦٠)

وتبعاً لذلك طرحت الولايات المتحدة قرارين امام مجلس الامن في الثلاثين من اذار . احد هذين القرارين يدعو العرب واليهود الى الاجتماع مع مجلس الامن لترتيب هدنة والقرار الاخر يطلب من مجلس الامن ان يدعو الجمعية العامة الى جلسة خاصة وتبني مجلس الامن القرارين في غضون يومين . (٦١) اما المحاولات اللاحقة التي قامت بها الولايات المتحدة لوضع صيغة وصاية - فيما هي تستبعد تدخل قوات اميركية الا اذا وافق كل من العرب واليهود على هدنة - فقد اخفقت في العثور على تأييد لها في الجمعية العامة . وخاض العرب واليهود حرباً شاملة واثبتت الايام عدم جدوى محاولة مجلس الامن لتأمين هدنة .

الاعتراف الاميركي باسرائيل :

فيما اقترب الخامس عشر من ايار (مايو) عام ١٩٤٨ وهو التاريخ الذي عينته بريطانيا لانتهاء انتدابها فان قيادة الصهيونية استمرت تخطط من اجل اعلان دولة مستقلة ، رافضة الموافقة على الوصاية المقترحة . لقد قررت الوكالة اليهودية ان تواجه العالم « بحقائق » .

وفي الخامس عشر من ايار ١٩٤٨ تلقى الرئيس ترومان رسالة من وايزمان يبلغه فيها ان الحكومة المؤقتة للدولة اليهودية ستخرج الى الوجود في منتصف ليل الخامس عشر من ايار ولذلك اقترح ان تكون الولايات المتحدة هي السباقة الى الاعتراف « باجسد ديمقراطية » في العالم . (٦٢) وفي غضون بضعة ساعات منحت الولايات المتحدة الدولة الجديدة اعتراف امر واقع ، وهي اول حكومة تفعل ذلك . (٦٣) وهناك روايتان حول الكيفية التي تم بها ذلك . احدي الروائيتين تقول ان رئيس الجمهورية كان على ما يبدو موافقا على اقتراح وايزمان ، ولكنه قبل التصرف استشار وزير الخارجية مارشال ، الذي اعرب له عن معارضته . وكانت نصيحة مارشال ثقيلة الوطأة على ترومان وتطلب الامر بعض الاقناع من مستشاري البيت الابيض وبينهم كلارك كليفورد ودايفز نيلز NILES . قبل ان يوافق الرئيس على مؤتمر لبحث الوضع . وحضر المؤتمر كل من مارشال ولوفيت ونيلز وكليفورد وترومان ، بالاضافة الى خبير من وزارة الخارجية . وجادل كليفورد بانه كان قد سبق لترومان ان قال انه يؤيد دولة يهودية ، وبما ان هذه الدولة صارت قائمة الان فعلا فيجب ان يعترف بها . واعتبر مارشال ان تقرير المسألة يجب ان يكون على اساس سياسة الدولة لا على اساس سياسة حزبية . ولدى اختتام الاجتماع كان ترومان على ما يبدو يقف الى جانب وزارة الخارجية ومع هذا وفي اليوم التالي منح الاعتراف ، ومن المفترض ان ذلك حصل بسبب قرار سياسي اتخذ داخل وزارة الخارجية للاعتراف باسرائيل في غضون بضعة ايام وبسبب ضغط مارسه كليفورد على ترومان لمنح الاعتراف المقرر سلفا ، على الفور . (٦٤) اما الرواية الاخرى الواردة في «يوميات فورستال» فتشير الى ان القرار نقل الى مارشال ولوفيت في مؤتمر البيت الابيض ، وانه تم التوصل اليه في الثاني عشر او الثالث عشر من ايار . (٦٥)

غير أن دور ترومان في خلق دولة اسرائيل لم ينته باعترافه بالدولة . فهو ، السى ذلك ، الزم الولايات المتحدة ببقاء وأمن تلك الدولة . وقد كرر ذلك الالتزام جميع الرؤساء الاميركيين .

طوال هذه الفترة يمكننا ان نستنتج انه لم تكن ثمة سياسة اميركية نحو الشعب الفلسطيني . فالسياسة الاميركية تناولت بصورة رئيسية الصهاينة والدول العربية . وقد عالج الاميركيون مشكلة فلسطين والخطط التي يمكن تحقيق وطن يهودي بواسطتها فسي ذلك البلد دون تعريض المصالح الاميركية في العالم العربي للخطر . وعولج الفلسطينيون كعقبات في طريق خطة مرغوب بها برزت معالمها في اعلان بلفور واتضحت في قرارات الكونغرس الاميركي . وكان يشار الى الفلسطينيين ببساطة على انهم السكان « غير اليهود » في الوقت الذي كانوا يؤلفون فيه ٩٥ بالمئة من سكان البلاد . ورفض الاميركيون الاعتراف بحق الفلسطينيين في تقرير المصير وهو حق بشر به ولسون ودافع عنه بحماسة لجميع شعوب الامبراطوريتين المنحلّتين النمساوية - المجرية والعثمانية التي كان الفلسطينيون جزءا منها .

سياسة اعادة الاسكان والدمج

احدى النتائج المأساوية لخلق اسرائيل عام ١٩٤٨ كانت اقتلاع ما يزيد على مليون فلسطيني من ديارهم ، وما تبع ذلك من مشكلة لاجئين فلسطينيين كبيرة الحجم . ولسوء الحظ ، فان معظم الجهود قد بذلت نحو تخفيف اوضاعهم المعيشية الزرية بدلا من حل القضايا التي ادت الى تشتتهم .

في بادئ الامر كانت الولايات المتحدة تنظر الى حالة اللاجئين وتعالجها كمشكلة انسانية . وفي خريف ١٩٤٨ ، في الجمعية العامة للامم المتحدة ، دعمت الولايات المتحدة بقوة اجراءات اغاثة اقتصادية لهؤلاء اللاجئين . واشتركت في تبني قرار يدعو السى برنامج اغاثة للامم المتحدة وحثت جميع الاعضاء على تقديم تبرعات طوعية لسد احتياجات البرنامج البالغة ٤٠ مليون دولار ، وتعهدت هي نفسها بالتبرع بنصف جميع معونة الاغاثة . ودعت الوكالات المتخصصة والمنظمات الطوعية لتقديم الامدادات والموظفين . (نوفمبر) عام ١٩٤٨ (٦٦) . وعين ستانتون غريفيين ، سفير الولايات المتحدة في القاهرة ، مديرا للوكالة الجديدة وهي اغاثة الامم المتحدة للاجئين الفلسطينيين ومركزها في جنيف . وتولت هذه الوكالة الكثير من نشاطات مشروع اغاثة النكبات التابع للامم المتحدة ولكنها حاولت ان تقصر نفسها على الادارة والتنسيق والتموين . وقامت منظمات الاغاثة مثل الصليب الاحمر ولجنة خدمة الاصدقاء الاميركيين بتولي التوزيع الفعلي للمؤن . ودامت وكالة الاغاثة من كانون اول ١٩٤٨ حتى نيسان ١٩٥٠ ، عندما استبدلت بوكالة الاغاثة والتشغيل التابعة للامم المتحدة (الاونروا) . (٦٧)

وقيل ان الاونروا هي « احد الاثمان وربما الثمن الابخس الذي تدفعه الاسرة الدولية لعدم قدرتها على حل المشكلة السياسية للاجئين حلا منصفيا ٠٠٠ » (٦٨) تأسست الوكالة، وهي متفرعة عن الجمعية العامة بالقرار ٣٠٢ في الثامن من كانون الاول ١٩٤٩ . وكانت الولايات المتحدة السند الرئيسي للاونروا بواسطة تقدماتها المالية السنوية . وفي الواقع فان الولايات المتحدة خلال العشرين سنة الاولى (١٩٥٠ - ١٩٧٠) ، قدمت نحو ٦٥ بالمئة من الموازنة السنوية لتلك الوكالة ، وفي الاعوام الخمسة والعشرين الاولى (١٩٥٠ - ١٩٧٥) ، قدمت الولايات المتحدة نحو ٥٧ بالمئة من مجموع كلفة عمليات الاونروا خلال تلك الفترة . (٦٩) وكانت مهمة الوكالة ذات شقين : ان تؤمن اغاثة قصيرة المدى

لللاجئين المحتاجين المسجلين وان تزود اللاجئين بمجموعة من الخدمات الفنية من اجل صحتهم ورفاههم وتعليمهم وتدريبهم المهني .

خلال هذا الوقت استمرت الولايات المتحدة تؤيد رسميا اعادة اللاجئين جزئيا على الاقل الى وطنهم . وأكد المفد الاميركي الى الجمعية العامة ان اللاجئين الفلسطينيين « يجب ان يسمح لهم بالعودة الى بيوتهم وانه يجب ترتيب تعويض كاف لممتلكات الذين يختارون عدم العودة » . (٧٠) ولعبت الولايات المتحدة ايضا دورا رئيسيا في وضع المسودة النهائية للقرار ١٩٤ الصادر في ١١ كانون اول ١٩٤٨ ، الذي كان الاساس لجميع القرارات اللاحقة المتعلقة باللاجئين الفلسطينيين .

ان الجمعية العامة :

تقرر ان اللاجئين الراغبين في العودة الى بيوتهم والعيش في سلام مع جيرانهم ينبغي ان يسمح لهم بالقيام بذلك في اقرب تاريخ عملي ، ويجب أن يدفع تعويض عن ممتلكات الذين يختارون عدم العودة وعن الخسارة او الضرر اللاحق بالممتلكات التي ، بموجب مبادئ القانون الدولي او الانصاف ، يجب التعويض عليها من قبل الحكومات او السلطات المسؤولة

القرار ١٩٤ اسس لجنة المصالحة لفلسطين التابعة للامم المتحدة « لتسهيل اعادة اللاجئين الى وطنهم واعادة اسكانهم وتأهيلهم الاقتصادي والاجتماعي ودفع التعويض لهم » تألفت من ممثلي ثلاث دول اعضاء هي فرنسا وتركيا والولايات المتحدة التي تولت رئاسة اللجنة . وبدأت اللجنة نشاطاتها بترتيب اجتماع للدول العربية في اذار ١٩٤٩ في بيروت لبحث وضع اللاجئين . وأصر العرب على الاولوية المطلقة لهذه المسألة، كما اشترطت الفقرة ١١ من القرار ١٩٤ . وحتى عند هذه المرحلة الباكرا كان الشك يساور اللجنة حول الاختيار الحر المفترض للاجئين بين عودتهم الى الوطن والتعويض . ان اسرائيل ستقاوم حتما عودة جماهيرية كبيرة . و'عقدت ان على الدول العربية ان توافق من حيث المبدأ على اعادة توطين الذين قد لا يختارون العودة الى الوطن :

وفي اعقاب مؤتمر بيروت ، ذهبت اللجنة الى تل ابيب حيث شدد رئيس الوزراء بن غوريون على انه ينبغي على اللاجئين ان « يعيشوا في سلام مع جيرانهم » وان اعادتهم الى الوطن ستتوقف على تسوية نهائية . واعتبرت اسرائيل ان اعادة توطينهم في الدول العربية هي حل افضل بكثير . وانتهت هذه المحادثات الى طريق مسدود وقررت اللجنة التحول الى بيئة حيادية في لوزان في نهاية نيسان .

هناك قبلت الدول العربية من حيث المبدأ بالشروط الاقليمية لخطة تقسيم الامم المتحدة عن طريق توقيعها لبروتوكول لوزان في الثاني عشر من ايار ، وهكذا اعترفت ببعض الحكم الذاتي اليهودي في فلسطين . ووقعت اسرائيل البروتوكول على حدة . ثم اخذ الفريقان يقدم كل منهما اقتراحات لا يقبل بها الفريق الاخر . وتدخلت وزارة الخارجية الاميركية بواسطة سفيرها في تل ابيب وبواسطة رئيس لجنة المصالحة لحت اسرائيل على السماح بعودة ٢٠٠ الف لاجيء . وفي التاسع والعشرين من ايار تلقى السفير جيمس ج . ماكدونالد رسالة من الرئيس ترومان موجهة لرئيس الوزراء بن غوريون . « اعربت الرسالة عن خيبة امل عميقة لعدم قيام ايتان Eytan (٧١) في لوزان بأية تنازلات مرغوب بها حول اللاجئين او الحدود . وفسرت موقف اسرائيل على انه يشكل خطرا على السلام، وعلى انه يشير الى عدم اعتبار لقرارات الجمعية العامة للامم المتحدة » حول التقسيم

واللاجئين . وأصرت الرسالة على « وجوب تقديم تعويض اقليمي عن الاراضي التي اخذت زيادة على خطة تقسيم التاسع والعشرين من تشرين الثاني ١٩٤٧ ، وعلى وجوب تقديم تنازلات ملموسة للاجئين الان كتمهيد ضروري لاي فرصة لتسوية عامة » . وانطوت الرسالة على تهديد ضمني بأن الولايات المتحدة ستعيد النظر في موقفها من اسرائيل . (٧٢)

وكان الرد الاسرائيلي بالنتيجة رفضا واضحا . بل قالت ان اسرائيل لا يسعها حتى ان تبحث في عودة اللاجئين قبل السلام ، وتوسعت في شرح مشكلات الامن . كما انها رفضت النداء الاميركي للاعتبار الانساني ، مجادلة بان بيوت اللاجئين اما انها دمرت واما يحتلها مستوطنون يهود وان لا مجال هناك للبقاء الاقتصادي . وجادلوا بان الاعتبارات الانسانية تؤيد عودة اللاجئين . (٧٣)

وفي رد لاحق على الجواب الاسرائيلي ، تراجعت الولايات المتحدة عن موقفها كما لاحظ السفير ماكدونالد :

اتخذت الاشهر القليلة التالية طابع التراجع الثابت عن تصلب المذكرة التي قدمتها الولايات المتحدة في ايار . فبصورة متزايدة قومت واشنطن الوضع في حدود الواقع وتوقفت عن رسم القانون لتل ايبب . وبعد ذلك تنازلت عن مسؤولية اقتراح حلول معينة لاي من الجانبين . (٧٤)

ربما كان هذا اول تراجع من سلسلة تراجعات اميركية نزولا عند الرفض الاسرائيلي للمقترحات الاميركية ، مما يشير الى ان الولايات المتحدة تخلت عن موقفها حول التنفيذ الكامل لقرار الامم المتحدة ١٩٤ . وفي الواقع كانت هذه هي النقطة التي غيرت فيها الولايات المتحدة تشديدها من اعادة اللاجئين الى وطنهم الى اعادة توطينهم .

منذ ان اصبح واضحا انه من غير الممكن التوصل الى حل باكر للمسألة الفلسطينية ، بحثت الولايات المتحدة عن وسائل بديلة لحل مشكلة اللاجئين التي كانت تهدد استقرار المنطقة . وأشار الرئيس ترومان الى اوضاع المخيمات الزرية في رسالته الى الكونغرس في ايار ١٩٥١ . وتكلم عن برنامج الامن المشترك فقال ان اقترابا اقليميا من المشكلات الاساسية للنمو الاقتصادي هو ضروري لتخفيض التوتر الراهن ، « خصوصا عن طريق التوطين المنظم للاجئين المشردين » . وكان لبرنامج مساعدة اللاجئين العرب الفلسطينيين غايات ثلاث هي « المساعدة في توطين اللاجئين ، تقوية تلك الدول التي سيستقرون فيها ، ومساعدة كل من اسرائيل والدول العربية عبر ازالة هذا الخطر الذي يهدد السلام في المنطقة » . (٧٥)

ولذلك فان الولايات المتحدة سعت الى حلول اقتصادية للمشكلة الفلسطينية . وهذه الفكرة افترضت انه حالما يعاد توطين اللاجئين خارج المخيمات ويعاد دمجهم اقتصاديا في البلدان المجاورة ، فانهم مع الوقت سيدوبون كجماعة مميزة وستزول رغبتهم في العودة الى الوطن .

وقدمت الولايات المتحدة عددا من الخطط والاقتراحات لاعادة توطين اللاجئين ودمجهم ، ونبحت فيما يلي اهم هذه الخطط والاقتراحات .

١ - بعثة جونستون :

بعد بضعة اشهر من تولي ادارة ايزنهاور الحكم في كانون الثاني ١٩٥٣ ، سافر وزير

الخارجية جون فوستر داليس الى الشرق الاوسط . ونتيجة لهذه الرحلة استنتج ان بعض اللاجئين يمكن توطينهم في اراض تسيطر عليها اسرائيل ، الا ان معظمهم « يمكن دمجم بسهولة اكبر في حياة المجتمعات العربية المجاورة » . الا ان اعادة التوطين هذه يجب ان تنتظر مشاريع الري . (٧٦)

ودعا قانون الامن المشترك لعام ١٩٥٢ الى استخدام ١٩٤ مليون دولار لدمج اللاجئين وللمساعدة في المحافظة على الاستقرار الاقتصادي في المنطقة (٧٧) . وكخطوة لتحقيق هذا الهدف اعلن الرئيس ايزنهاور في الخامس عشر من تشرين اول عام ١٩٥٢ ان اريك جونستون ، رئيس المجلس الاستشاري الدولي لادارة التعاون الفني ، سيرسل الى الشرق الاوسط كممثل شخصي برتبة سفير . وكان هذا استجابة لضغط من الكونغرس للعشور على وسيلة اقتصادية اخرى لمعالجة مشكلة اللاجئين من شأنها ان تتجنب الحل السياسي . وكان اساس هذا الاقتراب الجديد سلسلة من الخطط لاستخدام مياه الاردن من أجل الري وابداء الطاقة الكهربائية لتنمية المنطقة وتقديم التوظيف والعمل للسكان المحليين . وتصور اصحاب الخطة ان الكثيرين من العمال سيكونون من اللاجئين وسيعاد توطينهم في المنطقة . وكانت الخطة ذات جدارة اقتصادية كبيرة بالنظر الى الامكانيات الانمائية في دول نهر الاردن . كما انها ، من وجهة نظر الغرب السياسية ، تعرض فرصة معالجة مشكلة اللاجئين بطريقة من شأنها ان تفيد جميع المشاركين - اسرائيل والدول العربية واللاجئين انفسهم .

وفي اشارة الى بعثة جونستون المقبلة ، قال الرئيس ايزنهاور ان على البلدان المعنية والاسرة الدولية ان تبذل كل جهد للعثور على وسيلة لاعطاء اللاجئين فرصة لاستعادة كفايتهم الذاتية الشخصية ، « ان قناعاتي هي ان القبول بخطة شاملة لانماء وادي الاردن سيسهم اسهاما كبيرا في استقرار الشرق الاوسط . . . » (٧٨)

وكان جونستون متفائلا حول الخطة بوجه عام حتى وان ظهرت هناك منذ البداية دلائل من الدول العربية تشير الى انها لن تكون مقبولة .

وفي خطاب امام جمعية الاصدقاء الاميركيين للشرق الاوسط في كانون الثاني ١٩٥٤ ، بحث اريك جونستون نتائج رحلته الاولى للشرق الاوسط . وقال مع انه توجد هناك صعوبات في المستقبل فانه متفائل بان الحكومات المعنية ستدرك الفوائد والمنافع في الاقتراح وتجد التعاون ممكنا . ووصف الخطة ، التي طورها مهندسون ، بانها تقدم اساسا عمليا لتحسين الاوضاع المعيشية وانذر من انها يجب ان ينظر اليها خارج نطاق القضايا السياسية ودون تحيز الى حلها النهائي . وستخصص منطقة لا يستهان بها من الاراضي المروية في الاردن للاجئين وهكذا يمكن اعطاء نحو ثلث مجموع عدد اللاجئين قاعدة اقتصادية صلبة وفرصة جديدة للحياة . ومقابل ذلك قدمت الخطة لهم كرامة العيش على الارض بدلا من النذل المستمر من الاغاثة الدولية ، وهكذا كانت تمثل بداية نحو حل دائم لاحدى اصعب مشكلات المنطقة . (٧٩)

كانت بعثة جونستون تحمل بذور اخفاقها ، من حيث انها لم تأخذ المسائل السياسية المعنية بعين الاعتبار . والى ذلك فانها لم تجابه الحقوق والمطامح الشرعية للاجئين الفلسطينيين ، الذين لم يستشاروا قط .

٢ - اقتراح دالس لعام ١٩٥٥ ورد الكونغرس :

وافقت لجنة فنية من الجامعة العربية في ١٩٥٥ على نسخة حل وسط للنواحي الفنية من مشروع جونستون . الا ان الهيئة العربية العليا لفلسطين سددت ضربة مميتة للخطة في الثامن عشر من اب ١٩٥٥ . فقد بعثت برسالة الى رؤساء الحكومات العربية ووزراء الخارجية والزعماء السياسيين والامانة العامة للجامعة العربية ، تقول فيها ان الخطة ليس من شأنها الا ان تقدم الوسيلة الاقتصادية للبقاء على الصهيونية في فلسطين وانها تهدف الى « تصفية » مشكلة اللاجئين الفلسطينيين عن طريق الاستيطان والهجرة الى البلدان الاخرى .

وبما أن هذا سيحطم ايضا فكرة عودة الفلسطينيين الى ديارهم فقد اعتبرت الهيئة العليا أن مصالح الشعوب العربية واللاجئين تقتضي الرفض الصريح لا لخطة جونستون فحسب بل لاي تعاون يتعلق بها . (٨٠)

وبعد سنتين وخمس رحلات الى الشرق الاوسط ، لم يستطع اريات جونستون ان يقنع الجانبين بفائدة خطته ومنافعها البعيدة المدى . الا ان اخفاقه لم يغير موقف الولايات المتحدة القائل بان حل مشكلة اللاجئين هو عن طريق الانماء الاقتصادي .

وفي خطاب امام مجلس العلاقات الخارجية في نيويورك في الخامس والعشرين من اب عام ١٩٥٥ ، كرر وزير الخارجية دالس قوله بضرورة اعادة التوطين واعادة اللاجئين الى وطنهم من اجل اي حل ناجح للحالة ، وهو الحل الممكن عبر مشاريع الانماء والري . وستساعد الولايات المتحدة في تنفيذ هذه المشاريع بواسطة المنح والقروض .

وفي جلسات الجمعية العامة للامم المتحدة في خريف ١٩٥٥ ، استمر موفد الولايات المتحدة يحث على التعاون بين الدول العربية حول انماء الاراضي الزراعية للاجئين . وانذر بأن الولايات المتحدة لن تقدم الاموال الى ما لا نهاية في حين يمكن جعل اللاجئين مكتفين ذاتيا . (٨١)

ورفض اقتراح دالس واستمرت الولايات المتحدة تقدم الدفعات المالية السنوية للاونروا . الا ان تقرير اللجنة الفرعية حول الشرق الادنى وافريقيا المنبثقة عن لجنة العلاقات الخارجية في مجلس الشيوخ ، والمؤرخ ٢٤ تموز (يوليو) عام ١٩٥٢ اظهر كيف يمكن خدمة المصلحة الاميركية على افضل نحو :

للولايات المتحدة مصلحة في ان تفعل ما تستطيع للمساعدة في حل مشكلة اللاجئين نظرا الى علاقتها المباشرة بالاستقرار الاقتصادي والسياسي وبأمن الشرق الادنى . ولا ترغب الولايات المتحدة في ان ترى النظام الداخلي واستقلال بلدان الشرق الادنى تهددهما الفوضى الاقتصادية والتغلغل الشيوعي او الاشتباكات العسكرية . ان الاخلال بالنظام مع ما قد ينجم عن ذلك من تجدد للقتال في هذا الجزء من العالم سيهدد مصلحة امن الولايات المتحدة والعالم بوجه عام . (٨٢)

بعثة جونسون :

وببادرة اميركية اقترحت لجنة المصالحة في اب ١٩٦١ ان يصار الى ارسال جوزف . جونسون ، رئيس منحة كارنيمبي للسلام الدولي ، الى الشرق الاوسط كممثل خاص

« ليستكشف مع الحكومات المضيفة ومع إسرائيل الوسائل العملية لنشُدان التقدم حول مشكلة لاجئي عرب فلسطين » . وكان هذا الاقتراح منسجما مع قرار الجمعية العامة الرقم ١٦٠٤ الصادر في ٢١ نيسان ١٩٦١ ، الذي طلب من لجنة المصالحة العثور على طرق « لتسهيل إعادة اللاجئين الى وطنهم واعادة توطينهم وتأهيلهم الاجتماعي » . (٨٢)

ذهب جونسون الى الشرق الاوسط في ايلول في الجزء الاول من مهمته ورفع تقريراً كملحق لتقرير لجنة المصالحة التاسع عشر الصادر في الرابع والعشرين من تشرين الثاني عام ١٩٦١ . وفي ذلك التقرير لاحظ انه على الرغم من علامات التصلب ، فان رجال الدولة المسؤولين في كلا الجانبين يريدون السلام بطريقة عامة وكهدف بعيد المدى . ولكنهم كانوا غير مستعدين للقيام بالتعديلات الضرورية . ولاحظ جونسون « وجود تصميم عنيد في كلا الجانبين » . وكانت توجد درجة كبيرة من عدم الثقة والريبة والخشوف الفعلي في كلا الجانبين . وكان الخوف يكمن في اساس السياسات الحكومية مما يشكل حاجزا خطيرا للتقدم حول اية قضية ينقسم حولها الفريقان .

وقال تقرير جونسون ان كلا الجانبين يميل الى رؤية مشكلة اللاجئين كجزء لا يمكن فصله عن القضية الفلسطينية ككل ، ومع هذا فقد أعربا عن رغبة - مع تحفظات - في النظر في عملية خطوة فخطوة قد تؤدي الى تقدم حول مسألة اللاجئين دون تعديل مواقف الحكومات المعنية حول القضايا الاخرى . والى ذلك قال جونسون ان كلا الجانبين ينظر الى محنة اللاجئين الحالية ومستقبلهم بالدرجة الاولى من وجهة نظر المصلحة القومية ، علما بأن كلاهما اعرب عن اهتمام انساني واعترفا بالحاجة الى لفت بعض الانتباه الى حقوق ورفاه اللاجئين . وفي حين ان هذا لا يعني الرغبة في التنازل عن المصالح القومية ، فانه يشير الى رغبة واعية في ملائمة الاثنين .

وادرك تقرير جونسون ان الحاجة الى مساعدة ستبقى ضرورية لوقت طويل وانه سيكون من غير الحكمة للامم المتحدة او الحكومات الاخرى الافتراض انه سيكون هناك لاجئون فلسطينيون لعقد اخر من الزمن على الاقل . كانت ثمة اشارات عديدة الى انه لا يمكن تحقيق اي تقدم حول المسألة دون تسوية شاملة او قبل التسوية الشاملة ، لكن جونسون اعتقد ، على أساس الرغبة التي اعرب عنها الفرقاء ، انه تجدر به مواصلة جهودهم .

واستنتج التقرير بان التركيز يجب ان يكون على اللاجئين وانه يجب الحصول على تعاون الحكومات المعنية . فلن تكون هناك نهاية مبكرة للمشكلة ، التي يجب ان تعالج على اساس الخطوة خطوة مع ما يرافق ذلك من اليات ملائمة واجراءات وتقديم معونة فنية .

ابتدأ جونسون جولة ثانية في المنطقة في الخامس عشر من نيسان عام ١٩٦٢ ، وكان ما يزال واثقا من استعداد الفرقاء للتحرك نحو حل ، مهما كان بطيئا . واحد مقترحاته الجديدة نصحت اللاجئين بالتعبير عن تفضيلهم للعودة الى بيوتهم السابقة او مواقع جديدة في اسرائيل او استيطانهم في اراضي عربية او اماكن اخرى . وكان بإمكان اسرائيل ان ترفض اخطار الامن الفردية ، وسيكون متوقعا من اسرائيل بمساعدة خارجية ان تعوض على اللاجئين الممتلكات التي خسروها ، وستساعد الامم المتحدة ايضا في عملية اعادة التوطين . ولن يحصل اللاجئين بالضرورة على اختيارهم الاول وستكون الامم المتحدة مسؤولة عن اعطائهم المعلومات الكاملة عن اختيارهم . (٨٤)

الا ان العرب والاسرائيليين رفضوا تعديل مواقفهم ، ورفض الجانبان مقترحات جونسون . فقد شعر العرب ان هذه المقترحات تشدد على اعادة توطينهم بدلا من عودتهم الى ديارهم ، وعارضت اسرائيل كذلك خطة اعادة اللاجئين الى وطنهم وقالت ان مشكلة اللاجئين يجب ان تكون جزءا من تسوية سلام نهائية . وفيما بعد قامت الولايات المتحدة بأجراء محادثات هادئة عبر الاقنية الدبلوماسية العادية في محاولة لفتح الطريق المسدود، الا ان جميع المفاوضات باءت بالفشل . (٨٥)

وبدا ان بعثة جونسون كانت منذ البداية تتمتع بدعم قوي من وزارة الخارجية الاميركية ، الا انها لم تجد دعما من جهات اخرى . وأظهر الشعب الاميركي اهتماما اقل في اقتراح لتسوية مشكلة اللاجئين . وفي حين ان رئيس الجمهورية كان معنيا بالقضية . فقد بدا ان لديه وقتا وموارد محدودة يكرسها لهذه المشكلة المعقدة . والمعارضة الاسرائيلية للمقترحات اثارت الثمن السياسي الداخلي الذي سيكلفه دعمها . وكان ينظر الى بادرة جونسون على انها تشكل خطرا سياسيا محتملا بالنسبة الى ادارة كندي . وبالفعل ماتت الحماسة للخطة مع اقتراب انتخابات الكونغرس في خريف عام ١٩٦٢ وكان الحزب الديمقراطي قلقا من ان تبرعات كبيرة للحملة الانتخابية من المتعاطفين مع اسرائيل ستحجب عنه ، وفي غياب وجود ضغط مواز كان هذا كافيا ليسبب خسارة الدعم من رئيس الجمهورية . (٨٦) وفيما استمرت جهود اكثر هدوءا للتسوية . فان تركيز رسمي السياسة وانتباه المتواصل بدا وكأنه غير مسوغ لا بالنجاحات الماضية ولا بالامكانيات الحاضرة والمستقبلية . ولم يكن ثمة امل كبير بأن هذه الجهود ستؤدي ثمارها ، ولم تبدل جهود قوية لمواصلة خطة جونسون .

واستقال جونسون من منصبه في نهاية كانون الثاني عام ١٩٦٢ ، لانه شعر بأنه لم يعد ثمة شيء اكثر يكسبه بجهوده الخاصة . غير انه انذر من أن مشكلة اللاجئين ما زالت تدعو الى الاهتمام الملح وانه لا بد من عقد مفاوضات في المستقبل . (٨٧)

وفي هذه الاثناء واصلت الولايات المتحدة دعمها للاونرو ، علما بانها اوضحت في الجمعية العامة بأن التشديد يجب ان يتحول من الاغاثة الى التدريب ، ولا سيما تدريب المعلمين والتدريب المهني . ودعت الحكومات المضيئة الى تبني موقف تعاوني اكثر للتثبيت من ان المعونة لا تذهب الا الى لاجئين حقيقيين . (٨٨)

وخلافا لتوقعات رسمي السياسة الاميركية ، فان اللاجئين الفلسطينيين لم يبقوا كيانا ساكنا . ففي عامي ١٩٦٥ و ١٩٦٦ تطورت حركة التحرير الفلسطينية تطورا كافيا للقيام بعمليات عسكرية ضد اسرائيل ولتصبح قوة سياسية لا يستهان بها . وما لبثت مخيمات اللاجئين الفلسطينيين ان اضحت المراكز الرئيسية لتجنيد المقاتلين من اجل الحرية . وكانت ردة فعل كل من كونغرس الولايات المتحدة وحكومتها غاضبة وتتم عن خيبة امل .

كان مثل هذا الانزعاج واضحا في صيف ١٩٦٥ ، عندما ردد نائب كاليفورنيا روزلنت صدى القول المألوف بأن اللاجئين يجري تحريكهم كاحجار شطرنج في حملة ضد اسرائيل . ووصف ارباب وتخريب جماعات الفدائيين ، وانحى باللوم على الدول العربية لاطالة محنة اللاجئين . وتناول روزلنت بالنقد ايضا المزاعم « المخادعة » لوضع اللاجئين و « اساءة استخدام » بطاقات الاعاشة ، والوضع الدائم للاونرو . ولم ير اي مسوغ لاستمرار الدعم الاميركي للاونرو بنسبة ٧٠ بالمئة من الموازنة ، (٨٩) واقترح ان يعاد توظيف اللاجئين وان تنقل نشاطات الاونرو الى الحكومات العربية . (٩٠)

ويحلول ربيع ١٩٦٦ ، كانت هناك ردة فعل قوية من الكونغرس حيال حركة المقاومة

الفلسطينية النامية ، وخصوصا في ضوء تصريحات احمد الشقيري عن قيام جمهورية الصين الشعبية بتسليح وتدريب اللاجئيين الفلسطينيين (٩١) وفي صيف ١٩٦٦ ، دعا اعضاء مجلس النواب الى قطع الاموال عن اللاجئيين الذين يخدمون في جيش التحرير الفلسطيني وطالبوا بان تنفذ الاونروا مثل هذه الشروط . ومن هنا كانت المعونة الاميركية للاجئيين الفلسطينيين مشروطة على نحو واضح بوجودهم المسالم . وتكلم حول هذا الموضوع نواب كانوا تقليديا من انصار اسرائيل فضلا عن النواب الذين يعارضون حركات التحرير من حيث المبدأ . واعترض عدة نواب على المعونة المستمرة لمدارس الاونروا التي تستخدم كتبا مدرسية تندد بالولايات المتحدة واسرائيل .

واقترح نائب كاليفورنيا هالبرن Halpern ان تعطى اسرائيل اسلحة على اساس منحة ، بالنظر الى التقارير القائلة بان جمهورية الصين الشعبية كانت تشجع حركة التحرير العربية لتحويل الانتباه الاميركي عن جنوبي شرقي اسيا . وكذلك لاحظ العلاقات الودية بين دول عربية معينة والفيتناميين الشماليين وكون بعض الفلسطينيين قد ذهبوا الى بكين للتدريب (٩٢)

وفي تقرير الى لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ في نيسان ١٩٦٧ ، اقترح سناتور بنسلفانيا ، كلارك ، ان تحت الولايات المتحدة الامم المتحدة على تحطيم الخيمات تدريجيا عن طريق معونات مالية دولية تدفع الى الحكومة الاردنية من اجل نقل عائلات الى اراض صالحة للزراعة او الى مجتمعات يوجد فيها فرص للتوظيف . وكان يعتقد ان مثل هذه الاعمال مع اوضاع اقتصادية محسنة من شأنها ان تخفض احتمالات مشاركة اللاجئيين في جيش التحرير الفلسطيني او اي منظمة « تخريبية » اخرى . ودعا مجلس الشيوخ ايضا الى ممارسة ضغط دبلوماسي على اسرائيل لاعادة عدد كبير من اللاجئيين الى وطنهم من الذين قد يرغبون في العودة الى قراهم داخل اسرائيل (٩٣)

وقعت حرب ١٩٦٧ في العام التاسع عشر لمشكلة اللاجئيين . ومع اندلاع الحرب بدا الحل ابعد مما كان في اي وقت مضى . وخلال هذه المرحلة كانت التقديمات الاميركية للاونروا ٤١١ مليون دولار او ٦٥ بالمئة من الموازنة العامة . اي ، بقدر ما يتعلق الامر بالسياسة الاميركية لم يكن للشعب الفلسطيني من وجود الا « كلاجئيين » لا بد من تلبية احتياجاتهم المادية الفورية .

مرحلة المواجهة ، ١٩٦٧-١٩٧٣ : سياسة نمو « الارهاب »

غيرت الولايات المتحدة اقتربها من الفلسطينيين نتيجة لناخ سياسي جديد اوجدته حرب حزيران . فقد غيرت التشديد السابق على اعادة توطين اللاجئيين الى تشديد على « العدالة للاجئيين » . وسعت الى هذا الهدف في نطاق تسوية سلمية شاملة . والتزمت ادارة نيكسون بهذه الصيغة وسعت الى تسوية ضمن اطار قرار مجلس الامن الرقم ٢٤٢ . وقد حاولت ذلك عبر اقنية مختلفة : بعثة السلام التي قام بها السفير يارينغ والمحادثات الثنائية بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، والمحادثات المتعددة الاطراف بين الولايات المتحدة وانكلترا . وادى اخفاق هذه الجهود مباشرة الى حرب تشرين الاول عام ١٩٧٣ . وبما ان قرار الامم المتحدة الرقم ٢٤٢ لا يشير الى الشعب الفلسطيني الا كلاجئيين ، فان الولايات المتحدة لم تشملهم في عملية المفاوضات التي شملت الدول وحدها .

وفي اعقاب حرب ١٩٦٧ ، خرجت قوى جديدة الى المسرح وبخاصة نمو حركة التحرير الفلسطينية بفصائلها المختلفة . فقد نمت من حركة صغيرة وسرية الى قوة كبيرة وقادرة على الحياة ذات طاقة لاحداث تغييرات وحرص الجماهير العربية في الصراع من اجل تحرير فلسطين . وبرزت الفئات الفدائية المختلفة في النهاية ضمن منظمة التحرير الفلسطينية العاملة بصورة مستقلة عن الحكومات العربية .

في بداية الامر كانت عمليات الفدائيين العسكرية موجهة نحو العدو فسي فلسطين والاراضي المحتلة حديثا الا انه قبل مضي وقت طويل جرى تنفيذ بعض العمليات وراء حدود الشرق الاوسط ، ضد اسرائيل وأنصارها الرئيسيين . واعتبرت الولايات المتحدة هذه الهجمات امعلا « ارهابية » . وكانت اول عملية في الخارج هي اختطاف احدى طائرات ال عال بينما كانت في طريقها من اللد الى روما وذلك في ٢٣ تموز عام ١٩٦٨ . وحول الخاطفون الطائرة الى الجزائر ، واعلنت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين مسؤوليتها عن العملية ، وطالبت باطلاق سراح الف سجين فلسطيني في السجون الاسرائيلية مقابل الاثني عشر رهينة اسرائيلية . واعقبت ذلك هجمات اخرى على طائرات ال عال في كانون اول ١٩٦٨ في اثينا وفي شباط ١٩٦٩ في زوريخ .

وندت الولايات المتحدة بعمليات الخطف باعتبارها عمليات ارهابية وغير قانونية . ووصفت الخاطفين بانهم « خارجون على القانون دوليا » . كذلك اشتركت في شجب الارهاب الاسرائيلي المسمى « عمليات انتقامية » . وكانت اول طائرة اميركية تختطف خارج نصف الكرة الارضية الغربي هي طائرة تابعة لشركة الخطوط الجوية حول العالم T.W.A. استولى عليها اعضاء من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في ٢٩ اب ١٩٦٩ . وكانت الطائرة متوجهة الى تل ابيب مع توقف في اثينا . واجبرت على الهبوط فسي دمشق حيث نسف الفدائيون الطائرة بعد اخراج الركاب منها . ووصف وزير الخارجية الاميركية روجرز هذا العمل بانه « قرصنة جوية » . (٩٤)

وكردة فعل على هجمات قام بها الفدائيون الفلسطينيون ضد اهداف اميركية واسرائيلية ، حاول الكونغرس الاميركي قطع المعونة عن الاونروا ومارس ضغطا على اللاجئين لعدم الانضمام الى الكفاح من اجل التحرير . ولعالج هذا الامر اضيفت فقرة الى قانون المعونة الخارجية الاميركية عام ١٩٦٩ :

ان اي جزء من اجزاء هبات الولايات المتحدة الى الاونروا لن يستخدم لتقديم المعونة لاي لاجيء يتلقى تدريبا عسكريا كعضو في ما يسمى جيش التحرير الفلسطيني او اي منظمة من نوع منظمات المفاوير او اشترك في اي عمل ارهابي . من الضروري ممارسة ضغط متواصل على المسؤولين الاميركيين الذين على صلة بتلك المنظمة والذين هم مسؤولون مباشرة عن عملها لمنع استخدام اموال الوكالة لتمويل النشاط العسكري او الارهابي باية طريقة من الطرق . (٩٥)

ومع ان كمية الهبة السنوية الاميركية للاونروا خفضت بعض الشيء ، فان هذا العمل كان مصدره الاعتقاد الاميركي بأن على البلدان الاخرى ان تدفع حصة عادلة اكثر للاونروا . وهذه الفقرة المضافة لم تنفذ قط ، لان الادارة الاميركية شعرت بانها ستؤدي الى عدم استقرار الحالة والاضرار بمصالح الولايات المتحدة في النهاية .

ان جماعات التحرير الفلسطينية تعتبر الولايات المتحدة المؤيد الرئيسي لاسرائيل ، وان اسرائيل لن تستطيع ، بدون اميركا ، الاستمرار في احتلال الاراضي العربية وخرق

الحقوق الانسانية والمدنية للفلسطينيين . لذلك اعتقدت انها يجب ان تكون هدفا مشروعاً ، وقامت بالمزيد من الهجمات ضد الولايات المتحدة ومصالحها . وحصلت هجمات ضد دبلوماسيين اميركيين ومصالح تجارية اميركية . وفي اذار ١٩٧٣ قام فدائيون ايلول الاسود بقتل السفير الاميركي في السودان كليو نويل والقائم بشؤونه ج . كورتس مور ، بعد اخذهما كرهينتين في حفلة في السفارة السعودية في الخرطوم . وكانت عمليات الخطف المتعددة في آن معا التي قامت بها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين هي محاولة لان تظهر الجبهة للعالم ان فلسطين نفسها قد « اختطفتها » جماعة من المستوطنين الاوروبيين ، هم الكيان الصهيوني . وعلى الرغم من الصفة الغريبة للدراما وقسوتها للركاب الابرياء المعنيين ، فقد نجحت العملية في لفت انتباه العالم الى محنة الشعب الفلسطيني وتشرده القاسي . وقد حدثت هذه الدراما بضعة ايام فقط قبل اندلاع الحرب بين الملك حسين والفلسطينيين . وحملت الحرب القصيرة الامد نتائج وخيمة للفلسطينيين . فقد تم اخراج الفدائيين من المدن عن طريق اتفاق بين الملك حسين والحكومات العربية . وقتل اكثر من ١٥ الف فلسطيني .

في المرحلة التي تخللت الحرب وسبقها كان هناك الكثير من الخوف في واشنطن وتل ابيب من ان يطاح بحسين ، وهو صديق طيب للولايات المتحدة ، ويستبدل بنظام راينكالي متحالف مع الفلسطينيين وغيرهم من العرب الراديكاليين . وفي مقالة نشرتها النيويورك تايمز ، كشف احد المراسلين عن مدى الاستعدادات الاميركية - الاسرائيلية من اجل عمل عسكري منسق في الازمة الاردنية ، ان لم يستطع الملك حسين السيطرة هو نفسه على الوضع .

وتصورت الخطة هجوماً اسرائيلياً على قوة دبابات سورية دخلت الاردن دعماً للفلسطينيين ، اذا ما بدا ان جيش حسين غير قادر على صدها . وفي هذه الحالة كانت الولايات المتحدة ستستخدم الاسطول السادس ووحدات اخرى لحماية الاجنحة الخلفية لاسرائيل من هجمات مصرية او سوفياتية تشن من منطقة قناة السويس .

وتولى الرئيس نيكسون زمام التوجيه شخصياً للنشاط الدبلوماسي والعسكري الشديد فيما اقتربت الازمة من ذروتها . ولم تتحقق قط الخطة للتدخل في حال تغلغل عراقي او سوري خطير في الاردن . فالمتان والخمسون دبابة تابعة لجيش التحرير الفلسطيني التي كانت تسيطر عليها سورية ، اجبرت على الانسحاب . (٩٦) ومع هذا فقد تحركت القوات الاسرائيلية قريباً من الحدود السورية - الاردنية ووضع الرئيس نيكسون وحدات في فوربراغ بالمانيا الغربية كما وضع الاسطول السادس في حالة التنبه القصوى .

في الثاني عشر من تشرين الاول ، ١٩٧٠ ، عرض رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية عرفات قنابل فارغة عليها علامات عبرية امام رجال الصحافة في عمان . واتهم الاميركيين والاسرائيليين بالتورط في الحرب ، وانكر هذا الاتهام بالطبع .

واظهرت الولايات المتحدة سخطا وانزعاجا بالغين لعملية ميونيخ ، وهو الهجوم الذي قامت به وحدات سرية تابعة لايلول الاسود على الرياضيين الاسرائيليين في الالعاب الاولمبية . وطالب الفدائيون باطلاق سراح ٢٠٠ سجين فلسطيني في السجون الاسرائيلية مقابل الاحد عشر رياضياً اسرائيلياً . ورفضت اسرائيل الطلب . وقامت المانيا واسرائيل بتنسيق خطة تهدف الى قتل الفدائيين وتحرير الرهائن . واخفقت الخطة وتم قتل الاحد عشر رياضياً مع خمسة فدائيين .

وخشي مكتب التحقيق الاتحادي الاميركي ، الاف بي اي ، من ان يقع الشيء نفسه في الولايات المتحدة ، فاخذ يراقب الطلبة الفلسطينيين والعرب في الولايات المتحدة عن كثب ، ويضايقهم ويرهبهم ، وهكذا ابتدأت « عملية بولدر » Operation Bolder .

في الامم المتحدة ضغطت الولايات المتحدة من اجل القيام باجراءات دولية ضد الارهاب . وفي ايلول ١٩٧٢ وزعت الولايات المتحدة مسودة قرار لمنع ومعالجة اعمال الارهاب الدولي . ودعت مسودة قرار لمنع ومعالجة اعمال الارهاب الدولي . ودعت مسودة المعاهدة هذه الى مقاضاة او تبادل الارهابيين الذين يهاجمون او يخطفون دبلوماسيين او مسؤولين تابعين لحكومات اجنبية او منظمات دولية . وفي خطاب امام الامم المتحدة في الخامس والعشرين من ايلول ١٩٧٢ ، دعا وزير الخارجية الاميركية روجرز الامم المتحدة للقيام باجراء على عدة جبهات لمكافحة الارهاب الدولي . وبالإضافة الى مسودة المعاهدة هذه ، دعا روجرز الى خلق معاهدتين اخريين حول الارهاب . فمن شأن المعاهدة الثانية ان تشترط تعليق جميع الرحلات الجوية الى البلدان التي تمتنع عن معاقبة او تسليم خاطفي او مخربي الطائرات المدنية . وتتطلب المعاهدة الثالثة مقاضاة او تسليم الاشخاص الذين يقتلون او يجرحون او يخطفون ضحايا مدنية في بلد اجنبي بقصد اجبار احدى الدول او احدى المنظمات الدولية على القيام بتنازلات . (٩٧)

في ايلول ١٩٧٢ اسس الرئيس السابق نيكسون لجنة وزارية لمكافحة الارهاب . وكانت وظيفة هذه المنظمة هي التنسيق بين نشاطات مختلف الوكالات الحكومية بغية الرد بسرعة وفعالية لدى وقوع اعمال ارهابية . (٩٨)

وقلقت امم العالم الثالث حول مبادرات الولايات المتحدة ضد الارهاب ، شاعرة بانها لا تسعى الا الى خدمة المتربعين في السلطة . واعتقدت تلك البلدان ان الغاية من خطة العمل هذه ، اذا ما تبنتها الامم المتحدة ، هي اعاقه حروب التحرير الوطني .

في كانون اول ١٩٧٢ ، صوتت الولايات المتحدة ضد قرار الجمعية العامة التابعة للامم المتحدة الذي يدعو الى دراسة الارهاب . وزعمت الولايات المتحدة ان القرار لا يشجب الارهاب وان الحاجة تدعو الى العمل لا الى الدراسة . بيد انه يبدو ان الولايات المتحدة اعترضت بصورة رئيسية على مادة في القرار تؤكد حقوق الشعب في تقرير المصير وتدعم شرعية نضال حركات التحرر الوطني . (٩٩) وتصويت الولايات المتحدة ضد هذا القرار منسجم مع السياسة الاميركية ، لان الولايات المتحدة كانت قبل ذلك بستة أيام ، في الثاني عشر من كانون الاول ١٩٧٢ ، قد صوتت ضد قرار الجمعية العامة الرقم ٢٩٥٥ الذي اعترف بحق الشعب في تقرير المصير والحرية . في الامم المتحدة واصلت الولايات المتحدة معارضتها القوية للاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني . فبين ١٩٦٩ و ١٩٧٣ فقط صوتت الولايات المتحدة بكلمة « كلا » على جميع قرارات الامم المتحدة السبعة التي تثبت الحق الاكيد في تقرير المصير للفلسطينيين . وفي الواقع صوتت الولايات المتحدة « كلا » على جميع قرارات الامم المتحدة المتعلقة بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير . ولم تصوت الولايات المتحدة بالايجاب على اي قرار من قرارات الامم المتحدة المتعلقة بمنظمة التحرير الفلسطينية . ويخضع موفدو منظمة التحرير الى الامم المتحدة للانظمة الاميركية المشددة التي تحدد حرية الحركة ضمن شعاع قدره ٢٥ ميلا من مدينة نيويورك . ولا تطبق هذه الانظمة بصورة متبادلة الا ضد الاتحاد السوفياتي وبضعة بلدان اشتراكية اخرى .

تكيف غامض ، ١٩٧٣ الى الوقت الحاضر

المرحلة الرابعة للسياسة الاميركية يمكن وصفها على افضل نحو بأنها « تكيف غامض » لصالح الشعب الفلسطيني . فالتصريحات السياسية الاميركية خلال العامين الاولين من هذه المرحلة لم تشر الا الى « كيان » والى ضرورة اخذ المصالح الفلسطينية بعين الاعتبار . ويمكن اعتبار العامين الاولين فترة اعادة تقييم . (٩٩) وبعد استبدال روجرز بكيسنجر كانت هناك فرصة القاء نظرة جديدة على حالة الشرق الاوسط . وعجلت اثار حرب تشرين اول في دخول كيسنجر الى مشكلات المنطقة ، رغم انه كان يشعر انه « ليس مستعدا في الواقع » له . واستعار كيسنجر اجراء روجرز للخطوة خطوة ومن دون اي فكرة محددة للنتائج النهائية . وادى حظر النفط والضغط الذي مارسه الحليفات الاوروبيات على الولايات المتحدة بالحكومة الاميركية الى اعادة تقييم موقفها ازاء الفلسطينيين . كانت تصريحات وزارة الخارجية الرسمية لا تشير بوضوح الى اي موقف بالضبط تدعو اليه الحكومة . فهل سيدعى الفلسطينيون الى جنيف ؟ وهل سيشاركون في مفاوضات التسوية ؟ وما هو موقعهم من دبلوماسية الخطوة خطوة ؟ في ذلك الوقت قال كيسنجر ان الدور الذي قد يلعبه الفلسطينيون في جنيف « يعين على افضل نحو من قبل فرقاء المؤتمر » . كذلك فان حقوق الفلسطينيين يجب ان ينظر اليها في ضوء « حدود امتصاص اراضي فلسطين المنتدبة » . (١٠٠)

بدبلوماسية الخطوة خطوة سعى كيسنجر الى ازالة فتيل الوضع العدواني المباشر بين الدول العربية واسرائيل والى « اقامة حقائق » عن طريق لعب ورقة احدى الدول العربية ضد الاخرى . وفي محاولة الولايات المتحدة رؤية ما تستطيع الحصول عليه من الفترة اللاحقة للحرب المفتوحة نسبيا ، فأنها اعتبرت الفلسطينيين عاملا معقدا من الافضل تركه خارج المسرح . فالفلسطينيون لم يلائموا ملائمة مرتبة معادلة كيسنجر لفك الارتباط خطوة خطوة ولدبلوماسية الموك . وفي تشرين ثاني ١٩٧٥ صدر تصريح عن احد كبار مسؤولي وزارة الخارجية الاميركية ، وهو هارولد سولدرز وكان هذا اول تصريح واضح اكيّد يعترف بالحاجة الى ضم الفلسطينيين الى أية تسوية سلمية . وأشار هذا التصريح الى تحول مهم في الدبلوماسية الاميركية . فقد تكلم سولدرز امام لجنة فرعية خاصة حول العلاقات الدولية في مجلس النواب الاميركي وقال :

اننا نعترف انه ، بالاضافة الى تلبية الاحتياجات الانسانية والتجاوب مع المطالب الشخصية المشروعة للاجئين ، فانه توجد هناك مصلحة اخرى لا بد من اخذها في الحسبان . انها حقيقة ان الكثيرين من الثلاثة ملايين نسمة او نحو ذلك من الذين يسمون انفسهم فلسطينيين اليوم يعتبرون انفسهم بصورة متزايدة بان لهم هوية خاصة كشعب ويرغبون بان يكون لهم صوت في تقرير وضعهم السياسي . وكما هي الحال مع اي شعب في هذا الوضع ، فان بينهم خلافات ، الا ان الفلسطينيين بصورة جماعية ، هم عامل سياسي لا بد من التعامل معه اذا اردنا ان يكون هناك سلام بين اسرائيل وجاراتها . (١٠١)

ومع أن كيسنجر انكر ان تكون حكومته اجرت محادثات مع ممثلي منظمة التحرير الفلسطينية (وهو أمر كان سيوازي الاعتراف) ، فان عدة اميركيين قد اتصلوا بهم . فالشيخان ماتياس ومكخوفرن اجتماعا بمسؤولين من منظمة التحرير في بيروت ويقال ان

الحاكم السابق سكرانتون اجتمع بأحد كبار ممثلي منظمة التحرير في باريس . وفي الاونة الاخيرة اجتمع رئيس مؤسسة (ليلي) الخيرية ، لاندروم بولينغ Bolling ، بعرفات وحمل معه رسالة الى كارتر . ويبدو ان السفارة الاميركية في بيروت قامت باتصالات مع منظمة التحرير عندما نظمت عملية اخراج الرعايا الاميركيين في لبنان ابان الحرب الاهلية ، وقد شكرها الرئيس فورد على ذلك علنا .

وخلال رئاسة فورد القصيرة والعرجاء سجل صبري جريس وعصام صرطاوي اسميهما في وزارة العدل الاميركية كخطوة تمهيدية نحو فتح مكتب لمنظمة التحرير في واشنطن ، وهو عمل لا بد وان يكونا قد تلقيا عليه موافقة مسبقة ، علما بان هذه الموافقة سحبت فيما بعد في اوائل ادارة كارتر . واهم تغيير في السياسة الاميركية نحو الفلسطينيين حدثت تحت اشراف حكومة كارتر . ففي اذار من هذه السنة اعترف كارتر ، خلال زيارته لمدينة كليفتون بولاية ماساشوستس بان أية تسوية للشرق الاوسط يجب ان تشمل على وطن للفلسطينيين . وفي ست او سبع مناسبات مختلفة على الاقل كرر كارتر اعتراف ادارته « بالحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني » وبالحاجة الى « وطن » فلسطيني ، وبانه يجب ان يتمثل الفلسطينيون في جنيف .

ان التغيير الدراماتيكي الراهن الذي حدث لدى كارتر الى ما يباليه البعض في تسميته سياسة « موالية للعرب » - والذي هو اقرب ما يكون الى سياسة تكيف - هو صادر عن تطورات اقتصادية واقليمية ودولية شعرت ادارة كارتر بانه لا يسعها تجاهلها .

١) الضغوط الاقتصادية واضحة . فأهمية رؤوس الاموال العربية السعودية قد جعلت ذلك البلد عاملا حاسما في الاعتبارات الاميركية وقد كان لتشجيعه للمبادرات الاميركية تأثير حتمي على الولايات المتحدة .

٢) لقد وجدت الولايات المتحدة نفسها على الدوام في رفقة وحيدة لدول مثل هاييتي وبوليفيا في تصويت الامم المتحدة على مسائل الشرق الاوسط ، فبتصويت ١٠٥ امم منصلحة قرار الجمعية العامة الرقم ٢٢٣٦ الذي يعترف بمنظمة التحرير الفلسطينية كمثل شرعي وحيد للفلسطينيين وبوجود بعثات دبلوماسية لمنظمة التحرير في ٦١ بلدا ، شعرت الولايات المتحدة نفسها في عزلة دولية متزايدة فيما يتعلق بالحقوق الشرعية والتمثيل للفلسطينيين . وخصوصا في وقت تدعو الحاجة فيه الى تعاون سوفياتي حول اتفاقات ثنائية ويخشى فيه الى حد كبير من المواجهة بين الدولتين المتفوقتين ، فان الولايات المتحدة وجدت ان من مصلحتها السياسية ان تخفف موقفها الموالي لاسرائيل .

٣) من الناحية الاقليمية فان اعتراف الحكومات العربية بمنظمة التحرير كمثل شرعي وحيد (وهو امر وافق عليه حتى الملك حسين مع ما قد يخسره من اتخاذ مثل هذا الموقف) واجماعها على ان الفلسطينيين يجب ان يمثلوا انفسهم في أية مفاوضات ، كل هذا قد تحدى الفكرة الاميركية القائلة بان اتفاقا على اساس كل دولة على حدة سيعزل الفلسطينيين .

وهناك تطورات اخرى اثرت في صورة منظمة التحرير في العالم وقد اثرت بالتالي في موقف ادارة كارتر نحوها .

١) لقد اظهر الشعب الفلسطيني تصميمًا وشجاعة ، وقدرة هائلة على البقاء ، رغم المحاولات الهائلة لتصفيته ، في الاردن وفي لبنان . وقد تأثرت الولايات المتحدة بنوع خاص بالمؤسسات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية التي خلقها الفلسطينيون والتي تظهر نفس هذه الإرادة للبقاء .

٢) لقد اظهرت منظمة التحرير انها تتمتع « بتأييد ساحق من الفلسطينيين داخل فلسطين وفي الشتات » . ومركزها كناطق شرعي باسم الشعب الفلسطيني معترف به اعترافا حسنا ولا يحتمل التحدي .

٢) على الصعيد الدولي حققت منظمة التحرير وضع المراقب في الامم المتحدة . وكسبت اعتراف ١٠٥ امم واقامت بعثات في ٦١ بلدا . وهي عضو كامل في مجموعة الدولة غير المنحازة وعضو في جامعة الدول العربية . والولايات المتحدة هي احدى البلدان القليلة في العالم التي لم تمنح منظمة التحرير صفة الحكومة .

ربما كان من غير المنصف بحث العوامل المحدثة للتغيير في السياسة الاميركية نحو الفلسطينيين دون الاشارة الى عامل داخلي ساعد في صياغة تلك السياسة وقاوم بنشاط اي تغيير عندما لم يخزم ذلك التغيير مصالحه الضيقة . ذلك العامل هو اللوبي الصهيوني . وقد استخدم هذا اللوبي كل قوته ونفوذه الهائلين لاقتناع الرئيس الاميركي بالعدول عن انتهاج سياسة اقل من موالية لاسرائيل .

كارتر والضغط الصهيوني

لقد جعلت ادارة كارتر اول قضية اولوية لسياستها الخارجية هي تسوية في الشرق الاوسط وعقد مؤتمر جنيف قبل نهاية ١٩٧٧ . من الواضح انه اذا اريد لاقبل هذين الهدفين ، وهو مؤتمر جنيف ، ان يتحقق ، في ضوء التصلب الاسرائيلي فان من الضروري ممارسة ضغط هائل على اسرائيل . وقد طلب من كارتر ان يرجىء مبادرته الى ما بعد الانتخابات الاسرائيلية في ايار ، باعتبار انه لا يمكن لاسرائيل ان تقبل بالحلول الوسط حول قضايا حاسمة قبيل الانتخابات مباشرة ، نظرا الى الطبيعة « الصقريسة » للناخبين الاسرائيليين . وفي ايار فاز بالانتخابات مناحيم بيغن ، وهو أرهابي سابق وسياسي توسعي من الصقور . ولذا فان ادارة كارتر ستجد صعوبة اكبر في التفاوض مع حكومته . وقد أظهر بيغن تصلبيه حالما تولى السلطة . لذلك كانت المواجهة مع كارتر حتمية . وقد أشار بيغن انه ليس مضطرا للتنازل امام ضغط كارتر لان كونغرس الولايات المتحدة يقف الى جانب اسرائيل . وهو كونغرس يخضع الى حد عظيم لتأثير اللوبي الاسرائيلي الرفيع التنظيم ويظهر استعدادا كبيرا لفعل اي شيء تقريبا من اجل اسرائيل .

ولذلك ، كما كان متوقعا ، حدثت سلسلة من المواجهات :

١) في اوائل حزيران اتخذ بيغن موقفا متصلبا فيه كثير من التحدي نحو سياسة اميركا للتسوية . ثم اختار الرئيس كارتر ان يمارس الضغط باعلان الفرق في الاراء والمواقف . واعتزم ان يظهر على التلفزيون الوطني مع خرائط ورسوم بيانية يشرح بها للشعب الاميركي النزاع كله واين تكمن مصالح اميركا وما هو منصف وما يجب فعله . ويقال ان اصدقاء اسرائيل في الكونغرس والخارج مارسوا الضغط على كارتر واقنعوه بعدم الافصاح عن ارائه هذه علنا نظرا الى الاثار المضرمة المحتملة على الحزب الديموقراطي . والغى كارتر هذه الخطة . وخضع لنصيحتهم وارجأ القيام بهذا العمل الى ما بعد زيارة بيغن للبيت الابيض .

٢) خلال اجتماع كارتر - بيغن في تموز ، حث كارتر بيغن على عدم انشاء اية مستعمرات جديدة في الاراضي المحتلة . وكان الانطباع الذي اعطاه بيغن هو انه سيفضلي لنصيحة كارتر . غير ان بيغن ، حالما عاد الى اسرائيل ، اعلن عن اصفاء

الشرعية على ثلاث مستعمرات جديدة ، الامر الذي اثار سخط كارتر . ومضى بيغفن
 قدما في سياسة الضم الزاحف .

٣) قضية لانس . يعزو مراقبون حسنو الاطلاع في واشنطن جزءا من قضية
 لانس الى اللوبي الصهيوني . كان لانس المكشوف للانتقاد اقرب صديق اللى كارتر
 ومستشاره وهدفا سهلا لاية جماعة ترغب في تلطيح الصورة العامة لكارتر وفي ترهيبه .

٤) البيان السوفياتي - الاميركي المشترك حول ضرورة مشاركة ممثللي الشعب
 الفلسطيني (اي منظمة التحرير) في مؤتمر جنيف . هذا البيان اغضب اسرائيل
 واصدقاءها في الولايات المتحدة . وقالت اسرائيل انها لن تذهب الى جنيف في حضور
 منظمة التحرير . وتدفقت على البيت الابيض الاف البرقيات . واذعن كارتر لاصدقاء
 اسرائيل في الكونغرس وخارجه واعلن ان البيان الاميركي - السوفياتي ليس ملزما ولن
 يستخدم كأساس للمفاوضات في جنيف .

وتم التوصل الى صيغة جديدة لمؤتمر جنيف ، تركز على قرار مجلس الامن الرقم
 ٢٤٢ . وتطلب التوصل الى تلك الصيغة قدرا كبيرا من المفاوضات والضغط من قبل
 فانس وكارتر ، وهو ضغط وصفه دايان فيما بعد بأنه « وحشي » . وفي الوقت ذاته
 انتزع دايان وعدا من كارتر بان الولايات المتحدة لن تستخدم المعونة العسكرية
 والاقتصادية لاسرائيل كاداة ضغط لارغام اسرائيل على القبول بحلول وسط .

وباستبعاد عاملي المعونة العسكرية والاقتصادية ، لم يكن بوسع كارتر الا اللجوء الى
 قواه الاقناعية والعزلة الدبلوماسية . واداة الضغط هذه ليست كافية قسط لارغام
 اسرائيل على التنازلات الضرورية لاي نوع من انواع التسوية التي ترغب ادارة كارتر
 في تحقيقها .

لماذا ترغب الولايات المتحدة في تسوية ؟ هذه الادارة تعتقد انه من المصلحة القومية
 للولايات المتحدة ايجاد تسوية في الشرق الاوسط للأسباب التالية :

١) لا تجرؤ اميركا على المجازفة بحظر نفطي اخر ، سيفرض حتما اذا ما اندلعت
 حرب اخرى .

٢) الولايات المتحدة تحتاج الى التوظيف المالي العربي من فائض الدخل النفطي . ومن
 الممكن ان يؤثر هذا التوظيف تأثيرا ايجابيا في معدل النمو الاقتصادي الاميركي ، وربما
 اذا استثمر في طرق معينة يمكنه ان يساعد على تخفيف معدل البطالة البالغ ٦.٨ بالمائة .
 والى ذلك فانه مما لا ريب فيه ، ان سحب الاموال المستثمرة في الولايات المتحدة يمكن
 ان يسبب اضطرابات اقتصادية . ولدى العربية السعودية وحدها ٦٠ بليون دولار موظفة
 في الولايات المتحدة . (١٠٢)

(١) كان عجز الميزان التجاري الاميركي هذه السنة ٢٥ بليون دولار ، ومن المتوقع ان
 يبلغ نحو ٣٨ بليون دولار في ١٩٧٨ . لذلك فان لدى الولايات المتحدة رغبة شديدة في
 التعامل التجاري مع العرب .

(ب) التسوية ستنهى المقاطعة العربية الراهنة ضد الشركات الاميركية المتعاملة مع
 اسرائيل . وسيتيح هذا لمزيد من الشركات الاميركية ان تقيم علاقات مالية واقتصادية مع
 العالم العربي .

(٣) السلام الدائم في المنطقة العربية سيزيد من الازدهار ويسهل التنمية هناك ، الامر الذي سيفيد ايضا الشركات الاميركية .

التسوية مهمة بنوع خاص للولايات المتحدة ، اذا افترض المرء ان العربية السعودية ستستخدم سلاحها الاقتصادي ضد الولايات المتحدة اذا امتنعت اميركا عن ارغام طفلها « جليات » ، اسرائيل ، على القيام بتنازلات معقولة لتسوية مقبول بها . الا ان العربية السعودية ، في هذه الحالة ، قد لا تعتبر ان من مصلحتها استغلال قوتها الاقتصادية ، وفي الواقع فان العربية السعودية تعتمد على الخبرة العسكرية والفنية والاقتصادية الاميركية ، بين امور اخرى ، تقريبا بقدر ما تحتاج الولايات المتحدة الى النفط السعودي والرابطة المالية .

وبما ان الولايات المتحدة تدرك هذه الدرجة العالية من الاعتماد المتبادل مع العربية السعودية ، وتدرك بالتالي عدم احتمال استخدام العقوبات الاقتصادية ، فهل يعني هذا ان الولايات المتحدة لن تضغط من اجل تحقيق تسوية ؟

الجواب الواضح هو كلا . فان التسوية الدائمة للنزاع العربي - الاسرائيلي تخدم المصالح الامبريالية الاميركية في المنطقة العربية على نحو افضل ، خصوصا في ضوء الهيمنة الاميركية على المنطقة . ويعتقد راسمو السياسة الاميركية ان غياب تسوية او اتفاق بين الدول العربية واسرائيل هو مصدر دائم لعدم الاستقرار ، يمكنه ان يثير جيشانات جماهيرية ويسبب انهيار انظمة عربية صديقة . وستفضل الانظمة الجديدة على الارجح الدعم والسياسة السوفياتية على الدعم والسياسة الاميركية ، ومن الواضح ان هذا سيهدد المصالح الاستراتيجية والاقتصادية الاميركية في المنطقة . وادارة كارتر ، كالادارات السابقة لها ، تعتبر منظمة التحرير الفلسطينية العنصر الاكثر اثارا لعدم الاستقرار والاكثر تسببا للراдикаلية في المنطقة ، خصوصا مع توزعها في بلدان عديدة . ولذلك تعتقد الادارة ان اقل معيار لتسوية ناجحة لا بد وان يشمل الفلسطينيين في مكافاة التسوية ، الامر الذي يعني وطنا من نوع ما على الارجح .

نظرة شاملة وخاتمة

في تعقب تطور السياسة الاميركية حيا لشعب الفلسطيني . يستطع المرء ان يتبين اشارات التحول في السياسة بملاحظة استخدام العبارات التي يشار بها الى الفلسطينيين . فمنذ ١٩١٧ ، مع المصادقة الاميركية على وعد بلفور ، جرى استخدام العبارات التالية في الترتيب التاريخي المتعاقب لوصف الفلسطينيين :

- السكان غير اليهود (اي اللاشعب) - اللاجئون العرب - الارهابيون العرب - الارهابيون الفلسطينيون - الفلسطينيون - الكيان الفلسطيني - الشعب الفلسطيني .

كذلك فان السياسة الاميركية المتغيرة استخدمت (ايضا حسب التعاقب التاريخي) العبارات التالية :

- فلسطين (الارض ، بلد منتدب) - الاعادة الى الوطن او التعويض - اعادة التوطين والدمج (التهئة) - المواجهة - المصالح الفلسطينية - المصالح الفلسطينية المشروعة - الحقوق المشروعة ووطن للفلسطينيين .

هذه السنة تشير الى الذكرى الستين لوعد بلفور ، الذي يدعو الى وطن يهودي فسي

فلسطين ، التي كان يقطنها سكان عرب . وهكذا تطلب راسمو السياسة الاميركية ٦٠ سنة و١٢٠ ادارة للاعتراف بأن الشعب الفلسطيني موجود وان له حق في وطن خاص به .

هل يعني هذا الاعتراف الجديد مرحلة جديدة تنطوي على تغير جوهري في السياسة الاميركية ، ام هو الهدف القديم نفسه في واجهة معدلة ؟ الاقتراب من هذا السؤال يتطلب تفحصا لنوع الوطن الذي يتصوره كارتر للفلسطينيين . فهل سيبرز هذا الوطن من منح الفلسطينيين حقوقهم الاكيدة في تقرير المصير ؟ في مقابلة مع مراسل صحيفة جيروساليم بوست ، ترو د فيلدمان ، في الثامن من ايلول (سبتمبر) ١٩٧٧ ، حدد الرئيس كارتر كلمة « وطن » على انها ببساطة « مكان يعيش فيه شعب » . وقد يعتقد المرء ان كارتر استخدم هذا التحديد البسيط الذي يلقي مسألة الحقوق الفلسطينية في تقرير المصير مجرد ارضاء قارئيه الاسرائيليين ! غير ان التصريح السياسي الاكثر تفصيلا حول قضية الوطن صدر عن نائب رئيس الجمهورية الاميركية ولتر مونديل الذي تكلم نيابة عن ادارة كارتر امام «مجلس الشؤون العالمية » في سان فرانسيسكو ، فقال :

« ان احدى القضايا الرئيسية الاخرى هي مستقبل الشعب الفلسطيني . فقد كانت مصدر مأساة مستمرة في الشرق الاوسط ، هناك شرطان اساسيان من أجل سلام دائم في هذه الناحية .

اولا ، يجب ان يكون هناك استعداد ظاهر من جانب الفلسطينيين للعيش بسلام الي جانب اسرائيل .

ثانيا - يجب ان يعطى الفلسطينيون نصيبا في السلام لكي يتحولوا عن عنف الماضي ونحو مستقبل يمكنهم ان يعبروا فيه عن مطامحهم السياسية المشروعة بسلام .

وهكذا اذا كان الفلسطينيون راغبين في العيش بسلام ومستعدين لظهار تلك الرغبة ، بالاعتراف بحق اسرائيل في الوجود بسلام ، فان رئيس الجمهورية قد اوضح اننا ، في نطاق تسوية سلمية ، نعتقد انه يجب ان يعطى الفلسطينيون فرصة للتخلي عن وضعهم كلاجئين مشردين وان يشاركوا مشاركة كاملة في منافع السلام في الشرق الاوسط ، بما في ذلك احتمال ترتيب ما لوطن او كيان فلسطيني - ويفضل ان يكون ذلك بالمشاركة مع الاردن .

كيف سيتم تحقيق ذلك والطابع الدقيق لذلك الكيان هما بالطبع شيء لا بد من ان يقره الفرقاء انفسهم خلال المفاوضات . الا ان رئيس الجمهورية قد اقترح ان قابلية الحياة لهذا المفهوم وأمن المنطقة يمكن تحسينهما ان انطوى الامر على مشاركة مع الاردن . ولكنني اشدد على ان الفرقاء انفسهم يجب ان يقرروا التفاصيل . « (١٠٤) .

في تفحص تصريح مونديل وغيره من تصريحات السياسة الاميركية ، يمكن المرء ان يستنتج ما يلي :

١) على الفلسطينيين ان يظهروا استعدادهم للعيش في سلام مع اسرائيل بمنح اسرائيل اعترافا شرعيا . الا انه لا يطلب من اسرائيل ان تبادل منظمة التحرير الفلسطينية الاعتراف بها ، ولا حتى الاعتراف بحق الفلسطينيين في تقرير المصير ضمن دولة ذات سيادة . وهذا يعني ان الفلسطينيين سيتخلون طوعا عن حق جيلهم واجيال المستقبل في التحرير الكامل لوطنهم ، فلسطين .

٢) يطلب من الفلسطينيين التخلي عن النضال المسلح مقابل ارض يمكنهم فيها ان يعبروا

عن مطامحهم السياسية المشروعة (اي انتخاب مسؤوليهم المحليين ، وانتخاب ممثلين لبرلمان مستقل او اردني ، الخ .)

٣) تفضل الولايات المتحدة ان يكون هناك كيان فلسطيني متصل بشكل او باخر مع الاردن ، ربما في « مملكة عربية متحدة » . ويعتقد كارتر ان من شأن هذا تعزيز امن المنطقة . ويعني هذا ان دولة فلسطينية مستقلة وذات سيادة كاملة قد تشكل خطرا امنيا على المنطقة - قد يكون ناجما عن تحالفها او علاقاتها الودية مع الاتحاد السوفياتي او ليبيا او العراق . اما ضم دولة في الضفة الغربية (او شكل اخر مماثل لها) الى الاردن فسيؤمن موقفها الموالي لاميركا واعتدالها نحو اسرائيل . وتشير جميع الادلة الى انه اذا ما قام كيان او دولة مستقلة في الضفة الغربية وغزة ، فان لا الولايات المتحدة ولا اسرائيل ستسمح بأن يكون لها جيش وطني وبمل ستكون منزوعة السلاح كليا ، دون السماح بأي شيء اكثر من قوة شرطة لقمع الاضطرابات المحلية . والكيان الاقصى الذي سيكون الاميريكيون والاسرائيليون مستعدين للقبول به لن يكون ابدا اكثر من « فلسطينوستان » ، اي كيان او اقليم مماثل للينتوستانات في جنوب افريقيا حيث تكون حرية الحركة والعلاقات الخارجية محدودة ومعتمدة على اسرائيل او الاردن او كليهما معا .

وهكذا تعتقد الولايات المتحدة ان الشكل النهائي ومعالم الوطن الفلسطيني ستقرهما المفاوضات بين اسرائيل والدول العربية ، مع وجود صوت فلسطيني . وهذا العامل ، بالإضافة الى الشروط المسبقة التي سنتزعهها الولايات المتحدة من الفلسطينيين مقابل تأييدها لمطالبتهم بوطن ، لا يكادان يشكلان اختيارا حرا للشعب الفلسطيني وبالفعل سيكون ذلك انكارا واضحا لحقه الاكيد في تقرير المصير - وبالطبع لن يكون هذا مستغربا لان السياسة الخارجية الاميريكية لم تكن قط مرتكزة على المبادئ الاخلاقية . اذ نادرا ما ايدت اميركا حقوق الشعوب في تقرير المصير ، وعندما فعلت ذلك ، كان الدافع سياسيا او اقتصاديا .

كانت التحولات او التغييرات في السياسة الاميريكية نحو الفلسطينيين تهدف الى تحقيق هدف واحد : ازالة المصدر الرئيسي لعدم الاستقرار والعامل الراديكالي في الشرق الاوسط . وكانت اوضاع عرب فلسطين تشكل العامل المتفجر الرئيسي هناك . وهكذا فان الولايات المتحدة تحاول تعديل سياستها باقل كلفة ممكنة لتهدئة « بعبعها » . وهذا الهدف لم يتغير طوال الاعوام الثلاثين الماضية .

وبما ان خطط التهدئة نحو الشعب الفلسطيني لم تكن مثمرة في الماضي ، فان ثمة سببا للاعتقاد بأن الجهود المعدلة الجديدة ستخفق ايضا ، وربما بصورة مريعة وخطرة اكثر . وان نضال الشعب الفلسطيني السياسي والمسلح سيستمر نحو المسيرة الطويلة للتحرير الكامل .

هوامش

1) Hurewitz , *Middle East Dilemma* , (New York : Harpers and Brothers , 1953) , P. 107

2) Reuben Fink , *America and Palestine* , (New York : American Zionist Emergency Council , 1944) , p. 20 .

4) Jansen , *The Three Basil American Decisions on Palestine* (Beirut : PLO Research Center , 1971) pp. 7 — 17 .

5) Roscoe BAKER , *The American Legion and American Foreign Policy* , (New York : Bookman Associates , 1954) , pp 256 and 305.

6) S. J. RES. 191 67th Congress , 2nd Session, *Congressional Record* Vol . LXII , Part 5 , p. 5376 .

· اعيدت على الفور الى لجنة العلاقات الخارجية .

٧) المصدر نفسه ، ٧ ايار ، ١٩٢٢ ، القسم ٢ ، ص ٦ ، صحيح ان لودج واجه صعوبات في الحملة الانتخابية عام ١٩٢٢ . وقد قال كاتب سيرة حياته : « في الواقع كانت قوة لودج قد ضعفت في ولايته . وكانت حملة مجلس الشيوخ الانتخابية صعبة بالنسبة اليه . وفي يوم الانتخاب في تشرين الثاني لم يجمع الا شعبية ٧١٥٤ صوتا ، متخلفا وراء المرشح الجمهوري لمنصب الحاكم بنحو ٥٠ الف صوت » .

Karl Schrifgiesser . *The Gentleman from Massachusetts : Henry Cabot Lodge* (Boston : Little , Brown & Co. 1944) pp. 358 - 359 .

٨) في الحديث المشار اليه ، اكد ليبسكي ان فيش تبني فكرة القرار من غولديبرغ . وفي رسالة مؤرخة ٢٦ حزيران عام ١٩٥٢ الى الكاتب ، قال فيش ان القاضي ماك والحاخام وايز ساعدا في وضع مسودة نص القرار .

٩) اعترض بعض اليهود على القرار بسبب تغيير بسيط جدا في الكلمات ، وفضلوا عليه الكلمات الدقيقة لوعده بلفور .

10) *Congressional Record* , Vol . LXII , Part 10 , p. 9799 .

١١) انظر

New Palestine , II (Part 1 , 14 , 1922) .

11 (April , 14 , 1922) , p. 280

١٢) المصدر نفسه

١٢) انظر الرسالة من الوزارة الى ديوك كريستيانسون ، سكرتير هاردينغ ، National Archives file 867 , N. 01/311A . SEE IBID , File 867N. 01/199. من اجل مذكرة قسم الشرق الاذن التي تشير الى « المعاهدة الانكلو - الاميركية التسي كانت آنذاك تحت المفاوضة ، وكان ثمة خطر عليها اذا لم يوقع القرار .

14) *The Statues - at - Large of the United States of America* , Vol. LXII , Part 1 , (Washington , D. C. : U.S. Govt . Printing Office , 1923) P. 1012 .

15) *The American Zionist Emergency Council , A Report of Activities 1940-1946* , (New York : 1946) pp 11 - 12 . and Elihu D. Stone , « The Zionist outlook in Washington » , *New Palestine* , XXXIV (March 17 , 1944) p. 305 .

16) H. RES. 418 , 78th Cong. 2nd Session , *Congressional Record* , Vol . 10 , Part 1 ; p. 856 . Representative Ranulf Compton , Republican of Connecticut , introduced an identical resolution as the Wright : H. RES. 479 , in *IBID* . The Wagner — Taft resolution was S. RES. 247 .

17) U.S. Congress , House Committee of Foreign Affairs , *Hearings on H. RES. 418 and H. RES 419* , Resolution Relative to the *Jewish National home in Palestine* , 78th Congress , 2nd Session , (Washington : U.S. Govt. Printing Office , 1944) .

18) Hull , *op. cit.* , p. 1533

١٩) (النيويورك تايمز ، ٢٤ اب ، ١٩٤٣ ، ص ٢)

20) Hull , *op. cit.* . 1533 — 1534 .

٢١) المصدر السابق

22) F.D.R. Memoires , *op. cit.* p. 900 .

٢٢) النص في المصدر السابق

24) Stetinius to F.D.R. in *IBID* . March 4 , 1944.

25) Hull , *op. cit.* pp. 1534 — 1535 .

٢٦) المصدر نفسه ، ص ١٥٣٥

27) Hull , *IBID* , p. 1535 .

٢٨) نص الرسائل في مذكرات روزفلت

29) Stephen S. Wise , *Challenging Years* , (New York : G.P. Putnam & Sons) 1949 , pp. 216 — 232 .

30) U.S. Department of State , *Foreign Relations of the United States . The Conference at Malta and Yalta , 1945*. Washington : U.S. Govt. Printing Office , 1955 , p. 924 .

31) Wise , *op. cit.* . pp. 216 — 232 .

٢٢) المصدر السابق

33) Welles , *op. cit.* p. 30 .

34) Harry , S. Truman , *Memoires : Years of Trial and Hope* , 1946 — 1952 , (New York : New American Library , Vol, 1. 1961) , p. 69.

٣٥) المصدر نفسه ، المجلد الثاني ، ص ١٢٢ . ٣٦) المصدر نفسه

٣٧) المصدر نفسه ، ص ١٢٢ . ٣٨) المصدر نفسه ، ص ١٢٢ .

- ٣٩) المصدر نفسه ، المجلد الاول ، ص ٦٧ . ٤٠) المصدر نفسه ، ص ٦٩ .
- 41) United Nations General Assembly , *Official Records* , First Special Session , Vol. 1 , Dec. A — 286 , p. 183 .
- 42) U.N. Yearbook , 1947 — 1948 , p. 230 .
- ٤٣) ترومان ، مذكراته ، المجلد الثاني
op. cit.
- 44) *The Forrestal Diaries* , op. cit. p. 346
- 45) Sumner Welles , op. cit. p. 63 .
- ٤٦) مذكرات فوريسٽال ، op. cit. ص ٢٤٦ .
- 47) Kermit Roosevelt , (*The Partition of Palestine : A lesson in Pressuru Politics*) , *Middle East Journal* , Washington , D.C. , 1948 p. 15 .
- 48) William A. Eddy , *F.D.R. Meets Ibn Sa,ud* (New York : American Friends of the Middle East , 1954) pp. 36 — 37 .
- ٤٩) مذكرات ، ترومان ، المجلد الثاني ، op. cit. ص ١٦٠ .
- 50) C.F. Halford Hoskins , *The Middle East : Problem Area in World Politics* , (New York : Macmillan Col. 1975) , p. 18 — 38 , 232 - 254 .
- ٥١) مذكرات فوريسٽال ، op. cit. ص ٢٤٨ .
- ٥٢) المصدر نفسه ، ص ٣٥٩ — ٣٦٢ . ٥٤) المصدر نفسه ، ص ٣٦٢ — ٣٦٥ .
- 55) Welles , *We Need Not Fail* , op. cit , pp. 81 — 82 .
- ٥٦) مذكرات فوريسٽال ، op. cit. ص ٣٧٦ .
- 57) Bennett Nitvinoff , *Ben Gurion of Israel* , (London : Widennfeld and Nicholson , 1954) , p. 159 .
- ٥٨) ترومان ، مذكرات ، op. cit. المجلد الثاني ، ص ١٦٠ — ١٦١ .
- 59) U.N. Security Council , Verbatim Record of the 271 st meeting March 19 , 1948 , Doc . S/pp. 2871 .
- 60) Richard Stevens , *American Zionism and U.S. Foreign Policy 1942 — 1947* (New York : Pagent Press , 1962) , pp. 202 — 203 .
- ٦١) المصدر نفسه ، ص ٢٠٣ . ٦٢) المصدر نفسه ص ٢٠٤ .
- ٦٣) النيويورك تايمز ، ١٥ ايار ، ١٩٤٨ ، ص ١ .
- 64) Jonathan Daniel , *The Man from Independence* , (New York and Philadelphia : J.P. Lippincot co. 1950) pp. 319 — 320 .
- ٦٥) مذكرات فوريسٽال ، op. cit. ص ٤٤٠ — ٤٤١ .
- 66) U.N. RES . 212 (III) Nov. 19 , 1948 , U.N. Doc. A/810 . « Pro - gress Report on Conditions of-Refugees in Near East » , *Department of State Bulletin* , XIX , 490 (Nov. 21 , 1948) , 434 , 436 .

- 67) Gabbay , *op. cit.* , p. 131
- 68) FRED Khouri , *The Arab - Israeli Dilemma* , Syracuse : Syracuse University Press , 1948 , p. 147.
- 69) U.N. Doc. Supplement No. 13 (A/10013) , *Official Records of the General Assembly : Thirteenth Session , July , 1974 - June 30 , 1975 United Nations ; New York 1975 .*
- 70) « Discussions of the Palestine Situation in Committee I » , Statement by Philip c. gessup , U.S. Delegate to the General Assembly on Nov. 20 , 1948 , *Department of State Bulletin* , XIX , Nov. 21 , 1948 / 659 .
J. . J. . J. .
- 71) Walter Eytan , Director General of the Israeli Ministry of Foreign Affairs and Head of the Israeli Delegation at Lausanne .
- 72) Macdonald , *op. cit.* , p. 181 .
- 73) Peretz , *op. cit* p. 42 .
- 74) Macdonald , *op. cit.* pp. 183 - 184 .
- 75) U.S. Senate , Committee on Apropriations , *Foreign aid Appropriations for 1951 , Hearings , 81st Congress , 2nd Session , gune 13 , 1950 (Washington : Govt. Printing office , 1950) p. 353 - 354 .*
- 76) Michal E. gansen , *The United State and The Palestinian People (Beirut : The Institute for Palestine Studes , 1970) pp. 143 - 144 .*
- 77) *IBID* , p. 145 . Public Law 118 , 83nd Congress , H. R. 5710 p. 2.
- 78) *IBID.* , « Press Release » , Statement by President Eisenhower on Oct. 16 , 1953 , *Department of State Bulletin XXIX (Oct. 26 , 1953) p. 553 .*
- ٧٩ (المصدر نفسه ، ص ٥٥٦ .
- 80) Mohammad Khalil *The Arab States and the League* , vol. II , *International Affairs (Beirut : Khayat's , 1962) pp. 636 - 637 .*
٨١ (النيويورك تايمز ، ٣٠ تشرين الثاني ١٩٥٥ ، ص ١٧ .
- 82) « A Survey of the Arab Refugee Situation » , Intrim Report of the Special Near East Refugee Survey Commission . Dec. II , 1953 , *The Department of State Bulletin (Jan. 13 , 1954) p. 96 .*
- ٨٢ (النيويورك تايمز ، ٢٥ آب ، ١٩٦١ ، ص ٣ .
- ٨٤ (النيويورك تايمز ، ٣ تشرين اول ١٩٦٢ ، ص ٥ .
- 85) FRED J. Khouri , *The Arab - Israeli Dilemma* , Syracuse : Syracuse University Press , 1968 , pp. 146 - 147 .
- 86) William B. Quandt , *United States Policy in the Middle East :*

Constraints and Choices (Santa Monica : the Rand Corporation , 1970) , pp. 34 - 36 .

٨٧) (النيويورك تايمز ١ شباط ١٩٦٢ ص ٧ و ٢ شباط ١٩٦٢ ص ٥ .
٨٨) المصدر نفسه ٢١ كانون الاول ، ١٩٦٢ ، ص ٢ .
٨٩) كان تبرع الولايات المتحدة للاونروا في عام ١٩٦٤ و ١٩٦٥ يؤلف نحو ٧٠ بالمئة من الميزانية العامة .

See U.N. Document No. 13 A/8013 , 1969 .

90) U.S. Congressional Record , 89th Congress , 1st Session (1965) CXI , August 24 , 1965 , 21618 - 21622 .

91) U.S. Congressional Record , 89th Congress , CXII , May 25 , 1966 , p. 02423 .

٩٢) المصدر نفسه ٢٧ ايلول ، ١٩٦٦ ، ص ٢٤٠٥٤ - ٢٤٠٥٥ .
93) U.S. Congress , Senate Committee on Foreign Relation , *War or Peace in the Middle East* , Report , 90th Congress , 1st Session , April 10 , 1967 (Washington , D.C. : Government . Printing Office , -967) , p. 13 .

94) U.S. Department of State Bulletin 15/9/1969 , p. 246.

95) House Version of Foreign Assistance Act of 1969 , Nov. 6 , 1969 , Section 401 G , pp. 45 - 46 .

٩٦) (النيويورك تايمز ، ٨ تشرين الاول ، ١٩٧٠ .
٩٧) مقتطف من تصريح لوزير خارجية الولايات المتحدة روجرز امام الجمعية العامة للامم المتحدة ، ٢٥ ايلول ، ١٩٧٢ .

98) U.S. Department of State Bulletin , March 18 , 1974 , p. 274 .

99) U.N. Document A/RES . 3034 (XXVII) Dec. 1972 , p
100) U.S. Department of State Bulletin .

١٠١) المصدر السابق ، ١ كانون الاول ١٩٧٥ ، ص ٧٩٧ - ٧٩٨ .

102) Press Release , the White House , May 24 , 1977 .

تبادل الانتخاب بين الرئيس كارتر وولي العهد الامير فهد بن عبد العزيز .

103) U.S. Department of Commerce Report , Washington , D.C. , Sept . 1977.

104) Department of State News Release :

خطاب نائب رئيس الجمهورية الاميركية ولتر مونديل امام « مجلس الشؤون العالمية » في شمالي كاليفورنيا ، « اطار للسلاح في الشرق الاوسط » ، ١٧ حزيران ، ١٩٧٧ .

العربي في الثقافة الأمريكية

ينظر البعض الى صراع الصهيونية مع العرب في فلسطين - وغيرها من بلدان المنطقة - على انه يوسع ويؤكد ، بل ويعزز (لمصلحة الغرب) الصراع القديم بين الغرب والشرق ، ذلك الصراع الذي يمثله الاسلام أساسا . ولم تكن هذه مسألة استعمارية (كولونيالية) فحسب ، بل انها ايضا مسألة حضارية . فقد كان واضحا تماما لمؤيدي الصهيونية الغربية - مثل بلفور - ان استعمار فلسطين سيكون مدا لنطاق السيادة الغربية نحو الشرق . وقد صدر هذا المعنى بالتحديد من البداية الاولى للتخطيط الصهيوني : استخدمه هيرتزل ، واستخدمه وايزمان ، واستخدمه كل زعيم اسرائيلي منذ ذلك الحين . فكانت اسرائيل وسيلة لوضع الاسلام - وبعد ذلك الاتحاد السوفياتي ، او الشيوعية - في موقف الدفاع . وقد جرى ربط الصهيونية واسرائيل بالليبرالية ، بالحرية والديمقراطية ، بالمعرفة والنور ، بكل ما نفهمه « نحن » و نناضل من أجله . وعلى النقيض من ذلك صور اعداء الصهيونية على انهم لا يتعدون كونهم نسخة القرن العشرين من روح الطغيان الشرقي الغربية ، والشهوانية والجهل ، واشكال التخلف المماثلة . فاذا كان « اولئك » لا يريدون ان يفهموا المشروع المجيد الذي تعنيه الصهيونية فذلك لانهم بعيدون تماما - الى حد يدعو لليأس - عن قيمنا « نحن » . ولم يبد انه يهم ان كان للمسلم المتخلف اشكاله الخاصة في الحياة ، تليق به ككائن بشري ، او ان ارتباطه بالارض التي يعيش عليها كان ارتباطا أشد من ارتباط اليهودي الذي كان يتوق الى ارض صهيون وهو في منفاه . كل ما كان يهم بالفعل مثل عليا عرقية انتحلتها الصهيونية تمجد تفوق الرجل الابيض وحقه في اقليم يعتقد انه يتفق مع تلك المثل العليا .

ويحتاج الامر الى توثيق فوري وحاسم لكي يعرف الى اي مدى اصبحت هذه الافكار آراء مقبولة في المسار العام للديمقراطية الليبرالية المتنورة الاميركية . ان كل واحد من الامثلة التي سأذكرها يتركز حول الصهيونية واسرائيل بطريقتين مترابطتين . الاولى ان الصهيونية - من حيث صفاتها الموضوعية الخاصة - شيء رائع جدير بالاعجاب ، وهو امر لا يعزى الى واحد معين أساسا لانها تتطابق تطابقا كاملا مع الافكار الغربية عن المجتمع والانسان . والثانية ان العقبات في وجه الصهيونية او اسرائيل ، او هما معا ، شائنة وغبية ، او منحطة اخلاقيا وينبغي الا تؤخذ على علاتها ، وهذه نقطة وثيقة . الصهيونية وحدها هي التي تملك حق التحدث عنها . ولناخذ رايנהولد نيبور Reinhold Neibuhr

كمثل اول . وفي حدود معرفتي فانه - كنقطة بداية - لم تكن تربطه صلة تذكر بالعالم العربي او الاسلام ، سوى ما كان ينتحله من أفكار ثقافية عنهما . ومع ذلك فان نيبور - مع ستة آخرين من الشخصيات البارزة - وقع على رسالة مطولة الى صحيفة « نيويورك تايمز » في ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٧ تأييدا لفكرة تقسيم فلسطين . وهذا هو محور حجبتهم .

« من الناحية السياسية فأننا نحب ان نرى بلدان الشرق الاوسط تمارس الديمقراطية ، كما نمارسها نحن هنا . ومن الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية ، فأننا نود لهذه البلدان ان تتطور بطريقة من شأنها ان تحسن احوال المعيشة المحلية ، وان تفتح مصادر واسواق المنطقة على السواء . وبعبارة اخرى - وأيما كانت الزاوية التي ننظر منها الى الامر - فان المصالح الاميركية ، منظرها اليها على المدى البعيد ، تلمي تحديثا سريعا للشرق الاوسط في كل مجالات الجهد البشري . »

« ان كل من يتناول الشرق الاوسط - حتى بالمقدر الادنى من الموضوعية - يجد نفسه مضطرا للاعتراف بانه حتى الان لا توجد الا طليعة واحدة للتقدم والتحديث في الشرق الاوسط [ولنلاحظ هنا انتحال لغة ماركسية زائفة لتبني مخطط استعماري (كولونيالي) في أساسه] ، وان هذه الطليعة هي فلسطين اليهودية . وهناك عامل ثان من عوامل التقدم هو لبنان المسيحي ، الذي يجري - في الوقت الراهن - اخضاعه بطريقة مصطنعة من جانب انصار الوحدة العربية وانصار الوحدة الاسلامية في الجامعة العربية ضد ارادة ومواقف اغلبية لبنان المسيحية . ولكن الشرق الاوسط العربي المسلم يمثل - بالنسبة لهاتين الجزيرتين من الحضارة الغربية - فلسطين اليهودية ولبنان المسيحي - صورة لا أمل فيها من وجهة نظر اميركية . »

ولقد كانت مكانة نيبور الثقافية كبيرة جدا في الحياة الثقافية الاميركية . ولهذا كان لما يقوله هنا قوة هذه المكانة . ومع ذلك فان ملاحظات نيبور لا تعني

شيئا - بالنسبة للفلسطيني العربي - ما دام هو موضوع هذه القوة - الا العنف . ان عبارات « اننا نحب ان نرى » و « اننا نود » لهذه البلدان - التي كان يسكنها ملايين العرب المسلمين حينما كان نيبور يتحدث عنها - توحي بأن ما تريده وما ترغبه هذه البلدان نفسها امر لا يهم كثيرا . رغباتنا لا بد ان تبطل رغباتهم . رغباتنا تقرر بصيغة لا راد لها انه « لا توجد الا طليعة واحدة للتقدم » - تشكلها اقليتان صغيرتان ، واحدة مستوردة ، والاخرى محلية . ولا يبدو ابدا انه خطر للموقعين ان رغبات الاغلبية الساحقة لشعوب الشرق الاوسط هي رغبات طبيعية ، وان « الاصطناعية » التي تحدث عنها نيبور وصحبه يمكن ان تعزى بصورة اكثر ملاءمة الى الصهاينة والموارنة . (وكم هو ضرب بالغيث ، عن غير قصد ، عن الاضطرابات الاخيرة في المنطقة ، ان نعقل مشكلات اسرائيل ولبنان الذي تمزقه الحرب الاهلية) . هاتان « الجزيرتان » - وما كان حريا بنيبور ، لو كان اقل خداعا ، ان يسميهما « مستعمرتين » - تخففان من الصورة التي « لا أمل فيها » - لولاهما - التي يمثلها العالم الاسلامي . لا أمل فيها لمن ولماذا ؟ لا يجد نيبور من الضروري ان يقول ما ينبغي ان يكون واضحا لاي عربي متحضر . فالاسلام عدو اليهودية والمسيحية ، وبهذا المعنى فان سياستنا « نحن » ينبغي ان تؤيد فلسطين اليهودية ولبنان المسيحي . اما انه قد يكون هناك شعب حقيقي يعيش في المنطقة التي يتكلم عنها نيبور بهذه الغطرسة - فهي امكانية لا يفكر فيها احد . ان الستارة الايديولوجية التي تطمس وجود هذا الشعب تسمح له بأن يتحدث على النحو الذي يتحدث به هو واصدقاؤه . فالصهيونية تقدم وحداثة ، والاسلام والعرب نقيض ذلك . ونيبور وحده يستطيع ان يتحدث نيابة عن كل الفرقاء ، وينبغي ان نغفل عن رؤية شعور معين بالتفوق حتى في التحيز ازاء اليهود الفلسطينيين واللبنانيين المسيحيين .

قبل ذلك بعام كان نيبور قد كتب مقالا بعنوان « نظرة جديدة الى فلسطين » لمجلة « سبكتاتور » ، وفيه كانت انعطافاته اكثر توفيقا بقليل ، حيث يرى « من العسير ان تؤخذ نصيحة او نقد من اميركي بشأن المسألة الفلسطينية لن تلاقي الترحيب في بريطانيا في الوقت الحاضر » ، وكان الوقت المشار اليه وقت أزمة حول المشكلة الابدية الخاصة بالحد من الهجرة اليهودية الى فلسطين . ورغم هذا يشعر نيبور بأنه من المفروض عليه ان يعرض - ان لم ينصح - وجهة نظره الجديدة ، او على الاقل وجهة نظر قصد بها ان تكون مساعدة للبريطانيين . وعلى العكس مما يفعل في الرسالة الى « نيويورك تايمز » فانه يتحدث هنا مباشرة الى سلطة امبريالية ، كما يتحدث طرف امبريالي مع طرف اخر .

« اعرف انه لا يوجد اعتبار كاف في اميركا سواء للحقوق العربية او للحرج الذي يستشعره البريطانيون في التعامل مع العالم العربي . واجد انه من الربك - من ناحية اخرى - ان الشخص العادي هنا يتحدث عن « الرأي » العربي

دون ان يوحى بأن مثل هذا الرأي ينحصر في دائرة صغيرة من السادة الاقطاعيين ، وانه لا توجد طبقة متوسطة في هذا العالم ، وان الجماهير البائسة في حالة من الفقر المدقع حتى ان الرأي يكون ترفا مستحيلا بالنسبة اليهم . ان احدى الصعوبات التي تنطوي عليها المشكلة العربية هي ان الحضارة التقنية والدينامية التي ربما ساعد اليهود على ادخالها والتي يتعين ان تنال تأييد رأس المال الاميركي ، والتي يمكن ان تشمل تطوير الانهار وحفظ التربة واستخدام القوة المحلية - ليس من شأنها ان تكون مقبولة من الجماهير العربية . ولهذا يتعين فرضها فرضا بصفة مؤقتة ، ولكنها ستتاح لها فرصة الحصول على قبول نهائي من الجماهير « (سبكتاتور ، ٦ آب (اغسطس) ١٩٤٦ ، ص ١٦٢) .

ان احدا لا يمكن ان يدين نيبور - سواء قبل كتابة هذه الفقرة او بعدها - بذنب مناقشة - او تأييد - « الحقوق العربية » . فهو - ببساطة لم يفعل هذا ابدا . ولهذا فان جملته الاولى لا تكاد تزيد عن كونها خدعة خطابية لتقديم حجته الرئيسية ، وهي ان الرأي العربي لا حساب له (للاسباب السوسولوجية الزائفة التي يقدمها ، كما لو كانت الجماهير لا تحتاج ايضا الى قطعة ارض تمارس عليها جهلها وتخلفها وانحلالها) ، وحتى هذا ليس مقصده الحقيقي ، وهو لا يزيد عن القول بأنه سواء كان للعرب رأي ام لا فانه ينبغي ان لا يسمح لهم باعتراض طريق « الحضارة التقنية والدينامية » التي يجلبها اليهود الاوروبيون الى فلسطين . ولربما كان ايسر عليه ان يتمسك بهذا لو انه - مثلا - استطاع ان يذكر مباشرة : (أ) ان العرب ادنى درجة بصورة فريدة (ب) انهم مجرد مخلوقات - بلا ارادة وبلا رأي - ناشئة عن طبقة اقطاعية صغيرة منحلّة الى حد لا أمل فيه من « السادة » الذين يستغلون « الجماهير » بوصفها دمي كثيرة . ويختار نيبور بدلا من ذلك - الشكل الاسلام ثقافيا من اشكال الحديث ، ويقول ان حجته في الواقع لا تقدم نيابة فقط عن « الحضارة التقنية والدينامية » التي تجلبها الصهيونية ، وانما هي تضع الجماهير العربية في اعتبارها .

فلنترك جانبا حقيقة انه كان باستطاعة نيبور ان يجد امثلة كثيرة في التاريخ الفلسطيني العربي الحديث لانتفاضات جماهيرية عفوية خالصة ضد الصهيونية ، او انه كان باستطاعته ان يجد حالات لفلاحين عرب يتجهون - بلا جدوى - صوب المستوطنين الصهاينة لمساعدتهم ضد ملاك الارض العرب الغائبين . ما لم يره - كما لم ير ماركس قبل ذلك بمائة عام عندما كتب عن البريطانيين في الهند - ان هناك حقا قوما جرى انتهاكهم حتى من قبل « حضارة تقنية ودينامية » ، حينما قامت بغزوات استعمارية ضد « الجماهير البائسة » . وبالإضافة الى هذا ، ومن وجهة نظر لاهوتي مسيحي شهير ، كان يمكن للمرء ان يتوقع (وفي السنوات اللاحقة ان يتوقع بلا جدوى) قدرا من التقدير لحقيقة انه ازاء كل مهاجر يهودي يأتي الى فلسطين من المرجح ان يكون هناك عربي او اكثر مطرودا ، وبالتالي

تكون حقوق الانسان منتهكة . واخيرا ، لقد كنا نتوقع من نيبور ان يبذل بعض الجهد ليستمع الى « الجماهير البائسة » والى رغباتها ، او – على الاقل – ان يفترض ان بين رغباتهم – التي يمكن ان تكون طبيعية بدرجة او بأخرى – رغبة في الا يطردوا او « يستفيدوا » بهذه الدرجة من العنف من حضارة متفوقة .

لو ان نيبور كان يتحدث عن الوضع في جنوب افريقيا ، او عن امريكا الجنوبية، لما كان من الممكن ان تغتفر مثل هذه الغطرسات والمعاني الضمنية العنصرية ، وهو وضع كان يمكن تقديره اكثر حينما ندرك – كما ذكرت آنفا – ان نيبور يعتقد انه يعبر عن وجهة نظر متقدمة او تقدمية ليبرالية . ونتساءل حسنا اذن هل من الممكن ان نيبور لم يكن يعرف ما كان يحدث في فلسطين ، او (وهذا ما اعتقده) انه كان يظن حقا ان الصهيونية متفوقة ثقافيا على « الانحلال » العربي ؟ وهذا ما ينقلني الى المثل الثاني ، الذي سيصور المدى الذي يؤدي به تأييد الصهيونية – في ظل جوانبها الايجابية والموجبة – ليس فقط الى قبول متذمر لبعض الواقع العربي في فلسطين ، بل ايضا الى شعور موجب وايجابي بان الصهيونية فعلت خيرا بتدمير فلسطين العربية . لقد كان ادموند ويلسون – الذي لا يقل مكانة عن نيبور كمتحدث وكشخصية ثقافية ذات مكانة – كاثوليكي ناقد المعيا مرموقا للادب والمجتمع والتاريخ والاخلاق . وقد قدم – بصورة تفوق ما فعله نيبور – صورة عاشت معه سنوات طويلة – للتمييز بين تلك العناصر من الثقافة الغربية (والعالمية) التي كانت (والعبارة متهافنة بعض الشيء ، ولكني استخدمها مخلصا) مدعمة للحياة ، وتلك التي كانت معطلة للحياة . وأيا ما كان ويلسون فانه لم يرتبط ابدا بالدولة ، ولا بأي شيء ينطوي على ادنى درجة من الشوفينية او حتى بأي شيء يتعلق بالمؤسسات . ويعرف عنه هذا كل واحد من قرائه ، ولقد كان اكثر رجال الادب الذين انتجتهم هذه البلاد حفا من القراء . كان ويلسون معنيا بشكل خاص باليهود والعبودية والعهد القديم . وعندما بلغ الستين من عمره كتب في مقال عن اليهود ان « ثقافة اي شعب اخر (غير الانجليز ، وبعدهم المتطهرين الاميركيين) لا تبدو متناثرة الى هذا الحد العميق بهذه (العبارات والرؤى من التوراة اليهودية) » (قطعة من عقلي ، ص ٨٥) ، ودراسة للغة العبرية ، وكذلك كتابه عن « مخطوطات البحر الميت » تشهد على التأثير الخاص لليهود واليهودية عليه . ولن يجد المرء مشكلة مع موقف كهذا بطبيعة الحال ، الا عندما يتعلق الامر باسرائيل .

يشتمل كتاب ويلسون اسود ، احمر ، اشقر ، وزيتوني على قسم طويل غير مترابط يتعلق بزيارة ويلسون لاسرائيل . والقطعة قصصية وتأخذ شكل يوميات كانتقاد عشوائي كمنادج من انطباعاته في اسرائيل . معظمها منبثق عن قراءته للادب العبري وعن اهتمامه بالديانة اليهودية . وهو في احدى النقاط يعلق على الارهاب الذي بواسطته جاءت الدولة الى حيز الوجود ، وكيف انه يمكن ان يكون

هناك شيء يستحق اللوم في الامر كله . وهو يرى ان الارهاب « كان نتيجة ، للاضطهادات النازية وسياسة البريطانيين » ، ولكنه يضيف - غير موافق - انه في اسرائيل « استقرت عادة الارهاب » ، واستقر معها « عنصر تعصب اخلاقي » . ومع ذلك فان ويلسون يتتبع الامر بعيدا بما فيه الكفاية ليلاحظ ان « الاسرائيليين في علاقتهم بالعرب ، اظهروا دلائل معينة على العودة الى انعدام التسامح اللفظ الذي يميز الاسرائيليين في علاقتهم بالشعب الذي طرده » . وفيما يتعلق بحقيقة الطرد يبدو ويلسون غير متخذ موقفا محددًا ، فيما عدا انه - كما في التوراة - قد حدث . وقد يوحي هذا بدرجة من الحياد التاريخي من جانبه ازاء حدوث عمليات الطرد هنا وهناك من العالم ، وان كنا لا نستطيع الا ان نتذكر ان ويلسون - وهو يكتب - في مكان يحدث فيه بالفعل طرد وعدم تسامح . ونذكر انه لا يتحدث عن التوراة حينما يكتب - بعد جملة او بعض ذلك - الوصف التالي :

« هكذا فان وضع العرب في اسرائيل - وخاصة كما يراهم المرء في الريف - هو اقرب الى « النافاهو » (السكان الاصليين) في جنوب غرب اميركا : شعب كان في وقت من الاوقات جامحا ولكن اناسه حسنا المنظر ، الا انهم شعب متخلف الى حد يثير الشفقة ، مقطوع الصلة بالمجموع الرئيسي ، ولكن يمثل مشكلة متجددة . في بلدة عربية كبيرة - مثل عكا - تثير قدارة الشوارع المزدحمة في الاسرائيلي شعور الاشمئزاز نفسه الذي تثيره في الغربي الزائر . وبالنسبة لليهود الذي يأخذ العلاقات الاسرية مأخذ الجدية التامة ، والذي عمل بكل عناية في اسرائيل لرعاية اليتمى من بولندا والمانيا واطفال اليمانيين الاميين ، فان مشهد طوابير الصغار المتسخين غير المهذبين ، المرضى ، يتصايحون ويصرخون ويتسولون في الشوارع الضيقة القذرة ، يثير حتى الذعر الاخلاقي . فاذا كانت القيود المفروضة على الزواج في القانون التوراتي القديم تعد صارمة للغاية ، فان سهولة الطلاق عند العرب التي - الى جانب عاداتهم البدوية - تشجع الاب في اسرة ما على ان يترك ابناؤه وينتقل ليتزوج امرأة في مكان آخر ، لا بد ان تعد شرا اسوأ بكثير . والمسألة ليست شعورا بالاحتقار للعرب ينشأ بصورة غير طبيعية لدى اي شخص يتلقى تعليمه في الغرب كما انها ليست في درجة من القسوة تمارسها اسرائيل لا تتناسب مع العناد الغبي الذي يتميز به معظم اللاجئيين العرب في الاردن ، الذين رفضوا عروض وكالة غوث وتشغيل اللاجئيين (الاونروا) لاسكانهم في اماكن اخرى ، ويواصلون الاصرار على العودة الى قراهم ومزارعهم في اسرائيل . انا معني هنا فقط باظهار تأثير تيار يهودي معين في اسرائيل نحو المنعيا * - وسأتعرض فيما بعد بالحديث

* وتسمى ايضا الصدية Exclusiveness والمقصود بها الانغلاق داخل جماعة معينة

« المترجم »

ومنع اي افراد من أية جماعات اخرى .

عن هذه النقطة ، وهي العناصر المانحة للحياة في التراث اليهودي - كتأثير مقيد ، وفي بعض الاحيان مدمر » .

فيما يتعلق بالعرب الذين يفهم ويلسون هنا فان المنعية اليهودية لا تبدو شرا في كثير من جوانبها . فالعرب ، في الصورة السريعة التي يقدمها عنهم ، يظهرون باعتبارهم مثبرين للاشمئزاز ومعدومي الجاذبية تماما ، ويبدو سبب فقرهم اقل اهمية مما يبدو ، على الرغم من ان الحقائق عن العرب في اسرائيل لم تكن عسيرة المنال بالنسبة لويلسون ، اما عن ملاحظاته حول العربي واحساسه بالاسرة ، فهذه لا يمكن فهمها على النحو الذي يمكن ان يفهم المرء به ملاحظات عن « الشرقيين » الذين لا يملكون النظرة نفسها التي نملكها « نحن » ازاء الحياة الانسانية . وبعبارة اخرى فان العرب لا يعنون باطفالهم ، لا يشعرون نحوهم بحب او غضب ، انهم مجرد حيوانات سريعة النمو . يمتد « القدر المعين من الاحتقار » الذي يستشعر تجاه العرب الى رؤية الفلسطيني العربي « غيبا » في عناده بشأن اسكانه في غير مكانه ، ولكن الخداع المثير للجنون في استخدام ويلسون لكلمة « المنعية » في الحديث عن معاملة الصهاينة للعرب الذين لم يغادروا (فلسطين) في العام ١٩٤٨ . فخلال الوقت الذي كان هو فيه في اسرائيل ، كانت القوانين المطبقة على العرب (وهي قوانين لم تستخدم ابدا ضد اليهود) هي قوانين الطوارئ الدفاعية ، التي صممت ونفذت اصلا في فلسطين من قبل البريطانيين لتطبق على اليهود والعرب . وكانت هذه القوانين عنصرية بصورة سافرة . وعندما ابقت اسرائيل عليها بعد العام ١٩٤٨ لاستخدامها في السيطرة على الاقلية العربية ، فانها حرمت العرب من حق الحركة ، وحق شراء الاراضي ، وحق الاستيطان ، وما الى ذلك . وكان اليهود ايام الانتداب ينددون بهذه القوانين بانتظام باعتبارها استعمارية وعنصرية . ومع ذلك فانه بمجرد ان اصبحت اسرائيل دولة استخدمت هذه القوانين نفسها ضد العرب . ولا يجد ويلسون ما يقوله في هذا الشأن . ومرة اخرى فانه ليس من عذر لهذا الاغفال طالما انه - كما يستطيع المرء ان يؤكد بسهولة من كتاب صبري جريس « العرب في اسرائيل » - كان هناك الكثير من الكتابات الصهيونية فيما قبل ١٩٤٨ ضد اساءة استخدام القوانين الاستعمارية السابقة وهي تطبق من جانب الاسرائيليين لقمع العرب واستغلالهم .

وفوق كل ما هو صريح في كتابات ويلسون هناك التنويجات الضمنية (فيما يبدو) التي يمكن لاي شخص - خاصة اذا كان ليبراليا متنورا ذا نزعة انسانية ، وقادرا على الكتابة ويتمتع برأي ثاقب - ان يمارسها بشأن الوضع في الشرق الاوسط ، وهذا امر مهم للغاية ، فيما اعتقد . ذلك انه اذا النظر يتجه خلال القرن التاسع عشر نحو المستشرق الدارس الخبير بحثا عن معرفة عن الشرق ، فان الوضع تغير جذريا في القرن العشرين . فالغربي يتجه الان - اولا - الى

الصهيوني بحثا عن الدليل وعن المعرفة حول الشرق (والشرقيين) . وما يراه ويلسون - وفي هذا الصدد ما يراه الغربي بوجه عام - في الشرق الاوسط يراه من منظور صهيوني . فاسرائيل هي المعيار ، والاسرائيليون هم الحضور ، وآراؤهم ومؤسساتهم هي الآراء والمؤسسات الوطنية على الاصالة : اما العرب فهم بغيضون ، والفلسطينيون واقع شبه خرافي (وتذهب الحجة الى انهم في الاساس واقع دعائي) وهكذا . وتنسى الاصول الاسرائيلية : انها ببساطة ديمقراطية غربية تهاجم الان بلا مبرر تماما من جانب العرب المعادين للسامية ، وفي الحقيقة فان قلب الاوضاع كامل هنا . وهذا هو النجاح الاكبر لما اشترت اليه انفا على انه الممارسة الصهيونية لعملية نشر « الحقيقة » . وبعبارة اخرى فان ملاحظات ويلسون عن العرب ليست مفتقرة الى الدقة ، انما هي دقيقة جدا كتسجيل حرفي - بدرجة او بأخرى - لما يعتقد الاسرائيليون (كمتعمريين - غربيين يعيشون في منطقة متخلفة) عن العرب ، وعن عاداتهم « البدوية » ، وما الى ذلك . ولكن التجاهل الكامل هو ان المرء ينسى ان العلاقة بين الاسرائيليين العرب ليست حقيقة من حقائق الطبيعة ، وانما هي نتيجة عملية نوعية محددة من التشريد والطرده ، والعزل العنصري الاستعماري القائم على الامر الواقع . وبالإضافة الى هذا يميل المرء الى نسيان ان الصهاينة كانوا قادمين الى فلسطين من اوربا .

وجهة نظري هي ان كتابات مثل كتابات ويلسون يمكن ان تؤخذ على انها الرمز الكامل لواقع سياسي فيما اسميه المسار المشترك للديمقراطية الليبرالية الاميركية المتنورة . انه الاندماج المهيمن التام بين النظرة الليبرالية الغربية في الامور والنظرة الصهيونية - الاسرائيلية . وانني استخدم كلمة الهيمنة (بكل اصدائها لدى غرامشي) ★ عن قصد . ذلك ان غرامشي - وهو يوضح احد معاني الهيمنة عزا اليها فكرة القبول . وبعبارة اخرى فان هناك هيمنة ليس فقط بمحض السيطرة ، وانما بالقبول ، بالاذعان . وكما يبين مثلا نيبور ويلسون ، كان في منتصف القرن العشرين توحيد مقصود بين المنحى الليبرالي الغربي - والصهيونية . واسباب هذا كثيرة (وربما هناك حتى تبرير مقبول له) ولكن المعنى الحسي لعلاقة الهيمنة هذه كان مدمرا بالنسبة للفلسطيني العربي . وهنا فان الكلام لا يحتمل معنيين ، ان التوحيد بين الصهيونية والليبرالية في الغرب كان يعني انه ما دام العربي قد طرد وشرد من فلسطين ، فانه قد أصبح نكرة لان الصهيوني نفسه أصبح الشخص الوحيد في فلسطين ، بقدر ما لان

★ انطونيو غرامشي A. Gramsci مفكر ايطالي اشتراكي بارز من مؤسسي الحزب الشيوعي الايطالي الاوائل . « المترجم »

الشخصية العربية السلبية (الشرقية ، المنحلة ، الناقصة) قد تكثفت . لقد رأى الغرب في الصهيونية انتصار العقل والمثالية ، ورأت الصهيونية (لان هذا ما ترغب الليبرالية اساسا في أن تراه) في الليبرالية نفسها كما ارادت نفسها ان تكون . وفي كلتا الحالتين لم يزح العربي الا باعتباره اضطرابا وسلبا و «قيما» سيئة . وهذا بالتأكيد مثل فريد تماما على ايدولوجية تبطل الاقتصاد البسيط . ذلك ان اسرائيل - حتى هذا اليوم - تشكل كارثة على أساس اقتصادي بحت (واخذا في الاعتبار الحجم الهائل من المساعدة التي تعطى لاسرائيل والصهيونية) : ومع ذلك فان انتصارها في زيادة العقل يبرر المزيد والمزيد من المساعدة ، والمزيد من التأكيد ، مع ان الاساس الذي يقوم عليه هذا التأكيد يتقلص تدريجيا .

يرجع تاريخ كتابات نيبور وويلسون الى الاربعينات والخمسينات على التوالي : وفي العقد الذي تلا حرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧ توسعت حدود اسرائيل توسعا هائلا ، ونتيجة لهذا تجمع عدد ضخم يقارب ١٢ مليوناً من السكان العرب . ولا يستطيع احد - والاسرائيليون بصفة خاصة - ان يتفادى مشكلة هذا الواقع الفلسطيني الجديد . لم تعد كلمة « عربي » تستخدم لموصف كل من ليس يهوديا . كان هناك العرب « القدامى » في اسرائيل ، وعرب الضفة الغربية وغزة الجدد ، والمقاتلون الاشداء من اجل التحرير (منظمة التحرير فيما بعد) والجماعات المختلفة المتناثرة في لبنان والاردن وسوريا والخليج . ولعشر سنوات حتى الان تحتل اسرائيل عسكريا الاراضي والشعب فعليا . وصحيح ان الضفة الغربية تنعت باسم « اليهودية والسامرة » ، ولكنه لن يكون من اليسير هكذا حل الشعب هناك ، او على الاقل فان هذا لم يحدث بعد . ولهذا فان العقبة الجديدة أمام الليبرالية - الصهيونية هي مشكلة الاحتلال . تدعي اسرائيل ان الاحتلال العسكري يعني في الحقيقة « العيش معا » ، وهو مفهوم يناسب بما فيه الكفاية صحيفة « نيويورك تايمز » حتى تعلن موافقتها الكلية عليه . ففي افتتاحية ظهرت في شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٦ نددت « قاييمز » بمنظمة التحرير الفلسطينية متهمة اياها بكل مقيت ، مرددة في ذلك الموقف الرسمي الاسرائيلي - واعلنت ان الاحتلال العسكري للضفة الغربية وغزة هو « النموذج لكل تعاون في المستقبل » بين العرب واليهود فيما كان يعرف سابقا بفلسطين . ومثل هذا التصريح لا يمكن ان يصدر في اي سياق اخر « فقد اخذ احتلال عسكري على انه يمثل علاقات طيبة بين الناس ، على انه مخطط يمكن ان يبني عليه مستقبل مشترك .

فهل كان هذا كل شيء ؟ ان ما يتعين علينا الان ان نراه هو موضوع يتصل بمسألة التمثيل ، وهو موضوع قريب دائما من قلب مسألة فلسطين . لقد قلت انفا ان الصهيونية تأخذ على عاتقها باستمرار التحدث باسم فلسطين

والفلسطينيين • ويعني هذا باستمرار عملية اعاقة ، بحيث لا يتمكن الفلسطيني من اسماع صوته (او تمثيل نفسه) بصورة مباشرة على المسرح الدولي • تماما كما كان المستشرق الخبير يعتقد انه هو وحده الذي يمكنه ان يتحدث (على نحو اجري كما لسنا) عن المجتمعات المحلية والبدائية التي درسها - ان حضوره يشير الى غيائهم - كذلك فان الصهاينة يتحدثون الى العالم نيابة عن الفلسطينيين • ولكن هذا لم يكن في كل مكان وفي كل وقت ، وهو ما عرفته كل حركة ثورية منذ الحرب العالمية الثانية بوصفه امرا في صالحها • ففي عصر الاتصال الجماهيري - والفوري في بعض الاحيان - يمكن لعمليات الفدائيين المثيرة ان « تتحدث » مباشرة ، ويمكنها ان تمثل مباشرة وجودا توضع امامه العوائق دون ذلك • يتسرب هذا الوجود المقموع عندما يتم انكاره ، وهو ما كان عليه حال معظم الاسرائيليين • وقد تبين - في التحليل النهائي - ان هذا الانكار المتأخر للفلسطينيين - هو اكبر خطأ (ولكنه خطأ محتوم) ارتكبه الصهيونية منذ نشأتها : وهذا امر سأناقشه في الفصل الاخير • وهنا ينبغي ان نفضل بعض الامثلة الاخيرة على الاتحاد الصهيوني - الليبرالي المهيمن حتى نكمل سلسلة الامثلة التي بدأتها بنيبور وويلسون •

لقد كان صحيحا بشكل عام - فيما أعتقد - ان واحدة من اكثر المؤشرات بعدا عن الخطأ الى مدى القابلية والشرعية السياسية في الولايات المتحدة هو من يتحدث من اجل ماذا • واحد اسباب الشرعية القوية (وان يكن سببا انتقائيا الى حد كبير) التي تتمتع بها جبهة التحرير الوطني (الفيتنامية) في هذا البلد (الولايات المتحدة) هو عدد الشخصيات ذات المكانة العالية والشهرة الواسعة والبارزة التي كانت تتحدث ضد الدور الاميركي في فيتنام • فعندما يندد دكتور سبوك ، وجين فوندا ، ونوام تشومسكي ★ ، والسناطور ماكغوفرن - جميعهم - بالشيء نفسه فانه يمكن اعتبار انهم يصفون مشروعية ما على ضد ما ينددون به • والحال عكس ذلك في حالة اسرائيل ، عندما يعد الحديث بحرارة لاجل اسرائيل ونيابة عنها امرا لا بد منه لأي شخص سواء في الحياة العامة او الثقافية ، يكون مجرد استحالة العثور على مكان للتحدث من اجل الفلسطينيين استحالة هائلة ، حقا ان النقطة التي اريد اثارها هي ان كل تصريح نيابة عن اسرائيل يكثف ويزيد حدة الضغط على الفلسطيني لكي يصمت ويقبل القمع

★ عالم اللغويات الاميركي الشهير الذي كان من ابرز معارضي التدخل الاميركي في جنوب شرقي اسيا ، وقد ابدى منذ سنوات عديدة اهتماما خاصا بالصراع العربي - الاسرائيلي ، وهو ملم باللغتين العربية والعبرية ونشر في العام ١٩٦٩ كتابا عن الصراع العربي الاسرائيلي بعنوان « السلام في الشرق الاوسط - تأملات في العدالة والقومية » •
المرجم »

وهكذا • وهكذا فإنه من المقبول والمشروع ان تكون مؤيدا لاسرائيل و مفاهضا للفلسطينيين • والمبدأ الأكثر فاعلية الذي ينبثق عن هذه الحكمة هو انك ستجد دائما مقالات كتبها اسرائيليون عن اسرائيل في التداول العام ، و نادرا جدا ما ستجد مقالات كتبها عرب عن أنفسهم • وليس هذا مجرد عدم تناسب عددي ضخم (وهو أمر له علاقة كبيرة بالاختلاف في الحجم والنوعية بين الجاليتين العربية واليهودية المقيمتين في هذا البلد) ، وانما هو عدم تناسب كيفي أيضا • وعلى سبيل المثال نشرت مجلة « نيويورك تايمز ماغازين » اثناء حرب العام ١٩٧٣ مقالا بقلم محام اسرائيلي بارز حول طبيعة الشعور في حالة الحرب • وفي الاسبوع التالي كان هناك مقال يفترض أنه مواز لذلك ، ولكنه كان بقلم سفير أميركي سابق لدى سوريا • وعندما يسمع صوت عربي فإنه يتم انتقاؤه على نحو لا يجعل له الا اضعف انطباع ، او - كما قلت - تسمع وجهة نظر ممثل عربي (سواء كان خبيرا غربيا ، او « تصريح » عربي شبه رسمي) • تجري المحافظة على التعادل بين الكم والكيف •

خلال العقد الذي انقضى منذ عام ١٩٦٧ زارت اسرائيل شخصيات شهيرة كثيرة للغاية ، والكتاب بينهم كتبوا انطباعاتهم • وحدث مثل هو سول بيلو ، وغيره كان هناك ستيفن سبندر ، فرانسيس دي بليسي غراي ، ريناتا أدلر ، غاري ويلز • وبعد ١٩٦٧ - وعلى عكس الفترة التي كتب عنها ادمون ويلسون - لم يكن من الممكن تفادي او تجاهل الاراضي المحتلة او العرب فيها • ولهذا فان كل بيان عن زيارة لاسرائيل تتضمن شيئا عن الفلسطينيين • وفي كل حالسة يجري التعرض للعرب من خلال خبير اسرائيلي بالشؤون العربية ، وعادة ما يكون هذا واحدا من الضباط الاستعماريين خبيرا بشؤون الناس ، و احيانا ما يكون شخصية اكااديمية ذات ماض في المخابرات العسكرية • وفي هذا الصدد كان بيلو وسبنسر متماثلين تماما • فقد بدت نزعتها الانسانية الليبرالية ، وقلقهما من الانتهاك « الممكن » للديمقراطية بواسطة احتلال عسكري ، من خلال حديثهما مع خبير قدم اليهما « الواقع » العربي ، وخفف من قلقهما على القيم الانسانية ، وطمأنهما على الديمقراطية الاسرائيلية • اتت هذه النظرة عن الفلسطيني داخل الاراضي المحتلة - بدورها - لتؤيد ما كان عليه الفلسطيني العربي ، وما يريد هو أن يكون ، وكيف يشعر • وهذا يشبه تماما ايفاد مرزف مختص بـ « شؤون السود » لابلاغ مثقف عربي زائر عن حقيقة الاغلبية السوداء في جنوب افريقيا ، وماتريد ان تكون حقا ، وما تشعر به حقا • وبالطبع فان عرضا مشوها كهذا لا يمكن الا ان يرفض باعتباره غير ممكن التصديق • ويستمد كتاب بيلو الى القدس والعودة قوته بالتحديد من هذا الضرب المقبول والمشروع من العرض •

المسألة ليست انعدام الدليل على ما كان يجري حقا داخل اسرائيل • فكل

زائر اسرائيلي قد لاحظ كيف ان الاختلاف الاساسي بين اسرائيلي ، وأميركي مؤيد للصهيونية هو ان الاخير اقل من الاول تفاؤلا وانفتاحا بدرجة كبيرة بشأن اسرائيل و « مشكلتها » العربية . ذلك ان قضية اسرائيل وقضية الصهيونية ، في الولايات المتحدة (وهذا اقل صدقا الان بالنسبة لاوروبا) مقدستان فعلا . وفي وقت حديث لا يبعد عن العام ١٩٧٤ ناقش مؤرخ أميركي بارز - هو فريتز ستيرن - في مجلة «كومنتاري★» تأسيس اسرائيل في العام ١٩٤٨ بنفس روح ، وعلى نفس المستوى من المثالية مثل « مشروع مارشال » . وتراعي قطاعات بأكملها من الجسمين الثقافي والاكاديمي - ناهيك عن كل صناعة الاعلام - طقوسا حول اسرائيل وكل ما يتعلق بها مما لا يمكن مقارنته باية قضية اخرى . في غمضة عين في العام ١٩٧٤ وفي العام ١٩٧٥ وقع كل شخصية بارزة في مجال الاداب ، والحياة العامة ، وفي السياسة بيانات تحتج على « طرد » اسرائيل من « اليونيسكو » - كما وصف انذاك - وعلى استنكار الامم المتحدة للصهيونية كشكل من اشكال العنصرية . ولم يحدث الا عرضا ان قال واحد - باستثناء نوام تشومسكي الذي كان الصوت الوحيد فيما استطيع ان اجزم - اي شيء عما كان وعما لا يزال يحدث للعربي الفلسطيني على يد الصهيونية واسرائيل ، الى حد يجعل الممارسات المختلفة من التمييز ضد « اليهودي الجديد » في اسرائيل غير قابلة للتمييز من اشكال القهر العنصري في الاماكن الاخرى . وبدلا من ذلك شاهد المرء دانييل باتريك موينيهان ★ يهاجم الاوغاد ، ويدافع عن الحمية في الفراغ المعنوي والفكري المحجوز لاسرائيل والصهيونية .

ان سوسولوجية ما يعرف عادة بانه « قضية » او ربما ما ينبغي ان يكونه موضوع ما لكي يصبح قضية ، تنهار انهيارا كاملا في حالة اسرائيل اليوم ، على الاقل حينما كانت اسرائيل موضوع مناقشة عامة . اننا لن نجد ليبراليا يلزم الصمت طبعاً ازاء قضية حقوق الانسان في اي مكان في العالم . ولكن حينما يصل الامر الى مسائل مماثلة في اسرائيل يسود صمت كلي تقريبا . ويقاوم موضوع الحكم العسكري ، واساءاته الملازمة له وانهاكاته لحقوق الانسان في اسرائيل - يقاوم بعناد أية جهود لجعله « قضية » . ونجد هذا الوضع بصورة خاصة في الحالات التي تكون فيها المصادر التي يذكر فيها نقيض اسرائيل القليلون للغاية مصادر اسرائيلية . ومنذ سنوات والعصبة الاسرائيلية للدفاع عن حقوق الانسان تنشر معلومات عن مسائل مثل نسف منازل العرب ، ومصادرة

★ Commentary المجلة الشهرية التي تصدرها « اللجنة اليهودية الاميركية » في

مدينة نيويورك الاميركية . « المترجم »

★ المندوب الاميركي الاسبق في الامم المتحدة . « المترجم »

الاراضي العربية ، ومعاملة العمال العرب ، والتعذيب والاتصال غير القانوني للعرب - وهي في كل الحالات موثقة اساسا بترجمات لمقالات منشورة في جرائد وصحف اسرائيلية . ولكن لا شيء من هذه المواد يرى النور في الولايات المتحدة ، وليس هذا بسبب الحاجة الى ارسالها الى رؤساء التحرير ومعلقى التليفزيون او الى الليبراليين البارزين والمنوهين (عادة) السخ . فهناك - حرفيا - عشرات من الخدمات الاخبارية الاسرائيلية ، والنشرات الاخبارية الليبرالية ، والفصليات الليبرالية التي تغطي بانتظام معاملة الفلسطينيين العرب - داخل اسرائيل ما قبل ١٩٦٧ وداخل الاراضي المحتلة على السواء - ناهيك عن تقارير الامم المتحدة ، والبيانات التي يكتبها مراقبو الحدود ومراقبو الهدنة السابقون التابعون للامم المتحدة ، وتقارير الوكالات الدولية ، مثل منظمة العفو الدولية ، الصليب الاحمر ، وعشرات الدراسات العربية ، والاميركية - العربية ، التي لا يجد ايا منها طريقه الى التوزيع والانتشار على نطاق واسع في الولايات المتحدة . وأحدث هذه التصرفات ، وفي كثير من النواحي اكثرها غرابة ، الخوف المتعمد لتقرير صحيفة « صنداى تايمز » اللندنية « من الداخل » عن التعذيب في اسرائيل (١٩ حزيران - يونيو ١٩٧٧) . لقد كشفت « التايمز » - باستخدام سلسلة جامعة من وسائل التحقيق - ان تعذيب العرب وسيلة منتظمة ، ومنهجية ، وموافق عليها رسميا في اسرائيل ، وان مئات من العرب يعتقلون ويعذبون ، وان الدليل مقنع اقناعا تاما على ان الدولة تتغاضى عن هذه الممارسة كطريقة لاختافة السكان « المحليين » في الارض المحتلة ومراقبتهم واشاعة الذعر بينهم . وباستثناء واحد معروف (هو صحيفة بوسطون جلوب) فان صحيفة اميركية رئيسية واحدة (او جريدة ، او مجلة اسبوعية ، او برنامجا اخباريا تليفزيونيا) لم تنشر التقرير ، ومعظمها لا يكاد يكون قد أتى على ذكره . وقد كتب نيكولاس فون هوفمان - عن هذا التصور الاعلامي الفاضح :

« على اقل تقدير ، يتعين على السلطات الاسرائيلية ان تدرس الدعوى المقامة ضدها (من جانب تقرير صنداى تايمز عن التعذيب الذي تمارسه السلطات) وان تخرج بشيء اكثر اقناعا من البيان الذي اصدرته سفارتها في لندن والذي اكتفى بالقول : « ان الادعاءات من هذا النوع كثيرا ما رددتها مصادر الدعايات العربية في السنوات الاخيرة وثبت انها تفتقر الى اساس في ضوء التحقيقات المفصلة والموثقة » . فان ذكر الاسماء والاعتماد على تحقيقات تجريها اسرائيل لتبرئة نفسها لن يفيد . . . ان السخرية الحادة التي ينطوي عليها استخدام الغاز كوسيلة تعذيب كان لا بد ان يكون شيئا كثيرا للغاية حتى بالنسبة لأولئك الرسميين الاسرائيليين الذين يعتقدون ان معاملة الكائنات البشرية على هذا النحو يعزز قضية الديمقراطية . »

ان معظم الاميركيين لن يعرفوا شيئاً عن هذا • وحتى الان فان صحيفة واحدة فقط (هي بوسطن جلوب) قد رأت من الملائم ان تنشر التقرير • وليست اللامبالاة راجعة الى الشك في مستوى الصحيفة • فان فريق التحقيق الداخلي في صحيفة صنداي تايمز الذي كتب الموضوع يحظى بالاحترام الشامل في هذا المضمار •

وربما يمكن ايضاح الانتصار الى الاهتمام في هذه المناسبة باقتصار « نيويورك تايمز » على تغطية تحقيق التعذيب بمقال من ٨٦ كلمة - اذا امكن ان نسمي قطعة في هذا الحجم الصغير مقالا - ظهر على صفحة ١٣ • والى حد ما فان كل الانباء في اميركا هو ما تسميه « نيويورك تايمز » ، ويصدق هذا اكثر ما يصدق على الانباء الخارجية ••• ان قليلين جدا من المحررين الصحفيين او الاذاعيين يقدرون على تكوين احكام مستقلة على الانباء • انهم يفتقرون ببساطة الى الشخصية والمستوى اللذين يجعلان لهما رأيا خاصا بهم ، ويفضلون السلامة بترك اكبر صحف الامة مكانة تصنع لهم قراراتهم نيابة عنهم •

وهذا امر سهل بشكل خاص مع موضوع مثل اسرائيل حيث يرجح ان يؤدي نشر اي شيء معاكس الى الحاق اساءة صاخبة بالمحرر من جانب اكثر جماعات « اللوبي » تنظيما • ومع ذلك فان هذا الاسلوب لا يصلح في الخارج حيث الاجهزة الاعلامية تعطي الجماهير في الديمقراطيات الاخرى بيانات أقل تحيزا بكثير •

في الحالة التي يجد فيها تقرير او عمود عارض ، مثل ذلك الذي كتبه فون هوفمان ، طريق الى النشر او الى قليل من الانتباه ، فان ندرته وعزلته - الناشئة عن انعدام السياق او انعدام تقليد بالاهتمام بها - تفرغه من اية فاعلية • فان قوة اجماع الرأي ، قوة التقليد ، قوة التخاطب المتماسك كذلك القائم بين اسرائيل والرأي الليبرالي ، هي في ان مجرد الحضور المؤسساتي يلغى اي دليل على نقيض ذلك ويستبعده بوصفه شيئاً غير مناسب • والاكثر من هذا انه يمكن ان يحول ما يمكن ان يتوقع المرء ان يكون تحديات مدعمة ، التي قأبيد لها • ولناخذ كمثال احدث ما وقع ، انتخاب مناخيم بيغن • لقد عرف بيغن لسنوات وسنوات كارهابي ، وهو لم يبذل اي جهد لاختفاء هذه الحقيقة • وكتابه القمود موجود في اية مكتبة جامعية او مكتبة عامة متوسطة ، كجزء من مجموعة المؤلفات الشائعة عن الشرق الاوسط ، وفي هذا الكتاب يصف بيغن ارهابه - بما في ذلك الذبح الكامل للنساء والاطفال الابرياء - بغزارة صريحة (تثير القشعريرة) • وهو - بعد كل شيء - يعترف بانه مسؤول عن مذبحته نيسان (ابريل) ١٩٤٨ التي ذبح فيها ٢٥٠ امرأة وطفلا في قرية دير ياسين العربية • ومع ذلك فانه بزغ - بعد انتخابه في ايار (مايو) ١٩٧٧ - في الصحافة

وقد نسي اراهيه ، ظهر كرجل دولة ذي أوجه شبه ضمنية مع ديغول . وهنا لا يستطيع المرء ان يقول ان الدليل على بيغن قد اخفي . فقد كان هذا الدليل موجودا ، وهو موجود على السدوم ، امام اي شخص يناقش اسرائيل الحديثة ، وقد ظل يذكر بانتظام (في التمييز - مثلا - بين بيغن وبن غوريون ، أو غولدا مائير - مثلا - اللذين يفترض انهما من الساسة) . ومع ذلك فان اجماع الرأي قوي على ان قادة اسرائيل ديمقراطيون ، غربيون ، لا يقصدون على ممارسة الشرور التي تعزى عادة الى العرب والنازيين (وهو ما يفترض ان اسرائيل قد سلبته بوجودها) ، الى حد أن شخصا تافها ولا يمكن هضمه مثل بيغن قد تحول الى مجرد رجل دولة اسرائيلي اخر . وبالتحديد فان اولئك الليبراليين الذين يكتشفون اسبابا وانتهاكات في كل مكان - شخصيات مثل ريتشارد فولك ورامزي كلارك . اللذين تعهدا في الآونة الاخيرة قضية حقوق الانسان في تونس دون كل الاماكن - لا يجدون شيئا يقولونه عن بيغن ، او عن التعذيب في اسرائيل ، او عن سياسات الضم التي لا تتوقف بالمعنى الحرفي للكلمة من جانب الدولة .

ويصدق مثل هذا على الفلسطينيين كلاجئين . فهناك قدر من النزاع حول الكيفية التي اجبر بها كثير من الفلسطينيين على الخروج من بلدهم ومن أرضهم خلال ١٩٤٨ (وتتراوح الارقام بين ٥ و ٧٠٠ الف : حتى المصادر الاسرائيلية تنازع في الاعداد ولكنها لا تنازع في حدوث النزوح نفسه) ، ومع ذلك فان هناك اتفاقا كليا الان على ان اللاجئيين موجودون . و قهرهن قرابة ثلاثين سنة من الوجود بعيدا عن أرضهم ، وكذلك حرمانهم من حق تقرير المصير (وكلمة تبرهن هنا كلمة مشؤومة حينما يكون معناها الانساني في هذا السياق مفهوما كما هو) على ان قدرا ما من الظلم الحق بهم . ولكن عندما يسأل المرء من وماذا ، عندما يطرح السؤال عن الفاعل ، فاننا لا نرى اسرائيل معفاة من اللوم او المسؤولية فحسب : بل انها تمتدح لانسانيتها . ويقال لنا ان الفلسطينيين كانوا « مقابل » اليهود الذين تركوا البلدان العربية ليأتوا الى اسرائيل ، وانهم غادروا (فلسطين) على الرغم من الحاح « الهاغاناه » عليهم بالآيغادروا . وان اولئك الذين بقوا هم في حال افضل من اخوانهم في البلدان العربية المحيطة ، وان هناك ملجأ وحيدا لليهود ، بينما يوجد عشرون ملجأ للعرب ، ولماذا لا يستطيع العرب ان يفعلوا مثل اليهود ويأخذوا لاجئيتهم ، وان احتلال مزيد من الاراضي الفلسطينية في العام ١٩٦٧ قد أدى الى وجود « ثنائي القومية » بين العرب واليهود ، وان احتلال الضفة الغربية هو تحقيق لنبوءة توراتية ، وان هناك فلسطين ، وان مكانها في شرق الاردن ، وان لاجئين آخرين (من مسلمي الهند ، من نازيي المانيا) قد استوطنوا في أماكن أخرى ، فلمماذا لا يفهم الفلسطينيون هذا ، وان الفلسطينيين ليسوا سوى مخلب قط سياسي (او كرة

قدم) تستخدمه الانظمة العربية ، ولهذا فانهم لا يعودون يشكلون حقا مشكلة بمجرد أن يتم اقناع هذه الانظمة بانها لا تستطيع ان تمضي في هذه المناورات الى ما لا نهاية . كل هذا انما يتحرك فقط حول الموضوع ، الذي يبدو انه تحول الى دليل قوة على اخلاقية الصهيونية ، ومستوياتها ، السلوكية العالمية .

ولكننا نحتاج هنا - كما هو الحال مع الموضوعات الاخرى المطروحة للتساؤل بشأن فلسطين - الى ربط الامور ببعضها ، وان نراها لا كما يتم اخفاؤها (ليس واحد من الادلة التي اذكرها هنا في اي موضع اخر ملغزا ولا غامضا ، معظمه موجود في وثائق يسهل الحصول عليها) ، وانما كما يتم تجاهلها او انكارها . والسياق الملائم لتناول مشكلة اللاجئين جاهز بين ايدينا : هل يريد اللاجئون الفلسطينيون ان يعادوا ، او يعوضوا ، او يستوطنوا في مكان اخر ؟ ثانيا : هل هناك اجماع دولي واخلاقي على اجابات نظرية - وكذلك عملية - على هذه التساؤلات ؟ ثالثا : اية وسيلة توجد في اسرائيل لتحويل يهود اوروبيين واميركيين الى نازحين ، ثم الى مواطنين ، وكيف تمنع هذه الوسيلة اللاجئين العرب الفلسطينيين من الاستفادة هم انفسهم ؟ بطبيعة الحال فان الاجابات على هذه الاسئلة اخلاقية ، ولكنها مثيرة للاهتمام ومهمة بسبب واقعها السياسي : وبعبارة اخرى فهي ليست اسئلة اكايدمية (مجردة) ، وانما هي اسئلة تتعلق مباشرة بحياة ملايين من الناس ، وبدول ، وتعلق بالنظام الدولي .

نقله الى العربية سمير كرم

القرار ٢٤٢ والاعتراف بالكيان الصهيوني

بعد هزيمة الخامس من حزيران (يونيو) تحددت الاستراتيجية العربية بأنها ازالة آثار العدوان . ومع ان بعض الانظمة العربية رفضت هذا المخطط وتدنت الموقف الاصيل السليم للحركة الثورية العربية ، الذي يقضي بازالة مصدر العدوان عبر حرب التحرير الشعبية ، فان هذا الاتجاه هو الذي ساد وارتبط بقرار مجلس الامن ، الرقم ٢٤٢ .

وهذا القرار الذي حظي باهتمام عالمي لا يوصف لم يصدر عن مجلس الامن الا بعد مخاض طويل اتسم بمناورات تزعمتها واشنطن . فبعد اندلاع حرب العام ١٩٦٧ ، طلب الاتحاد السوفياتي ، بالاتفاق مع الدول العربية ، وبعض دول عدم الانحياز ، الى مجلس الامن ان يأمر بوقف اطلاق النار ، ويأمر اسرائيل بالانسحاب من الاراضي العربية التي احتلتها . وفي ٩ و ١٠ حزيران (يونيو) تم وقف اطلاق النار ، فتقدم الاتحاد السوفياتي باقتراح الى مجلس الامن يطلب فيه ان يأمر اسرائيل بالانسحاب الى خطوط الهدنة لعام ١٩٤٩ . ولكن الاقتراح لم ينل الا اربعة اصوات . وعدل السوفييت اقتراحهم فحذفوا عبارة « خطوط الهدنة » منه واكتفوا بالانسحاب . فلم ينل اقتراحهم الجديد الموافقة كذلك .

وعندما يؤسوا من مجلس الامن دعوا الى عقد دورة طارئة للجمعية العامة استنادا الى قرار الاتحاد من اجل السلام . وفي الجمعية كرروا مطلبهم فلم ينل اغلبيية الثلثين المطلوبة . وعندها تقدمت يوغوسلافيا بتعديل للاقتراح السوفياتي ينص على دعوة اسرائيل الى الانسحاب وجواز وضع مضايق تيران تحت اشراف دولي ، فاحقق هذا الاقتراح كذلك ، كما اخفق من بعده كل اقتراح يطالب اسرائيل بالانسحاب .

اصرار اسرائيل على الانسحاب المشروط

فلماذا اصرت اسرائيل ، بالاتفاق مع الولايات المتحدة ، في المجلس ثم في الجمعية ، على تفادي مطالبة اسرائيل بالانسحاب الكامل غير المشروط من الارض التي احتلتها في حرب حزيران (يونيو) ؟ لماذا اصرت على وجوب الاكتفاء بمطالبة الفرقاء بايقاف النار فقط ، دون التعرض لمشكلة احتلال اسرائيل للاراضي العربية ، وذلك في الوقت الذي اصبح فيه الاحتلال والاستيلاء على الارض بالقوة عملا محرما في القانون الدولي المعاصر ؟

ان السبب الحقيقي يكمن في رغبة اسرائيل في تصحيح وضعها في المنطقة والحصول على اعتراف العرب بها . ولهذا فان نتائج حرب ١٩٦٧ اتاحت لها فرصة المناذاة بنظرية جديدة تربط بين الانسحاب وتحقيق السلام مع الدول العربية . وهذه النظرية اصبحت ، فيما بعد ، الفكرة الجوهرية في القرار ٢٤٢ مع انها تتناقض مع المواقف السابقة للامم المتحدة التي سارت في قراراتها ، بصدد المنازعات المسلحة الشبيهة بحرب ١٩٦٧ ، على قاعدة مطالبة الاطراف التي غزت او احتلت اراضي الغير بسحب قواتها الغازية او المحتلة . ففي حرب كوريا ، والعدوان الثلاثي ، وجهت الامم المتحدة الى القوات المعتدية دعوة صريحة طالببتها فيها بالانسحاب الناجز الكامل غير المشروط . أما في حرب حزيران (يونيو) فقد رفضت دعوة اسرائيل الى الانسحاب الكامل واتجهت نحو نظرية الانسحاب المشروط القائم على اساس ربط انتهاء الاحتلال بتحقيق شروط سياسية وعسكرية معينة ، خلافا للمبدأ المقرر في القانون الدولي المعاصر (١) .

وعندما فشلت الجمعية العامة في اتخاذ قرار اعيد الموضوع الى مجلس الامن ، فتوالى الاجتماعات وتعددت مشاريع القرارات ، وتشعبت التيارات والمناورات ، غير ان الهدف بقي واحدا : ربط الانسحاب بتحقيق نوع من السلام بين اسرائيل والدول العربية .

وانتهت المناقشات الحارة في مجلس الامن بالموافقة الاجماعية على المشروع البريطاني الذي اصبح القرار ٢٤٢ . وقد صيغ بشكل محكم دقيق جعل اللورد كارادون ، المندوب البريطاني الذي صاغ المشروع ، يقول : « ان صيغة القرار كالبناء المتوازن ، اذا نزعنا منه حجرة واحدة انهار البناء كله » (٢) . ويبدو ان واضع القرار قد سعى الى جعله وحدة متكاملة ومتوازنة لا تقبل التجزئة ولا تسمح بتطبيق قسم منه وترك الاقسام الاخرى . فالتكامل او التوازن يقضي بان يقوم كل طرف بتنفيذ التزاماته ونيل حقوقه في وقت واحد وبشكل تبادلي . ثم ان صياغة القرار اعتمدت على دبلوماسية الكلمة ، فاخترت الالفاظ

والتعابير المرنة التي تحتمل أكثر من تفسير وتسمح بأكثر من تأويل . ولعل الغرض كان إرضاء جميع الفرقاء دون تمييز .

والقرار ٢٤٢ أحدث تغييرا مهما في الموقف العربي من الواقع الاسرائيلي ، فقبل القرار كانت هناك امور تشغل العرب ، مثل مسألة تحويل روافد نهر الاردن وحرمان اسرائيل من المياه العربية ، ومسألة احكام السيطرة على القناة والمضائق وحرمان اسرائيل من حرية الملاحة في البحر الاحمر ، ومسألة رفض الاعتراف بالكيان الصهيوني الذي قام على الاغتصاب والاستيطان العنصري . وبعد قبول القرار تبخر الاهتمام بهذه الامور وظهر تحول عميق في موقف بعض الانظمة العربية من الوجود الاسرائيلي . لقد بدأت هذه الانظمة تفكر في انتهاء حالة الحرب واقرار السلام مع العدو الذي خرج من الحرب مغرورا بانتصاره الساحق ، وسارع الى طرح شروط انسحابه ، وكان اهمها عقد الصلح مع العرب . وقد عبرت غولدا مائير عن ذلك امام الكنيست عندما قالت : « ما من جندي اسرائيلي سيتترك خطوط وقف اطلاق النار قبل توقيع معاهدة صلح تلزم الجانبين » (٣) .

البحث عن الشرعية

ومما لا شك فيه ان اسرائيل قد بذلت، منذ انتهاء الحرب ، جهودا جبارة في المحافل الدولية ، وخصوصا في الامم المتحدة ، لاقتناع الرأي العام العالمي بصحة موقفها ، اي بوجوب توقيع معاهدة صلح قبل انتهاء صراعها مع العرب . وقد تكلفت مساعيها بالنجاح عندما استطاعت جر مجلس الامن والجمعية العامة، لدى بحث ظروف الحرب ، الى اقرار امرين : الفصل بين مسألة ايقاف اطلاق النار ومسألة الانسحاب ، ثم ربط الانسحاب بمسألة اقرار السلام والاعتراف المتبادل .

ولهذا صدر القرار ٢٤٢ . يؤكد في ديباجته على « الحاجة الى سلام عادل ودائم يسمح لكل دولة في المنطقة بالعيش بأمان » ، ويؤكد في قسمه الاول على الانسحاب و « انتهاء كل ادعاءات الحرب وكل حالات الحرب واحترام سيادة كل دولة في المنطقة ، والاعتراف بسلامة اراضيها ، واستقلالها السياسي ، وحققها في ان تعيش بسلام داخل حدود امنة ومعترف بها ، وبمعزل عن التهديد او اعمال القوة » . وبذلك كانت اسرائيل الجهة الوحيدة المستفيدة من هذا القرار الذي طالبها بالانسحاب من اراض احتلتها (او من الاراضي التي احتلتها ، حسب النص الفرنسي) مقابل انتهاء حالة الحرب واقامة سلم دائم بينها وبين الدول العربية ، واعتراف هذه الدول بها ، واحترام سيادتها واستقلالها وضمنان حدودها من قبل الجميع .

ولو القينا نظرة عجلى على تاريخ الصهيونية لوجدنا ان الهاجس الاكبر لزعمائها كان دوما اضعاف الشرعية الدولية على حركتهم ثم على دولتهم . ففي مؤتمر بال لعام ١٨٩٧ ، رسموا لحركتهم اهدافا ثلاثة كان ابرزها : كسب تأييد الدول الكبرى لانشاء دولة يهودية . وعندما بلغهم خبر ابرام اتفاقية سايكس - بيكو التي تقضي بوضع فلسطين تحت النفوذ البريطاني ، سارعوا الى انتزاع وعد بلفور من بريطانيا ، ثم سعوا الى ادخاله في صلب صك الانتداب الصادر عن عصبة الامم ، مما ادى الى ظهور اول اعتراف دولي بحق اليهود في انشاء وطن قومي لهم في فلسطين . وبصدور قرار التقسيم ، في العام ١٩٤٧ ، عن منظمة الامم المتحدة ، حققت الصهيونية انتصارا اخر في مضمار الاعتراف ، فحصلت هذه المرة على اعتراف دولي بحق اليهود في انشاء دولة فوق جزء من اقليم فلسطين . وعندما انضمت اسرائيل الى عضوية الامم المتحدة تمكنت الصهيونية من تحصين دولتها بضمانات دولية كفيلة بحماية حقها في الوجود .

ولكن اسرائيل ، على الرغم من كل الاعترافات الخارجية والضمانات الدولية كانت تشعر بالفراغ والعزلة بسبب اصرار الدول العربية على عدم الاعتراف بوجودها . وغدت مسألة الاعتراف العربي بها امرا يؤرقها . وكان الموقف العربي ، حتى قبول بعض الانظمة العربية بالقرار ٢٤٢ ، واضحا يقوم على اساس عدم الاعتراف لليهود بأي حق في اقامة كيان سياسي لهم في فلسطين . واذا كان بعض المسؤولين العرب يتحدثون احيانا عن اسرائيل كأمر واقع لا يسعهم تجاهله ، فان موقفهم الرسمي كان واحدا لا يتغير : الرفض القاطع .

ثلاث محاولات لاقتناص الاعتراف .

وحاولت اسرائيل اقتناص كل سانحة لفرض الاعتراف على العرب ، او لايهامهم بان اعترافهم بها قد تم فعلا او ضمنا ولم يعد بوسعهم المكابرة او التنصل ، فلم توفق في مسعاها . ويمكننا ان نشير الى ثلاث محاولات مختلفة في هذا الصدد :

المحاولة الاولى جرت بعد توقيع اتفاقيات الهدنة في العام ١٩٤٩ ، فقد ادعت اسرائيل ان الهدنة انتهت حالة الحرب وان مجرد التوقيع على اتفاقية الهدنة قد تضمن اعترافا بوجودها . والمؤسف ان بعض الفقهاء الدوليين المناصرين لاسرائيل قد تبنوا هذا الاتجاه وراحوا يشككون في الاثر القانوني لهذه الهدنة مؤكدين على ان الهدنة قد انتهت فعلا حالة الحرب بين الطرفين المتنازعين ، وعلى ان اثرها لا يتوقف على مجرد وقف القتال . لقد وجد الاستاذ كنسي رايت Quincy Wright مثلا ، ان « ادعاء الدول العربية بان

حالة الحرب بينها وبين اسرائيل ما زالت قائمة منذ العام ١٩٤٩ ، وان من حقها بالتالي التمسك بحقوق المحاربين ، بما في ذلك اغلاق قناة السويس ، هو بكل تأكيد مخالف لالتزامات هذه الدول طبقا لميثاق الامم المتحدة » . ورأى ان الميثاق الاممي قد وضع قيودا على استعمال القوة او التهديد بها في العلاقات الدولية ، فأقر بذلك عدم مشروعية حالة الحرب . واستند الى نص الفقرتين الثالثة والرابعة من المادة الثانية من الميثاق (وجوب فض المنازعات الدولية بالوسائل السلمية ، ووجوب امتناع الدول الاعضاء عن التهديد باستعمال القوة او عن استعمالها ضد سلامة الاراضي او الاستقلال السياسي لاية دولة) ليؤكد على ان حالة الحرب قد الغيت من القانون الدولي المعاصر ، وان الدول العربية ، بصفتها اعضاء في الامم المتحدة ، لا يمكنها ان تكون في حالة حرب مع اسرائيل ، وان من حق اسرائيل ان تطالب الدول العربية بالكف عن التمسك بصفة المحارب ضدها ، لان هذا الامر لم يعد له وجود بعد قيام الامم المتحدة .

وكشف بعض الباحثين العرب عن مغالطة الاستاذ (رايت) في عرضه لقواعد القانون الدولي المعاصر ، وبينوا ان الميثاق الاممي لم يلغ الا الحرب العدوانية، اما الدولة العضو في المنظمة العالمية ، التي تقع ضحية عدوان تعجز المنظمة عن ازالته ، فانها تكون دون ادنى شك في حالة حرب مع الدولة المعتدية . وهذا هو الوضع القائم بين العرب واسرائيل (٤) .

ثم ان الهدنة ، حسب الرأي السائد والمعتمد في القانون الدولي العام ، توقف الاعمال الحربية دون ان تضع حدا لحالة الحرب . ان حالة الحرب تبقى قائمة بعد توقيع اتفاق الهدنة . ويحق للدولة المحاربة الموقعة لاتفاق الهدنة استئناف القتال دون حاجة الى اعلان الحرب . ان اتفاق الهدنة يقتصر على وقف القتال فقط ، اما انتهاء حالة الحرب فيتوقف ، من الناحية القانونية على توقيع معاهدة صلح نهائي (٥) .

اما الاجتهاد القانوني العربي فقد اتيح له ان يبدي رأيه في الموضوع ويرفض اعتبار التوقيع على اتفاقيات الهدنة لعام ١٩٤٩ بمثابة اعتراف بدولة اسرائيل او اعتراف بحكومتها . لقد شبه هذا الواقع بحالة الاعتراف بالمحاربين . وهذا ما ذهب اليه محكمة الغنائم في الاسكندرية في حكمها الصادر في ٤-١١-١٩٥٠ .

والمحاولة الثانية جرت بعد انضمام اسرائيل الى عضوية الامم المتحدة في العام ١٩٤٩ ، فقد زعم بعض رجال القانون فيها ان الانتساب الى منظمة دولية واحدة يستتبع ، حكما ، اعتراف كل عضو فيها ببقية الاعضاء الاخرين . وبما ان عضوية الامم المتحدة تجمع بين الدول العربية واسرائيل ، فان اعتراف هذه الدول باسرائيل اصبح امرا لا يقبل الجدل .

غير ان الفقه والاجتهاد الدوليين قد رفضا هذا الاستنتاج واكدوا على ان قبول دولة جديدة في المنظمة العالمية لا يؤدي ، حكما وآليا ، الى اعتراف جماعي بها الا في حالة واحدة : اذا تم القبول باجماع الدول الاعضاء . اما اذا تم بقرار من الاغلبية فان الدول المعارضة لا تلزم باي اعتراف بالعضو الجديد . وقد كرس الامانة العامة للامم المتحدة هذا الاتجاه بمذكرتها الصادرة في ١٩٥٠-٥٨ .

والمحاولة الثالثة جرت بعد اضطراب الدول العربية ، بحكم عضويتها في الامم المتحدة ، الى الاشتراك مع اسرائيل في مؤتمرات دولية ، او الى توقيع معاهدات جماعية الى جانب اسرائيل ، فقد فسرت اسرائيل وانصارها هذا الواقع بأنه اعتراف ضمني بالدولة الصهيونية .

غير ان الدول العربية كانت دائما تحتاط للامر وتسجل تحفظها ، فعندما شاركت في اتفاقية فيينا لعام ١٩٦١ حول العلاقات الدبلوماسية سجلت تحفظا اعلنت فيه ان انضمامها الى هذه الاتفاقية ، جنبا الى جنب مع اسرائيل ، لا يمكن ان يفسر ، باي حال من الاحوال ، بأنه اعتراف باسرائيل . وفي مؤتمر جنيف لعام ١٩٥٨ حول قانون البحار سجلت المملكة السعودية تحفظا صريحا عبر عن رفضها لكل النتائج التي قد تترتب على اشتراك اسرائيل في المؤتمر .

التمهيد للاعتراف بعد العام ١٩٦٧

وبعد اخفاق هذه المحاولات « السلمية » خيل الى اسرائيل ان الوسائل « الحربية » هي وحدها الناجعة وان العرب لن يرضخوا فيعترفوا الا بعد دحرهم عسكريا ، فشنت على الدول العربية المتاخمة لفلسطين حروبا وانزلت بها هزائم وانتظرت بلهفة لحظة الانهيار والاعتراف . وذكر موشيه ديان ، بعد انتصاره في حزيران (يونيو) ، انه لازم مكتبه على يتلقى مكالمات هاتفية من القاهرة تدعوه الى توقيع معاهدة صلح تكرر الاعتراف بوجود اسرائيل . ولكن إنتظاره طال لان الجماهير العربية اعتبرت انها خسرت معركة دون ان تخسر الحرب ، وان تصحيح المسيرة الثورية في المستقبل كفيلا بقلب موازين القوى لصالحها . وقد تجلى تصميمها على الصمود ورفض نتائج الهزيمة برفعها شعار اللاءات الثلاث في مؤتمر الخرطوم ثم في مؤتمرات القمة العربية والمهرجانات الشعبية .

وحيثما رفع الامر الى الامم المتحدة لاصدار قرار يتضمن الخطوط الرئيسية لتسوية شاملة لقضية الصراع العربي الصهيوني ، تدخلت اسرائيل ، كما رأينا ، واشترطت الموافقة على انتهاء حالة العداء معها والاعتراف بها مقابل انسحابها من بعض الاراضي المحتلة . وظنت آنذاك ان الظروف مؤاتية : فالعرب

في حالة انهيار ، والامم المتحدة مجمعة على وجوب انتهاء الصراع ، والكبار متفقون على ضمان وجودها وتنفيذ الحل الذي يطرحه قرار مجلس الامن ، الرقم ٢٤٢ .

وعلى الرغم من صدور هذا القرار بقي موقف الانظمة العربية وموقف الجماهير العربية من مسألة الاعتراف متشابهين . ولكن التباين او الافتراق بينهما بدأ يظهر مع قبول بعض الانظمة بالقرار . فهذا القبول يعتبر منعطفاً او مفترقا ، لان الخلاف بين العرب والصهيونيين لم يعد ينحصر في الاعتراف او عدم الاعتراف بوجود جسم دخيل في الارض العربية ، بل اصبح يدور حول الرقعة الجغرافية التي ينبغي لاسرائيل ان تحتلها ، او حول مدى الانسحاب الذي يجب ان تنفذه ، فان انسحبت من كل الاراضي التي احتلتها في العام ١٩٦٧ تحقق السلام العادل والدائم وعشنا مع اسرائيل ، كما تمنى السادات في خطابه في الكنيست ، في « أمن وسلام ، فعلا وحقا » .

وبعد الموافقة الرسمية على القرار بدأ التمهيد لفكرة الاعتراف القانوني باسرائيل . وقد ارتدى ذلك اشكالا مختلفة : الاعتماد على وسائل الاعلام الرسمية وابواق السلطة لاقتناع الجماهير بصحة الموقف الجديد ، وطرح شعارات طنانة قادرة على خداع الكثيرين (مثل : الانسحاب الكلي من الاراضي العربية المحتلة ، وعدم التفريط بشبر واحد من الارض العربية ، وضمان الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، والمطالبة بتطبيق قرارات الامم المتحدة) ، وتكرار العبارات التي تستهوي الجماهير بعد افراغها من مضمونها (مثل : ما اخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة ، وصراعنا مع الصهيونية مهمة اجيال ، والقدس عربية ولن نتخلى عنها ، والسعي الى انشاء دولة للفلسطينيين) .

وحيثما بدأت معركة الاستنزاف في آذار (مارس) ١٩٦٩ ، وكادت اركان القرار ٢٤٢ ، المنطوي على حلم الاعتراف ، تتداعى ، سارعت واشنطن الى انقاذ الموقف بطرح مشروع روجرز ، واعداد مجزرة ايلول (سبتمبر) . وفي هذه الاثناء بدأت ، لأول مرة في تاريخ الصراع العربي الصهيوني ، تطلق تصريحات لا لبس فيها حول نية الاعتراف باسرائيل .

تصريحات رسمية حول الاعتراف

ففي آب (اغسطس) ١٩٧٠ ، تحدث الدكتور بطرس غالي (رئيس تحرير مجلة السياسة الدولية) عن مشروع روجرز فاعتبره امتداداً للقرار ٢٤٢ ، وقال : « لقد سبق وان اعترفنا باسرائيل كأمر واقع عندما تم قبولها في الامم المتحدة » (٦) . وفي شباط (فبراير) ١٩٧١ ، تقدم الرئيس السادات بمشروع انسحاب جزئي للقوات الاسرائيلية من القناة ، واعلن لجلة (نيوزويك) عن

استعداده لعقد صلح مع اسرائيل (٧) . وصرح مندوب مصر الدائم في الامم المتحدة بان « مصر تقترح الاعتراف باسرائيل كدولة يهودية ذات سيادة بشرط ان تحدد اسرائيل الهجرة اليها » (٨) ، كأن الهجرة هي العنصر الاساسي في صراعنا مع الصهيونية . وبعد ايام اذاعت وكالات الانباء الرد المصري على مقترحات الدكتور يارينغ ، وقد تضمن استعداد مصر للتوقيع على اتفاقية سلام مع اسرائيل مقابل تنفيذ بعض التعهدات . وفي نيسان (ابريل) اعلن وزير الخارجية المصري من اذاعة لندن ان مصر ترفض عقد مفاوضات مباشرة مع اسرائيل طالما انها لم تنسحب من الاراضي المحتلة ، موحيا بذلك ان الاعتراض ليس على وجود اسرائيل ، بل على عدم انسحابها (٩) . وفي نفس الشهر ، القى الدكتور بطرس غالي محاضرة اكد فيها « ان مصر اظهرت للعالم قدرا كبيرا من حسن النية والرغبة في تحقيق السلام اذ ابدت استعدادها لان تعترف بالوجود الاسرائيلي ، بل وابدت استعدادها ايضا لان توقع اتفاقية سلام تنفيذا لاحكام القرار ٢٤٢ » (١٠) .

وازاء هذه التنازلات العربية المتلاحقة لم تتخذ اسرائيل عن صلفها وتصلبها واصرارها على عدم الانسحاب قبل اجراء مفاوضات مباشرة مع الدول العربية تنتهي بتوقيع معاهدة صلح تكرس شرعية وجودها في المنطقة .

وجاءت حرب تشرين (اكتوبر) تخلط اوراق اللعبة وتدخل معادلات جديدة على الصراع القائم . وفي غمرة التهليل للانتصار العربي ، خشيت اسرائيل ان يتلاشى حلم الاعتراف من المخيلة العربية ، فلجأت الى مراكز التخطيط فيها وفي الولايات المتحدة تسألها العون . وكان الجواب واحدا : التخلي عن فكرة انتزاع الاعتراف من كل الدول العربية ، والتركيز على استئدراج مصر واستفرادها وعزلها عربيا ، لان اعتراف مصر باسرائيل ، ان حصل ، يفني عن كل الاعترافات العربية الاخرى .

وبدأت اسرائيل ، بمساعدة كيسنجر ، بتطبيق الفكرة خطوة خطوة ، فكان اتفاق الكيلومتر ١٠١ ، واتفاق سيناء ، وتصريحات الرئيس السادات الذي رأى في الصراع العربي الصهيوني صراع اجيال ودعا الجيل الحاضر الى ترويض النفس على الاعتراف باسرائيل باعتبارها « حقيقة قائمة لا مساس بحدودها » (١١) . وكانت زيارته للقدس المحتلة الخطوة الاخيرة على طريق الاعتراف .

الزيارة والاعتراف المزدوج

وتعتبر الزيارة اول ثغرة في جدار الرفض العربي للوجود الاسرائيلي واول محاولة لتجاوز احكام القرار ٢٤٢ ، التي تحدثت عن الانسحاب قبل الاعتراف

ولم تشترط اجراء مفاوضات مباشرة بين الاطراف المتنازعة .

والزيارة تشكل اعترافا مزدوجا : اعترافا بدولة اسرائيل واعترافا بحكومتها والاعتراف بالدولة ، في القانون الدولي العام ، هو اقرار بظهور دولة جديدة ، اما الاعتراف بالحكومة فاقرار بوجود سلطة سياسية شرعية قادرة على حفظ الامن والايفاء بالالتزامات الدولية . والاعتراف بالحكومة يتضمن دائما الاعتراف بالدولة ، ولكن الاعتراف بالدولة لا يستوجب دائما الاعتراف بالحكومة فهناك حالات كثيرة من الاعتراف بدول معينة دون الاعتراف بحكوماتها .

والعرب ، شعوبا وحكومات ، قد رفضوا حتى الآن الاعتراف باسرائيل ، دولة و « حكومة » ، لان اي اعتراف بأي كيان اسرائيلي في فلسطين يعني الاعتراف بحق اليهود في امتلاك ارض عربية ، ولان اي اعتراف باية حكومة اسرائيلية تيسط سيطرتها على الارض المحتلة يعني الاقرار بشرعية هذا الحكم الموافقة العلنية على كل ما صدر عنه من مخالفات وجرائم .

والسؤال المهم الذي اثارته الزيارة على الصعيد القومي هو مدى التزام الامة العربية بالاعتراف الصادر عن الرئيس المصري . وقد اتيح لنا الاجابة عنه بقولنا ان المسألة المطروحة لا يمكن ان تبحث على صعيد قانوني بحت ، لان القانون الصرف يعجز غالبا عن استيعاب القضايا التي تتجاوز ، بابعادها واخطارها ونتائجها ، حدود التشريعات الوطنية او الدولية . فالنزاع القائم بين العرب والاسرائيليين ليس نزاعا عاديا بين دولة ودولة ، بل هو صراع قومي تمثل الامة العربية باسرها احد اطرافه . وهو ليس خلافا على حدود او تعويض ، بل هو وضع يتعلق بمصير الوجود القومي للامة . ولهذا فان اي تفكير في ادخال اي تغيير على هذا الوضع يجب ان يتم بموافقة الامة (١٢) .

ولعل من محاسن الزيارة (ان كان لها من محاسن) انها هزت الضمير العربي ونهت العرب الى خطر الاعتراف بالوجود الاسرائيلي . وعلى هذا الاساس اعتبر بيان قمة طرابلس الزيارة بانها « تشكل انتهاكا صارخا لمبادئ واهداف النضال القومي ضد العدو الصهيوني ، وتفريطا بحقوق الشعب العربي الفلسطيني ، وخروجاً على وحدة الصف العربي ، وخرقا خطيرا لميثاق جامعة الدول العربية ومقررات مؤتمرات القمة العربية ، واخراجا لمصر العربية من جبهة الصراع مع العدو الصهيوني ٠٠٠ » (١٣) . غير ان الوثيقة التي اذاعها قادة فصائل الثورة الفلسطينية كانت اوضح من حيث مناهضتها « لجميع الحلول الاستسلامية الامبريالية الصهيونية الرجعية » ، ومن حيث تأكيد رفضها لقراري مجلس الامن ، ٢٤٢ و ٣٣٨ ، ولكافة المؤتمرات الدولية ، بما فيها مؤتمرات جنيف ، التي تقوم على اساس هذين القرارين ، ومن حيث تركيزها على حق اقامة دولة فلسطينية مستقلة على اي جزء يتم تحريره من الارض الفلسطينية

في هذه المرحلة دون صلح او تفاوض او اعتراف (١٤) .

ولنتذكر دائما ان السلام ، في المفهوم الصهيوني ، ليس غاية في حد ذاته ، وانما هو وسيلة . وقد عبر بن غوريون بوضوح عن هذا المفهوم عندما قال : « ان الاتفاق مع العرب لا يستهدف احلال السلام في البلاد . . . السلام بالنسبة الينا وسيلة . الهدف هو التحقيق والتجسيد التام للصهيونية فقط . لاجل هذا هناك ضرورة للاتفاق . الشعب اليهودي لا يساهم ، ويجب الا يساهم ، بأي اتفاق غير موجه لهذا الهدف » (١٥) .

المحاشي :

- ١ - من كتاب قيد الاعداد للدكتور حسن الجلي ، بعنوان : تسوية النزاع العربي الاسرائيلي طبقا لقرار ٢٤٢ .
- ٢ - صحيفة الجمهورية (المصرية) في ٢٢-١١-١٩٧٢ .
- ٣ - نقلا عن كتاب : النزاع الاسرائيلي - العربي ، للمفكر الفرنسي بيار ماري مارتان . باريس ١٩٧٣ ، ص ٢٣٧ .
- ٤ - راجع دراسة د . عبد العزيز سرحان حول : تطور وظيفة معاهدات الصلح ، في دراسات في القانون الدولي ، المجلد ٣ ، منشورات الجمعية المصرية للقانون الدولي ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٦٢ - ٦٣ .
- ٥ - هذا ما يؤكد ، مثلا الاستاذ الفرنسي شارل روسو في مؤلفه : Droit international public , Dalloz 1965 , p. 356 .
- ٦ - الاهرام في ١٢-٨-١٩٧٠ .
- ٧ - اذاعة صوت العرب في ١٦-٢-١٩٧١ .
- ٨ - راجع تصريحه لصحيفة نيويورك بوست الاميركية ، الذي اذاعته رويتر في ١٦-٢-١٩٧١ .
- ٩ - اذاعة لندن في ١-٤-١٩٧١ .
- ١٠ - راجع نص محاضرتة في دراسات في القانون الدولي ، المذكور ، ص ١٩ .
- ١١ - صحيفة السياسة الكويتية في ١٥-٥-١٩٧٥ .
- ١٢ - راجع ما كتبناه في السفير ، في ٢٤-١١-١٩٧٧ .
- ١٣ - السفير في ٦-١٢-١٩٧٧ .
- ١٤ - السفير في ٥-١٢-١٩٧٧ .
- ١٥ - نشرة مؤسسة الارض ، عدد ١٧ ، تاريخ ٢١-٥-١٩٧٤ ، ص ٨ .

نزیه أبو نضال

السّادات بَين مواقف الادانة وقرار الضعل

قرار الادانة الذي اصدرته الجماهير العربية ضد انور السادات ، لارتكابه جريمة العصر ، يوم السبت الاسود ، يجب أن يكون الغطاء الشرعي ل**فعل** التصدي بانزال اقصى العقوبة بالمجرم . وعدا ذلك فان كل ما حدث من مظاهر الادانة ليس اكثر من فورة غضب واحتجاج لا تلبث ان تطويها دورة النسيان ودورة اعادة العلاقات الشائنة والمعتادة .

قبل سنوات شاهدت فيلما سينمائيا ، يتحدث عن اغتيال لومومبا ، وقد جرى خلاله الحوار التالي بين السفير البلجيكي وتشومبي :

السفير البلجيكي : الحل الوحيد يكون بقتل لومومبا .

تشومبي : ولكن كيف ؟ هذه عملية خطيرة !!

السفير البلجيكي : لقد تم ترتيب كل شيء وستجري عملية اغتياله خلال

ايام .

تشومبي : ولكن مثل هذه العملية ستثير الرأي العام العالمي وتؤلمه ضدنا .

السفير البلجيكي (بهدوء) : حسنا دعنا نحسب هذا الرأي العام العالمي :

ستتحرك بعض المسيرات والمظاهرات في عدد من العواصم العالمية ، كما ستصدر عدة بيانات من بعض المنظمات والهيئات الدولية ، والصحافة ستحرص ولمدة اسبوع على متابعة الموضوع الى ان يتحول الى خبر صحفي قديم فتبدأ بالبحث عن موضوعات اكثر اثاره . ولا شك ان بعض الصحف اليسارية ستفرد عددا من افتتاحياتها للتشديد بالجريمة وادانتها .

وقبل مرور عشرة ايام يكون كل شيء قد انتهى .

ليس هذا هو الرأي العام العالمي ؟

السؤال الان من هو المجرم ؟ وكيف تمكن من تنفيذ جريمته علنا ، ومع سبق الاصرار والترصد كما يقول القانون الجنائي .

انور السادات . كفرد ، يقتصر دوره على الاسراع بتنفيذ الجريمة . وهنا بالضبط تكمن مسؤوليته المباشرة ، اما المناخ الذي هيا لارتكاب الجريمة ، وساعد عليها ، ومهد لها ، فهو يتحمل مسؤوليته فيها بالتضامن والتكافل مع كل دعاة التسوية الامريكية .

والفرق بين القمهد للجريمة و الاسراع بتنفيذها كالفرق بين الضغط على الزناد وانطلاق الرصاصة القاتلة .

نحن هنا لا نريد ان يتوزع دم الضحية على (القبائل) من اجل ان يضيع حق الدم ، فالاسراع بتنفيذ الجريمة والمشاركة في القمهد لها يكفي لتنفيذ عقوبة الموت الف مرة ، لكننا نريد ان نسلط الضوء هنا على الجريمة المستمرة التي تمارس منذ سنوات ولا زالت .

وهذه هي الجريمة الحقيقية ، التي لا بد من التصدي لها وانزال العقوبة بمرتكبيها والمشاركين فيها .

لقد تراكمت خلال السنوات العشر الاخيرة مجموعة كبيرة من العوامل والمواقف والسياسات والمبادرات والبرامج والتي شكلت بمجموعها محصلة الوضع الحالي الذي افرز « السادات زائرا لاسرائيل ، وداعيا اياها لزيارة القاهرة » . هذه المجموعة من المواقف والسياسات اختلط فيها تخطيط الاعداء مع ردات الفعل مع النوايا الحسنة والرديئة مع التخبط وانعدام الرؤيا ، بالمزاوودات والمناقصات ٠٠ الخ . الخ . لكنها جميعا تمت على قاعدة اختلال ميزان القوى العام في المنطقة لمصلحة التحالف الامبريالي الصهيوني ، كما اختل محليا لمصلحة القوى الرجعية وارتباطاتها الطبقية وتحالفاتها ضد قوى الجماهير وفصائلها الثورية والتقدمية والوطنية .

هذا الاختلال العام دفع مجرى الاحداث باتجاه تقديم مزيد من التنازلات المبدئية والسياسية لحساب التسوية الامريكية الصهيونية .

ان تحديد العناصر المختلفة في الفترة الزمنية السابقة والتي ادى تراكمها الى هذا التحول الكيفي الجديد الذي عبرت عنه زيارة السادات لاسرائيل ، لا يمكن ان يعني ان كل عنصر من هذه العناصر يساوي حجم جريمة السبت الاسود .

لكننا لا نستطيع ان نفهم بالضبط ما حدث يوم السبت ، دون ان نضعه في

سياقه الزمني والحديثي ، وبتحديد المهدات الاولية التي تراكمت باتجاه التحول الجديد .٠٠ باتجاه الجريمة .

مع حزيران ١٩٦٧ جاءت البذرة الشريرة ، وراحت تنمو على مهل ، ولكن باستمرار .٠٠ الاختلال المريع في موازين القوى الذي اعقب الحرب فرض قرار ٢٤٢ في ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ ، والذي نص في أحد بنوده على « ان تنهي كل دولة حالة الحرب ، وان تحترم وتقر الاستقلال والسيادة الاقليمية والاستقلال السياسي لكل دولة في المنطقة وحققها في ان تعيش في سلام في نطاق حدود مأمونة ومعترف بها متحررة من اعمال القوة او التهديد بها » كما اكد القرار على « ضمان حرية الملاحة في الممرات الدولية في المنطقة » وعلى « ضمان حدود كل دولة في المنطقة واستقلالها السياسي عن طريق اجراءات من بينها انشاء مناطق منزوعة السلاح » .

ولقد تمت هذه التنازلات المبدئية والسياسية والتاريخية في مقابل « انسحاب القوات الاسرائيلية من اراض احتلتها في النزاع الاخير » .

لقد جاء القرار بحجم الهزيمة وقطف المنتصرون ثمن انتصارهم كاملا غير منقوص .

كانت تلك هي البداية فقط .

هذه البداية لم تعبر بالضرورة عن مسار حتمي باتجاه السبب الاسود ، فقد جرت محاولات تطويقها سياسيا بلاءات الخرطوم الثلاثة : « لا صلح .٠٠ لا مفاوضات .٠٠ لا اعتراف » وعسكريا بحرب الاستنزاف على الجبهة المصرية ، وكانت عملية اعادة بناء الجيش المصري والسوري تضع الاساس المادي للتاثير على موازين القوى التي اعقبت حزيران وبالتالي تجاوز قرار ٢٤٢ ، ربما كانت هذه هي رغبة جمال عبد الناصر الذي اعلن « ان ما اخذ بالقوة لا يسترد بغير القوة » ومضى يحضر نفسه عسكريا لهذه العملية ، الا ان الرغبات الفردية مهما كانت عظيمة ومخلصة لا تستطيع مجابهة الحقائق العنيدة التي بدأت تتشكل داخل مصر نفسها : العناصر الطفيلية التي نشأت على هامش القطاع العام وعلى حسابه ، بدأت تأخذ تعبيرها المادي الطبقي والسياسي داخل وظائف الدولة ومراكز القوى فيها الى جانب نشاط الاتجاهات اليمينية التي نمت على ارضية التضامن العربي مع الانظمة الرجعية ومساعدتها المالية .

ولم يكن بالامكان مواجهة هذه الحقائق الا بالجماهير الثورية العمالية والفلاحية المنظمة ، وعبد الناصر بحكم انتمائه وايديولوجيته وموقعه في قمة السلطة .٠٠ سلطة برجوازية الدولة لم يكن مهيا لافلات هذه القوى الثورية المسحوقة والمستلبة من عقالها فهذا يتعارض جذريا مع الشعارات المحببة:«الثورة

« البيضاء » و « القضاء على الفوارق بين طبقات الشعب سلميا » و « تحالف قوى الشعب العامل : العمال والفلاحين والرأسمالية الوطنية » .

من هنا فان تجاوز نتائج هزيمة حزيران وفي مقدمتها قرار ٢٤٢ كان يتطلب حسم الصراع داخليا بالدرجة الاولى . وعدم تحقيق ذلك وبغض النظر عن النوايا والرغبات بدفع الامور باتجاه القبول بمبادرة روجرز في ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٧٠ ، وهذا يعني وقف اطلاق النار على الجبهة المصرية ، ومحاولة وضع قدمين لقرار ٢٤٢ يتحرك عليهما روجرز الامريكى والتي نصت بمبادرته على « تعيين ممثلين الى مباحثات تعقد تحت اشرافى حسب الاصول وفي الزمان والمكان الذي احدهه ٠٠٠ » * . المسافة الزمنية بين ٢٣ يوليو ٧٠ و ٢٨ ايلول ٧٠ يوم وفاة عبد الناصر حوالي ثلاثة أشهر ، وهي على كل حال ليست كافية لاكتشاف النوايا العملية عند عبد الناصر لقبول مشروع روجرز ، هل هي خطة تكتيكية لتثبيت صواريخ سام ؟ ام هي موافقة مصرية على تنفيذ سياسي عملي على يد الولايات المتحدة باعتبار انها تملك وسائل الضغط والتأثير على الموقف الاسرائيلي ، وهذا علما ان عبد الناصر كان يرى ان امكانية نجاح مشروع روجرز لا تتجاوز ١٪ . رغم اعلان الموافقة الاسرائيلية عليه في ٣١ تموز ٧٠ . نحن بالطبع لسنا بصدد البحث عن نوايا الافراد ، لكن طرح هذه الاحتمالات الافتراضية يظل قائما في تلك المرحلة ونحن نرى عاملين مؤثرين على مجرى الاحداث وتطوراتها .

الاول : الطرف الموضوعي الداخلي في مصر والذي كان يدفع الامور ضمن منطلق التسوية واعطاء دور امريكى متميز . ومثل هذا الموقف يتقاطع مع موقف اعداء الامبريالية الامريكىة الذين يريدون (احراج) وكشف التواطؤ الامريكى - الاسرائيلي .

الثاني : شخصية عبد الناصر القومية والتاريخية وتحالفاته على صعيد المعسكر الاشتراكي ، وما يمكن ان يقود اليه في مواجهة فشل مبادرة روجرز من شن حرب تختلف باهدافها ونتائجها عن حرب تشرين التحريكية كما وصفها عبد الغني الجمصي في حينه . ان السياق السياسي الذي تشن فيه الحرب سيعطي بالضرورة نتائج مختلفة *

نحن بالطبع ، مع تغليب العامل الموضوعي باعتباره حاسما في تحديد السياق اللاحق للاحداث ، لكن اغفال العامل الفردي وتأثيره يسقطنا في الفهم الميكانيكي لحرركة التطور ويجعل من عبد الناصر مساويا للسادات بالنتيجة .

* راجع النص الكامل لمبادرة روجرز - المسألة الفلسطينية ومشاريع الحلول السياسية - مهدي عبد الهادي ص ٥٠٧ - منشورات المكتبة العصرية .

عبد الناصر يتحدد موقفه في تلك الفترة ، بالقبول بمبادرة روجرز الامريكية ولكن من موقعه كحليف للمعسكر الاشتراكي ، وفي نفس الوقت بالتحضير العسكري الجاد لحرب تحريرية حتى بحدود ١٩٦٧ . انور السادات ومن موقعه المتحالف مع الولايات المتحدة وظف الحرب لتحريك التسوية ، معلنا ان ٩٩٪ من اوراقها بيد امريكا . وهنا يكمن جوهر الفرق بين الرجلين ، وما يمكن ان يتفرع عن هذا الفارق من احتمالات .

مع حرب تشرين عبر السادات القناة من الغرب الى الشرق فيما عبرها اريك شارون من الشرق الى الغرب ، وكان ثمن انسحابه من الضفة الغربية الذي سمي بفك الاشتباك الاول ، العبور الامريكي الى مصر والمنطقة .

ومع توقيع اتفاقية سيناء الثانية كانت قد تمت اكبر عملية تجميل للامريكي القبيح في المنطقة العربية ، وتحولت الامبريالية الامريكية « العدو رقم (١) للشعوب » الى الصديق نيكسون والعزيز هنري ، واخيرا الى الاخ كارتر والرفيق فانس ، وهؤلاء جميعا ليس لهم هم سوى القيام بدور الوسيط لحل الخلاف بين افراد العائلة الواحدة . فנסارح جميعا الى تثمين المبادرات الامريكية وتوجيه آيات الشكر والتقدير لكرم كارتر وعطف فانس ، او للفتة اي ناطق باسم بيت السلام الابيض الامريكي والذي تحول الى قبلة جديدة للمظلومين والمضطهدين والمشردين !

واخذت عملية ترويض العقل العربي واخضاعه لمنطق التسوية والممكن تحت رعاية الولايات المتحدة . . اخذت عملية الترويض هذه ، تحفر عميقا منهجها اليومي في الحياة السياسية العربية ، ولتصبح السلعة الوحيدة الرائجة في سوق المطالب والشروط والبرامج . ان جوهر هذه المنهجية السياسية يعتمد في مقدماته واسسه على المرتكزات التالية :

١ - الفصل بين الامبريالية الامريكية من جهة وبين الحركة الصهيونية وقاعدتها الاسرائيلية من جهة ثانية . وهذا الفصل ينسجم مع مصالح البرجوازية المصرية المرتبطة بالسوق الرأسمالية العالمية ، كما ينسجم مع ايدولوجية هذه الطبقة اليمينية والمعادية للمعسكر الاشتراكي وحركة التحرر العالمي .

٢ - التكريس اليومي للنهج الاقليمي في الحياة الفكرية والسياسية في مصر ، ومثل هذا التكريس ينسجم بدوره مع الطبيعة الخاصة للبرجوازية الكمبرادورية المصرية التي اكتمل اندماجها مع برجوازية الدولة . وهذه الطبيعة مناقضة لدور البرجوازية المنتجة التي تدفعها مصالحها باتجاه توسيع السوق القومية وتوحيدها .

(قفزت الصادرات الامريكية الى مصر في الاشهر الستة الاولى من عام ٧٤

بنسبة ٨٥٪) * هذه النسبة تابعت صعودها في السنوات اللاحقة .

هذا الاتجاه الاقليمي يتغذى من منطق التسوية الامريكية ومسن الشروط الاسرائيلية المتشددة « في عقد صفقات الصلح بصورة مفردة مع كل طرف من الاطراف العربية » . كما اكد دايان في ١-١٢-١٩٧٧ بكل حسم ووضوح . ومثل هذا الاتجاه سيقود حركة السادات السياسية في المرحلة القادمة . . . وبهجة (عداء العرب لمصر) . واستطرادا نقول ان اصواتا عربية سترتفع قريبا لتنصح بعدم مقاطعة السادات حتى لا يذهب الى نهاية الشوط .

٣ - والمرتکز الثالث الذي تنهض عليه منهجية السادات السياسية يتجاوز حدود مصر ومصالح البرجوازية المرتبطة فيها ، الى المنطقة العربية حيث يقيم امتن التحالفات مع انظمتها الرجعية ، وحيث هناك موقف يدعو الى قبول التسوية على الطريقة الامريكية ، مما جعل مختلف الساحات العربية توالي انسجامها مع مبادرات السادات ومواقفه ، بتردد احيانا وبتحفظ في احيان اخرى يعقب الرفض والتشدد ، حتى باتت العملية بمجموعها تشبه « الاواني المستطرقة » . وان حافظ كل اناء منها - مؤقتا - على لونه الخاص .

ولقد انطلق السادات في خطوته الاخيرة من هذا المزاج العام السائد ، مع تقديره المسبق بما سيواجهه من معارضة . الا انه وعلى طريقة « السفير البلجيكي » يمكن قياس الرأي العام العربي مسبقا وحدود معارضته ثم لا تلبث ان تعود المياه الى مجاريها كما حدث بعد « اتفاقية سيناء » كما اعلن السادات نفسه ذلك في مؤتمره الصحفي في اسرائيل .

٤ - ولقد اسهم في تثبيت مرتكزات التسوية واشاعة مزاجها العام ضعف وتفكك القوى الثورية الجذرية على امتداد الساحة العربية ، كما اسهم فيها مخطط القمع والارهاب ومصادرة كل اشكال الحريات الديمقراطية في الوطن العربي ، مما الجم ردود الفعل طوال المرحلة الماضية وقزمها بحجم وحدود المعارضة الرسمية السائدة واتجاهها العام في اطار التسوية ، واوهامها ومراهنتها على الجهود الامريكية .

على هذه الارضية . . . وهذه المرتكزات حقق منطق التسوية سيادته شبهه المطلقة على الحياة السياسية العربية ، منذ حرب تشرين الى يوم السبت الاسود . وفي هذا الاطار تم توقيع اتفاقات فك الارتباط . ثم جاءت النتيجة المنطقية الاولى لكل ما تقدم في توقيع « اتفاقية سيناء » التي اعلنت في مادتها الاولى على

« أن النزاع بينهما (مصر واسرائيل) وفي الشرق الاوسط لا يتم حله بالقوة المسلحة وانما بالوسائل السلمية » كما نصت مادتها الثانية على تعهد الطرفين « بعدم استخدام القوة او التهديد بها او الحصار العسكري في مواجهة الطرف الاخر » . « والامتناع عن اي اعمال عسكرية او شبه عسكرية » ويكون التتويج المادي للدور الامريكى في التسوية بأن نصت الاتفاقية على وجود خبراء امريكيين في سيناء وعلى حقهم في الرقابة العسكرية الجوية والبرية .

انور السادات لم يكتف بانهاء حالة الحرب بين مصر واسرائيل ولكنه اعلن انهاءها في الشرق الاوسط أيضا ، فهو يرى في اطار الوضع العام السائد ، بأنه مخول باعلان ذلك ، والتوقيع عليه ، ليس على مستوى الانظمة الرسمية فقط ، وانما على مستوى الثورة الفلسطينية ايضا ، لان بنود الاتفاق تنص على اثناء حالة الحرب وشبهه الحرب في الشرق الاوسط .

لقد كانت المعارضة التي واجهت « اتفاقية سيناء » كبيرة على الصعيد الشعبي والرسمي ، الا انها لم تلبث بمرور الاشهر والاحداث ان تسربت وغاصت في رمال النسيان والتضامن العربي ، وعادت العلاقات تكرر دورتها الشائنة والمألوفة ، وليس السبب بالطبع هو التسامح العربي المشهور ، ولا القدرة على التجاوز والعض على الجرح . . . الى اخر قاموس المصطلحات (الاخلاقية) التي يحلو للكثيرين تردادها في المناسبات والاعياد القومية او المصائب القومية ، انما يكمن السبب أساسا في عقلية التسوية ومزاجها العام والمنهجية السياسية التي تفرض حقائقها وشروطها وسيادتها شبه المطلقة على المنطقة العربية .

في اطار هذا المناخ العام . . هذه العقلية السائدة ، يكون من الطبيعي ان تنتهي رحلة قطار التسوية الامريكى في الكنيست الاسرائيلي . الا ان السؤال هنا : هل وصل السادات في الوقت المحدد للرحلة ام انه قفز بطريقة بهلوانية بين عربات القطار وصولا للعربة الاولى ؟ وهل مثل هذه القفزات الخطرة والمغامرة ستسرع بالتسوية ام ستعرضها لاحتمالات مفاجئة قد تدفع البعض الى مغادرة قطار التسوية نهائيا مما سيعني اعادة خلط الاوراق وترتيبها بصورة جديدة ؟

ان الاجابة على هذا السؤال تتطلب اولا تحديد اثر زيارة السادات ونتائجها على مواقع ومواقف القوى المختلفة ذات الصلة المباشرة بالتسوية .

ان زيارة السادات لاسرائيل تعبر من الوجة السياسية عن الاعتراف الكامل في تكريس الوجود الصهيوني في فلسطين . وهو لم يكتف بذلك بل اعلن في خطابه امام الكنيست :

١ - الاعتراف السياسي الكامل باسرائيل باعتبارها احدى دول المنطقة ضمن حدود آمنة مع كافة الضمانات المطلوبة .

٢ - اعتبار القدس مدينة حرة • وهذا يعني قانونيا تدويل مدينة القدس •
 ٣ - الاستعداد لاقامة كافة اشكال العلاقات الدبلوماسية والتجارية والسياحية
 ٠٠٠ الخ • وعلى غرار العلاقات الطبيعية القائمة بين مختلف دول العالم ، وهذا
 يعني انتهاء حالة الحرب الى الابد •
 وهذا كله مقابل :

١ - انسحاب اسرائيل الى حدود ١٩٦٧ •

٢- اقامة دولة فلسطينية • (السادات لم يتطرق الى ذكر منظمة التحرير
 الفلسطينية) •

فماذا كان الجواب الاسرائيلي رغم الاهمية « التاريخية » للزيارة ، ورغم
 التنازلات التي قدمها السادات وتجاوزت الحد الاقصى ، وفوق كل ذلك رغم
 التنبهات الامريكية بعدم تفشيل زيارة السادات حتى لا ينهار نظامه كما قال
 كيسنجر ؟

قال مناحيم بيجن :

١ - ارض فلسطين هي ارض اسرائيل ، وحل مشاكل الفلسطينيين العرب
 يكون فقط في اطار دولة اسرائيل •

٢ - القدس عاصمة اسرائيل ، ونرحب بسفير لمصر فيها •

٢ - لا نقبل الانسحاب الى حدود ٦٧ مقابل اية ضمانات كانت ، ان الحدود
 الامنة التي يمكن الدفاع عنها هي الضمان الوحيد بالنسبة لنا • ولا بد من التسليم
 بهذا كحق لنا •

٤ - مفاوضات ثنائية لحل القضايا المعلقة بين الطرفين ومن بينها تحقيق
 بعض (التنازلات) الاقليمية •

اما شمعون بيريز فقد اعلن :

١ - ان حل مشكلة الفلسطينيين يكون في اطار العلاقة مع الاردن ، ولا يمكننا
 القبول بدولة ثالثة بين اسرائيل والاردن •

٢ - اسرائيل على استعداد لتقديم (تنازلات) اقليمية في اطار بحث كافة
 القضايا وعلى طاولة المفاوضات ، ولكن لا انسحاب الى حدود ٦٧ •

هذا الحزم القاطع في الموقف الاسرائيلي وما اتصف به من صلف بالغ هو
 الرد الوحيد الممكن والذي تضمن اقصى حدود التهذيب الاسرائيلي •

فماذا كان رد السادات ؟

لقد سارع فور وصوله للقاهرة الى القول بان الزيارة قد نجحت مئة بالمئة .
ثم قام باغلاق مكاتب منظمة التحرير الفلسطينية والثورة الفلسطينية وطرد
ممثلها ، اضافة الى طرد عدد كبير من الكتاب والطلبة ، كما قام باغلاق اذاعة
صوت الثورة الفلسطينية .

ثم اعلن دعوته للاسرائيليين لعقد مؤتمر القاهرة . كما اعلن انه يتحدث باسم
شعب مصر وجيش مصر ، وليس من حق اي زعيم عربي ان يفرض ارادته عليه ،
كما انه لا يسعى لفرض ارادته على احد .

ومثل هذا الطرح كما هو واضح ينسجم مع الشروط الاسرائيلية في عقد
مفاوضات ثنائية ويمهد لعقد مصر لصلح مع اسرائيل ، وهو الامر الذي
سبق للسادات ان نفاه امام الكنيست .

ان الحقيقة الاساسية التي كشفتها زيارة السادات ونتائجها لاسرائيل يمكن
تلخيصها بجملة واحدة :

ان اقصى اشكال الركوع والاستجداء والتنازلات لن تحقق شيئا للشعب
الفلسطيني . ولا لسوريا الا بحدود طفيفة جدا ، فقط يمكن تحقيق انسحاب كبير
من سيناء ، وحيث لا توجد اطماع اسرائيلية للبقاء فيها ، وذلك في مقابل اخراج
مصر من المعركة العربية ، وتكريسها كأداة امريكية في القارة الافريقية .

هذه الوضعية تطرح افتراضا موضوعيا ، وبغض النظر عن نوايا ومواقف
الافراد والانظمة بالكف عن مراهنات التسوية والجهود الامريكية ، وتدعو كل
اولئك الذين شاركوا او تروهموا بتحقيق بعض المكاسب الوطنية بمغادرة قطار
التسوية .

ان مقاومة التسوية لا يمكن ان تتم من مواقع التسوية كما ان مجابهة خطوات
السادات الاخيرة لا يجوز ان تخضع لعقلية المعارضة التي واجهت « اتفاقية
سيناء » . وعلى من يريد مجابهة السادات مجابهة فعلية ان ينتقل الى الخندق
المواجه للسادات . الخندق المواجه للتسوية . والتسوية كما بينا هي منهج
وعقلية هي مقدمات ومرتكزات ومواقف وبرامج وممارسات ، وكل ما عدا ذلك لا
يعدو كونه مناقشات حادة داخل قطار التسوية نفسه ، وحيث سيجد الجميع
انفسهم في النهاية امام اعتاب الكنيست .

لا نريد هنا ان نطرح اشكال واساليب المواجهة والمجابهة ولا ان نتحدث عن
جبهات الرفض والتصدي الرسمية او الشعبية ، فالذين يفكرون بتحقيق ذلك
والمسؤولون عن تنفيذه ليس ما ينقصهم هو معرفة الاشكال والاساليب ولكن الى
ان يتحقق ذلك او بعضه ، وقبل ان يتحقق وبعد ان يتحقق فان كل اشكال الادانة
الشعبية التي واجهت جريمة السبب الاسود لا يجوز ان تعبر فقط عن رأي عام
عربي على طريقة حسابات « السفير البلجيكي » . هذه الادانة يجب ان تكون
الغطاء الشرعي الشعبي لفعل التصدي بايقاع اقصى اشكال العقوبة بالمنجر .

حول السياسة الخارجية لليسار الفرنسي والقضية الفلسطينية

في أواخر ربيع ١٩٧٧ كان اليسار الفرنسي قد وصل الى قناعة بان استلامه للسلطة بعد عام ، قد اصبح شبه مؤكد . ذلك لان مسيرته الوحدوية عبر « البرنامج اليساري المشترك للحكم » ، أدت به الى الحصول على اكثرية المقاعد في الانتخابات البلدية العامة التي جرت في ربيع ١٩٧٧ ، حيث حصل اليسار على نسبة ٥٢٪ من الاصوات . لكن بعد ذلك التاريخ عصفت الازمات بالوحدة اليسارية الفرنسية وصدعت اسس التحالف الاشتراكي - الشيوعي - الراديكالي . وفي اعتقادنا ان القطيعة التي حلت ما بين الاحزاب اليسارية هذه تبدو نهائية . لا سيما ان الاسباب الكامنة وراء الاختلاف هي اساسية وهامة ، وان الحملات الهجومية المتبادلة ما بين الشيوعيين والاشتراكيين تتسع يوما بعد يوم وتعمق الهوة ما بين الحزبين ، وتبعد ، بالتالي ، احتمال تحالف جديد ، ولو انتخابي .

غير انه برغم دلائل جدية القطيعة اليسارية ، لا تزال القوى المحافظة في فرنسا تبدي شكوكا واضحة حول ما يجري ، ولا تزال تضع في حسابها عودة اليسار الى التحالف مجددا ولو بنسبة « واحد الى خمسة » التي اعتمدها اخيرا ريمون مارسيلين وزير الداخلية السابق . هذا الاعتقاد تشارك فيه ، من منطلقات مختلفة طبعا ، اوساط غاستون دوفير محافظ مدينة مرسيليا الاشتراكي ، كما يشارك فيه الشيوعيون السابقون الذين يرون ان الحزب الشيوعي ، على رغم كل المالبسات ، لن يستطيع تحمل النتائج المترتبة على الهزيمة الانتخابية المقبلة .

فكما تطرقنا في المقال السابق (١) الى تحديد الاطار السياسي والاقتصادي العام الذي يدور فيه صراع المحاور السياسية الفرنسية الرئيسية ، ومن ثم الى تحليل طبيعة تحالف اليسار الفرنسي ، وصولا الى كشف النقاط التي يلتقي عندها والنقاط التي يختلف حولها والى كشف الاسباب التي أدت الى تفجير الازمة داخل الاتحاد اليساري ، نتوقف هنا على تحليل السياسة الخارجية لدى اليسار الفرنسي ونتائج هذه السياسة على القضايا العربية ، وأهمها قضية التحرر العربي عبر القضية الفلسطينية .

ان معرفة انعكاسات المشروع اليساري الفرنسي على السياسة العربية أمر مهم ، سواء وصل هذا اليسار الى السلطة ام لم يصل . يكفي ان هذا اليسار يجمع حوله نصف فرنسا سواء كان في المعارضة أم لا . ويكفي ان الحزب الاشتراكي الفرنسي هو اهم الاحزاب على الساحة الفرنسية ، ومن الممكن ان يلعب دورا هاما جدا في السياسة الفرنسية بسبب أهميته ، وبفضل التحالفات التي يمكن ان يقوم بها في المستقبل . لذلك سنركز ، في هذا البحث ، على موقف الحزب الاشتراكي في سياسته الخارجية اكثر منه على الحزب الشيوعي علما بان الحزبين قد توصلا اثناء مناقشتهم لمسألة « عصرنة وتحديث البرنامج اليساري المشترك للحكم » الى شبه اتفاق تام حول السياسة الخارجية .

وننطلق في بحثنا عن السياسة الخارجية لدى اليسار الفرنسي ونتائج هذه السياسة على القضايا العربية من مسألتين : مسألة « وحدة أوروبا » وموقف اليسار الفرنسي منها ، لارتباط هذه المسألة بالامبريالية الاميركية وسياسة المحاور الكبرى ، ومسألة موقف اليسار الفرنسي من القضية الفلسطينية .

الاشتراكية الفرنسية وموقفها من الامبريالية

التراث الاشتراكي عريق . انه يعود الى ما قبل عام ١٩٠٥ . غير انه في ذلك التاريخ تأسس « القسم الفرنسي للاممية العمالية » (SFIO) التابع للاممية الثانية . وأتت الاممية الثالثة لتشطر الاشتراكيين الفرنسيين الى شطرين : الشطر الذي قبل بشروط البلشفيك التي وضعوها للانضمام الى الاممية الثالثة وانشىء بذلك « الحزب الشيوعي الفرنسي » عام ١٩٢٠ ، والشطر الذي رفض تلك الشروط ، وكان بقيادة ليون بلوم ، والذي آل الى ما هو عليه اليوم « الحزب الاشتراكي الفرنسي » . وحتى يومنا هذا ما زال اليسار الفرنسي يتأرجح ما بين الخطين اللذين كانا سائدين ما قبل ١٩٢٠ ، اي ما بين خط ماركسي - لينيني متصلب ، وخط ماركسي ينتمي الى « الاشتراكية الديمقراطية » الدولية ويصب ، في النهاية ، في مصب الاصلاحيين المتورين .

اليوم ، الحزب الاشتراكي الفرنسي يقع على يسار جميع الاحزاب الاشتراكية في اوربا الغربية ، وهذا ما يجعله في طليعة الاحزاب غير الشيوعية التي تنادي بازالة المجتمع الرأسمالي وبالنضال ضد الامبريالية . لكنك تراه تارة يتمسك بالاستراتيجية التي ترسخت لديه عام ١٩٧١ ، اي عام توحيد فصائل الاشتراكيين في فرنسا تحت لواء الحزب الموحد الجديد بزعامة فرنسوا ميتران ، ويصرح عن عزمه ، انسجاما مع هذه الاستراتيجية ، على مقاطعة نظام الرأسمالية الاقتصادي والاجتماعي ، وفي بناء اشتراكية ديمقراطية غير اصلاحية ، وفي توثيق الصلات لابل التحالف السياسي لا الانتخابي وحسب ، مع الحزب الشيوعي الفرنسي . وتراه طورا يتراجع عن مواقفه الجذرية ليلتحق بركاب الاممية الاشتراكية التي هو عضو فيها ، كما يشغل فيها سكرتيه الاول ، فرنسوا ميتران ، منصب نائب الرئيس .

أما الحزب الشيوعي الفرنسي فهو ايضا يتأرجح ما بين سياسة تابعة بالكلية للاتحاد السوفياتي ، وسياسة مستقلة تحمل اطروحات التغيير الاشتراكي مع ضمانة الحريات الديمقراطية ، والملكية الفردية . ولقد بلغ لاشهر خلت ذروة التعبير عن خطه الجديد المنسجم مع المعطيات الفرنسية متخذاً، عبر مواقفه ، وجهها وطنيا ، ومتخليا عن بعض الاطروحات الماركسية - اللينينية التقليدية ، « كديكتاتورية البروليتاريا » ، وناقدا سياسة الاتحاد السوفياتي تجاه الحريات الشخصية ، وطارحا شعار « مد اليد للمسيحيين » ، ومن ثم شعار « وحدة شعب فرنسا » ، ومن ثم شعار « الاشتراكية بالسوان فرنسا » ، ومغيرا مواقفه بالنسبة لمسألة « وحدة اوربا » وبالنسبة ايضا لمسألة « القوة النووية الفرنسية » . غير ان الحزب الشيوعي الفرنسي ، بعد فشل تحالف اليسار ، عاد - او هكذا يبدو - الى خطه الارثوذكسي بتمسكه بما يعتبره شروطا أساسية ، على المستوى الاقتصادي والاجتماعي ، للتحول الاشتراكي الجذري . لكنه على مستوى السياسة الخارجية ، يبقى في معظم مواقفه ، متفقا مع الاشتراكيين الفرنسيين .

لذلك سنحاول التركيز في تحديد الخطوط الكبرى للسياسة الخارجية لدى الحزب الاشتراكي ، مشيرين الى النقاط التي قد يختلف حولها هذا الحزب عن حليفه السابق .

ان سياسة الحزب الاشتراكي الفرنسي الخارجية تتميز بالتباس واضح ، مما حدا بالحزب الى الانكباب على بلورة بعض المعطيات الاساسية التي ترسو عليها سياسته الخارجية وتحديد هذه المعطيات تحديدا اكثر وضوحا .

المعطيات هذه تدور حول مفاهيم ثلاثة :

١ - تحديد مضمون الاممية الاشتراكية .

٢ - بلورة تحليل مفهوم الامبريالية .

٣ - التوصل الى تصور واضح لمسألة بناء اشتراكية اوروبية .

اذا ما تتبعنا مسار الحزب الاشتراكي نرى ان هذا الاخير ، بمقدار ما يتجه نحو التجذر في مواقفه اليسارية ، يقتبس المقولات « الديغولية » على صعيد السياسة الخارجية . وذلك بالرغم من انه كان دائما معارضا دون هوادة لحكم الجنرال ديغول وللخدمات الديغولية فيما بعد . وبعبارة أوضح : نلاحظ ان الاشتراكيين كلما وقفوا كقوة ضاغطة ومعارضة للمنظام القائم وحملوا لذلك اطروحات تغيير النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي الفرنسي ، كلما لجأوا الى المفاهيم ، والشعارات ، والهواجس « الديغولية » فيما يتعلق بالسياسة الخارجية .

غير ان الاشتراكيين بعد تأرجح طويل توصلوا الى اعتماد خط عريض لسياستهم الخارجية بتحديدهم سياسة خاصة تسعى لبناء « دولية جديدة » . هذه السياسة بنيت على رفض النماذج الثنائية التقليدية التي تشكل أساسا للمفاهيم القائمة حول العلاقات الدولية ، وعلى محاولة اعتماد نموذج جديد في هذه المسألة .

لقد رفض الاشتراكيون ، اولا ، الاطروحات التقليدية للحركة الشيوعية الدولية التي كرر تبنيها مؤتمر موسكو الدولي عام ١٩٦٩ . خلاصة هذه الاطروحات ان هناك معسكرين يتصارعان ، المعسكر الامبريالي السذي تخترقه التناقضات ، و المعسكر المعادي للامبريالية المؤلف من الدول الاشتراكية ومن تحالف العالم الثالث والاحزاب الاشتراكية في الدول غير الاشتراكية .

كما ان الاشتراكيين يرفضون ، ثانيا ، النموذج الغربي التقليدي المنبثق خاصة عن الحرب الباردة والمرتكز هو ايضا على التصور الثنائي التالي : المعسكر الغربي ، او « العالم الحر » المتمسك بالاقتصاد الليبرالي وبالديمقراطية التقليدية ، و المعسكر الاشتراكي الذي يهيمن عليه الاتحاد السوفياتي والمبني على الماركسية اللينينية وعلى اقتصاد الدولة والسلطة المطلقة .

هذا النموذج الاخير تبنته الاشتراكية الفرنسية ابان عهد الـ SFIO ، اي ما قبل عام ١٩٧١ . فما هو موقف الحزب ، اليوم ، من هذه المسألة ؟ .

بالامكان القول ان الحزب الاشتراكي راح منذ عام ١٩٧٢ يبتعد شيئا فشيئا عن النموذج الاخير المذكور وهو اليوم في مرحلة انتقالية : فالاشتراكية الفرنسية لم تعد تقبل بالاطروحات التقليدية التي ما زالت تعتمدها الاممية

الاشتراكية التقليدية ، ولكنه ، مع ذلك ، يرفض ان يتبنى اطروحات الاممية الثالثة فيما هو راغب في الوقت نفسه بالبقاء في الاممية الثانية . ان هذا الوضع دقيق ومرحج ولكنه يبقى ميزة مرحلة الانتقال .

فما بين الرفضين يحاول الحزب الاشتراكي ان يرسم صورة للمجتمع الدولي تقترب ، بعض الشيء من النموذج اليوغسلافي : اي رفض اعتبار الحركة الشيوعية الدولية على انها التعبير لجمل القوى الاشتراكية ، ورفض الامبريالية الاميركية رفضا تدريجيا . هذان الرفضان يفضيان الى معارضة كل ما من شأنه تدعيم المحورين وتدعيم قدرة وتأثير القوتين العظميين . هذا وان الحزب الاشتراكي الفرنسي ، دون انكار الفوارق العميقة وحتى التناقض الحاصل ما بين القوتين العظميين ، ودون ان يوافق بصراحة على فرضية الحكم الثنائي للقوتين ، يظهر متأثرا بفرضية تواطؤ الجبارين . غير ان هذا التواطؤ هو من نوع خاص اذ انه يركز على « الانفراج الصراعي » وعلى المضاربة .

المجتمع الدولي المالي المحكوم بوجود الدولتين الكبيرتين اللتين تستعملان قوتهما ، ووسائلهما سواء للمضاربة ، ام للتعاون ، ام للحفاظ على مواقعهما وعلى الوضع العائم السياسي - الجغرافي : هذه هي النظرة العامة التي يعتمدها الحزب الاشتراكي ولو ببعض الغموض .

ما هي الاستراتيجية التي يقترحها الاشتراكيون الفرنسيون لتحقيق هذه « الدولية الجديدة » ؟

هناك اتجاهات عديدة تتراوح ما بين اعتماد الخط الالمانى الغربى ، اي سلوك طريق الاممية الاشتراكية في كل مظاهرها ، وبالتالي البقاء في المعسكر الغربى بشكل كامل ، وبين سلوك النهج الاشتراكي الراديكالى بمناهضة الامبريالية وتحويل المجتمع الرأسمالى الفرنسى الى مجتمع اشتراكي أملا بخلق نموذج اشتراكية فرنسية اوربية غربية جذرية يكون مثالا ودافعا لسائر الحركات الاوروبية الاشتراكية الغربية . الا ان الاتجاه الذى ساد هو الاتجاه الواقع ما بين الخط الاصلاحى والخط الثورى . فارتكازا على المعطيات الراهنة ، محليا وعالميا ، اعتمد الاشتراكيون على تفضيل الاتجاه نحو اقامة توازنات جديدة . هذه التوازنات تأخذ بعين الاعتبار الاطار المفروض على فرنسا وتحاول ، ضمن هذا الاطار ، العمل بجدية ويعزم ثابت على تنمية علاقات دولية منسجمة مع اهداف الاشتراكية انها « خطوات صغيرة » تراعى المعطيات القائمة والاهداف المنشودة في آن معا ، وتسعى لتحقيق ثلاثة اهداف اساسية :

٢ - بناء فرنسا نشيطة في سبيل ضمانة الامن الاوروبي .

٣ - بناء فرنسا تقدمية في المجتمع الدولي .

السؤال الذي يتبادر الى الذهن عند تفحصنا هذه الاهداف هو : كيف تستطيع الاشتراكية الفرنسية تحقيق مثل هذه الاهداف فيما هي عليه من غموض في الرؤيا النظرية لمسألة التحول نحو المجتمع الاشتراكي ، ومن تعددية ايدولوجية وطبقية في صفوفها ، وفي الظروف الدولية ، ولا سيما ارتهان اوروبا الغربية لاميركا واستشراس الهجمة الامبريالية على العالم ؟

للإجابة على مثل هذا السؤال لناخذ مسألة « وحدة أوروبا » ، ولنر كيف راجه اليسار الفرنسي ويواجه هذه المسألة :

اليسار الفرنسي ومسألة « وحدة أوروبا »

ان المقياس الذي تقاس به ثورية هذا او ذاك الحزب ، هو ، من جهة ، قربه او بعده ، تحالفه او مناهضته للرأسمالية التي أصبحت نمط انتاج على المستوى العالمي . والوسائل العملية في انتهاج استراتيجية فعالة تحقق مثل هذه الاهداف من جهة ثانية . هذا وان العمل الثوري نحو الافق الاشتراكي اصبح العمل لتغيير المجتمع الوطني الرأسمالي ولرفض ومكافحة الامبريالية في آن معا .

واحدى الميزات الرئيسية للامبريالية هي استخدامها وسيلة الشركات المتعددة الجنسية لتوزيع العمل والانتاج توزيعا رأسماليا يبقي شعوبات تحت الاستغلال ، بينما يعطي هذه الشعوب البرقع الانمائي ليثبت دعائم سيطرته عليها . هذا وان معظم هذه الشركات هي أميركية . فمن اصل / ٧٠٠ / اضخم شركة عالمية هناك / ٥٣ / أميركية او معظمها يعمل في حقل (الالكترونيك والذرة والنفط) . وهذه الشركات لها ، اليوم ، اكثر من ثمانية الاف فرع في العالم . ولا مجال هنا لاعطاء الارقام التي تبرهن كيف ان هذه الشركات ، في أوروبا ، تمنح اميركا سيطرة اقتصادية ، وبالتالي سياسية على المجتمع الاوروبي الغربي كله .

على ضوء هذه المعطيات يجب النظر الى مسألة توحيد أوروبا ، ومن ثم الى مسألة البرلمان الاوروبي حسب النسبة المئوية العددية لدول اوروبا الغربية .

فمن خلال صراع القوتين الجبارتين الاميركية والسوفيياتية للهيمنة على العالم ، نشأت محاولات عديدة ، ومشاريع ، ومؤسسات ، ومعاهدات ، كلها تقع في محور الهيمنة ، او توزيعها ، او الاستئثار بها او بحصة منها او محاولة التخلص منها ، من اتفاق يالطا (شباط ١٩٤٥) ، الى اعلان مخطط مارشال

(٥ حزيران ١٩٤٧) الذي قبلت به دول أوروبا الغربية (تموز ١٩٤٧) ، ومقابلته مشروع الكومنفرم (تشرين الاول ١٩٤٧) المعنية به أوروبا الشرقية ، السى قيام الحلف الأطلسي (٤ نيسان ١٩٤٩) ، وما استتبعه من اعلان جمهورية المانيا الفدرالية من جهة ، و اعلان جمهورية المانيا الديمقراطية ، الى قيام الاوتان (كانون الاول ١٩٥٠) ، ودخول المانيا الفدرالية فيه (ايار ١٩٥٥) وقيام معاهدة فرسوفيا (٤ أيار ١٩٥٥) كردة فعل .

هذه الاشارات ، ان دللت على شيء ، فهي تدل على ان الجبارين العالميين ما زالوا يتحكمان بأوروبا ، وان أوروبا الغربية في محاولتها المستمرة لبناء وحدتها ، انما تسعى لبناء قوة اقتصادية عسكرية تعطيها استقلالية سياسية ، علما بان الهيمنة السوفياتية على أوروبا الشرقية لا يمكن وضعها بنفس المنزلة ، وبنفس الطبيعة لما هي عليه الهيمنة الاميركية .

ان توحيد أوروبا كان ، وما زال هدفا وامنية . فبالرغم من ان هناك مؤسسات تربط ما بين بلدان أوروبا ، كالسوق المشتركة مثلا ، فان « أوروبا - القوة العسكرية - الموحدة » غير موجودة حتى الان . و « أوروبا - القوة السياسية - الموحدة » ايضا غير موجودة . وعلى كل حال فالمشاريع التي طرحت ، وما زالت مطروحة لم تفض بعد الى حل نهائي . فمنذ سنة ١٩٥٨ حتى سنة ١٩٦٦ كانت هناك عدة تصورات لأوروبا السياسية ، اهمها :

- تصور الجنرال ديغول الذي يحمل تناقضات في داخله : استقلالية أوروبا عن الولايات المتحدة ، فيما تبقى بالرغم من كل ذلك حليفة هذه الاخيرة - التقرب من الاتحاد السوفياتي ، وفي الوقت نفسه نقد الاشتراكية بشكل عام - الدفاع عن حقوق العالم الثالث ازاء الدول الكبرى - طرح علاقة متجانسة بين السياسات الوطنية (او القومية) ، ولكن لم يحدد بالمقابل مدى ومفهوم السيادة القومية .

- التصور الثاني : يشتمل على صورة أوروبا موحدة (صورة غامضة المعالم وبالأحرى صورة كانت ردة فعل للتصور الديغولي تركز خاصة على الامانة للواتان بنوع رئيسي ، وثانيا على قومية شاملة *Supranationalité* بمقدار ما كان ديغول يشدد على الاستقلال القومي) .

منذ عام ١٩٦٩ حتى اليوم لم تعد المسألة بهذه الحدة ، بل اخذت لها السوق الأوروبية المشتركة كطريق تنفذ منه الى مسألة الوحدة . غير ان السوق المشتركة باتخاذها القناة الاقتصادية دعمت ورسخت طرق الانتاج الرأسمالية في أوروبا وليس العكس . بالطبع ، هناك ، بفضل هذا السوق ، تسهيل للتبادل الحر بين الدول المنتمة اليه ، وبمجملها مع سائر الدول الرأسمالية . غير ان هذه التسهيلات جاءت لصالح أميركا اذ دعمت اقتصادها

وثبتت هيمنتها بواسطة القوة الاقتصادية على أوروبا .

وكان قد وقع خلاف ما بين الحزب الشيوعي الفرنسي والحزب الاشتراكي بشأن مسألة أوروبا ، لا سيما ان المشروع الذي كان مطروحا هو انتخاب برلمان اوروبي بواسطة الاقتراع الشامل . كان الشيوعيون يرون في ذلك خطرا على التوجه الاوروبي نحو الاشتراكية ودعمها للرأسمالية بواسطة سلطة سياسية عليا تؤثر على السياسات الاقتصادية ، ان لم تقررها وتتحكم بها . اما الاشتراكيون فيقولون : نحن امام الامر الواقع . اي ان القرار بانشاء برلمان اوروبي لم نقرره نحن ، سواء شئنا ام ابينا . لذلك فالواقعية ، اولا ، تفرض علينا ان ننطلق من هذا الامر الحاصل ونعمل ما استطعنا لكي نجعل من هذه المؤسسة وسيلة لبعث الروح الاشتراكية ، ولاخذ سلسلة من المبادرات التي تساعد على خلق بنى اشتراكية ليس فقط في فرنسا بل في أوروبا كلها .

لكن يجب الاخذ بعين الاعتبار : اولا ، ان فرنسوا ميتران قد صرح اكثر من مرة بانه يريد ان يحافظ على علاقات ودية مع المانيا الفدرالية ، وكذلك مع الولايات المتحدة ، وثانيا ، ان ميتران هو نائب رئيس الاممية الاشتراكية ، اي هو في اتحاد الاحزاب الاشتراكية - الديمقراطية التي تضم الحزب الاشتراكي الالمانى . والحزب العمالي البريطاني ، والحزب العمالي الاسرائيلي وغيرهما من الاحزاب .

وتصريحات ميتران عديدة بهذا الشأن ، فهو دائما يؤكد ان فرنسا لا يمكنها الا ان تنسجم مع موقعها الجغرافي والتاريخي ، وبالتالي الاقتصادي والسياسي . « قبل كل شيء ، يصرح فرنسوا ميتران ، لنراين تقع فرنسا . وهل من حاجة الى ان اصف موقعها الجغرافي والتاريخي ؟ بالتأكيد لا . ففرنسا تنضم لأوروبا الغربية بجغرافيتها وبالنسيج الذي خيط به تاريخها . وعليها اذن ان تبقى أمينة لأوروبا » . (٢)

كما نراه ، بعد ايام من تصريحه السابق يحدد علاقته بالمعسكريين (٣) : « ان علاقات ودية ومثمرة تربط فرنسا بالاتحاد السوفياتي لهي ضرورة لضمانة التوازن الاوروبي . وهذا ، على كل حال ، يتطابق مع واقع الديبلوماسية الفرنسية خلال عصور . وهذا الاتفاق الضروري لا يتناقض مع الابقاء على العلاقات القائمة مع الحلف الاطلسي » . (٤)

لم تكن مسألة « وحدة أوروبا » ومسألة « البرلمان الاوروبي » امرا اختلف حوله اليسار الفرنسي في الازمة الاخيرة التي عصفت بصفوفه وادت الى انقسام وحدته . ففي اواخر حزيران الماضي صوت البرلمان الفرنسي على مشروع « البرلمان الاوروبي » واصبح المشروع بالتالي مقبولا من الجبهة الفرنسية . واثناء المناقشات ، ولدى الاقتراع امتنع الشيوعيون عن رفض

المشروع ارتأيدده وايده الاشتراكيون ولم يمانعه بشدة الا الديغوليون . وهكذا وقف اليسار ، في النهاية ، من مسألة اوروبا موقفا منحازا للمعسكر الغربي ، وبالتالي ، موقفا يتناقض مع مشروع الاشتراكية الجذرية التي تناهض الرأسمالية وتناضل ضد الامبريالية .

اليسار الفرنسي والقضية الفلسطينية

ان موقف اليسار من القضية الفلسطينية يحتوي على كثير من الغموض ، ولدى بعض الفئات على تناقض سافر . واذا ما راجعنا مواقف مختلف الفئات الفرعاء بشأن هذه القضية فانه بإمكاننا اختصار المواقف على الشكل التالي :

١ - الموقف الاكثر جذرية ، والاكثر انصافا للعرب ولللسطينيين في استرجاع ارضهم المفتصبة والحصول على حقهم السليب ، نجده لدى الفئات الفرنسية الموجودة في اليسار الاقصى . غير ان هذا اليسار ليس في الساحة الفرنسية ، ويتعامل معه المتزمنون العرب والفلسطينيون بارتياح ويقبلون عليه مع ان الاتصال بالجماهير الفرنسية ، وخاصة بالقوة السياسية الفاعلة في الساحة الفرنسية ، لا يمر اطلاقا عبر هذه القناة .

٢ - الموقف الاكثر « تقدمية » بشأن القضية الفلسطينية هو ، نسبيا ، لدى الحكومة الفرنسية ، في موقفها الرسمي والمعلن . فبالرغم من يمينيته ورجعيته وارتفانه للسياسة الاميركية ، فقد عبر الحكم الفرنسي عن موقفه بالنسبة للقضية الفلسطينية بوضوح وهو :

١ - الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية المحتلة عام ١٩٦٧ .

ب - الاعتراف بمنظمة التحرير الفلسطينية كممثل شرعي للفلسطينيين .

ج - حق الفلسطينيين بالعودة الى وطنهم بما فيه اقامة دولة فلسطينية .

٢ - الحزب الشيوعي الفرنسي يمكن القول عن مواقفه بانها متطابقة مع موقف الاتحاد السوفياتي . ونعني بذلك الموقف الرسمي على الاقل ، بما في ذلك من التحولات والغموض وفقا للمراحل والاقوات والظروف الراهنة . وهو يتركز حول ضرورة الانسحاب الاسرائيلي وتطبيق قرار مجلس الامن ، والاعتراف بحق الشعب الفلسطيني باقامة دولته المستقلة .

٤ - اما الموقف الاشتراكي فهو دون الموقف الاميركي ، اي انه يساند بالكلية اسرائيل .

هذا وان الاحزاب اليسارية الثلاثة ، اثناء مفاوضاتها الاخيرة حول « البرنامج اليساري المشترك » في قمة ٢٢ ايلول الماضي قد وقفت ازاء القضية

الفلسطينية على الشكل التالي :

الشيوعيون : الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني بوطن وانشاء دولة وطنية
مستقلة .

الاشتراكيون : موقفهم بقي غير واضح وعبروا عنه بكثير من الحذر .

الراديكاليون : مع اقامة دولة فلسطينية في الضفة الغربية تكون في اتحاد
فدرالي مع المملكة الاردنية .

غير ان الموقف الذي يتميز بخصوصية ، ويتخذ اهمية كبرى ، نسبيا ، هو
موقف الحزب الاشتراكي الفرنسي من القضية الفلسطينية . وسنعرض هذا
الموقف بايجاز :

١ - بشكل عام ، يقف الحزب حيال العرب موقفا مشابها لموقف معظم
الفرنسيين (ما عدا اعضاء الحزب الشيوعي والاحزاب اليسارية الثورية
وبعض الديدغوليين القدماء) . والموقف هذا يتسم بطابع العداء للعرب ،
وبالعنصرية . (٥)

٢ - والشيء الذي يلفت النظر هو ان الحزب الاشتراكي الفرنسي لم يضع
في برنامجه للسياسة الخارجية خاصة بالدول العربية الا مؤخرا . ففي الاصل ،
هناك امانة سر وطنية تهتم بالسياسة الخارجية وتهىء خطوط هذه السياسة
لتقررها المؤتمرات الوطنية للحزب . ونلاحظ ان في باب السياسة الخارجية
لا تتضمن جميع مستندات وقرارات الحزب اي شيء يذكر عن « سياسة عربية » ،
بل تعالج مسألة « السياسة ازاء العالم الثالث » (وحتى هذا الباب ، باب العالم
الثالث لم يبدأ به الا عام ١٩٧٤ في مؤتمر (بو) حيث انشأ المؤتمر امانة
سر سميت « امانة سر للعالم الثالث ») .

عام ١٩٧٥ فقط انشئ « فريق عمل » يعالج قضايا العالم العربي بشكل
مباشر . ويدير هذا الفريق استاذ جامعي في الحقوق (درس في احدى
جامعات بيروت لمدة عامين) وهو جاك هونتزينغر .

٣ - فيما يختص بمسألة النزاع العربي- الاسرائيلي ، فان مواقف الحزب
واضحة : فبينما ان القضية الفلسطينية تلقى تأييدا من الحزب الشيوعي نرى
ان الاشتراكيين يساندون اسرائيل بطريقة واضحة وثابتة وغير مشروطة .

- السبب الاول لهذا الامر يعود الى ان للحزب الاشتراكي قاعدة انتخابية
يهودية صهيونية لا يستهان بها . يقدر عدد اليهود في فرنسا ، اليوم ، بحوالي
٩٠٠/ الف شخص . ويقدر عدد المقترعين منهم بحوالي ٣٠٠/ الف

شخص ، واذا علمنا ان اكثرية هؤلاء الساحقة تقترح الى جانب الحزب الاشتراكي ، وان مقدار / ٣٠٠ / ألف صوت قد ترجح الكفة في الانتخابات تيقنا من أهمية ربح هذه الاصوات اليهودية .

- **السبب الثاني** يعود الى انه ابان خلق دولة اسرائيل لعرب الاعلام الصهيوني دورا كبيرا في صفوف الفرنسيين عامة ، والاشتراكيين خاصة ، اذ صور لهم قيام دولة اسرائيل وكأنه امر عادل ، من جهة ، ينصف حقوق شعب يهودي اضطهد ابشع الاضطهاد كما نعلم ، ومن جهة اخرى ، بشكل مشروع خلق دولة « اشتراكية ديمقراطية » . وحتى في السنوات الاخيرة ، حيث تجلت اكثر للعالم حقيقة اسرائيل وعنصريتها ولا ديمقراطيتها ولا اشتراكييتها ٠٠٠ لم يتغير موقف الحزب الاشتراكي من التأييد المطلق لدولة اسرائيل .

لكنه ، بعد ان نالت « منظمة التحرير الفلسطينية » اعترافا دوليا ، خطا الحزب بعض الخطوات الخجولة لتفهم اكبر للمسألة الفلسطينية . فهناك ، مثلا ، علاقات بينه وبين منظمة التحرير الفلسطينية ، لكنها تبقى على مستوى غير رسمي . (٦) كما ان الحزب يدعم في مواقفه الرسمية مقررات هيئة الامم المتحدة المتعلقة بحل النزاع العربي - الاسرائيلي ، لا سيما قرار مجلس الامن ، ٢٢ تشرين الثاني ١٩٦٧ رقم ٢٤٢ .

ولكن ، تبقى الاولوية لديه ليست في انصاف الفلسطينيين والعمل لاعادة حقوقهم المسلوبة ، بل في دعم قيام وتثبيت اسرائيل كدولة في حدود آمنة وثابتة وبشروط تكفل لها الديمومة ، وخاصة باعطائها الوسائل اللازمة لفرض بقائها كدولة . اما « حقوق الشعب الفلسطيني » فهذا يبقى مسألة ثانوية وغير محددة على كل حال ينادون بها (وكيف باستطاعتهم الا ينادوا بها ككل الاحزاب والكتل الفرنسية ، حتى تجمع اليمين) .

وعلى كل حال فان المواقف الرسمية ، حتى هذا اليوم ، تؤكد تواطؤ الحزب مع اسرائيل ونكتفي بتصريح واحد رسمي يتعلق بموقف الحزب من اسرائيل ، فأخذه من وثيقة صادرة عن قسم العلاقات الخارجية للحزب ، وتتضمن مجموعة التصريحات الرسمية حول الموقف في العلاقات الخارجية . ففي صفحة ٢٧ من هذه الوثيقة نجد نصا اخذ من ندوة صحافية عقدها فرنسوا ميتران في ١٤ كانون الاول عام ١٩٧٦ ، يقول فيه حرفيا :

« ان موقفنا تجاه اسرائيل هو الاعتراف بدون حد بحقها في الوجود » .

« هذا الحق يفترض وجود الوسائل : وسائل الحياة الاقتصادية ، القوة العسكرية ، والواقع الجغرافي . والحال ان اسرائيل قد بنت دولة ، وجمعت شعبها . واعترفت بها معظم دول هيئة الامم المتحدة . فلقد مر التاريخ ، ووصل

الى هذا الحد • غير ان شعوباً اخرى ، و كما حدث غالباً ، وجدت نفسها متقلبة من مكانها » •

« فهل بالامكان حل هذا التناقض بين شعوب عديدة تطالب بنفس الارض فيما هذه الشعوب نفسها لا تريد ان تتوزع على نفس هذه الارض ؟ »

« فعلى الآخرين ان يجدوا مكاناً لهم في الخارج لان اسرائيل هي موجودة اليوم على هذه الارض • ومن جهة اخرى ، فيما يختص بالاراضي المحتلة يجب ان يعاد النظر بأمر حدود يتفق عليها » •

« والحزب الاشتراكي يعتقد ان حق هؤلاء الفلسطينيين كشعب منظم ضمن دولة يجب ان يعترف به يوماً ما » •

« اسرائيل تريد ان تحصل على ضمانات عسكرية ، هذا طبيعي لدى دولة صغيرة تشعر انها مهددة » •

« والدول الكبرى الاربعة ، الولايات المتحدة الاميركية ، وفرنسا ، والاتحاد السوفياتي ، وبريطانيا ، وكذلك منظمة الامم المتحدة ، لم تنجح في حل هذه المشكلة • ولم تصل الا الى سياسة جزئية عبر اتفاق مرحلي كالاتفاق الذي حصل بين مصر واسرائيل » •

« مع هذا فاننا ننوي الاحتفاظ بعلاقات جيدة مع الدول العربية • فسياسة الحزب الاشتراكي واضحة ، وهي : الاعتراف بحق الوجود لدولة اسرائيل • وفي الوقت نفسه نتمنى ان تعطي اسرائيل معنى ومضموناً حقيقيين للواقع الفلسطيني » •

خلاصة

ان اليسار الفرنسي قد تعثر في مسيرته الوجودية عندما اقتربت منه السلطة، او بالاحرى عندما تبين له ان باستطاعته ان يصل الى الحكم • عندها انكشفت لاعين الفرقاء اليساريين نتائج التحالف في سبيل السلطة • كما تبين لكل واحد منهم مقدار القيود التي يفرضها عليه الوضع الراهن • وبالتالي فان اختلاف الاحزاب اليسارية الفرنسية في نظرتها الى مسألة التحول الاشتراكي ، لا سيما عن طريق تغيير البنى الاقتصادية ، قد أدى الى تفسيح الوحدة اليسارية • ذلك ان هشاشة التحالف لم تكن أمراً واضحاً ولا هاماً في السنوات الاخيرة الماضية • • المسألة الملحة كانت بالنسبة للاحزاب الثلاثة كسب المزيد من الانتصار ومن الاصوات الانتخابية حتى ولو كان هذا الامر على حساب الوضوح في

الرؤيا والصدق في المسلك الثوري التغييري . هذا ويمكننا ان نعتبر ان الرؤيا في السياسة الخارجية لدى الاحزاب الفرنسية اليسارية تتحكم فيها ، الى حد كبير ، النظرة الاقتصادية ، وبشكل عام النظرة في مسألة تحول المجتمع الرأسمالي الى مجتمع اشتراكي . فكما ان الرؤيا الاقتصادية جاءت اصلاحية ولم تتعد الحد الأدنى الذي بدونه لا يمكن إقامة مجتمع اشتراكي ناجح في المجتمع الاوربي الغربي ، كذلك الرؤيا السياسية الخارجية أتت هي ايضا غامضة تتأرجح ما بين الارتهان للمعسكرات القائمة وبين الاستقلالية وعدم الانحياز . أما على صعيد السياسة العربية فان التحالف اليساري لو اعطي له ان يستمر ثم ان يصل الى الحكم لما كان بدل شيئاً يذكر من السياسة الفرنسية الحالية بالنسبة لمجمل القضايا العربية ، وخاصة لقضية فلسطين . وربما وحدها « الشيوعية - الاوروبية » اذا رأت النور وترسخ خطها قد تبديل في موازين القوى التقليدية فيتسنى للعرب ان يدخلوا من هذا الباب ليبداوا الموقف الاوربي الغربي بالنسبة لاهم قضاياهم المصيرية .

(١) الهوامش :

(١) راجع « شؤون فلسطينية » العدد ٧٢ ، تشرين الثاني « نوفمبر » ١٩٧٧ : « اتحاد اليسار الفرنسي والصراع على السلطة » ص ٦٧ - ٨١ .

(٢) فرنسوا ميتران في مؤتمره الصحافي المنعقد في ٢ ايار (مايو) ١٩٧٤ .

(٣) فرنسوا ميتران في حديث لمحطة اذاعة « اوروبا رقم ١ » في ١٤ ايار ١٩٧٤ .

(٤) بشأن تصريحات ومواقف فرنسوا ميتران من السياسة الخارجية للحزب الاشتراكي، ومن مسألة « وحدة اوروبا » يمكن مراجعة : الخطاب الذي القاه في الجلسة الختامية لمؤتمر (غرينبول) في حزيران (يونيو) ١٩٧٣ - وخاصة مداخلته في مؤتمر (بانويليه) حول « مسألة اوروبا » المنعقد في كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٣ - وتصريحاته ابان خوضه معركة الانتخابات الرئاسية في فرنسا عام ١٩٧٤ .

(٥) ان احد الامثلة الاكثر وضوحا عن عداء الغرب للعالم العربي تجده فسي رداث الفعل عند النواب الفرنسيين في مختلف اتجاهاتهم السياسية عقب حرب تشرين ١٩٧٣ . للاطلاع على مختلف المواقف راجع نصوص مناقشات مجلس النواب الفرنسي ، المنشورة في « الجريدة الرسمية » الفرنسية ، لا سيما نصوص مناقشات جلسة ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ وما بعد هذا التاريخ مباشرة .

(٦) يدعو الحزب الاشتراكي الفرنسي سائر الاحزاب الاشتراكية في العالم ليرسلوا ممثلا عن كل منهم لحضور المؤتمر الاشتراكي الفرنسي السنوي . والاحزاب العربية التي دعيت لحضور مؤتمر عام ١٩٧٧ (الذي انعقد في حزيران (يونيو) الماضي في مدينة «نانت») بصفة مراقب ، هي جبهة التحرير الوطنية الجزائرية ، والحزب الاشتراكي اللبناني ، والبعث

(العراق وسوريا) ، والاتحاد الاشتراكي المصري . ولقد دار نقاش طويل بين المسؤولين في الحزب قبل انعقاد المؤتمر حول مسألة دعوة « منظمة التحرير الفلسطينية » وانتهى النقاش باتخاذ قرار عدم دعوة المنظمة المذكورة

(٢) المراجع :

— La revue : « Politique Etrangère » 2 (1975) : Jacques HUNTZINGER : La Politique étrangère du Parti Socialiste » PP. 177 - 199 .

— سلسلة مقالات في جريدة (اللوموند) الفرنسية بتاريخ ١٤ و ١٥ ايار (مايو) ١٩٧٤ تحت عنوان « اليسار الفرنسي والسياسة الخارجية » .

— «مساهمة فكرية» تقدمت بها «لجنة السياسة الخارجية» في الحزب الاشتراكي الفرنسي ونشرت في مجلة الحزب : La Nouvelle Revue Socialiste , décembre , 1974

— قرارات المؤتمرات الوطنية السنوية للحزب الاشتراكي الفرنسي ، لا سيما قرارات مؤتمر « بو » الذي انعقد في شباط ١٩٧٥ .

— المراجع المدرجة في اخر المقاتلين السابقتين والمشار اليهما في الهامش رقم (١) من هذه المقالة .

— عن الشركات المتعددة الجنسية راجع :

Kari Levitt , Silent Surrender . Tornato , Macmillan Co. of Canada 1970

— عن مسألة « اوربوا الموحدة » راجع مقالة :

« L'Europe : carcan ou tremplin » pp. 8 — 11

Politique Hebdo , No 266 , 1977

في مجلة :

— عدد خاص حول « مسألة وحدة أوروبا » من مجلة الحزب الاشتراكي الفرنسي :

La Nouvelle Revue Socialiste , Avril , 1977

— كتاب :

Jean - Denis BREDIN : Les Français au Pouvoir , Paris , 1977

مجلة "العالم الاسرائيلي" البيروتية

مساء الخميس في ١ ايلول ١٩٦٦ صدر العدد الاول من مجلة « العالم الاسرائيلي » في مدينة بيروت حيث تم توزيعه في سائر المدن اللبنانية والسورية والفلسطينية والمصرية وغيرها من المدن العربية .

تحت ترويسة العدد الاول من « العالم الاسرائيلي » وضع تعريف بالمجلة على النحو التالي : « مجلة علمية ادبية اخبارية تصدر مؤقتا مرة في الاسبوع ٠٠ الرسائل لا ترد نشرت او لم تنشر ٠٠ الاشتراك يدفع سلفا : في بيروت ٢٠٠ غرش سوري او ٦٠ فرنك ، الخارج ٣٥٠ غرش سوري او ٧٠ فرنكا ٠٠ المكاتبات باسم صاحب المجلة سليم الياهو من ٠٠ الاعلانات تفاوض الادارة بشأنها ٠٠ مركز الادارة : مطبعة النجاح شارع جورج بيكو ٠٠ المدير المسؤول سليم الياهو من ٠٠ بيروت صندوق البوسطة نمرو ٣٧٥ » .

وفي العدد الاول صفحة عن تيودور هرتزل واخبار صغيرة ورواية بعنوان « الغرفة الحمراء » وافتتاحية مدروسة لا بأس من اعادة قراءة اهم ما جاء فيها . بعد جولة غير قصيرة في نتائج الحرب العالمية الاولى على المنطقة وسائر مناطق العالم وخاصة بالنسبة للامم الصغيرة يدخل سليم الياهو من الموضوع قائلا : « نرى كل طائفة من الطوائف لها وسائل نشرية تؤدي لها هذه الخدمة وتوافقها بما يفيدها في شؤونها الاجتماعية والاقتصادية ما عدا الطائفة الاسرائيلية في بيروت فهي مع حرصها على تعرف شؤون اخوانها في الاقطار ورغبتها ان يكون لها ما لاخوانها من المدن الاقل عمراناً من النشرات السياسية والادبية التي تنهض بهم وتحفزهم على التقدم . ومع كل ذلك فهي لا تزال كأنها في منتبذ عن مثار الحركة القلمية والادبية والاجتماعية ٠٠ فكاشفني كثير من ابناءها الغيورين على مصحتها و اشاروا الى ان حرمانهم من مجلة او جريدة تقوم لهم بهذه الغاية مما لا يغتفر في الؤونة الحاضرة واستحثوني لتملئة هذا الفراغ » . ويذكر كاتب الافتتاحية ان فكرة اصدار المجلة قد راودته كثيرا ولكنه تريت بانتظار التاكيد من وجود القراء ٠٠ « أما وقد تحققت الان ان الشعور الادبي الحي منبث في الطائفة ، وهو علامة الرقي والنهوض ، ولما كانت البلاد ترتع في بحبوحة أمن وسلام وحرية كاملة بفضل

الحكومة المنتدبة ورجالها العظام ، لم ار لي عذرا في التريص والامهال ، فليبت طلبهم ايفاء للواجب ، وانشأت هذه الرسالة بشكل مجلة، اخترت ان اسميها «العالم الاسرائيلي» اضمنها فوائد علمية ومباحث اجتماعية وشذرات انتقادية وحوادث اخبارية » . وباعتبار ان رخصة المجلة غير سياسية ، فان سليم الياهو من يشير في افتتاحيته الاولى الى ان « مسلكها وخطتها علمية ادبية اخبارية انتقادية وتنقل من حوادث السياسة وأقوال اساطينها في الشرق والغرب ما له تعلق بالطائفة لا غير » . ثم يضيف « وما لم يكن ضمن هذه الدائرة فلا تتعرض له ولا تخوض فيه وأظن تلك الدائرة متسعة فسيحة الاطراف فيها مندوحة لا نشعر معها بحاجة الى الخروج منها » . لماذا ؟ « لان الطائفة منبثة في كل الارحاء والبقاع تكفيها حوادثها مؤونة الالتجاء الى غيرها » . ويختتم الافتتاحية بتحديد قيمة الاشتراك وموعد الصدور حيث يتألف كل عدد من « ٨ صحايف مزدانة احيانا بأشهر الرسوم » . مع الابهال الى الله ، على عادة جميع كتاب الافتتاحيات الاولى في هاتيك الاعوام ، لكي « يوفقتنا لما به نفع الامة والوطن ويأخذ بيدنا في عملنا فعليه اعتمادنا وهو النسميع المجيب » .

طبعاً ، لم يتقيد صاحب « العالم الاسرائيلي » بمضمون الترخيص لمجلته حتى منذ العدد الاول . والذي يقرأ بين سطور افتتاحيته ، يدرك تماما ، ان سليم الياهو من ، اليهودي البيروتى الثرى ، يستهدف من مطبوعته شيئا يتخطى الادب بل وحتى اخبار الطائفة فسي بيروت وغيرها . وهو ، على كل حال ، ارتكب المخالفة منذ العدد الاول ، حين نشر صفحة بكاملها عن هرتزل . ولكن التغطية حاضرة : فهرتزل يهودي ، وما كتب عنه كناية عن خبر كبير الحجم !

بعد أسبوع ، وبالتحديد في مساء الخميس ٨ ايلول ١٩٢١ ، صدر العدد الثاني من هذه المجلة « الادبية » وليس فيها من الادب سوى العبارة التالية : « ارجو من اخوان الادب الذين يكتوبوني ان يبعثوا برسائلهم لي الى رئاسة تحرير هذه المجلة » وهي موقعة باسم صحافي مغفور اسمه الياس الظاهر . عدا ذلك فجميع موضوعات المجلة كانت سياسية وخاصة افتتاحيتها التي عالجت « الموقف الحاضر بين اليونانيين والأتراك » .

أما العدد ٣ الصادر في ١٥ ايلول ١٩٢١ فيمكن اعتباره العدد الاول خاصة بالنسبة لافتتاحيته التي تضمنت عدة مسائل ، كانت وما زالت ، من أهداف الحركة الصهيونية البعيدة . كتب الافتتاحية « محرر جريدة الشعب » ولكن في اطار « حديث مع الموسى روبرت دهكه » اضافة الى العنوان التالي : « المناسبات بين سورية وفلسطين » .

يستهل محرر جريدة « الشعب » الافتتاحية بقوله : « انتهزت فرصة وجودي في بيروت فقابلت الموسى روبرت ده كه القائم حينئذ مقام المفوض العالي ، وكان الموضوع الذي دار حوله الحديث في تلك المقابلة هو المناسبات المستقبلية بين سورية وفلسطين » .

ويؤكد كاتب الافتتاحية ان دهكه ابدى له سروره « من سنوح الفرصة له ليشرح وضعيته امام العالم الاسرائيلي » ثم قال له : « لا يوجد اقل معارضة او مخالفة من جهتنا لتشكيل الوطن القومي لليهود في فلسطين ولكن ينبغي ان لا تنسوا ان اهالي البلاد التي تريدون ان تجعلوها بلادكم اكثرهم ضد هذه الفكرة ونحن هنا لا يمكننا ان نمنع أحدا من ان يعترض على مشروعكم او ان ينتقده . فان للاهالي شعورا وطنيا يقتضي ان تحلوه محله من الاعتبار وان كنتم لا تخشونه الان لاحتلال الجيش البريطاني في فلسطين » .

وسأله مندوب « العالم الاسرائيلي » بالاعارة سؤالاً يستدعي تأملاً عميقاً : « ما رأيكم في نهر الليطاني واليرموك وهلا ترينا اثر انعطافها نحو فلسطين اليهودية » ؟ وأجاب دهكه : « نحن نعتبر منذ أماد طويلة حماة لسورية ولبنان اللتين لنا فيهما مصالح اقتصادية وتاريخية وأدبية وقد اعطتنا معاهدة سان ريمو حق الوصاية على سورية فعلياً ان نستعمل ذلك الحق فنحافظ على مصالحها . اما الليطاني فهو نهر سوري محض . ينبوعه ومصبه في اراضي سورية . أفلا يكون ظلماً منا ان نترككم تحرمون لبنان من اهم انهاره التي ليست في ارض فلسطين ؟ اما رأيي الخصوصي فهو ان ليس للصهيونيين أقل داع للتذمر . واطن انكم لا تقدرون اهمية القومسيون الذي نفحكم بأراضي الحولة التي ، مع الزمن ، وقليل من الاعتناء ، قد تصير اخصب كل البلاد المجاورة . ان اراضي الحولة ، هي ذاتها على ما أعلم ، جزء من حكومة لبنان وكنت قبلاً راجعت المسيو كليمانصو حتى لا يحرم سورية من هذه الاراضي » . وعاد المفوض السامي الى الكلام عن الليطاني واليرموك من موقع عملي مغاير للموقع المبدئي الذي انطلق منه ، فقال : « اما بخصوص نهر الليطاني واليرموك فلکم نوع من الاستئجار والحكومة الانكليزية يجب ان تستشار بأي عمل يمكن ان يجري على اي شاطئ من شواطئها » . واضاف عن الليطاني وحده « اما الليطاني فلم تكن نقدر أن نمحکم الامتياز فيه لان مرافق هذا النهر هي ضرورية للاراضي التي يمر بها . ومع ذلك فمن صالحنا ان نسمح لكم باستخدام القوى الانكليزية التي قد تستحصل من هذا النهر » .

وطرح مندوب « الشعب » سؤالاً ثانياً من شأنه ، مع السؤال الاول ، ان يفسر تماماً ما يحصل اليوم ، أي بعد ٥٦ سنة من تاريخ صدور هذا الحديث - الافتتاحية . السؤال هو : « هل الحكومة الافرنسية مستعدة لاجراء التسهيلات اذا اراد اليهود استعمار الاراضي الواقعة شمالي حدود فلسطين » ؟ وأجاب المفوض السامي الفرنسي : « كلا ، لا اقول اننا نساعد مثل هذا الاستعمار ، اننا كمحافظين على سورية الجديدة لا يمكن ان نسمح باسكان شعبكم في أرض تتمنون التوطن فيها . انما لا يمكننا ان نمنع اليهود من دخول سورية افرادياً » .

وعاد الصحافي يطرح سؤاله الاساسي الشامل على الوجه التالي : ما هو فكركم الذاتي بشأن مطالبنا الوطنية اليهودية ؟

أما جواب دهكه فكان مزيجاً من الدبلوماسية والحقائق الناقصة التي اشتهر دبلوماسيو الغرب بالنطق بها رغم تعاطفهم مع الحركة الصهيونية . قال دهكه : « انا ممن يعطفون شخصياً على الصهيونية وارى ان الخبرة والتجربة هي مفيدة للغاية ولكن لا ينبغي ان تستأروا اذا نظرت الى الاشياء بغير نظركم . انتم أخذون في ايجاد أمر لم يفكر فيه احد قبل الان . بعد نحو الف سنة تريدون ان تعودوا الى بلاد تركتموها من قبل بين أيدي الفاتحين . فلا تظنوا ان الذين يقيمون فيها الان يستقبلونكم بالترحيب . انا درست هذه المسألة بدقة واني لاشك في امكان حل المسألة اليهودية بواسطة الحركة الوطنية اليهودية بل لاخشى ازدياد العداء ضد اليهود في بعض الاماكن » .

وفي العدد نفسه بدأ الصهيوني الشهير الياس ساسون يرسل « العالم الاسرائيلي » من دمشق حيث عرب حديث جريدة هآريتس عدد ٦٤١ « مع ريموند بوانكاريه رئيس جمهورية فرنسا سابقاً واحد اركان سياستها اليوم » .

وبدءاً من العدد الثالث ، كرست « العالم الاسرائيلي » منبرا اعلامياً في بيروت ينطق

مداورة بلسان الحركة الصهيونية . وقد استمر كذلك على طول الاعداد التسعين التي تسنى لنا الاطلاع عليها . ويمكن القول انه لم يطرأ اي تغيير على « العالم الاسرائيلي » طوال هذه الفترة سوى ان بدل الاشتراك فيها قد خفض من ٣٠٠ غ.س. أو ٦٠ فرنك في الخارج الى ٢٥٠ غ.ش. أو ٥٠ فرنك بدءاً من العدد ٥٢ .

أما كيف تحولت « العالم الاسرائيلي » من مجلة « أدبية » حسب رخصتها ، الى جريدة سياسية صهيونية من غير اي تدخل من الرقابة ؟ فالجواب في غاية البساطة : صدرت « العالم الاسرائيلي » بعد غام من سقوط الحكم الفيصلي في دمشق ، وبعد عامين من سقوطه في بيروت ، تحت وطأة الدبابات الافرنسية بقيادة الجنرال غورو . ومنذ انزال العلم العربي عن سرايا بعيدا ، والرقابة الصحافية الافرنسية تحصي انفاس كل صحيفة وطنية وكل قلم وطني يخط كلمة فيها . ولعل جريدة « الحقيقة » التي كانت تعتبر جريدة الحركة الوطنية في بيروت عهد ذاك ، قد نالت حصة الاسد من مضايقات الرقيب . ويستدل من النسخ المراقبة - وقد احتفظ بها صاحبها كمال عباس - ان الرقابة الافرنسية كانت تمنع نشر اي شيء يمس الحركة الصهيونية ومخططاتها واعمالها في المنطقة . وخير مثال على ذلك افتتاحيتان كتبهما انيس الخوري المقدسي حول الحركة الصهيونية ، وقد حذفهما الرقيب كلياً . كانت الافتتاحية الاولى تحمل عنوان « الصهيونية : اساسها الواهي ، غايتها ، الصهيونية لا تتحقق ، كيف يجب مقاومتها » ومما قاله المقدسي في افتتاحيته المراقبة : « يجب الاتحاد التام بين جميع الطوائف لمقاومة هذه الحركة الاجنبية بالمال والعلم والقوة ان احتجنا لذلك ، ولا شك ان مواطنينا اليهود يساعدوننا على ذلك » (الحقيقة - ٢٥ شباط ١٩١٩ - العدد ١٠٤٠) .

في العدد ١٠٤١ الصادر في ٢٦ شباط ١٩١٩ ، حذف الرقيب الافتتاحية الثانية التي كتبها المقدسي بعنوان « بين مالطة والصهيونيين » وقال فيها : « لا تعجب ايها القارئ من هذا العنوان الغريب فانك اذا تذكرت المثل العامي الذي يقول « اذا وقعت البقرة كثر الذباحون » زال العجب . في كل يوم نسمع اقتراحاً جديداً عن مستقبل فلسطين ونحن باهتون لا نبدى حراكاً حتى يقوم الغريب ويدافع عنا . فالى متى هذا السكوت ؟ مسكينة فلسطين لا ندرى ما يخبىء لها المستقبل ؟ »

وعندما تمنع السلطة الفرنسية نشر اية كلمة تنتقد الحركة الصهيونية ، خلافاً لما قاله المفوض السامي دهكه . فهل من شك في انها سوف ترعى صدور « العالم الاسرائيلي » وانتشارها في كل اقطار العالم العربي حيث كانت فرنسا وبريطانيا يستعمرانه بصورة مباشرة .

ويبدو ان استمرار صدور هذه الجريدة الصهيونية البيروتية وانتشارها لم يواجهها اية عقبة قانونية قبل عام ١٩٣٨ . ففي أواخر هذا العام صدر « مرسوم رقم ٢٤٧٣٤ بتوقيف مجلة عن الصدور » وهذا نصه : « ان رئيس الجمهورية اللبنانية ، بناء على الدستور اللبناني الصادر بتاريخ ٢٣ أيار سنة ١٩٢٦ والمعدل بموجب القانونين الدستوريين الصادرين في ١٧ تشرين الاول سنة ١٩٢٧ و ٨ ايار سنة ١٩٢٩ ، بناء على القرار رقم ٢٤٦٤ المؤرخ في ٢١ ايار سنة ١٩٢٤ ولا سيما المادة التاسعة منه ، ولما كان صاحب مجلة « العالم الاسرائيلي » قد تعهد بان لا يبحث في مجلته سوى المواضيع العلمية الادبية ، ولما كان بالرغم من هذا التعهد ومن التنبيهات العديدة التي وجهت اليه ، لا يزال ينشر مقالات سياسية لا تسمح له صفة مجلته العلمية الادبية بالبحث فيها ، بناء

على اقتراح وزير الداخلية ، وبعد استماع رأي مجلس الوزراء ، يرسم ما يأتي : المادة الاولى : توقف مجلة « العالم الاسرائيلي » عن الصدور الى ان تدفع التأمين المالي المنصوص عليه في المادة التاسعة من القرار رقم ٢٤٦٤ المتقدم ذكره . المادة الثانية : ينشر هذا المرسوم ويبلغ حيث تدعو الحاجة الى ذلك . بيروت في ٢١ ٢ سنة ١٩٣٨ الامضاء اميل اده . صدر عن رئيس الجمهورية ، رئيس مجلس الوزراء الامضاء عبد الله اليافي ، وزير الداخلية : خليل كسيب » . (الجريدة الرسمية اللبنانية - عدد ٣٦٣٣ تاريخ ٢٨-٢-١٩٣٨ ص ٣٣٣٧) .

والظاهر ان قرار التوقيف قد صيغ بصورة يفسح لالياهومن ان يستأنف اصدار جريدته حال دفعه « التأمين المالي » وبصرف النظر عن التزامه بصفة مجلته « العلمية الادبية » ! وبالفعل عاد وأصدرها بدليل ان السلطات السورية منعتها من دخول أراضيها بعد ٨ سنوات من تاريخ ايقافها من قبل السلطة اللبنانية . وجاءت حيثيات المنع على الوجه التالي : « بموجب المرسوم رقم ٤٧٩ تاريخ ٤-٥-١٩٤٦ ، تمنع مجلة العالم الاسرائيلي الصادرة في بيروت لصاحبها سليم ياهو المن من دخول البلاد السورية وتصادر اعدادها لنشرها مقالات وانباء تعرضت فيها لموظفي الحكومة السورية ودوائرها الرسمية » . (الجريدة الرسمية السورية العدد ٢٠ تاريخ ١٦-٥-١٩٤٦-١٩٤٦ ص ٧٢٢) .

ولكن قرار المنع جاء متأخرا جدا . وهو صدر بعد خروج الفرنسيين بسنوات . ولم تتضمن حيثياته ولو اشارة الى مضمون الجريدة الصهيوني . فهل كانت الحكومة السورية تسمح لجريدة « العالم الاسرائيلي » بدخول أراضيها لو لم تتعرض لموظفي الحكومة السورية ، ودوائرها الرسمية ؟

مهما يكن من أمر . فالقرار اللبناني يؤكد على استمرار « العالم الاسرائيلي » بالدعاوة للحركة الصهيونية حتى اواخر ١٩٣٨ اي زهاء ١٧ سنة . فيما يؤكد القرار السوري على ان « العالم الاسرائيلي » استمرت بالصدور ٢٥ سنة على الاقل . وهذا ، بالطبع ، يستجمل طرح السؤال التالي : ماذا عن مضمون « العالم الاسرائيلي » التي يؤكد ناشرها في العدد الاول على انها « اول مجلة اسرائيلية انشئت في بيروت سنة ١٩٢١ مسيحية وسنة ٥٦٨١ موسوية » ؟

لنستعرض الاعداد التسعين الاولى المتوفرة حتى الان من « العالم الاسرائيلي » علنا ونظفر بالحد الأدنى من الاجابة المطلوبة على السؤال الانف .

لم تعلن رئاسة التحرير عن صهيونية « العالم الاسرائيلي » ، لاسباب تكتيكية . ولكن ذلك لم يمنعها من تحويل معظم صفحات المجلة الى منبر سافر للدعاوة الصهيونية . واذا كان الياس ساسون هو أبرز المحررين الصهاينة في « العالم الاسرائيلي » ، ان من حيث عدد الدراسات التي كتبها ، او لجهة المستوى والنوعية وما يتناسب معها من نشر كتاباته في الصفحة الاولى وفي حيز الافتتاحيات . فان ما كتبه الياس ساسون يعتبر الأكثر تعبيراً عن « العقيدة » الصهيونية وتحركها العملي .

تحت باب « اليهودية والصهيونية » كتب الياس ساسون سلسلة دراسات قصيرة وذلك في مطلع عهد المجلة . يطرح الكاتب في الحلقة الاولى الاسئلة الاساسية التالية : « ما هي الصهيونية ؟ آمالها ؟ طرقها ووسائلها » ؟ وقبل ان يجيب على اسئلته يضع مقدمة صغيرة تضمنها أهمية تلك الاسئلة واضطراره الى اعطاء اجوبة مختصرة بسبب ضيق المجال ،

فيقول : « هذه الاسئلة صغيرة المبني ولكنها كبيرة المعنى يتعين على من يود الجواب عليها ان يمر على التاريخ الاسرائيلي من يوم خراب بيت المقدس الثاني . وبما ان المجال هنا ضيق ساكتفي بتلخيص الصهيونية ببعض كلمات لا مختلفة مني ، بل مقتبسة من مقالات وكتب زعماء الصهيونية بالامس ، ومن خطب وجرائد اقطابها اليوم » . ثم يجيب ساسون في الحلقة الاولى الصادرة في العدد ٧ تاريخ ١٣ تشرين ١٩٢١ : « ان الصهيونية حركة قديمة العهد متوطنة في قلب القسم الاكبر من الشعب الاسرائيلي وهي آمال تولدت في هذا القلب الطاهر من يوم انكسار الشعب الاسرائيلي في حرب الرومانيين اي منذ الفي سنة . ولقائل اين كانت مختبئة تلك الحركة الصهيونية بل هذه الروح اليهودية الوطنية مدة الفي سنة ! وما الباعث على ظهورها الان ؟ اصغ الي ايها القائل واسمع هذه الكلمات المقدسة التي يردد صداها ثلاث مرات في كل يوم ملايين من اليهود منذ ألفي سنة حتى اليوم : ربنا الذي في السموات انفخ في بوق كبير روح حريتنا وارفع علما يجمع مشتتينا واجمعنا سوية من اربع زوايا الارض لارضنا . مبارك انت يا رب الجامع مبددي شعب اسرائيل . اعد قضائنا كما في الاول ومشيرينا كما في الابتداء ، وأزل عنا الكدر والتنهد ، واملك علينا عاجلا . انت يا رب وحدك برحمة وعدل وحكم مبارك ، انت يا رب ملك يحب العدالة والحلم » .

ماذا كان تأثير تلك الصلوات على اليهود اولا وعلى حركتهم الصهيونية فيما بعد ؟ يجيب ساسون في الافتتاحية نفسها انه « في ترديد صلوات كهذه ، عاشت الامة الاسرائيلية مدة من الزمان ليست بوجيزة ، ولكن شروط الحياة العصرية اليوم علمتها انه لا يمكن لامة تطلب حياة مستقلة ان تعتمد على الصلوات وحدها بل عليها ان تعمل وتجد ، ليس في المساجد ، بل في عالم السياسة بين رجال الامم وأركان الدنيا . وهكذا تأسست في السنين الاخيرة جمعية مؤلفة من اشخاص عركهم الدهر وحكنهم وعلمهم كيف تكون الحرية الانسانية الصادقة ، فرفعوا العلم اليهودي ونادوا اخوانهم للانضمام تحت لوائه بعد ان اثاروا فيهم تلك الروح الهادئة والكامنة في صدورهم . ولم يكد هذا الصوت يرن في آذان سامعيه حتى لباه اليهود من مراقدهم ووثبوا وثبة الاسد ناشدين ضالتهم : الارض الوطنية والحياة اليهودية الحرة » .

طبعا « الارض الوطنية » بالنسبة لساسون هي فلسطين . . وبالتالي فان « الحياة اليهودية الحرة » لن تكون الا فيها ! ويقول ساسون ان نداء الحركة الصهيونية قد فعل فعله بصورة عجائبية في أوساط اليهود « فمنهم من ترك مسكنه وعائلته وأمواله وأعماله وأم فلسطين الصحراء ليعمل بما في طاقته في سبيل اعادة شعبه واحيائه حياة وطنية حرة . . ولم تمض اربعون سنة بدون معونة احد ولا مساعدة حكومة حتى شيد في فلسطين المحبوبة اربعين كولونية . أجل ان هذه الجمعية الصغيرة وهذه الكولونيات صيروا من العدم وجودا وكونوا حجر الزاوية الاول لحركة الصهيونية اليوم التي رددت صداها امم الدنيا أجمع واعجبت بنجاحها الباهر جميع شعوب الارض لقيام دعائها بأعمال لم يسبق لغيرهم عملها الا وهي : توحيد الدين والوطنية . »

قبل الوقوف على أبرز ما أورد ساسون في الحلقة الثانية لا بد من الإشارة الى ثلاث مسائل ملقطة : الاولى ان الاقلام الصهيونية في « العالم الاسرائيلي » لم تكن تطلق على فلسطين اسم « اسرائيل » بل « فلسطين اليهودية » ، وهذا واضح ، ليس فقط من خلال كتابات ساسون ، بل من سائر الكتابات التي سوف ترد نماذج عنها في السياق . الثانية ان كيبوتزات اليوم كانت تسمى كولونيات اي مستعمرات ، وهي تسمية اكثر انطباقا

عليها من التسمية الحالية . المسألة الثالثة أنه في الوقت الذي كانت أمم الدنيا بقيادة أحزابها وحركاتها العقائدية متجهة نحو فصل الدين عن الوطنية بصورة كاملة ، كانت الصهيونية تسير بعكس السير من أجل « توحيد الدين والوطنية » على حد تعبير ساسون .

في تلك الفترة برز يهودي يدعى مورغنتو معلنا رفضه لفكرة ان الصهيونية واليهودية هما توأمان لا ينفصلان . فما كان من ساسون الا ان رد عليه بافتتاحية ثانية ضمنها المزيد من شروحاته التي تصب في وحدة الدين اليهودي والحركة الصهيونية السياسية . قال ساسون : « ان الصهيونية ليست الا اليهودية ، وهذه ليست الا الصهيونية . ولم يكد هرسل يرفع العلم الصهيوني وينادي اخوانه للانضمام تحت لوائه حتى تحولت الفكرة الصهيونية أو بالحري اليهودية الى وطنية ، ولبست الامة الاسرائيلية ثوبا جديدا ، ثوبا سياسيا ادشش الاصحاب والاعداء معا » . وأضاف ساسون ملمحا الى مورغنتو « وجد من قال - حتى من اليهود - هل هذا ممكن ان فكرة بنت يومها ظهرت فجأة تقوى وتنجح رغم الصعوبات والموانع التي تعتري كل أمة تنشُد الحياة وتبتدع فكرة سياسية تسيرها في طريق الاستقلال الحيوي ؟ أليس هذا برهان وثيق بان العظام تحيي للمرة الثانية ، وان تكن أصبحت رميما ؟ أوليس الدكتور هرسل مبتدع هذه الفكرة الصهيونية اليوم هو روح موسى كليم الله بالامس ؟ من هنا يتضح للقارئ الكريم ان فكرة « رجوع بني اسرائيل الى ارض اسرائيل » وان تكن فكرة جديدة وغريبة في أعين ناظرها اللايهودي ولكنها قديمة العهد ذو شرش غميق قوي التملك في قلب الامة » . هنا ينتقل ساسون من التلميح على مورغنتو الى التصريح في نهاية افتتاحيته التي نشرها في العدد ١٢ الصادر في ١٧ تشرين الثاني ١٩٢١ : « ان مطامع وأمال الامة اليهودية بالرجوع الى مقتنيات اجدادها ليست دينية فقط ، وان الثوب الذي ألبسته الجمعية الصهيونية لهذه الامة ليس بديني أيضا ، وانما هو تاريخي . رغم ما يزعمه احد المنكرين على الصهيونية حركتها - المستر مورغنتو - ورغم ما يؤتبه المسيو سيلفان لفي من الوثائق والبراهين ، لان الجمعية الصهيونية بحركتها اليوم لا تنشُد الدين (وقد مضى على تشنت الامة اليهودية ألفا سنة لا تزال معتصمة بدينها ولا تستطيع قوة على وجه الارض أن تنزع الدين من رجال الدين) » .

ويقول ساسون لمورغنتو في السطر الاخير لهذه الحلقة : « اما قولك ان الصهيونية واليهودية كلمتان لا يمكن ان يوحدتا ، فأرجىء الجواب عليه في مقالتي الثالثة » .

قبل البدء باعادة قراءة الحلقة الثالثة من سلسلة « الصهيونية - اليهودية » لا بد من لفت النظر الى ان هدف « العالم الاسرائيلي » وساسون من الاكثار من الكتابات في هذا الموضوع ليس سلبيا بمعنى انه يستهدف دحض آراء مورغنتو او غيره من المفكرين اليهود - وغير اليهود - الذين رفضوا الصهيونية وخططها السياسية ، بقدر ما هو ايجابي يستهدف اقناع يهود بيروت وسائر مدن العالم العربي بالعقيدة الصهيونية حيث يفترض انهم يشاركون رأي مورغنتو ازاءها بصرف النظر عما اذا كانوا اطلعوا عليه أم لا . ولتحقيق هدف الاقناع بهذه الحركة السياسية - « العقدية » التي تسير بعكس اتجاه سير التاريخ ، كان لا بدلذيعها، امثال ساسون ، ان يتولوا الدين دعما لفكرتهم ، لما للدين من تأثير فعال على الانسان . ولقد ساعدهم على ذلك كون الحركة الصهيونية تستمد بالفعل روحها وخططها من الاساطير الدينية اليهودية .

يقول الياس ساسون اليهودي الدمشقي الذي أصبح يعرف باسم الياهو ساسون في رده على مورغنتو : « ان الصهيونية مشتقة من كلمة ، صهيون وهو اسم عبراني معناه

« ارض اسرائيل » . الصهيونية مركبة « دينا وحقا » من كل يهودي يعتقد بتاريخه المسطر، ليس على صفحات الكتب فقط ، بل على قلبه ايضا والقائل : « ان ارض اسرائيل لبنني اسرائيل ٠٠ ومن كل اسرائيلي يؤمن ان لا بد للشعب اليهودي من الحياة والاستقلال أسوة ببقية الشعوب وعملا بحقوق الاقليات وتطبيقا لوصايا التوراة » .

ويضيف ساسون في افتتاحية العدد ١٥ الصادر في ٨ كانون الاول ١٩٢٦ حول التوراة ودوره الاساسي في مضمون الفكرة الصهيونية : « التوراة كتاب اليهود المقدس ٠٠ مؤكدة ومثبتة ما للشعب الاسرائيلي في صهيون من حقوق الارث ، ومعلنة عن عودتهم ثانية الى ارض الميعاد وعن عودة ملكهم اليها . واليهودي الذي يحق له ان يحمل هذا الاسم (يهودي) عليه ان يقوم بوصايا التوراة شعار اليهودية ، وفيها حقها ، ان لم يكن من الوجه الديني ، فمن الوجه الوطني ، والا فاليهودية بريئة منه » .

ومن المقدمات التوراتية يصل ساسون في افتتاحية « العالم الاسرائيلي » الى النتائج الصهيونية كالآتي : « من هنا يتبين للقارئ ان اليهودي الذي يطلب اعادته الى صهيون هو صهيوني ، اراد ام لم يرد ، علم ام لم يعلم ، وان اليهودي الذي ينكر الصهيونية ليس بيهودي لانه ينكر دينه وتوراته وحقوقه . او ينكر الصهيونية لانه لا يدري معنى الصلوات التي يتفوه بها ثلاث مرات في اليوم . ولانه اعتاد على حياة العبودية . ومن هنا يتبين ان اليهودية هي الوجه الديني والصهيونية هي الوجه الوطني ، وليست الوطنية الا ثمرة الدين ، وليست الصهيونية الا ابنة اليهودية او اليهودية نفسها » .

بعد محاولة اقناع يهود العالم العربي بالحركة الصهيونية ببعديها الايديولوجي والسياسي ٠٠ تنتقل « العالم الاسرائيلي » الى اقناع العرب بالصهيونية . ولكن كيف تستطيع هذه المجلة الصهيونية ان تقنع البيروتي والدمشقي والمصري والبغدادي . وكل من هو غير يهودي وخاصة الفلسطينيين بان فلسطين هي أرض ميعاد اليهود او وطن كل يهودي سواء كان يعيش في فلسطين أو أي بلد عربي أو حتى في اي بقعة من العالم ؟

لم يصعب على محرري « العالم الاسرائيلي » الجواب ، اسوة بالخارجية البريطانية حين « اقنعت » الشريف حسين بان وعد بلفور لا يتناقض والوجود العربي في فلسطين . وهكذا بدأت « العالم الاسرائيلي » بسلسلة افتتاحيات ومقابلات صحافية حاولت فيها اقناع العالم العربي بان خطة الحركة الصهيونية لا تستهدف طرد الفلسطينيين من فلسطين واحلال يهود العالم مكانهم . وانما هدفها ان يعيش اليهود والعرب في فلسطين اخوة متضامنين متحابين !

ستار الاتحاد

لنستعرض حلقات « العالم الاسرائيلي » الداعية الى « التفاهم العربي - الاسرائيلي » تباعا حسب التسلسل الزمني .

تحت عنوان « مؤتمر كارلسباد بين اليهود والعرب » كتب الياهو من صاحب المجلة ورئيس تحريرها في الافتتاحية يقول : « لقد اختتم مؤتمر كارلسباد جلساته فسي التاسع عشر من الشهر المنصرم ، وانه قام بقرارات جلية لمستقبل شعبنا لا مجال لذكرها جميعها ومنها قرار واحد يفوقها كلها من حيث النتائج الكثيرة الفوائد ونعني به القرار المختص بعلاقت اليهود مع عرب فلسطين وهو هذا : ان المؤتمر ليرتضى الاتفاق بين اليهود والعرب، ومن أجل امانيه ان تصبح فلسطين وطننا مشتركا للعنصرين ، وان المؤتمر يكلف المرجع التنفيذي لعقد اتفاق مع العرب على قاعدة تصريح بلفور ، ما دام استعمار اليهود

لفلسطين لا يجحف بصوالح العرب » . ويعلق الياهو من على القرار بايجابية مذكرا بانها كان السياق الى الفكرة فيقول : « وكما يشهد لنا قراؤنا اننا كنا دائما نعلن ضرورة التعاضد الوثيق مع عرب فلسطين ، ولئن كنا بعيدين عن كل رغبة في الادعاء لا يسعنا هنا الا الاشارة الى اصابة رأينا . وكل من له الملم في شؤون العرب وأحوالهم يدرك ان السياسة الحكيمة الواجب اتباعها في فلسطين لا تقوم الا بهذا الاتحاد النزيه المخلص مع اخواننا المسيحيين والمسلمين على ان يكون متبادلا بين الطرفين » . ويضيف الياهو من على « ان انتخاب الوسطاء لا يمكن الا ان يكون من يهود الشرق الوطنيين ولا سيما يهود مصر . ولسنا نرغب في ان يحكم حكما سابقا على هؤلاء ، غير اننا نعرف فيهم الكفاءة انهم من أشد اليهود اخلاصا وحمية وغيره على القضية اليهودية ، فان اختارهم المرجع التنفيذي فنعمنا والا فعثا يشتغلون للتوفيق بين اليهود والعرب » . (العالم الاسرائيلي - الافتتاحية - عدد ١٤ - ١ ك ١٦ ١٩٢١) .

في ١٦ شباط ١٩٢٢ يصدر العدد ٢٥ من « العالم الاسرائيلي » وفيه مقالة « الى بعض الصحافيين » من المحرر الرئيسي الياس ساسون . ومن خلال مضمون « النداء » يستنتج القارئ ان الكاتب يرد على بعض الصحافيين الفلسطينيين والسوريين الذين ينتقدون الحركة الصهيونية ويفضحون اعمالها ومخططاتها في فلسطين . ولكن ساسون بدلا من أن يرد على الانتقاد بلغة سلبية هجومية ، اثر الرد الايجابي المنسجم مع خط « الوفاق العربي اليهودي » الذي تتكته عليه المجلة . قال ساسون في رده : « لقد وجد القلم ليوجد التفاهم بين الناس ، لا ليوغر الصدور ويثير الاحقاد ويلقي الفساد . ولكن ، يا للاسف ان في قاموس بعض رجال الصحف السورية والفلسطينية سلاح يقاتلون به الشعب الاسرائيلي ، سلاح التعصب الذميم والعياذ بالله . ان القلم وحده لا يجعل المرء كاتبيا ما لم يكن الكاتب ذا نفس صالحة مستقيمة . انت أدري ايها الشعب العربي بحالة أخيك الشعب الاسرائيلي فدع هذه الصحف وشأنها وادخل معي باب التفاهم والسلام على من اتبع الهدى » .

وفي ٢٧ نيسان ١٩٢٢ نشرت « العالم الاسرائيلي » ما يمكن ربطه بتوصية الياهو من على ان يكون مهندسو « الوفاق العربي - اليهودي » من يهود الشرق ومن مصر بالذات ! فقد طالع القراء في العدد ٣٢ من المجلة الصهيونية الناطقة باللغة العربية « نداء الى أهالي فلسطين من الحركة الماسونية في مصر » . ويقول النداء « يا أهل فلسطين تذكروا ان اليهود اخوتكم وانباء عمومكم قد ركبوا متن الغربة فأفلحوا ونجحوا ، ثم هم اليوم يطمحون للرجوع اليكم لفائدة وعظمة الوطن المشترك العام بما احرزوه من مال وما اكتسبوه من خبرة وعرفان . ان العربي والعبري صنوان من شجرة ابراهيم ، أبوهما اسحق واسماعيل ، فمتى وضع أحدهما يده في يد الآخر انتقعا جميعا بما لديهما من الوسائل المختلفة وكان في تعاونهما تمام وكمال البركة باذن الله » .

ويضيف الماسونيون المصريون في نداءهم الذي لا بد أن يكون يهود مصر قد شاركوا في صياغته : « اسمعوا وعوا هذا الصوت الذي تناشدكم به مصر شقيقتكم الكبرى ، انها تدعوكم الى السلام والوثام لمصلحتكم ولمصلحة الشرق وهي فوق كل مصلحة . اسمعوا هذا الصوت الذي يدعوكم الى الحكمة وسبيل الرشاد ، هذا الصوت المنبعث عن ارض تفاخر وتباهي بصلاح الدين ، ذلك الملك الجليل الذي اعجب به العالم طرا بما كان له من تسامح لا زال كوكبه الواضح في جبين الشرق والغرب » . وتجدر الاشارة هنا الى ان الماسونيين العرب ظلوا ينشطون بما يخدم هدف الصهيونية منذ صدور هذا النداء ، بل

وقبله ، حتى العام ١٩٧٧ حيث صدر عن العرب ما يحذر من الماسونية والماسونيين في دنيا العرب .

وباعتبار ان عملية اقتناع الفلسطينيين وسائر ابناء العالم العربي هي اصعب واجدى العمليات التي كانت الحركة الصهيونية بصدد تنفيذها في تلك المرحلة . . فقد توالى الافتتاحيات والتعليقات التي تصب في هذا الاتجاه . فمثلا ، صدرت افتتاحية « العالم الاسرائيلي » العدد ٥٦ الصادر في ٥ تشرين الاول ١٩٢٢ وهي تحمل هذا العنوان المثير : « الاسرائيليون والعرب ووجوب اتفاقهم » . وتتضمن هذه الافتتاحية مقدمة طويلة تمهد لبنت القصيد الذي هو اتفاق اليهود والعرب في فلسطين . يقول الياهو من في مقدمة افتتاحيته ان « زعماء الشعب الاسرائيلي » قد وجدوا اثناء حرب ال ١٤ الفرصة سانحة « للمطالبة بالاراضي المقدسة التي هي ارض ابائنا واجدادنا لا سيما ونحن من جملة الشعوب المظلومة المسلوقة حريتها » . ويضيف ان مطلب زعماء الحركة الصهيونية قد لاقى قبولا لدى بريطانيا وحلفائها ، فكان وعد بلفور « الذي عرفه الخاص العام » . عند ذلك ، يقول الياهو من ، « تهجم كل واحد على اليهود وعلى الصهيونيين بكل الطرق الغير المشروعة . فرموهم بكل سيئة ، واسندوا الى ذلك الشعب كل نقيصة ، وانكروا عليه فلسطين اصلا » . ويتساءل صاحب « العالم الاسرائيلي » بمرارة : « افيدونا اخبرونا فقد عيل صبرنا ؟ اتكرونا اننا من فلسطين اصلا وفلسطين وطننا ، ولنا فيه تاريخ مجيد ؟ اتقولون بانه يجب ان نباد ونحن شعب لنا الحق في الحياة تحت القبة الزرقاء كما هو شأن كل الشعوب على وجه البسيطة » ؟ ويتابع الياهو من كلامه ردا سلفا على الذين يتهمون الحركة الصهيونية بانها تخطط وتعمل لاجل ابادة الشعب الفلسطيني الذي لسه ايضا « الحق في الحياة تحت القبة الزرقاء كما هو شأن الشعوب على وجه البسيطة » ، فيقول : « رويدكم ايها النافخون في النار لغاياتكم الشخصية ومنفعتكم الذاتية . مهلا ايها المتهمون على الصهيونيين والذين تشيعون الاباطيل تضليلا للشعوب العربية وتتهموننا بالاعتداء على الاماكن المقدسة وانتهاكنا حرمة الدين وتزرعون بذور الشقاق والتفريق والبغض بين ابناء الوطن الواحد ، كل ذلك لتخدموا مصالحكم الشخصية ومآربكم الاشعبية . فان عقلاء العرب وقادة الرأي العام في الامة العربية هم اكبر من ان يصدقوا اقوالكم ويسمعوا كلامكم . فنحن ابناء الامة الاسرائيلية نحب ونرغب من كل قلوبنا ان نعيش مع كل ابناء فلسطين من مسلمين ومسيحيين وغيرهم بسلام ومحبة واخاء كل في عبادته وديانته لا يضر احد اخاه . نحب ان نعيش كائناء عائلة واحدة في بيت واحد نعمل جميعنا لاحيائه وانهاضه بروح الاخاء وروح الاخلاص وروح المحبة فلتحيا الامة العربية . . ولتحيا الامة الاسرائيلية . . ولتحيا بلادنا الفلسطينية » .

ويبدو ان حملة الحركة الصهيونية لاقتناع الفلسطينيين ، عبر « العالم الاسرائيلي » وغيرها من الصحف الصهيونية التي كانت تصدر في بعض العواصم العربية ، قد بدأت تعطي ثمارها . كيف لا ورئيس « الجمعية الاسلامية الوطنية في حيفا » يخطب في مائدة يكون أبرز الحاضرين فيها الدكتور وايژمن نفسه ! وسرعان ما تذر « العالم الاسرائيلي » مقالا اخباريا ليعقوب يهوشع من القدس تحت عنوان « صباح الاتحاد » في العدد ٧١ الصادر في ١٨ كانون الثاني ١٩٢٣ .

يقول يهوشع بلغة حماسية فرحة : « ابتدأنا نرى في افق فلسطين الدامس بعض خطوط لامعة تبشرنا ببلوغ انهار (انهار الاتحاد) . لقد بتنا نحن سكان فلسطين مدة طويلة من الزمان متناظرين متباعدين/بعضا عن البعض الاخر متباغضين متشاكسين ، وهذا لا

شك قد عاد علينا وعلى وطننا بالخسائر الفادحة » . بعد هذه المقدمة القصيرة يدخل يهوشع في صلب الموضوع بقوله : « طالعت الخطبة التي ألقاها رئيس الجمعية الاسلامية الوطنية في حيفا في مأدبة حضرها زعيم الحركة الصهيونية الدكتور وايزمن ، فانشرح فؤادي وقرت عيني سرورا لقراءتي تلك السطور الذهبية التي تعلن بزوغ شمس السعادة والهناء ، شمس الاتحاد والتضامن في كل ارجاء وانحاء فلسطين » . ويستشهد يهوشع بما قاله « زعيمنا المحبوب الدكتور وايزمن ان يوم الاتحاد قريب ، وبعد زمان قصير يظهر الاتحاد بيننا وبين اخواننا العرب » . ويؤكد يهوشع ان مثل هذا الكلام رده وايزمن في المأدبة حين قال بان « اليهود هم طلاب الاتحاد ، واثيقن بان الاتحاد التام سيأتي اليوم او غدا » وانني لاغتنم هذه الفرصة لاجابة الذين يزعمون بان اليهود يريدون ان يبنوا بيوتهم القومية على ظهور غيرهم بان قولهم هذا عار عن الصحة . ولدى الكثير من الادلة والبراهين على صحة ذلك » . ومن البراهين والادلة التي نقلها يهوشع عن وايزمن « انه منذ اليوم الذي اعلنت فيه الهدنة قد بذل اليهود في ارض فلسطين ثمانى ملايين ليرة انكليزية ، ولا يزال حتى اليوم يبذلون في كل سنة للمؤونة والاجار وغيرها أكثر من مليوني ليرة » .

ويقفل يعقوب يهوشع مقاله الاخباري بهذه الجملة التفاضلية التي اثبتت الايام عكس مضمونها تماما : « ان الله سبحانه وتعالى قد استجاب دعاءنا بتسليط الاتحاد بين الشعبين الشقيقتين ، وها ان اليوم نبتدي ان نرى بعض خطوط لامعة في أفق فلسطين المتلبد بالغيوم الكثيفة ونأمل بان الخطوط ستصبح شمس الاتحاد والهناء متمثلين بقول الشاعر العربي الذي قال :

واذا رأيت من الهلال نموه
ايقت ان سيصير بدرا كاملا

ومن القدس الى اليابان . فها هو الصهيوني رفائيل مويال يكتب « رسالة اليابان » من مدينة يوكوهاما فيقول في العدد ٧٣ الصادر في ١ شباط ١٩٢٢ : « مهما نادى الغلمان في الشوارع : معركة بين اليهود والعرب في القدس لينفقوا جرائدهم ، فلا تبالوا بندائهم .. بل دعوا التقادير تجري في اعنتها » . يضيف مويال بلغة المفرد المخاطب : « انبذ التعصب ايها الاسرائيلي .. وابتعد عنه ايها المسلم .. وتجنبه ايها المسيحي » . ثم يخاطب الجميع بالجملة : « اقتربوا جميعكم من بعضكم بعضا وسيروا سوية على طريق الديمقراطية وانسوا هذه الكلمات : لماذا ؟ ولم ؟ واين ؟ ومتى ؟ » ويعطى رفائيل مويال طلبه في ختام مقاله الذي عربته له الادارة عن الانكليزية : « ما انتم الا اخوان يجب ان تعيشوا وتعلموا بمحبة واخلاص ومودة وأخوة لخير فلسطين وسوريا ولبنان » .

وتحت عنوان « تعالوا الى كلمة سواء أو الى الاتحاد ايها الشعب » يكتب يعقوب يهوشع مرة اخرى عن هذا الموضوع الذي يبدو ان ضعف الحركة الصهيونية ، خاصة في فلسطين ، هو الذي اضطرها الى الاكثار في خوضه . قال يهوشع فيما يعتبر ردا غير مباشر على أحد الصحافيين اللبنانيين . « ان الاتحاد مع اخواننا العرب في فلسطين مبدأنا وغايتنا الوحيدة فتعالوا ايها الاخوان نتفاهم معا . لي مدة وانا أطلع جريدة « المقطم » وقد رأيت فيها المقالات المدبجة عن حالة الحركة الصهيونية ، فقلت في نفسي : ماذا تكون نتائج هذه المسابقة والمنازعة الكتابية فأجدر بكتابتنا وعلماثنا ان يوقفوا براعهم لخدمة اتحاد الاخوين الشقيقتين » . ويردد يهوشع بعض العبارات التي وردت في مقاله الصحافي اللبناني : « ليس لكم وطن ! ولا تؤلفون أمة ! ولكم عشرون قرنا تشتغلون من أجل فلسطين،

فحقوقكم تشابه حقوق العرب في الاندلس او حقوق الرومان في العالم . يقول تعليقا على العبارات اللصهيونية : « حينما أسمع أو أقرأ مثل هذه اللهجات اصرخ متألما يا رب : أخلق الله شعبا بلا وطن ؟ فاسمعوا ايها الاخوان الاعزاء : اتينا الى فلسطين وغايتنا المنشودة والوحيدة معا ترقية البلاد بالمعنى الاقتصادي والعلمي . فلكي نستطيع ان نحقق مبادئنا هذه الحققة طلبنا ونطلب وسنطلب دائما الاتحاد مع اخواننا العرب في فلسطين ، لاننا من الذين يدركون ويعلمون علم اليقين بأن الاتحاد ضروري وهو السعادة الابدية لنا ولكم ولوطننا فلسطين . فالى الاتحاد ايها الاخوان » . (العالم الاسرائيلي - يعقوب يهوشع - العدد ٨٦ - ١٠ ايار ١٩٢٣) .

بعد أسبوعين صدرت المجلة وفي صدر صفحاتها الاولى افتتاحية بعنوان « تعالوا نتفاهم » ومضمونها بلا شك من وحي مقال يهوشع ومن ضمن سلسلة المقالات التكتيكية التي يوحي ظاهرها وكأن الصهاينة يرغبون من أعماقهم بالتقرب من العرب ، في حين يقف هؤلاء ، وخاصة صحافيوهم المواقف السلبية . يستهل الياهو من قائلها : « تعالوا نتفاهم وأنا الضمين لكم بالنجاح . تعالوا بنا الى كلمة سواء . انها كلمة رددتها « العالم الاسرائيلي » وترددها الصحافة الضاربة على أوتار الوطنية الصحيحة . انها لقبلة البلاد الفلسطينية ومتوجه أفكار ابنائها الحقيقيين الذين يشاركون العربي منهم والصهيوني في الامور النافعة . انها لراية يمشي في ظلها المسلم الى جانب المسيحي والموسوي فيصافح الشقيق منهم الاخر في رياض المحبة والوداد الصافي » . ومن لغة الادب والعواطف ينتقل صاحب المجلة الى لغة التاريخ وعبره فيقول في العدد ٨٨ الصادر في ٢٤ ايار ١٩٢٣ : « بل تعالوا الى التاريخ . انه لافضل استاذ يلقي علينا من على منابر الشعوب المختلفة مواعظ ودروسا لو تدبرناها ورجعنا الى الاتحاد والتضامن ونبدنا التنافر والتقاطع ، علة شقاننا وأصل انحطاطنا . ليس في فرنسا وانكلترا واميركا يهود ونصارى واسلام ؟ فلما لا يقوم التباض عند هؤلاء مقام التحاب ، ويحل الشقاق محل الوفاق ؟ ليس لانهم قرأوا تواريخ الامم وعلموا ان الدماء التي اريقت على مذابح الطائفية ، لحمتها الجهل وسداها التعصب ؟ » ويضيف مختتما الافتتاحية : « اذا كان ذلك كذلك فلماذا لا ندرس التاريخ ؟ ارشدوا الناخبين في ابواق التعصب الى هذه المدرسة واتحدوا يهودا ونصارى واسلاما في الوطن اتحادا صميما اكيدا لتتالوا الراحة السياسية والمدنية والنفوذ والغنى بروج الزراعة والتجارة والصناعة والعلوم والمعارف الى غير ذلك من الفوائد التي لا يعرفها الا من تلقى دروسه الشعبية في مدرسة العالم الكبرى من على منبر الشعوب المختلفة في مدرسة التاريخ . فتعالوا نتفاهم ! »

ردود .. وردود مضادة

والسؤال الان : من هو الصحافي اللبناني الذي كتب في « المقطم » منتقدا الصهيونية مما دفع بيهوشع الى الرد عليه تلميحا ؟ ان الاجابة على السؤال سوف تكون مدخلا لمسالة اساسية اخرى لا بد لقارئ « العالم الاسرائيلي » ان يلحظها في هذه الجلسة الصهيونية البيروتية ، وهي : « الاقلام اللبنانية في العالم الاسرائيلي » .

ان الصحافي اللبناني المشار اليه هو جبران تويني الذي كان يرأس « المقطم » اثر انتقاله من مصر الى بيروت عبر فلسطين . كان تويني يكتب في المقطم تحت عنوان دائم هو « رسائل مسافر » . وبالفعل فانه كتب في الرسالة الثانية يقول بما حرفيته : « يدعي الصهيونيون ان فلسطين كانت لهم في ما مضى وهم يريدون العودة اليها الان . فهذا الادعاء لا يستقر على أساس تاريخي صحيح ... فهم ليسوا أصحاب فلسطين وليسوا

بسكانها الاصليين ، بل هم قوم حلوا في هذا البلد بالسيف كما هبط العرب بلاد الاندلس ففتحوها بالسيف ثم خرجوا منها كذلك . فهل اذا ادعى العرب انهم اصحاب الاندلس كانوا على حق وصواب ؟ ويضيف جبران تويني في « المقطم » العدد الصادر في ٢٠ نيسان ١٩٢٢ « كيف نفسر حركتهم الصهيونية سوى انها حركة سياسية ترمي الى تأسيس دولة دينية في القرن العشرين . في القرن الذي تقوم فيه الدول على أساس القوميات لا على أساس الاديان . ان هذا الاستعمار مخجل في عصر تسير فيه الانسانية الى حياة جديدة . وعسى ان يقتنع الصهيونيون بعد فشل تجربتهم ان قوة الحق فوق كل قوة وان للعرمان سننا يتمشى عليها ، فمن شذ عنها اصيب بالفشل وباء بالخسران » .

هذا الكلام كان قد اثار الياس ساسون قبل يعقوب يهوشع وجعله يرد على تويني بالتصريح لا بالتلميح ، وباسلوب حوارى دراماتيكي . يستهل ساسون رده بقوله انه ما ان فرغ من تدبير مقال لصحيفة اميركية بضرورة توحيد « الطوائف السورية الاسرائيلية » حتى طرقت باب غرفته « طرقت عنيقا متواليا وصوت يصرخ من الخارج بريك افتح ! فبادرت بفتح الباب لارى ما الخبر ، فدخل علي رجل او بكلمة اخرى شاب من ابناء الطائفة الاسرائيلية البيروتية وبيده جريدة المقطم عدد ١٠٣٧٤ فطرحها امامي على المنضدة وقال بصوت يرتجف : بريك اقرأ ماذا يقول جبران التويني . ان لمن العار والشنار علينا ان نمر بالصمت على ما خطته انامل هذا الكاتب . فقرأت » . بعد القراءة سأل ساسون زائرهما عما يطلبه منه فأجاب : « اطلب الرد على ادعاء جبران التويني واطهار الحق لكل اذن تسمع وعين تنظر واظنك لا تبتذل علي بهذا الطلب » . وعلق ساسون على جواب الشاب الاسرائيلي البيروتي متسائلا : « ولكن لماذا اتيت لي ، ولم تطلب الرد مني ، وعندك بين رجال طائفك أبطال مثل الدكتور سليمان تاجر والاستاذ سليم فندي هراري ، الاول حاخامباشي الطائفة والثاني من رجال الحقوق المشهورين وكلاهما من الرجال الذين اشتهروا بتمسكهم باسرائيليتهم وبالدفاع عن حقوقها » . وأضاف ساسون وهو يحاضر ويعظ الشاب الذي يبدو انه ابدى له صعوبة في مقابلة الرجلين ، فيقول له : « ان من يجاهد في قضية وطنية ، ومن يدافع عن شرف طائفته بل عن حقوق امته لا يصعب عليه المثول بين ايدي كائن من كان وخصوصا بين ايدي امثال هذين البطلين الصنديين اللذين يضحيان كل مرتخص وغال في سبيل شرف طائفتهما واعلاء شان امتهما خصوصا والرد الذي تطلبه هو فرض يتعين على كل اسرائيلي الهبوب من عرينه الى القيام به فكيف لا وجبران افندي بمقاله ينكر علنا ، وفي اعمدة ارفع جريدة عربية شرقية ، ما للامة اليهودية من الحقوق والاثار والسلطة في فلسطين بلاد شعب اسرائيل وارض الميعاد » . ويقفل ساسون رده المنشور في العدد ٨٤ الصادر في ٢٦ نيسان ١٩٣٢ بقوله : « امسك قلبي في هذه المرة عن الرد على جبران افندي لافسح المجال لغيري ، فلكل رجل منا دوره في الحياة ، الى الميدان ايها الابطال » .

قرأ جبران تويني رد ساسون ، فكتب في رسالته الخامسة المنشورة في « المقطم » العدد الصادر في ٢١ مايو ١٩٢٢ يقول : « قد اثارت المقالة التي كتبتها في المقطم عن فضل الصهيونية ثائرة الصهيونيين في دمشق فكتب في جريدة « العالم الاسرائيلي » كتابا الى الحاخاميين يطلب فيه منهم ادحاض اقوالى بهذا الصدد . فانا انتظر هذه الاجوبة لافند ما سيرد فيها من الحجج » . ويبدو ان الحاخاميين لم يستجيبوا لطلب ساسون ، وربما يكون يعقوب يهوشع قد اخذ مكانهم ورد مداورة على تويني . ذلك ان الاعداد التي تلت ، لم تتضمن اي رد على تويني باستثناء مقال يهوشع .

لعل من اسباب عدم فتح معركة مع صحافي مسيحي لبناني اسوة بالمعارك التي تخوضها

« العالم الاسرائيلي » مع صحافيين سوريين وفلسطينيين وخاصة صاحب جريدة فلسطين ٠٠ أن الحركة الصهيونية كانت تطمح في استقطاب زملاء جبران تويني في بيروت وذلك بتجنب نشر اي كلام يمكن ان ينفهم . ولكن على الرغم من كل ذلك فالمجلة بشكل عام لم تتوقف في استكتاب عدد ملحوظ من غير الكتبة الصهاينة . بل انها في الواقع ، وخلال التسعين عدد الاولى ، لم يتسن لها سوى استقطاب كاتب مسيحي لبناني واحد اسمه جرجي نعمة الله الكفوري . ومع انه كتب أكثر من مرة في « العالم الاسرائيلي » ، فهو لم يكتب سوى مرة واحدة عن الحركة الصهيونية وبايجابية طبعاً . يقول الكفوري تحت عنوان « الى الصهيونية » في العدد ٢٤ الصادر في ٩ شباط ١٩٢٢ مخاطباً الياهو من : « يا صاحب « العالم الاسرائيلي » كلما طالعت عدداً من اعداد جريدتكم الغراء أقف به على بعض مقالات لفتيان الادب من الامة الصهيونية يحثون بها اخوانهم على النهوض والتقدم آمليين بذلك ان يعيدوا مجد الصهيونية الغابر الذي شيده جدودهم على دعائم من الدم . . . فجميل بكم يا فتيان الصهيونية وادباءها ان تنهضوا لمناصرة بعضكم بعضاً وان تشبهوا بمن تقدمكم من بقية الملل وانتم لا تفرقون عنهم بشيء . فاذا طلبتم ، فحقوقكم تطلبون . واذا نهضتم فالى العلى تنهضون . فما عليكم اذا الا ان تجمعوا آراءكم وتقدموا الى الامام ، فان طرق الفلاح قد سهلت امامكم وتمثلوا بقول الشاعر :

فليس يصده الا القصور »

اذا سهل الطريق امام ماش

ويختتم الكفوري مقالته بالعبارة التالية : « وانا الكاتب المسيحي اللبناني امد اليكم يد المصافحة وشاركتكم في كتاباتكم وان يكن ذلك لا يعنيني ، انما واجب الوطنية الخالصة يدفعني الى ذلك » . وقد وفى الكفوري بوعده . وها هو ينشر قصيدة « بين لبنان وفرنسا » في العدد ٥٢ الصادر في ٧ ايلول ١٩٢٢ . وفي العدد ١٨ الصادر في ٢٩ كانون الاول ١٩٢١ ينشر قصيدة « مناجاة الوطن » حيث يناجي فيها وطنه لبنان .

في تلك الفترة ، كان جرجي نقولا باز في طليعة الادباء الملتزمين للقضية القومية وللقضاي الاجتماعية حيث ابرزها لديه قضية تحرير المرأة وتعليمها . ولعل كتاباته في جريدة « الحقيقة » البيروتية عن الوحدة السورية التي تشمل جبل لبنان خير مثال على ذلك . ويبدو ان رئاسة تحرير المجلة قد طلبت اليه ان يكتب في « العالم الاسرائيلي » ، فلبى دعوتها وكتب مقالا واحداً تحت عنوان « شالوم » . ومن المؤكد ان الياهو من قد نشر مقالة باز مرغماً وخجلاً ، نظراً لمضمونها الذي يرفض بكياسة الدولة الصهيونية في فلسطين ، فيما يدعو اليهود الى الاشتراك في ورشة الدولة السورية الديمقراطية التي يجب ان يتساوى فيها كل انسان بصرف النظر عن الدين الذي ينتمي اليه او الكيان الذي يعيش فيه . ولنقرأ المقال بحرفيته والمنشور في العدد ١٩ تاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٢٢ .

«أحبيكم اخواني في صحيفتكم تحية اخ يرى لكم ما ملته في البلاد من الحق ، وعليكم ما عليها من الواجبات ، ناظراً اليكم نظرة الى كل الملل السورية على السواء ، عالمًا بما عندكم من المحاسن والمساويء علمه بما عند الكل ، عارفاً ان لا نجاحاً لبلادنا ولا مجداً الا بالاستزادة التامة من مواهب ابنائها كافة على اختلاف مذاهبهم . وأسألکم علناً في هذه الصحيفة سؤال مواطن يتمنى خير سورية راجياً بلوغ الخير اذا ساعده الحظ بتجمع كلمة السوريين وطينا انسانياً بلا فرق ولا تمييز بين الافراد والمجموع وبين الاديان والطوائف الا بالاستعداد والاهلية ، سائلاً اياكم اثبات وجودكم في السياسة الوطنية والعمل على كل ما فيه صالح البلاد أسوة بغيركم من مللها . . . ودا لو تتوسعون بجامعتكم اللية داخلين بها في الجامعة الامية - نسبة الى الامة - خدمة لكم ولسائر الملل .

« زرت فلسطين حاجا من نحو ثلاثة اعوام ، وما زلت اذكر الى اليوم تأثري من سمع التأسف على مجد اسرائيل ومراى البكاء على هيكل سليمان ، وما لطف رنة السلام في جبال اورشليم وشاطئ طبريا وساحل بحر الروم وتوج الهواء بها اخذا من افواه افئدة الشبان والصبايا : شالوم . ان في سلامكم وتأسفكم وبكائكم عاطفة حمية اذا وجهتموها نحو صالح الامة العام استفدتم وافدتم كثيرا جدا » .

ونشرت « العالم الاسرائيلي » خلاصة للمحاضرة التي القاها الشاعر الزجاجي حلیم دموس في « النادي الادبي الاسرائيلي » كان موضوع المحاضرة « في المرأة وواجباتها الاجتماعية » . ويبدو ان الشاعر دموس اراد ان يدغدغ عواطف سامعيه حين استهل محاضرته بهذا البيت من الشعر : قل لمن ظن عهدا لن يعودا سيظل (القديم) عهدا (جديدا) . ولكن باقي محاضرته التي نشرتها له « العالم الاسرائيلي » في العدد ٧٦ لم يخرج عن اطار موضوعه الذي لا علاقة له بالحركة الصهيونية لا من قريب ولا من بعيد .

وفي العدد ٨١ تاريخ ٢٩ اذار ١٩٢٣ نشرت المجلة بيان « جمعية لبنان الفتى » الذي يحمل توقيع « السكرتير العام حبيب جاماتي » . ويتضمن البيان خبر انتخاب هيئة الجمعية مع كلمة عن نشاطها في سبيل لبنان . وهذا البيان نشره في الوقت نفسه ، في جميع الصحف الصادرة آنذاك .

اما العدد ٧٦ الصادر في ١٨ كانون الثاني ١٩٢٣ ، فقد نشر تعليقا بعنوان « العلم الاسرائيلي في البرق » انطلاقا من سياسة المجلة الصهيونية في تجنب كل رد عنيف على اي حامل قلم مسيحي لبناني مهما قسى نقده . ويبدو ان الاخطل الصغير قد انتقد رئاسة تحرير « العالم الاسرائيلي » لاحتفالها بمناسبة شخصية تتعلق بهيرت صموئيل اول مندوب سامي بريطاني على فلسطين . ردت المجلة بقولها ان لها « الشرف ان تنتقدنا البرق الجريدة اليومية الواسعة الانتشار الممتازة بأدب صاحبها الجم وبعد نظره في وضع ملحوظاته بقلب من الانتقاد لا يشوبه ما يشوب بعض الجرائدية الذين لا يحفظون ادب النقد الصحيح » . وبعد ان وافقت « العالم الاسرائيلي » البرق « ان عرس السر هيرت صموئيل الفضلي مسألة شخصية بحتة لا تتجاوز دائرة الاصدقاء الحميمين » تساءلت عن سبب لومها « والمسألة عائلية بحتة اذا نحن هنأنا رجلا من سبطنا له مقامه السامي في قلوبنا » . ويبدو ايضا ان الذي جعل الاخطل الصغير ينتقد اشتراك يهود بيروت بحفلة صموئيل الشخصية ، كونه قد وجد هؤلاء فاترين في حبه للبنان الكبير الذي كان صاحب البرق متحمسا لولادته الطازجة . رد الياهو من في العدد ١ تاريخ ١٨ كانون الثاني ١٩٢٣ بقوله : « يمينا لم يكن للعالم الاسرائيلي عندما علقت على الخبر ما خالج الرصيفة من امكان وجود فتور في المحبة التي تربطنا نحن المقيمين في لبنان الكبير بأبناء لبنان الكبير وقد نالنا في عهدهم ما نالنا من المكانة والراحة اللتين لم يكن لنا عهد بهما لبعض سنوات خلت . ولكن ماذا يمنع الرصيف اذا هو هنا رئيسه الديني في عيده او مواطنه النابغ في اميركا لنبوغه وأظهر له شعوره » . وهنا وقعت « العالم الاسرائيلي » في التناقض ، ان هي حاولت اكثر من مرة ، في اعداد اخرى ، ان تؤكد بأن هيرت صموئيل غير منحاز لليهود لكونه يهوديا ، ان انه يحكم فلسطين كمواطن بريطاني انتدبته حكومته لهذه المهمة .

وقائع الحرب بين جريدة « فلسطين » و« العالم الاسرائيلي » .

يبقى من « مجموعة » الاقلام اللبنانية في العالم الاسرائيلي قلم واحد باسم ميشال

سركيس الذي تقول عنه رئاسة التحرير انه « صاحب كتاب النهضة الاسرائيلية وتاريخها الخالد » . وميشال سركيس هذا نشر ردا على عيسى العيسى صاحب جريدة فلسطين تحت عنوان « القوة في الاتحاد » وذلك في العدد ٨٦ تاريخ ١٠ ايار ١٩٢٣ . هل يكون ميشال سركيس لبنانيا ؟ اذا كان كذلك فيكون اللبناني الثاني الذي كتب بايجابية عن الصهيونية في منبرها البيروتية . ولكن يصعب الجزم في ذلك خصوصا وان مقالته مزيلة بالعبارة الاتية : « يافا - ٥ ايار ١٩٢٣ » . ومهما يكن من أمر ، فمن المفيد الوقوف على بعض ما ورد في مقالة ميشال سركيس ، حيث يقول : « مضى الزمان الذي كان الدين فيه كل شيء . وجاء زمان الوطن وجعل المصلحة الوطنية فوق كل شيء . لقد اتحدت العناصر المصرية فتعاقب الامام والقس والكاهن والحاخام . فهل يستطيع المتطرفون كعيسى العيسى صاحب جريدة فلسطين الذي جعل دأبه زرع بذور الشقاق بين العناصر الفلسطينية » . وبالمقابل يرى سركيس « اننا اذا القينا على الواقع نظرة لوجدنا ان الاسرائيليين في فلسطين هم الداعون الى الاتحاد والايحاء المنادون لاخوانهم العرب الكرام بوجود التآزر القومي للمصلحة القومية العامة التي يتمتع بها الجميع على السواء » .

وهنا ايضا وقعت « العالم الاسرائيلي » في التناقض . ووقع معها ايضا الكاتب ميشال سركيس نفسه . ذلك ان الدين بالنسبة لتأكيدات الياس ساسون في عدة افتتاحيات هو « كل شيء » بالنسبة للحركة الصهيونية . في حين تنشر المجلة الصهيونية لسركيس مقالا يؤكد فيه ان القومية قد حلت محل الدين في اوائل القرن العشرين .

وعلى ذكر عيسى العيسى ، فان هذا الصحافي الفلسطيني القوي الذي كان يصدر جريدة فلسطين ، كان هدفا لانتقادات لاذعة ومستمرة في مجلة العالم « الاسرائيلي » . ولناخذ على سبيل المثال اربعة ردود سلبية كتب احدها الياهو من صاحب المجلة وكتب الثاني « ايلي » ، وكتب الاثنان الباقيين كبير المحررين في « العالم الاسرائيلي » الياس ساسون ، ولنستعرضها حسب تسلسلها الزمني .

تحت عنوان « الى فلسطين الجريدة المتطرفة » ، كتب الياهو من في العدد ٢٠ تاريخ ٣٠ آذار ١٩٢٢ يقول : « في فلسطين جريدة استعارت اسمها من البلاد التي تقيم فيها لتموه على القراء وتظهر للناس انها صادقة في خدمة الوطن الذي اتخذت اسمه الجميل شعارا لها . هذه الجريدة الرصيفة لا تترك فرصة الا وتنتهزها في بث سمومها بالقضية الصهيونية . واخر ما بلغ من براهينها السفسطية عن ضعف الصهيونيين انهم يولون الولايم ويؤدبون المآدب ولا تسفر النتيجة عن غير الاكل والشرب » . وير صاحب المجلة : « نعم اكلنا مريئا وشربنا هنيئا وحسونا كآس وطننا القومي الذي جاهر الحلفاء وجاهرت بريطانيا بحفظ تعهداتها لتنفيذ وعد وزيرها بلفور ، وابانت للملأ ان الوطن القومي لليهود لا يجلب الضرر على الوطنيين العرب بل يسهل لهم الرقي والانتفاع ، وقد اشتهر اليهود بالاجتهاد والعمل في سبيل التقدم . فليهدأ روع فلسطين الجريدة المتلبسة بشعار البلاد التي تصدر فيها ، فان الوطن القومي لليهود صائر رضية ام آبيت ، ان شاء الله » . وفي العدد ٨٠ الصادر في ٢٢ آذار ١٩٢٣ يكتب ساسون ردا على عيسى العيسى جريدته « فلسطين » ، يستهله قائلا : « يعلم الله اني كل ما أطلع جريدة فلسطين يرتعش جسمي ويجمد الدم في عروقي لما تحمل بين اعمدتها من الطعن في الامة الاسرائيلية عموما وفي الجمعية الصهيونية خصوصا . وفي كل مرة التمس لهذه الجريدة عذرا لتعرضها هذا ، حتى فرغت جعبة اصطباري ، ويسوءني جدا أن اجد قلمي الضعيف لاذكر حضرة عيسى العيسى الصحافي الشهير بواجباته الصحافية ، وافهمه بأن تعرضه الدائم للامة اليهودية وتسلمه بمعارضاتها بآيات شريفة يذكرني بأيام مضت نود (هو وانا وكل رجل

شرقي) نسيانها ، ايام ما صدقنا ان انزل عليها الحجاب » .

ويضيف ساسون « ان يهود العالم اليوم يفوق عددهم خمسة عشر مليون نفس (فهل يسدينا حضرة العيسى بنصيحة نذكرها له الى الابد) ماذا على هؤلاء ان يعملوا وروسيا وبولونيا واورانيا تعمل في رقابهم السيف ، اذا لم يفكروا بانشاء وطن قومي لهم يعيشون فيه احرارا مستقلين آمنين على حياتهم التي وهبها لهم خالق السموات . وبأية بقعة يقيمون هذا الوطن ؟ أغير فلسطين تلك البقعة التي يقول عنها الكتاب المقدس ويأمر الحق سبحانه وتعالى ملك بني اسرائيل ؟ »

ويتابع ساسون انتقاداته على العيسى وجريدته بعد ان رد عليه الكاتب الفلسطيني بسبب انتقاداته السابقة مسديا له النصيحة المطلوبة . هذه المرة ، يستهل ساسون نقده . تيمة بعد أن كان يحاول جهده ان يظهر بمظهر الكاتب الموضوعي الرصين . يقول ساسون : « اني استميج حضرة الفاضل عيسى العيسى عذرا اذا انا طرقت بابه ثانيا لاقول له علنا وعلى سمع من الجميع ان رده على مقالتي المندرج في جريدة « العالم الاسرائيلي » عدد ٨٠ وفي جريدته عدد ٥٦٨ ليس الا من قبل الافتراء والهديان : امران أجل عنهما حضرته » . ويتابع ساسون رده ولكن عبر حجة ضعيفة يحاول ان يصور فيها اليهودي نعمة والانسان الاخر ذنبا لتبرير التناقض الدائم والشامل بين اليهود وسائر الامم . ويخاطب ساسون العيسى : « تقول ان اجماع الناس اليوم على النفرة من اليهود دليل على ان في طباعهم شيء لا يتفق مع طباع بقية البشر ، اذ لا يصح ان يرمى جميعهم بالقسوة في معاملتهم دون غيرهم وبدون اسباب جوهرية . الجواب بسيط جدا : اذا قيل لك بما ان الاسود والذئاب وجميع الحيوانات الضارية تقترب وتاكل الغنم ليس هذا بدليل قاطع على ان في طباع الغنم شيء لا يتفق مع طباع بقية الحيوانات » .

ويبدو ان ردود العيسى متتابعة وقوية لدرجة انها أثارت « ايلي - ابن بيروت » الذي ادلى ببلوه في العدد ٨٥ من « العالم الاسرائيلي » الصادر في ٣ ايار ١٩٢٣ . يخاطب ايلي العيسى متسائلا : « تسأل يا حضرة الكاتب لماذا لم نر بقعة اخرى في العالم تصلح لانشاء ذلك الوطن القومي سوى فلسطين ؟ ولم لا نرضى بغير فلسطين لانشاء هذا الملجأ ؟ ولم لا يقوم في شرقي أفريقيا الذي منحنا اياه بريطانيا مقام فلسطين ؟ » ويأتي رد ايلي تقليديا بمعنى ان فلسطين هي الوطن واليهود في عودتهم الى فلسطين انما يعودون الى وطنهم . ولكي يعزز رده يطرح على العيسى التساؤل التالي : « هل اذا هاجر رجل من لبنان الى الولايات المتحدة وبقي فيها ٢٠ سنة يفقد حقه في الحصول على مسكنه وارضيه اذا عاد الى بلاده بعد ذلك الوقت ؟ »

ويتابع « العالم الاسرائيلي » ، في غير مجال ، التاكيد على « يهودية » فلسطين لان هذا هو هدفها الرئيسي . فيجتمع احد محرريها توفيق مزراحي بصحبي بركات رئيس مجلس الاتحاد السوري وبياحته « في عدة شؤون تتعلق بالقضية السورية منها سؤال طرحه عليه هذا ماله : ما رأي فخامتكم بالقضية الفلسطينية والمسألة الصهيونية ؟ فخامة الرئيس : ان صلاحيتنا منحصرة في سورية الداخلية ولا نستطيع التجاوز الى سواها ، ولربما اتيح للمجلس الاتحادي الذي سينتخب انتخابا ان يبحث في هذه الشؤون اكثر منا . على ان ذلك لا يمنعنا من اعتبار فلسطين قطرا عربيا وان ننتمي لاهله كل خير وفلاح » . (العالم الاسرائيلي عدد ٧٣ - ١ شباط ١٩٢٣) .

وعن الموضوع نفسه يعقد الياهو من افتتاحيتين تحت عنوان « اسبانيا واليهود » يعلق فيهما على مساعي الدكتور انجلو يوليدو « اعظم محبي اليهود من الاسبانيول وعضو

مجلس الاعيان « لارجاع اليهود الى اسبانيا . يشكر كاتب الافتتاحية الدكتور الاسباني على مساعيه ، ثم يذرف الدموع على ضحايا « المذابح الهائلة التي جرت في كيتششف سنة ١٨٨٤ » . ويعترف بأن اسبانيا « هي البلاد التي انكشفت فيها النفس الاسرائيلية واستفاد فيها عقلها وسمت فيها مداركها » . وهي « باعتبارنا (سفاراديم) اي البلاد التي نحلم ونتغنى بها في اشعارنا » . الا ان الكاتب يختم الافتتاحية الاولى المنشورة في العدد ٢٠ تاريخ ١٢ كانون الثاني ١٩٢٢ مستدركا بقوله : « ولكن ٠٠ ولكن اسبانيا مهما كانت فانها لا تحل من قلوب اليهود محل وطنهم الحقيقي فلسطين التي هي ولا تزال مهد الشعب اليهودي ووطنه الحق . اسبانيا ! نعم اسبانيا ! ولكن ارض اسرائيل اولا » . والياهو من يضرب على الوتر ذاته في الافتتاحية الثانية المنشورة في العدد ٢١ الصادر في ١٩ كانون الثاني ١٩٢٢ .

لا تكتفي « العالم الاسرائيلي » بالتركيز على عموم فلسطين بل انها تخص القدس بوحدة من افتتاحتها التي تحمل عنوان « من يستلم الاراضي المقدسة » . وهذه الافتتاحية كتبت على جزئين في العددين ٥٠ و ٥١ الصادرين في ٢٤ و ٣١ آب ١٩٢٢ . في الافتتاحية الاولى التي عربتها المجلة عن مجلة « الرفيواف رفيوز » الانكليزية لكتابها هرلد شبيستون الذي يتساءل في سياق مقالته : « من يستلم الاراضي المقدسة ؟ العرب ام اليهود ؟ » ولكنه بدلا من ان يجيب على تساؤله قال « العرب يصرخون بأن فلسطين لها حكومة صهيونية وهذا ابعد عن الحقيقة بكثير . نعم ان المندوب السامي اسرائيلي صرح بشعوره الصهيوني ولكنه في اشغاله الادارية مسؤول تجاه الحكومة الانكليزية رأسا . فالصهيونيون ليس لهم حصة في الحكومة وادارة البلاد » . ولكن السؤال الذي لم يجب عليه الكاتب الانكليزي أجاب عليه الياهو من حين أكد في الافتتاحية الثانية بأن « المركز الجديد الذي يجب ان نأخذه بدلا هو القدس الشريف » . وعن علاقة الولايات المتحدة بالوطن القومي اليهودي يقول صاحب المجلة : « واتفاقنا مع الولايات المتحدة يربطنا جيدا بوعدنا باقامة الوطن القومي الاسرائيلي » .

ونشرت « العالم الاسرائيلي » خبرا طويلا عن وصية يهودي عراقي من شأنه ان يؤكد مساعدة الانكليز للصهيونيين عبر الحكومة البريطانية ومندوبها صموئيل في فلسطين . يقول الخبر انه « فتحت وصية مستر قادوري أحد اغنياء اليهود في شنغاي فوجدوا بها انه يوصي بمبلغ ١٢٠ الفا من الجنيهات لبناء مدارس يهودية في فلسطين ويعهد الى الحكومة الانكليزية القيام بهذا العمل وتنفيذ وصيته . فأرسلت الحكومة البريطانية الى حكومة فلسطين تكلفها بهذه المهمة . وهذه الاخيرة الفت لجنة من ستة اعضاء ، ثلاثة من قبل الحكومة وثلاثة من الهيئة الصهيونية . وقد اجتمعت اللجنة لأول مرة وقررت ان تبني ثلاث مدارس في صيف هذا العام وهي مدرسة الجمناز في القدس ومدرسة تحكموني في يافا ومدرسة اخرى في طبريا » . (العالم الاسرائيلي - عدد ٢٥ كانون الثاني ١٩٢٢) وفي العدد ٣١ الصادر في ٦ نيسان ١٩٢٢ مقطع طويل لخطاب الدكتور وايزمن الذي القاه في الحفلة التي اقامتها الجمعية الصهيونية في جامعة اكسفورد في انكلترا . ومما قاله وايزمن في خطابه « ان الفكرة الصهيونية لم تظهر الى الوجود لظهور وعد بلفور كما يقولون . ولكنها ظهرت عندما قضى الرومانيون على السياسة الاسرائيلية فسي فلسطين » .

وتحت عنوان « فرنسا والصهيونية » كتب « بوزالكو » مقالتين في العددين ١٠ و ١١ الصادرين في ٣ و ١٠ تشرين الثاني ١٩٢١ . وقال الكاتب في الافتتاحية الثانية : « لقد

شوهد يهود غرباء يقطنون باريس بينهم الدكتور هرزل وهو يرسم مع الدكتور نورده أدق الخطط وأبدعها لتنظيم التشكيلات والتدابير المؤيدة لليهود في صيانة حقوقهم . ولا جدال انه في ارض فرنسا ، في احد بيوت باريس ولد ذلك الفكر ، فكر تحرير اسرائيل . . . ان تصريح بلفور قد خلد لحكومة لويد جورج اسمها . وان مؤتمر سان ريمو قد اضاف الى بلاد ميرابو ودانتون مجداً جديداً وفخراً ماثوراً « . ويختتم بوزاكو مؤكدا ان « لا مجال للقول بأن لا يمكن لكل يهودي يتباهى ويفتخر باسمه الا ان يكون صهيونيا لا يرفض مبدأ العودة الى الارض المقدسة » .

وينشر قلم التحرير في العدد ٦٦ الصادر في ١٤ كانون الاول ١٩٢٢ اسماء النواب اليهود في البرلمان الانكليزي وهم : « السر فيليب ساسون ، الماجور برونل كوهن ، سر ولتر دي فرس ، المستر برسي هرس ، السر الفرد موند ، المستر ارثر لفر ، المستر استروس ، المستر صموئيل ، المستر صموئيل صموئيل ، المستر ليونل دي روتشيلد ، المستر امانويل شنول » . وأمل قلم التحرير من هؤلاء « بأنهم لا يتأخرون عن مساعدة ابناء طائفتهم في كل العالم » .

ويهود تركيا لهم ايضا حصة في اخبار « العالم الاسرائيلي » . ففي العدد ٥٨ تاريخ ١٩ تشرين الاول ١٩٢٢ نشر خبر تحت عنوان « تبرع يهود أزمير وسلانيك للهللال الاحمر » . وينص الخبر بأنه « على اثر الفضل العظيم الذي طوق به البطل الكبير مصطفى كمال باشا جيد الاسرائيليين من سكان أزمير حيث وقاهم من كل اعتداء ومنع ايدي رجاله من ان تمتد اليهم بسوء ، فقد وجب على الاسرائيليين ان يقابلوا الجميل بمثله ويعترفوا للبطل باليد التي اسداها اليهم . وقد اجتمعوا في سلانيك وازمير واكتتبوا بالاموال الطائلة اعانة للهللال الاحمر . هذا عدا التلغرافات التي لا تحصى والتي تتضمن عبارات الشكر الجزيل وقد ارسلت لدولة الغازي كمال باشا بطل تركيا العظيم » .

أما في فلسطين فقد « احتج سيادة الحاخامباشي في القدس لدى السر هيربت صموئيل على اجبار العملة الاسرائيليين على العمل نهار السبت في سكة حديد حيفا » . (العالم الاسرائيلي - العدد ٥٧ - ١٢ تشرين الاول ١٩٢٢) .

بعد ذلك نصل الى اهتمامات « العالم الاسرائيلي » بيهود لبنان وسوريا من أجل تجييشهم في الحركة الصهيونية . وهذه المهمة قد لا تقل فعالية عن الدور الاعلامي الذي قامت به المجلة للهدف نفسه حيث اوردنا نماذج متنوعة عنه . ذلك ان دورها هنا كان عمليا بمعنى انها كانت تطرح فكرة المشروع ثم تتابعه الى ان يصبح حقيقة ملموسة .

نبدأ بدمشق . تحت عنوان « مشروع علمي كبير في دمشق » نشرت العالم الاسرائيلي الخبر التمهيدي التالي : « الطائفة الاسرائيلية تشيد مدرسة عليا . . . الاقبال عظيم على المشروع . اقرأوا التفاصيل في العدد القادم » . (عدد ٧١ - ١٨ كانون الثاني ١٩٢٣) .

ولكن الخبر لم ينشر الا في العدد ٧٣ تاريخ ١ شباط ١٩٢٣ . وقد ورد في الخبر ان مجلس الطائفة اليهودية « وزع في هذين اليومين رقاع الدعوة على نوات الطائفة ووجهاتها للاجتماع في دار الفاضل الخواجه ابراهيم تركيه ، وللمناقشة في مشروع كبير له منافع وفوائده التي لا تعد ولا تحصى . أما المشروع فهو بناء مدرسة جامعة كبيرة . وبعد ان استوفى المشروع حقه من المناقشة والتمحيص قر قرار الحاضرين على انتخاب لجنة من ثلاثة عشر ذاتا وهم : موسى الياهو طوطح ، موسى مواس ،

سليم عطار ، رويبر حايوموف ، داود حلبي ، جميل مزراحي ، سليم سقال ، مراد طوطح ، داود طوطح ، ابراهيم تركيه ، المسيو بورلا ، جوزف كهنوف ، مويز مزراحي .

ويوجه الياس ساسون « كلمة الى الطائفة الاسرائيلية في دمشق » كي ترد عنها « حملات الصحف الدمشقية المتواصلة كـ « جراب الكردي » الذي يحط بديانتك ، و « الف بء » بوطنيتك ، و « العمران » بشرفك وحياتك » . ويقول ساسون للطائفة : « قومي واعضدي الصحف اليهودية الوطنية تحت سماء سوريه ولا ترهبي ولا تخافي لان بجانبك حكومة فرنسا المنتدبة اول حكومة نشرت أولوية الحرية وأعلنت حقوق الانسان » . (العالم الاسرائيلي - العدد ٦٤ - ٣٠ تشرين الثاني ١٩٢٢) .

وعلى ذكر الياس ساسون ، فان المجلة في عددها ٥٢ الصادر في ٧ أيلول ١٩٢٢ ، نشرت له مقالة بعنوان « واجبات الكاتب وعلم الانشاء » متوجه برسمه والتعريف الاتي : « الكاتب البارح الياس أفندي ساسون صاحب مجلة « الحياة » المحتجة » .

ومن دمشق ننتقل الى بيروت حيث تنال الطائفة اليهودية حصة الاسد من اهتمام « العالم الاسرائيلي » وهذا أمر بديهي .

عن « المدارس الطائفية الاسرائيلية في بيروت » يكتب « ابن التوراة » مقاليتين يشدد في الاولى على وجوب اعطاء الولد « التهذيب الاسرائيلي الحقيقي » ، هذا التهذيب الذي يستحيل حسب رايه ان تعطيه أية مدرسة غير صهيونية . وكالعادة يدعم « ابن التوراة » رايه بما جاء في أساطير اليهود حيث كانوا « يأخذون أولادهم ويلقونهم على صدر نبينا موسى عليه السلام ويقولون له يا ابن عمران ما هي التربية وما هي المعيشة التي أعددتها لهم ؟ فكان هو يأخذهم ويعلمهم التوراة » . ويختتم الكاتب مقالته مستشهدا بعلماء التلمود الذين « قالوا انه عندما يأخذ الطفل في التكلم يلزم على والده ان يكلمه باللغة العبرانية ويعلمه التوراة ، وإذا هو لم يفعل كذلك يكون كأنه قد دفنه حيا » . (العالم الاسرائيلي العدد ٢٢ - ٢٦ كانون الثاني ١٩٢٢) .

أما في الحلقة الثانية ، فان « ابن التوراة » يشكر « حضرة المحسن الكبير عزرا أفندي عنزروت الذي يساعد المدرسة بعشرين ليرة مصرية في الشهر » . والمدرسة اسمها تلمود تورا التي سوف يؤتى على ذكرها اكثر من مرة . (العدد ٢٣ - ٢ شباط ١٩٢٢) .

وحول الموضوع نفسه يعقد سليمياهو من افتتاحية بعنوان « مدارس الاليانس في بيروت » يستهلها بالعبارة التالية : « لا يعجب قراء جريدتنا الكرام من اتخاذنا هذا الموضوع افتتاحية لعدنا هذا ، فانه من المواضيع المهمة الحيوية التي يجب ان نعالجها معالجة مستوفية ونبحث فيها بحثا مدققا » . ويستفطع صاحب المجلة ظاهرة تعليم اليهود لابنائهم في « المدارس الاجنبية » حيث يستحيل بنظره ان يتعلم هؤلاء « لغة اباؤهم وأجدادهم وكتابهم المقدس أعني اللغة العبرية » . ويتساءلياهو من في مقالته المنشورة في العدد ٥٨ تاريخ ١٩ تشرين الاول ١٩٢٢ : « اذا كان الولد لا يعرف لغته على الاصول وديانته كاللازم فكيف نطالبه بالقومية » ؟ ولكي يكون ابناء الطائفة عند حسن ظن الحركة الصهيونية ف « يجب ان يبقوا في المدارس الاسرائيلية ليتعلموا اصول السدين واللغة والتاريخ الاسرائيلي وتاريخ الانبياء الكرام » . وحتى يكون ذلك ممكنا ، فان الكاتب يقترح « على المسيو دانون الذي اجمعت القلوب على حبه ان ينظم صفوفًا عالية في مدارسه تضارع الصفوف التي يدخلها اولادنا في المدارس الاجنبية وينتقي لها

أساتذة مشهورين بعلمهم وأدبهم » .

ومن المدرسة تنتقل المجلة الى النادي . فيطلق « صيون ناديب كريم - نزيل بيروت » نداءه « الى الشبيبة الاسرائيلية البيروتية » كي ينهضوا « نهضة واحدة » ويثبوا « وثبة الرئبال » ويتحدوا ويتعاونوا على تأسيس ناد أدبي « على شكل نادينا في دمشق » . (العالم الاسرائيلي - عدد ٨٤ - ٢٦ نيسان ١٩٢٣) .

جمعيات النساء

بعد النادي ، تقود المجلة عبر « استر » حملة من أجل تأليف جمعية نسائية بيروتية - يهودية . في العدد ٧٣ - ١ شباط ١٩٢٣ « نداء من أستر الى السيدات والفتيات الاسرائيليات البيروتيات » . ويقول قلم التحرير : « جاءتنا هذه الرسالة من حضرة الاديبة صاحبة التوقيع وهي أول رسالة جاءت بها علينا فتاة اسرائيلية وقد كنا نحب ان تضع اسمها الحقيقي ولكنها طلبت منا عدم وضعه فنحن عند طلبها » . وتقول استر في ندائها انها « تتوجع لانها رأت السيدات والفتيات المسلمات والمسيحيات يؤلفن الجمعيات الخيرية والادبية وشقيقاتي بنات الطائفة الاسرائيلية لم يهتمن بهذه المسائل كأنهن لسن من بنات حواء . فاليكن يا بنات جنسي اطلب ان تسرعن في تأليف جمعية نسائية لمدرسة تلمود تورا » .

ويبدو ان نداء استر قد فعل فعله بلليل ما نشرته هي في العدد التالي من ان « بعض السيدات والفتيات الكريمات قد عقدن اجتماعات تمهيدية لدرس المسألة من كل وجوها » . ثم صدرت عدة اعداد من « العالم الاسرائيلي » من غير ان يكون للجمعية العتيدة اي ذكر . مما أقلق الياس ساسون في دمشق فكتب في العدد ٨٢ - ١٢ نيسان ١٩٢٣ تحت عنوات « أين أنت يا أستر ؟ » وبعد ان يسألها عن مصير الجمعية بلغة مؤنبة ، يقول لها ولسائر بنات جنسها : « يجب على فتياتنا ان يعلمن ان لا نهوض لهن الا باصلاح حالهن فليعلمن ان كن في الترقى راغبات وبيادرن لتأسيس الجمعيات النسائية الخيرية ومساعدة المعاهد العلمية التي لا نهوض للامم الحية الا بها » .

وتجيب استر في العدد ٨٣ - ١٩ نيسان ١٩٢٣ تحت عنوان « استر لا تزال في عالم الوجود » قائلة : « أجل ان استر لا تزال في قيد الحياة تحت سماء العاصمة اللبنانية وقد طرأ عليها حادث بسيط جدا علمها ان لا تعتمد الا على نفسها في كل عمل او مشروع كان » . وهنا تروي استر كيف ان نسيم تاجر نجل الحاخامباشي أبلغها بأن زوجته وعدة سيدات وفتيات يهوديات سوف يجتمعن في منزله لتحقيق فكرتها . وتضيف بان السيدات لم يجتمعن رغم الوعود المتكررة مما جعلها تقول لنسيم أفندي : « لم تشتغل انت ولم تدع غيرك يشتغل ، فاترك المسألة لي لاجرب حظي » .

وبالفعل فان استر « تمكنت من مقابلة بعض السيدات والاونس الاسرائيليات في الثغر وتباحثت معهن في مسألة تأليف الجمعية النسائية لمدرسة تلمود تورا التي تفنقر الى مثلها الطائفة » . كما جاء في العدد التالي من « العالم الاسرائيلي » .

يبقى ان « العالم الاسرائيلي » قد خصصت عديدين بكاملهما لموضوع واحد عنوانه « فاجعة بحمدون في عالم القضاء » . ويقول رئيس التحرير ان « هذا العنوان الذي تصدر به العالم الاسرائيلي اليوم طالعهنا في صدر محكمة الجنايات التي مثل فيها الجانيان على الاسرة الاسرائيلية في بحمدون شرف الدين منذر الصائغ وسليم يوسف

عدنان أمام المجلس العدلي العرفي فكان نصيبهما الاعدام جزاء ما جنته ايديهما الاثيمة .
وتعطي المجلة في العدد ٨٩ وصفا مسهباً لوقائع المحاكمة التي رأسها نجيب ابو صوان
ومثل الادعاء العام فيها سامي الصلح . والملاحظ ان « العالم الاسرائيلي » قد خصصت
سامي الصلح بلفتة كريمة حين نشرت صورته في العدد التالي ومطالعتة الطويلة كاملة
وقد توجهت بالمقدمة التالية : « هذه هي المرافعة البليغة التي ألقاها سعادة سامي بك
الصلح من على منصة النيابة العامة في المجلس العدلي فاسترعى انتباه الجماهير الغفيرة
التي صفقت له اعجاباً واحتراماً . وقد رأينا ان نثبت رسمه الكريم في صدرها تقديراً
للرجل الذي أجمعت الامة اللبنانية اسرائيليا ونصرانيا ومسلمها في فاجعة بحمدون
على امتداح صفاته العالية التي تحلى بها ونزاهته التي تنم عنها عدالته في عالم
القضاء » .

التظيم الشبيبي الفلسطيني

اعلنت الثورة الفلسطينية ان استراتيجيتها لتحرير فلسطين هي حرب الشعب طويلة الامد ، ومنع هذا الوضوح الاستراتيجي الاولي قوة وصمودا للجماهير جعلها تقدم التضحيات الكبرى وتحمل ثقل الشدائد . ولم تؤثر ضخامة المؤامرات والاطار التي تعرضت لها او تجابها من ثقتها بالتحرير والعودة وتحقيق الوحدة العربية خلال مسيرة التحرير . واكتسبت الجماهير خلال نضالها الطويل وعيا متزايدا جعلها تشعر بخلل وقصور في الاشكال التنظيمية العاجز عن تعبئة كامل طاقاتها وتنميتها ، لتحقيق شروط مراحل حرب الشعب طويلة الامد ، وصد جميع الاخطار ، والخروج بعد ذلك من المعارك المتلاحقة بمزيد من الصلابة والقوة . وتشعر الجماهير ايضا ان النمط التنظيمي الحالي لا يساعد على تحديد كامل جوانب الاستراتيجية النضالية وتحديد جميع المهمات المرحلية وتربطها لتحقيق التقدم على طريق النصر النهائي .

تراكمت عدة عوامل لتعيق من قدرة بلورة فكر ثوري متكامل ، يمتلك القوة الذاتية وديناميكية الحركة لتوجيه النضال والصمود القادرين على ضمان مسييرة الثورة وارتقاؤها النوعي والكمي . فالمستوى الاقتصادي الاجتماعي والثقافي للمجتمع العربي عامة والفلسطيني خاصة لم يعط الحركة الثورية الفلسطينية الخبرة الاجتماعية لبلورة نشاط نضالي متكامل يمتاز بشمولية التحليل والتخطيط والتنظيم . كما ان شراسة المعركة مع العدو الصهيوني وتعاضم القوى العربية الانهزامية تجعلان اسلوب النضال معقدا ، اذ تتداخل المعارك مع العدو الصهيوني مع المعارك ضد هذه القوى الانهزامية . ونتيجة لهذه العوامل الذاتية والموضوعية تشكل الجماهير بقوتها الذاتية ، فيصيبها نمط من التشاؤم ويتكر هذا المسلك مما يعيق النمو الذاتي لقوى الثورة .

وبسبب هذا القصور الفكري وجدلية التعامل والتناقض مع الانظمة العربية ، تغلب اسلوب التكتيك السياسي على مجمل تفكير الثورة واسلوب عملها . وجرى التركيز على شعارات براءة دون تحديد معناها الدقيق وتحديد شروط تحقيقها . فنتج عن هذا الوضع جمود فكري يحتمى خلف هذه الشعارات وافراغ للاطر التنظيمية المختلفة من معناها الجماهيري .

قدمت الجماهير الفلسطينية التضحيات الكبرى دفاعا عن حقها في التحرير والعودة وطورت من اساليبها القتالية في حربها مع العدو الصهيوني ، الا ان هذه الجماهير باتت تشعر بحاجة الى غرس الثقة الكاملة بنفسها وبنساء شروط النصر في ظل استراتيجية حرب الشعب طويلة الامد . وتنظر هذه الجماهير الى ديناميكية وشمولية نضالها ، كونه طليعة النضال العربي ومحور التقاء فكري ونضالي مع القوى التقدمية العربية .

اضحي مستقبل النضال العربي الفلسطيني وابعاده العربية مرتبطا بتحديد اكثر شمولية ودقة لاستراتيجية سياسية - عسكرية - اجتماعية شاملة ، وانطلاقا من هذه الاستراتيجية تحقيق قفزة نوعية واضحة في الهيكل التنظيمي لقوى وجماهير الثورة الفلسطينية . واهم سمة للمرحلة القادمة يجب ان تكون وضوح في الشعارات واتباع ممارسات صادقة تحقق هذه الشعارات ، وذلك بهدف ايقاظ ديناميكية داخلية توضح الجوانب التقدمية والثورية المتكاملة للثورة الفلسطينية .

يتطلب هذا التطور النوعي والاساسي في فكر وممارسة الثورة العربية الفلسطينية مساهمة جادة من الجميع في طرح كافة المواضيع الاستراتيجية والمرحلية والتنظيمية توفيراً للوضوح المطلوب . ويشترط في الحوار اتباع ثلاثة اساليب في التفكير ، اولا تحديد الظروف السياسية بابعادها المختلفة ، ثانيا تحديد جميع شروط حرب الشعب طويلة الامد وتطبيقها الفلسطيني ، وثالثا تقييم التجربة الفلسطينية بجميع ابعادها ومنها تقييم شامل للموضع الاجتماعي الفلسطيني في مواقع التجمعات الفلسطينية داخل وخارج الارض المحتلة .

وما يعنيننا في العرض الحالي هو العودة الى تحديد شروط حرب الشعب من الناحية الجماهيرية التنظيمية والتنويه ببعض ظواهر الشخصية العربية الفلسطينية تلمسا لفهم اوضح حول اهمية التنظيم الشبيبي ونشاطاته المختلفة في اطار تعبئة القوى وبنساء الانسان الجديد .

ليست حرب الشعب طويلة الامد فقط نمطا من تثبيت وتجميع القوات العسكرية لتحقيق النصر ، ان هذا التثبيت والتجميع هو انعكاس للتعبئة البشرية والمادية للجماهير الواسعة ، وما العمليات العسكرية في البدء الا وسيلة اساسية لتحريض وتنظيم وتعبئة الجماهير . فحرب الشعب هي اذن تنظيم الجماهير وتعبئتها لتحقيق انتصارات متتالية فعلمية النضال الطويل هي عملية تربوية ترسخ لدى الجماهير الثقة بالنصر وبالذات وتجعلها تطور من قيمها ومسلكها لتقدم كامل طاقاتها الفردية والجماعية لتحقيق النصر ، وتوفير الاسباب الموضوعية لهمة البناء بعد التحرير ، فجدلية التفاؤل والثقة تجعل من الجماهير سلاحا رهيبا لا يقهر .

فعلمية التعبئة الشاملة عملية منظمة مبرمجة ، تتطلب وجود اطر تنظيمية قادرة على استقطاب الجماهير وتحريكها والارتقاء بقدراتها الفردية والجماعية . يتولى هذه المهمة حزب طليعي ومتماسك يمتاز كادر هذا التنظيم بصفة القدوة للجماهير ومحركها يتعلم من هذه الجماهير ويشترك معها في تحليل التجارب واستنتاج العبر . فالعمل الجماهيري هو محصلة عمل فسيقراطي ويجمع خبرات وممارسات الكوادر في المواقع المختلفة ضمن تصور استراتيجي موحد ويزود هذا النمط من الممارسة التصور خبر تنظيميا يعزز من قدرة التعبئة الجماهيرية .

ومن الخطأ الاعتقاد ان الاطر التنظيمية الجماهيرية مثال المنظمات الفتوية والمهنية عملية شكلية ، تخدم الاعلام الخارجي ، فعملها الداخلي مهم جدا لقدرته الى الوصول الى قطاعات واسعة من الجماهير والتصدي للامور الاجتماعية والاقتصادية الملحة والتي ترهق كاهل الحركة الثورية ، اضافة الى ذلك تعتبر المنظمات الجماهيرية بوتقة لتربية العنصر ، تعود على النشاط الاجتماعي والسياسي ، خارج نطاق العلاقات العائلية، وترسخ لديه ارادة المساهمة الفعالة في العمل الثوري ، وتطوير الذات للارتقاء بقدراته العملية .

وتمثل المنظمات الشبيبية نموذجا واضحا للتعبئة الشاملة والتربية الهادفة . وتعتبر العناية المركزة بالجيل الجديد عن الثقة الكاملة بالنصر ، وتعتبر ايضا هذه العناية عن وضوح التفكير الاجتماعي وفهم للعلاقة بين التفاؤل الوطني بالمستقبل وتفاؤل العائلة بمستقبل اولادها . واخيرا فان العناية بالنشاط التربوي عامة والشبيبي خاصة يعبر عن وضوح الرؤية حول تطوير جميع جوانب الحياة الجماهيرية وتحميل المسؤولية لكل فرد وفي موقع عمله ، ومتابعة مجمل الحياة الجماهيرية لتوجيهها حسب مقتضيات النضال .

كما ان وجود نشاط شبيبي واسع ومنظم ينال اهتمام الكوادر ، ويحظي بالعطف الجماهيري ، يحرك التفكير العام حول مستلزمات تربية الجيل الجديد ، فيخلق مناخا لطرح قضية مستوى التعليم الحالي وطبيعته وجدواه ، ومع تنظيم هذا الحوار وبلورة قوة ضغط وارادة تغيير قد نصل الى تحسين الوضع التربوي وتوفير امكانيات جديدة من تأهيل مهني للجيل الجديد .

ان هدف البحث الحالي هو توضيح الاسس التربوية والتنظيمية التي تساهم في انجاح النشاط الشبيبي المطلوب والتحدث عن النتائج العملية لجميع جوانب هذا النشاط ، وذلك على مستوى كل من الحركة الثورية ، وتربية الفرد ، وتراكم الخبرات لدى الكوادر المشرف والموجه واثر هذه الخبرات على قدراته ومسلكه .

١ - اهمية تنظيم الشبيبية خلال مسيرة النضال

ليست التربية عملية عشوائية بل هي عملية منظمة يمارسها المجتمع الانساني . فعملية تهيئة الطفل لدخول مجتمع الكبار هي عملية منظمة يفرضها الوضع الاجتماعي - المادي . وتأتي بعد ذلك الرقابة الاجتماعية للسيطرة الدائمة على مسلك الفرد خدمة لاهداف المجموعة الانسانية التي يرتبط بها اجتماعيا وسياسيا . ولم يشذ المجتمع البرجوازي عن هذه القاعدة ، ولكنه خلافا للتربية في المجتمع العشائري او الاقطاعي التقليدي ، فانه يستخدم ، بالاضافة الى الاطر العائلية ، اطرا اجتماعية اخرى ، نتيجة النظرة الجديدة للانسان ، غير ان التربية في هذا المجتمع غير قادرة على السيطرة الكاملة على توجيه تفكير وقيم ومسلك الافراد بسبب حركية المجتمع نتيجة التطور الدائم للغط الانتاجي وتطور علاقات الانتاج .

في البدء ورثت المدرسة البرجوازية في اوربا تقاليد مدرسة النخبة التي كانت قائمة في العصر الاقطاعي ، والتي كانت تتولى تربية الفرد بدلا من العائلة من خلال اقامته شبه الدائمة في المؤسسة . ولكن مع انتشار التعليم وتطوير اساليبه تضاعفت ساعات التعليم ارتوت اذخال نشاط شبيبي خارج الصف اخذ شكل الحركة الكشفية ونوادي مدرسية ومراكز شباب . وكان بود البرجوازية توجيه كامل مسلك الجيل الجديد ضمانا

لانضباطه واخلاصه في الانتاج ، الا ان ايدولوجية الاقتصاد الحر كانت تمنع التوسع في نشاط الدولة خوفا من نتائجها الاقتصادية من استثمارات واسعة في المنشآت والتجهيزات والاختصاصيين ، والتزام تخطيط التوجيه المهني والعمالة . ولكن البرجوازية الكبيرة الاحتكارية مارست سيطرتها بواسطة الفاشية بتوجيه الاجيال الصاعدة . فانشأت حركة شبيبية قوية في كل من ايطاليا الفاشية والمانيا النازية .

مع تطور المجتمع وقاعدته الاقتصادية ، اوضحت العائلة العربية غير قادرة على تنمية الكفاءات الذهنية واليدوية للجيل الجديد . لقد بدأ المجتمع العربي يعرف مهنا جديدة تتطلب اعدادا خاصا ، كما تضاربت القيم نتيجة التطور الاجتماعي الاقتصادي وتأثير العوامل الخارجية على مسلك الفرد . اضافة الى ذلك ، فان المدرسة العربية المنسوخة عن المدرسة البرجوازية وبشكل مشوه ، تفتقر الى اسس التربية الشاملة والمنهجية ، فهي مؤسسة للتلقين والترهيب . تقوم بدورها التربوي من خلال الانظمة المدرسية والوعظ ومن خلال الايدولوجية الضبابية للكتب المدرسة ، التي تتجاهل الوضع الاجتماعي القائم وتهاب النظر الى المستقبل وتنمي المواقف الفردية الانانية . تتداخل عدة عوامل في تنشئة الفرد ، العائلة والمدرسة وكل من المسلك والرأي العام ، ويتأثر العاملان الاخيران في مجتمع الخدمات والاستهلاك بالقيم الاستعمارية المغروسة ووسائل الاعلام التجارية ، التي تكون الثقافة المشوهة . فعلمية التنشئة في الوطن العربي عملية متناقضة تدخل فيها القيم التقليدية من ايجابية وسلبية وقيم استهلاكية استعراضية وقيم ايجابية من وطنية ونتاجية ، ناتجة عن نمو الشعور الوطني والارادة بالتححر والتطور الاجتماعي . غير ان قيم المجتمع الاستهلاكي المعززة بالقيم العشائرية تجرف في المحصلة الاخيرة مسلك الفرد . لقد ادركت العديد من الحركات التقدمية في العالم ان ضمان تنمية الحركة التقدمية والثورية في بلدها مرتبط بتربية الجيل الجديد وتوجيه مسلكه وقدراته لتخفيف اثر القيم العشائرية والبرجوازية الاستهلاكية التي تعيق من تطوره الى مناضل واع وايجابي . ولذا اهتمت هذه الحركات والاحزاب بمراقبة وتوجيه المدرسة ، ووظفت كامل طاقاتها لانشاء حركات شبيبية مع دعم اشكال اخرى من النشاطات الشبيبية بهدف توجيه الجيل الجديد وتنظيمه . فاعتمدت كل من الثورة الفيتنامية والكوبية على الجيل الجديد واعتنتا بتربيته . غارسين لدى الجيل الجديد روح التفاؤل والاصرار الثوريين ، ويتعمق هذا التفاؤل من خلال نشاط الفرد وتعاونه مع رفاقه ، يقود هذا التفاؤل الى حب الشعب والايمان المطلق بحتمية النصر والتحرر السياسي والاقتصادي والاجتماعي .

واستمدت كل من التجربة الفيتنامية والكوبية ممارستهما من تجارب ثورة اكتوبر والثورة الصينية ، وما اكدتهما من اهمية التوجيه الشامل لتربية الجيل الجديد . واغتت الثورتان علم التربية وازاحت العديد من الاوهام حول النمو الذهني والعاطفي للطفل . وابرزتا تفوق الناحية الاجتماعية في تنشئة الطفل . ويوجد الان العديد من خبراء التربية خصوصا خبراء الاونيسكو الذين توصلوا الى نتيجة مهمة جدا وهي انه لمن المستحيل تحقيق ثورة تربوية تقضي على ازمة التعليم ، دون تحقيق تغير سياسي يوفّر ارادة التغير والاصرار على تحقيق الاهداف الاجتماعية الجديدة ، تبعث الحماس لدى الجماهير من اجل تحقيق الانجازات الشاملة والسريعة والفعالة . اي ان الوضوح السياسي و ارادة التغير ومعايشة تطور اجتماعي جذري تخلق جميعها الشروط الاساسية لانجاز قفزة نوعية في السياسة التربوية والنظام التربوي . فتصبح عملية تنشئة الجيل الجديد عملية واضحة الاهداف والاساليب .

تحتاج الثورة الفلسطينية الى عمل جاد في تنشئة الاجيال الصاعدة وتهيئتها لمتابعة مسيرة النضال . وتأتي هذه الحاجة ايضا من الظروف الاجتماعية الاقتصادية للشعب العربي الفلسطيني المشتت وحيث تعمل الاكثرية الساحقة من قواه العاملة في قطاع الخدمات اذ يولد هذا النشاط الاقتصادي الذاتية المغلقة والاعتباطية والفهلوية ، فظروف العمل لا توفر القدرة على التحليل والتخطيط وبرمجة التنفيذ والقيام بعمل جماعي لتحقيق التنفيذ . ومن هنا نرى مقابل الوعي السياسي والوطنية الصادقة فردية فسي المسلك ، وتشكيكا بالقدرة الجماعية على الارتقاء بالتعبئة الجماهيرية .

ومن اثر انعكاس قيم المجتمع الخدماتي الاستهلاكي والفاقد لديناميكية الجماعة الواعية ، بروز الشعارات الهادفة للاستهلاك المحلي او العالمي ، دون الاهتمام بتحديد علاقتها بمراحل النضال . اي ليس هناك وعي لخلق قنوات لدى الافراد تزيد من ايمانهم بالنصر وارانتهم بعمل منظم وتوضيحية مثلى .

اذن ليست عملية التربية عملية تقنية معزولة تأخذ شكل خدمات للجماهير ، بل هي تجسيد واضح لوعي سياسي متقدم واردة بتحقيق النصر ، واتباع تنمية اجتماعية - اقتصادية سليمة بعد التحرير . فينظر الى الاجيال الجديدة بفئاتها المختلفة على انها اساس مقومات النضال والتغيير المستقبلية ، مع توفيرها لامكانيات بشرية واسعة يتطلب الاستفادة منها حاضرا ، لذا تتضمن التربية المنشودة الاسس التالية :

- توجيه قيم ومسلك الفرد سياسيا واجتماعيا .
- بناء قدرات الفرد الذهنية واليدوية .
- تربية عملية للفرد تحقق الهدافين السابقين من خلال الممارسة والعمل .
- جعل الممارسة والعمل مشاركة فعلية للجيل الجديد في الجهد الثوري .

ان تحقيق هذه الاهداف وتكاملها يتم بشكل جيد مع السيطرة على التعليم وخريصة التصرف في الدول العربية المضيئة ، ولكن مع بقاء العوائق المفروضة ، يستحسن اتباع مرونة في تحقيق هذه الاهداف ، فتعطي أهمية خاصة للنشاط الشبيبي ، ويجري التركيز على اوجه خاصة من هذا النشاط ملاءمة مع الظروف المحلية ، شرط اتباع اسلوب منهجي دقيق يوفر مجالات لتأثيرات ايجابية لدى الجيل الجديد تتعلق بالاهداف غير البارزة مرحليا . . ويجب الاستدراك دائما بان تربية الاجيال الصاعدة الفلسطينية هي مسعى واع لتربية عربية جديدة . فلذا يجب ان لا تنعزل التربية الفلسطينية عن المحيط العربي ، تتفاعل معه وتستفيد من بعض تجارب الدول العربية عامة ، كما تقوم بدورها بالتأثير على التربية في هذه الدول وعلى التربية العربية عامة .

ولا ينفصل التنظيم الشبيبي او التنظيمات الشبيبية المختلفة عن التنظيم السياسي والمنظمات الجماهيرية ، كون التنظيم السياسي هو الذي يحدد الاهداف السياسية - الاجتماعية للتنظيم الشبيبي ، ويقدم له الامكانيات البشرية والمادية ، ويرعاه من خلال تجنيد كامل الطاقات لانجاح نشاطاته المختلفة ، مما يخلق اللحمة الفعلية بين الجيل الجديد والاجيال الراشدة . كما يجب ان تكون العلاقة مع النقابات العمالية والاتحادات الفلاحية ، وثيقة من اجل المساهمة في عمل هذه المنظمات من اجل خدمة قطاعاتها والشعب عامة . كما ان لهذه المنظمات مصلحة في العمل مع الشبيبية ، من اجل الهدف المشترك في توجيه الشباب العامل او الشباب الفلاحي ، ومساعدة غير المؤهلين علميا على

التخصص المهني ، وتطوير مستوى هذه الفئة من الشباب عامة . وتساهم ايضا المنظمات الشبيبية في اعداد الجيل الجديد للعمل في الحقل النقابي والاجتماعي الاقتصادي عامة .

٢ - الاسس التربوية للتنظيم الشبيبي .

ليس للنشاط الشبيبي فلسفة تربوية خاصة به ، فهو يستمد اهدافه وتصوراته من الفلسفة التربوية لمجتمع معين . وفي الظروف الطبيعية لمجتمع ما ، اي مجتمع مستقر ومستقل ومحدد الاهداف الاجتماعية والاقتصادية ، تتوحد الاسس التربوية لكل من التربية الصفية والتربية الشبيبية ، مع التركيز على بعض الاسس والاساليب في كل نشاط (صفي او شبيبي) تبعا للاهداف التربوية المطلوبة ، ونشاهد في الدول الاشتراكية تنسيقا شديدا بين هذين النشاطين ، ويجري اتباع اساليب تربوية متشابهة في العديد من المجالات ، مثل اعتماد مبدأ المجموعة في النشاط الصفّي ، او تنظيم الصف على اساس وحدات الطلائع ، او الدقة في منهجة النشاط الشبيبي الخاص بحركة الطلائع . ويطلب من النشاط الشبيبي دعم النشاط المدرسي ، واكمال دور المدرسة نسبة للشباب العامل والتسربياكرا من المدرسة . غير ان مبدأ دعم النشاط المدرسي يتجاوز المساعدة الجانبية ليصبح تعزيزا وترسيخا للاهداف التربوية المحددة في فلسفة التربية او في المبادئ الاساسية .

لقد قام مركز التخطيط الفلسطيني وبعد حوار واسع مع خبراء ومثقفين ملتزمين وكوادر سياسية - عسكرية بوضع فلسفة تربوية للشعب العربي الفلسطيني اصدرها في عام ١٩٧٢ ، وهي بمجملها تحدد اساسا ايجابية لنشاط تربوي واع . ولكن مع تطور بعض التجارب التربوية الفلسطينية وتطور الوعي التربوي الشامل ، ظهرت بعض الثغرات في هذه الفلسفة ، خصوصا بما يخص عدم وضوح الاسس التربوية لحب العمل وربط عملية التعلم بالعمل والانتاج . ولم توضح هذه الفلسفة فهمها للنشاط اللاصفي او الشبيبي ، وما نتج عن هذا الخلل من اهمال لتحديد الاسس التربوية للعلاقة المنهجية والتأثرية بين هذين النمطين من النشاط .

واهملت ايضا هذه الفلسفة ، ابراز الفحوى الجماهيرية للتربية من خلال جدليتها اي توجيه التربية لخدمة الجماهير ، والاهتمام الجماهيري المنظم والتلقائي بدعم التربية مضمونا ونشاطا ، والمساهمة المادية والبشرية في توفير الامكانيات المطلوبة .

سنركز في عرضنا للاسس التربوية الى فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني الموضوعية من قبل مركز التخطيط الفلسطيني والى الاسس الاخرى المنوه عنها اعلاه . ولكننا نريد التنويه مسبقا الى تداخل هذه الاسس . فعملية التربية عملية متداخلة . لان القيم والمسلك تتولد من القنوات ، التي بدورها تتعزز بالممارسة والتقييم ، وكلامهما يحتاجان الى قدرات ذهنية ويديوية .

١ - توجيه قيم ومسلك الفرد سياسيا واجتماعيا :

في غياب قنوات داخلية واضحة ، يصعب على الجيل الفلسطيني الجديد ، تقديم التضحية المثلى والابداع واطهار الارادة في تجاوز جميع الصعوبات . فعملية التوجيه هذه عملية متعددة الجوانب ، اهمها ربط النظرية بالعمل والوصول الى النظرية من النماذج الجماعية

والفردية للشعب الفلسطيني والعربي من نماذج الشعوب الاخرى . فالقيم التي نرسد ترسيخها لدى الجيل ليست شعارات ترفع ، بل هي امثلة حية لتجارب عامة وشخصية تزوده بالقناعات الاساسية . وهذه بدورها تحرك مسلكه بشكل تلقائي . ولذا نستطيع القول ان القيم ليست منفصلة عن النماذج الطليعية التي يشاهدها الجيل الجديد ، وعن تجارب ذاتية يقوم بها لتؤكد صحة هذه القيم .

ان الاعتماد على الامثلة النضالية الجماعية للشعب عامة وللعناصر الطليعية خاصة والحديث عن أهداف العمل الوطني تهدف جميعها الى التأثير على الناحية العاطفية في سيكولوجية الطفل والجيل الجديد عامة . واما استنفار الوعي الذهني فيأتي من خلال الحوار وتعدد التجارب الفردية للطفل او الشباب . وتتطلب عملية الترسخ استعمال وسائل تربوية عدة وتنظيم أنشطة متكاملة ، وتطبيق منهج تقييم موحد لمختلف النشاطات تعتمد اساسا اسلوب النقد والنقد الذاتي من قبل الجيل الجديد . فيستفاد من هذا الاسلوب لتطوير نمط العمل الفردي والجماعي .

بعد هذا المدخل السريع ننطرق الان الى القيم والمسلك المطلوبة اعتمادا على فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني .

اولا - غرس وتنمية القيم التالية في نفوس النشء :

١ - حب واحترام الوالدين والزملاء والمسنين . ب - حب الشعب والثقة به . ج - حب الوطن والثورة وبالثقة بالنصر . د - حب الروح الجماعية وتعميقها والاعتماد عليها والكفاح من أجلها . هـ - حب العمل والانتاج لخدمة الثورة والشعب . و - المبادئ والقيم الوطنية والثورية والتحرر من العصبية ومن القيم الفردية والقيم التقليدية السلبية . ز - الشعور بالمسؤولية والانضباط وتقوية الصلابة والمناعة في الخلق ضد الازمات والقوى المضادة للثورة والتهيئة للمشاركة الفعلية في قضايا المجتمع . ح - الثقة في المستقبل والاعتماد على النفس لدى الافراد والجماعات ، وتنمية القدرة على مجابهة التحدي بمختلف اشكاله ومستوياته . ط - روح التفاؤل الثوري وروح حب المستقبل في النفوس . ي - الجرأة وروح التحدي والمخاطرة المسؤولة في اطار العمل الجماعي

ثانيا - ضرورة التحلي بالصفات الثورية مثل الصدق والاخلاص والمواطنة والشجاعة والخدم والتواضع والكتمان ومقاومة الانتهازية والوصولية والاعتياب والدس والنفاق والكذب .

وهناك ثلاثة شروط اساسية ملازمة لتحقيق ترسيخ وتعزيز قيم ومسلك جديدين يحققان الانسان العربي الفلسطيني الجديد والقادر على الارتقاء نوعيا بالنضال الثوري وصولا الى التحرير والعودة والبناء الثوري .

الشرط الاول : ربط متين بين النظرية والممارسة ، اي عدم اتباع اسلوب الخطابة والوعظ لترسيخ قيم ومسلك جديدين ، بل جعل الفرد يمارس هذا المسلك ، ويطبق اسلوب النقد والنقد الذاتي الايجابيين ، اي ضمن ظروف علاقات رفاقية .

الشرط الثاني : الامتناع عن فرض مسلك على الفئات العمرية المختلفة ، يتجاوز قدراتها الذهنية والجسدية ، لان اي تقصير او عجز في استيعاب القيم وتحقيق المسلك المطلوب ، يولد مسلكا معاكسا .

الشرط الثالث : لا يقتصر ترسيخ القناعات الاساسي لدى الطفل على نمط تجاربه ومسلكه هو ورفاقه ، بل يتاثر ايضا بالمسلك العام (العائلة والمسؤولين والمجتمع ككل) اي ان المسلك الوطني الثوري يعزز من قناعات الطفل وقيمه ومسلكه . فالتربية الشيببية تتلازم مع المد الثوري العام ، اي مع التعديل في مسلك الافراد وما ينتج عنها من بطولات وانجازات جماعية وفردية . تقدم له نماذج حية يتمثلها .

يشكل تطبيق هذه الشروط ، عملية تصاعدية في تنشئة الجيل الجديد . يساعد المناخ الثوري على وضع اسس سليمة لنشاط شيببي جيد . والتقيد مع مستلزمات الشرط الاول والثاني يحقق قفزة نوعية في تنشئة الجيل الصاعد . فيقدم النشاط الشيببي افواجا جديدة من العناصر والكواكر ، تطور جميعها المناخ الثوري ، وترتقي بالتعبئة الجماهيرية المولدة لميد من الامكانيات المادية والبشرية ، تدعم النشاط الشيببي .

ب - بناء قدرات الفرد الذهنية واليدوية

لا تنفصل عملية الاعتماد على النواحي العاطفية والعقلية للطفل لترسيخ القناعات الاساسية ، عن عملية تنمية قدراته الذهنية واليدوية . فعملية الاقتناع بالمبادئ الثورية هي عملية اكتشاف واختبار فردية وجماعية . ومع تنمية قدراته المختلفة تزداد كفاءة الطفل في الاكتشاف والاختبار .

تشمل القدرات الذهنية المطلوبة ، المنهجية في التفكير والمعرفة والتذوق . فترسيخ منهجية التفكير اساسية ، كونها تشمل القدرة على التحليل والتفكير الشمولي والنقدي مما يؤهله للتقييم والتعبير الواضح والتخطيط وتنظيم التنفيذ . وتتعمق هذه المنهجية مع المعرفة النظرية والعملية . اما تنمية القدرة على التذوق لدى الجيل الجديد ، فتهدف الى جعله يتحسس الاثورات الشعبية ، ويتذوق الابداع الفني الانساني القديم والجديد ، ويستجيب لابداع رفاقه ويبادر ذاتيا للمساهمة في الابداع الفني والادبي . فالتذوق الجمالي يحرك احساس الفرد ويزيد من علاقته بشعبه ورفاقه ويعمق لديه معنى التحرر الوطني والاجتماعي ، اي معنى بناء مجتمع جديد متحرر من الاستغلال والفقر ، مجتمع العمل والطموح الفردي والجماعي والرفاهية .

وتشمل القدرات اليدوية المطلوبة ، المهارات التقنية والعملية في استعمال الادوات المختلفة ، والتحلي بمزايا معينة تلازم العمل اليدوي من دقة في العمل ومثابرة . وتهيء المهارات التقنية الفرد لمعالجة بعض الاحتياجات التقنية والحرفية مثل اصلاح او تجهيز بعض الاشياء من كهربائية او ميكانيكية او نجارة وحدادة ، وعلى اكتساب هوايات خاصة في بعض الحقول التقنية والحرفية . وتشمل المهارات العملية ايضا معرفة البيئة الطبيعية والاستفادة منها .

ج - تنظيم تربية عملية للفرد تحقق الاساسين السابقين وذلك من خلال الممارسة والعمل

فالتنظيم الشيببي هو في جوهره ممارسة لانه صورة عن التنظيم السياسي . والمنظمات الشيببية ، تخضع لنفس الاسس التنظيمية : الديمقراطية المركزية والتنظيم الهرمي . وتحدد اهداف مرحلية والتخطيط لها وتنفيذها . وتحقق التربية في هذا النطاق من خلال النشاط والمسؤولية . ويهدف التوجيه فقط الى تقديم المشورة في كل من تحديد الاهداف

المرحلية والتخطيط لتنفيذها . ويتولى التنظيم الشببي ذاتيا مراقبة الافراد وتقييم عملهم .
ولذا يجب توفير كل شروط العمل الديمقراطي ، اي حرية انتخاب المندوبين وتشجيع الاجتماعات القاعدية واللجان المسؤولة والمتخصصة وترسيخ حرية النقاش حسب اللوائح الداخلية والرضوخ لقرار الاكثرية . كما يجب اتباع الديمقراطية المركزية لفئة عمر ١٣ وما فوق ، اي تنظيم مؤتمر عام كل سنتين ، يسبقه تهيئة على مستوى القاعدة والفروع ويجري تقييم العمل السابق في هذا المؤتمر ، وتحدد اهداف المرحلة القادمة ، وتناقش النتائج على مستوى القاعدة ، ويبرمج تنفيذ الاهداف .

فخطوات التحليل والتقييم والنقاش تساعد جميعها على ترسيخ التفكير النقدي والشمولي وتطور من معارف الانسان وقدراته السلوكية والذهنية . وتنتمي القدرات التخطيطية والتنظيمية خلال عملية ترجمة الاهداف المرحلية الى مهام ، وتحويل هذه المهام الى خطط عمل تحدد المقومات البشرية والمادية وتسلسلها الزمني . ثم يأتي التنفيذ الذي يعزز القدرات اليدوية للافراد ويرسخ القدرات الذهنية والمعرفة واخيرا القناعات والقيم والمسلك .

والى جانب النشاط الخاص المتعلقة بتحقيق الاهداف المرحلية ، يجري تشجيع الشباب على الانتساب لنوات وحلقات علمية او ادبية او فنية او رياضية او علوم عسكرية . .
وتساعد هذه النواد او الحلقات على القيام بتجارب عملية ووضع برامج زمنية على شكل مشاريع ، تساهم في تعميق المعرفة وتكاملها ، وابرار نشاط جماعي يعرض خلال المناسبات العامة ، وذلك على كل من المستوى المحلي والقطري والعام .

ويلتقي مبدأ تشجيع روح البحث والمعرفة وتنمية الناحية الابداعية لدى الجيل الجديد مع مبدأ توجيه الممارسة لدى الشعب الفلسطيني ولدى الشعوب الفقيرة عامة لخدمة الجماهير . وتصبح الممارسة مفيدة اجتماعيا عندما يجري تنظيمها على شكل مشاريع ، مثل صنع وسائل تربوية تستخدم في النشاط الشببي نفسه او في المدارس ، او انجاز مشاريع تخدم المجتمع المحلي والثورة عامة . ويقوم الشباب ايضا باصلاح المنشآت والاجهزة والتجهيزات في المدارس ومراكز الشباب والنوادي .

ويدخل ضمن العملية التربوية تنظيم مشاركة الشباب في العمل المنتج ، تعميقا للمعرفة العلمية ومساهمة في الانتاج الوطني . وتنظيم مثل هذا العمل المنتج له فوائد تربوية اخرى ، فهو يمثل حافزا قويا لتطوير مسلك الافراد والمجموعات . لكون الممارسة في اطار اهداف واضحة ومفيدة وضمن اطر رفاقية منظمة تعزز المسلك الايجابي ويثير حب المعرفة والاستعداد لتطوير العمل اداريا وتقنيا . وتلزم كل من الممارسة المفيدة اجتماعيا والعمل المنتج التنسيق بين الجهات المختلفة واجراء تخطيط دقيق ، تفرضان بدورها حد أدنى من القدرات الذهنية واليدوية .

د - جعل الممارسة والعمل مشاركة فعلية للجيل الجديد في الجهد الثوري :

المطلوب اولا هو ترجمة شعار دعم النضال الثوري الى ممارسات واعمال تدخل في نطاق الجهود العام . ويدخل ايضا ضمن مبدأ دعم الجهد الثوري الاقتصاد في التكاليف تخفيفا من العبء المادي الملقى على عاتق الثورة . ويتحقق الحل الامثل في حال اتباع وسيلة التمويل والتجهيز الذاتيين . كما يطلب من التنظيم السياسي والمنظمات الجماهيرية

على المستوى الوطني والقطري والمحلي تحديد مهمات نضالية للتنظيم الشبيبي ، لتصبح قسما من ممارسته وعمله وتدخل جميعها في اطار خطة تعبوية شاملة .

تولد المشاركة في الجهد الثوري حماسا لدى الجيل الجديد وشعورا بالمسؤولية ، يسرعان في ترسيخ وتعزيز القناعات وتحقيق مسلك ايجابي . ويتسنى للشباب خصوصا فئة عمر (١٢ - ١٥) الاتصال بالعناصر الطليعية في مواقعها المختلفة . فيتلمس معنى العمل المنظم والانضباط والتضحية ، ويتعرف الى البطولات الجماعية والفردية . كما يتدرب القادة من فئة الشباب على تنظيم تنفيذ المهمات التي يجري تحقيق قسم منها في ظروف قاسية تفرض سرعة الانجاز .

٣ - الهيكلية التنظيمية حسب الفئات العمرية :

نستنتج من الاسس التربوية اهمية التوجه الواعي تجاه الجيل الجديد . ونعني بالعمل الواعي الادراك العلمي لنمو الطفل وسيكولوجيته في المراحل العمرية المختلفة . وتطوير اساليب تربوية تراعي النمو الجسدي والعاطفي - العقلي للاطفال . وانطلاقا من هذه الخصوصيات يجري توزيع الاطفال على فئات عمرية مختلفة . ويهدف اعتماد هذا التوزيع تحقيق تجانس بين الفئات العمرية المختلفة ، اساس ديناميكية الجماعة . كما يساعد هذا التوزيع على تحديد حجم المتطلبات المطروحة على كل فئة عمرية والتي تتلاءم مع قدراتها الجسدية والعقلية والعاطفية .

وتبلور مبدأ التوزيع هذا خلال مسيرة نشوء وتطور الحركات الشبيبية . فالحركة الشبيبية الحديثة انطلقت من مصدرين مختلفين ، مصدر التنظيم الشبيبي للنقابات ، ومصدر الحركة الكشفية . فمع نمو الحركة النقابية وتثبيت هيكلها التنظيمي وجد من الانسب تنظيم حلقات خاصة بالعمال الصغار وتهيئتهم للعمل النقابي المستقبلي . وبما أنهم قسم من الطبقة العاملة ويشاركونها النضال ، فقد جرى تنظيمهم على نمط التنظيم الرئيسي . واعتمدت الاحزاب الاشتراكية هذا الاسلوب لاحقا وطورته .

وبرزت من ناحية اخرى فعالية الحركة الكشفية واهمية بنائها الهرمي . فاعتمد هيكلها التنظيمي نسبة لحركة الطلائع اي للاطفال من عمر ٦ الى ١٢ او ١٤ سنة ، واعتمد قسم من اساليبها التربوية ، ولكن اعطي لحركة الطلائع مفهوم سياسي واضح .

ومع الفصل الشكلي بين حركة الطلائع وحركة الشبيبية جرى التركيز على بناء المجموعة داخل حركة الطلائع ، وافساح مجال التعبير والخلق امامها انطلاقا من ديناميكية داخلية متحررة من سلطة الكبار .

تقدم حركة الشبيبية الكوادر والقادة لحركة الطلائع ومهمة هؤلاء التنشيط والارشاد : وطريقة القيادة هذه تجسد اسلوبا تربويا جيدا لاعداد الشباب على نمط من القيادة يمتاز بالقدرة على تنشيط العناصر ، ودعوتها للمشاركة في أخذ القرارات والحماس فسي تنفيذها .

ويلعب تنظيم الشبيبية والذي يضم الشباب من عمر ١٢ وما فوق دورا مهما في تعبئة الطاقات وتحويلها الى قوة ضخمة في خدمة الوطن والتطور الاجتماعي - الاقتصادي . وتزداد هذه الطاقة حجما وفعلا خلال مسيرة اعداد الشباب مسلليا وفكريا ويدويا ، ويتركز محور تربية عناصر منظمة الشباب على تطبيق ممارسة مفيدة اجتماعيا ، تستثير

حماسهم ، ويجسدونها في انجازات طليعية تعزز قناعاتهم وتشد حماس الجماهير الواسعة وتبهر عناصر حركة الطلاب .

مع نمو الثورة الفلسطينية بعد عام ١٩٦٧ ظهرت حركة الاشبالي وشملت فتيان وفتيات من عمر ٦ حتى ١٥ سنة . وكان مركز النشاط معسكر الاشبالي والذي يمثل نقطة الارتكاز ومكان التجمع . وطغت فكرة عسكرة الجيل الجديد ، ومن منظار ضيق ، اي تدريب الاشبالي والزهرات على السلاح . وجزت بعض المساعي الدؤوبة لتطوير الاسلوب التربوي ، غير ان هيمنة الشكل التنظيمي التقليدي ، اي اعتقاد الطابور اساسا للتنظيم وحصر النشاط بالتدريب العسكري ، وقف عائقا أمام تطور حركة الاشبالي تنظيميا واسلوبيا . وعكس هذا الموقف تخلف المفاهيم التربوية ، باتباع الاسلوب المدرسي الطاغى ، المميز بأسلوب التلقين والترهيب .

وأبرز التعامل مع الجيل الجديد اللاعلمية التي سادت الكثير من أوجه النشاط الثوري والتي تجنبت تحديد اهداف واضحة من تربية الجيل الجديد ، تستمد مقوماتها من الاهداف الاستراتيجية والمرحلية للشعب العربي الفلسطيني . وكان من أثر التعرف على حركات الشبيبية في الدول الصديقة خصوصا حركة الطلاب في الدول الاشتراكية ، ان بدأ يظهر وعي فلسطيني لتطوير حركة الاشبالي . ويزيد هذا الوعي عمقا عملية تقييم تجربة الاشبالي والنقاش الدائر حول نمط تنظيم وتربية الجيل الجديد .

وظهرت الحركة الكشفية الفلسطينية الجديدة منذ عام ١٩٧٠ ، واعتمدت في انطلاقتها على تراثها القديم لدى اوساط الشعب الفلسطيني ، وعلى وجود حركات كشفية في الدول العربية المختلفة . واعتمدت ايضا على وجود عدد من القادة الفلسطينيين من حاملي الشارة الخشبية ، موزعين على الدول العربية . ومع انبعاث الحركة الكشفية الفلسطينية الحديثة ، بدأ النقاش حول اهدافها واساليبها التربوية . وبرز اتجاه قسوي يدعو الى تطويرها لخدمة اهداف الثورة الفلسطينية .

لكن الاهمية الخاصة التي تعطىها الحركة الكشفية للرموز الشكلية ، يعيق نموها ويبقى على التطورات التربوية التقليدية ، فما يزال رونق الثياب الاكثر تأثيرا ، مما يعيق انتشار الحركة الكشفية في اوساط الطبقة الكادحة ، لعدم قدرة الامل على توفير الثياب والتجهيزات المطلوبة . وبالرغم من طلب المشرقيين على الحركة الكشفية الفلسطينية بتجاوز الجماليات الشكلية ، الا ان الصورة التقليدية ما تزال هي المسيطرة . وما تزال الحركة الكشفية اسيرة تقاليد الرومنسية ، فحياة الخلاء تمثل جوهر وكامل نشاطها مما يحصر فترة الالتقاء الى موعد اسبوعي ونشاط خلوي لبعض الايام او الاسباع في السنة . بينما المطلوب فعلا دعم النشاطات الفكرية والفنية والجسدية واليدوية وجعل اللقاءات بعد ساعات الدراسة عاملا مهما في تربية العناصر والتنسيق مع المدرسة والتحضير للحياة الخلوية المتكاملة . وهكذا تتحول المخيمات الى معسكرات عمل ، الى جانب التدريب والترفيه والنشاط العلمي .

المطلوب حقا هو انشاء حركة شبيبية تشمل اكبر عدد من الذكور والاناث من عمر ٦ سنوات حتى ١٢ سنة ، وترتبط بمنظمة التحرير من خلال المجلس الاعلى للشباب . وتتمتع هذه الحركة بالليونة الكاملة لتأخذ اشكالا متنوعة حسب الظروف الموضوعية في كل منطقة تحتوي على تجمعات فلسطينية .

ويتطلب تحقيق الاهداف التربوية المطلوبة تنظيم نشاطات لحركة الطلاب تشمل الاكثرية

الساحقة من فئات الاعمار المختلفة . ويمتاز تنظيم هذه الحركة ونمط الممارسة بديناميكية ذاتية ، تساعد على تحريك كل نشاط وتطويره . ان ارتباط حركة الطلائع بمنظمة التحرير يعبر عن معنيين ، المعنى الاول بروز منظمة التحرير الفلسطينية كحركة سياسية لها استراتيجيتها وأهدافها وقادرة على اعطاء البعد السياسي الاجتماعي لحركة الطلائع ، والمعنى الثاني ، رفض فتوية النشاط الشبيبي للاطفال دون الثالثة عشر من العمر . اذ ان انماء روح التحزب الفتوي لديهم يمثل عائقا مهما امام تطور النضال الفلسطيني وذلك بانتقال اسلوب التعصب العشائري الى الحركات السياسية . لذا فان حصر النشاط الشبيبي للاطفال دون الثالثة عشر مع المجلس الاعلى للشباب يحقق جو تآلف حقيقي ، ويهيئ السبل لنشاط لا صفى مركز على الصفوف والشعب في المدرسة .

وجاء تحديد السن الاقصى لعناصر الطلائع بعمر ١٢ سنة ، انطلاقا من الوضع الفلسطيني الذي يستقطب الجيل الجديد سياسيا وعسكريا من عمر ١٢ سنة . ومع تشجيعنا لحركة شبيبية موحدة ، الا اننا نرى ان الظروف الحالية لا تسمح بنشاط موحد ، ولذا نقترح تمديد العمر الاقصى للطلائعيين بـ ١٢ سنة ، وقبول تعدد الحركات الشبيبية لافراد الجيل الجديد من عمر ١٢ سنة وما فوق . ويترك لكل تنظيم سياسي انشاء او تطوير التنظيم الشبيبي الخاص به ، مع السماح للمجلس الاعلى لرعاية الشباب . الإبقاء على الحركة الكشفية لفئة عمر ١٣ وما فوق . على ان ينشأ مجلس أعلى للحركة الشبيبية يضم المنظمات الشبيبية في التنظيمات والكشاف والاتحادات الطلابية وجمعية قادة الطلائع . وذلك بهدف صياغة النشاطات المشتركة من تدريب الكوادر تربويا ، واقتراح البرامج التربوية والاجتماعية والنشاطات العامة ، وتوفير كوادر عاملة مع حركة الطلائع .

وعلى المجلس الاعلى للشباب رعاية انشاء نواد مدرسية تشمل ايضا فئة عمر ١٣ وما فوق وضمان عدم محاربتها من قبل التنظيمات او السعي للهيمنة الضيقة عليها . وذلك بهدف تشجيع انماط من العمل الوحدوي يضم الشباب ويتجاوز التحزب الضيق . ومن هذا المنطلق ايضا يشجع انشاء النوادي الاجتماعية والرياضية والثقافية ، وضمان نموها ضمن نمط تنظيمي داخل المجلس الاعلى للشباب . ومع وضوح الرؤية التربوية يسعى الى تطوير العلاقة بين الحركات الشبيبية والكشاف والنوادي وجمعية قادة الطلائع ، لتكوين مؤسسة موحدة ، تراعي بعض الظروف الذاتية .

وتستطيع الكوادر الشبيبية دون عمر الـ ٢١ والعاملة مع حركة الطلائع انشاء جمعية خاصة بها . ويكون من أهداف هذه الجمعية تحقيق نشاطات خاصة باعضائها ، تهدف الى تدريبهم للعمل مع الطلائع وتبادل الخبرات . ولا يمنع انتساب بعضهم الى الحركات الشبيبية الحزبية او الى الكشاف . وتتبع هذه الجمعية المجلس الاعلى للشباب وتشارك معه ومع الجهات التربوية الفلسطينية الاخرى في اقتراح النشاطات والبرامج لحركة الطلائع .

ان البناء الهرمي للحركات الشبيبية مهم جدا . لما يوفر من فعالية تنظيمية ومحاوير نشاط . ولذا يجري توزيع عناصر الطلائع ونسبة الى الجنسين الى ثلاث اقسام اساسية :

- عنصر طلعي مبتدئ (٦ - ٩ سنوات) .

- عنصر طلعي (٩ - ١٠ سنوات) .

• عنصر طليعي متقدم (١١ - ١٢ سنة)

ويتجاوب هذا التنظيم مع خصوصيات كل فئة عمرية ، ويعطي حافزا لاجيال الطلائع • فيشعر الطليعي ان التقدم من فئة الى اخرى يتطلب جهدا وعملا دؤوبين ، وابرار مسنوق من الكفاءة والمسلك المرغوبين ولا يمنع ولاسباب سيكولوجية بشكل استثنائي انتقال بعض العناصر من فئة الى اخرى (النمو الجسدي مثلا) • واما مبدأ الطرد من حركة الطلائع فغير مرغوب به لا يطبق الا في حالات استثنائية جدا ، كون هذه الحركة مؤسسة تربوية يفرض عليها استعمال وسائل تربوية مختلفة لاعادة تربية العناصر الشاذة ومن العلوم ان مسلكتها هذا ناتج عادة عن اوضاع عائلية صعبة • واخيرا تقتبس حركة الطلائع من التنظيم الكشفي تنظيم العناصر مجموعات وفصائل وفرق •

واما التنظيم الشبيبي لفئة عمر (١٣ حتى ٢١) فيقسم الى قسمين :

• قسم الشبيبة المبتدئة (من ١٣ الى ١٥ سنة)

• قسم الشبيبة المتقدمة (من ١٦ الى ٢١ سنة)

يجري تمديد انتساب العناصر القيادية الشابة حتى عمر ٢٦ سنة ، والتي يجري انتخابها واعادة انتخابها لمسؤوليات قيادية على المستوى الاقليمي او الوطني • ياخذ شكل تنظيم العناصر الشبيبية المبتدئة اسلوب تنظيم العناصر الطليعية المتقدمة • أما فئة العناصر الشبيبية المتقدمة فتأخذ شكل الهيكل التنظيمي الحزبي • ولذا يأتي تمثيل فئة عمر (١٣ - ١٥) أقل من فئة الاقدم سنا في المؤتمرات العامة والمجالس المركزية والمحلية •

نلاحظ ثغرتين في هذا التنظيم المقترح : تتعلق الثغرة الاولى بتحديد السن الاقصى للعنصر الطليعي باثنتي عشر سنة بدلا من ١٤ او ١٥ سنة ، وتكرار النمط التنظيمي الخاص بالطلائع على فئة عمر (١٣ - ١٥) داخل التنظيم الشبيبي • واما الثغرة الثانية فتتعلق بفقدان العناصر القيادية المكلفة من قبل التنظيم الشبيبي بالاشراف على مجموعات وفرق الطلائع كقسم من النشاط الشبيبي • وجاءت هذه الثغرة نتيجة الفصل بين حركة الطلائع والتنظيم الشبيبي ، او التنظيمات الشبيبية •

انها ثغرات مبدئية ، فهذه التشكيلات التنظيمية تتلاءم والظروف الموضوعية • ويعطي هذا النسق من التنظيم ليونة كبيرة ، فبارتباط حركة الطلائع بالمرسة واستغلال ابنيتها لصالح النشاطات المختلفة ، يمنح الحركة القدرة على التكيف مع الظروف السياسية المحلية ، شرط الحفاظ على المبادئ التربوية الاساسية • ومن هذه المبادئ تكوين الجماعات المتجانسة ، وتعويد الطلائعيين الكبار على تحمل المسؤولية ، واستقطاب الشباب والكفاءات لمؤازرة المربين في تنظيم وتنشيط حركة الطلائع •

٤ - كادر التنظيمات الشبيبية :

يرتبط الكادر بعملية التوجيه السياسي والاجتماعي والتربوي للجيل الجديد واعداد وتاهيل كوادر كل من تنظيم الطلائع والتنظيمات الشبيبية ، فكفاءة الكوادر ومسلكتها الطليعي شرط اساسي لتنشيط الطلائعيين والشباب عامة ، وتوفير البرامج المختلفة ، وتحقيق الاهداف التربوية المطلوبة من كل مؤسسة وكل فئة عمرية •

وقبل الحديث عن موقع الكوادر وتأهيلها يتوجب تحديد مفهومنا للكادر في النشاط الشبيبي . انه الشخص المسؤول عن تنظيم العناصر وتوجيه النشاط وتحمل مسؤولية تنفيذ البرامج والمهام . وينطبق هذا التحديد على العناصر المنتخبة من الشباب انفسهم وعلى العناصر الشابة المنتدبة والمتطوعة للعمل مع حركة الطلائع . وعموما تشمل صفة كادر جميع الاشخاص المتخصصين والمتفرغين لاعداد البرامج والمناهج والموجهين التربويين والشباب المنتخب او المعين لمهام قيادية .

ويجب التمييز بين كادر الطلائع وكادر التنظيم الشبيبي او التنظيمات الشبيبية . فكادر الطلائع عنصر من خارج فئة عمر (٦ - ١٢) ، بينما كادر التنظيم الشبيبي عنصر من داخل التنظيم نفسه ، برز خلال العمل وانتخب من قبل رفاقه لقيادتهم . ويسمح عادة للشباب الذين تجاوزوا ٢١ سنة البقاء في التنظيم الشبيبي ان هم انتخبوا لمهام على المستوى الاقليمي او الوطني ، تقديرا لخبراتهم ومزاياهم القيادية ، ويتوقف انتسابهم بعد سن ٢٦ . وقد يتولى بعض كوادر التنظيم السياسي مسؤولية موجهين سياسيين للكوادر الشابة على ان لا يتجاوز عملهم توضيح الاهداف السياسية والبرامج المرحلية للتنظيم السياسي .

بما ان الهدف الاساسي لحركة الطلائع هو توجيه تربية الجيل الجديد وتنمية قدراته فهي تحتاج الى استقطاب تربويين ، والى اعداد الشباب تربويا لقيادة الطلائعيين . ويتألف مجموع كوادر حركة الطلائع من العناصر التالية :

- كوادر مخططة ، تضع الخطط وبرامج النشاطات ومناهج تدريب الكوادر المسؤولة .
- كوادر موجهة تربويا وميدانيا للكوادر القائمة لفصائل ومجموعات الطلائع (الكوادر المذكورة لاحقا) .
- كوادر من المعلمين والمسؤولة عن فصائل الطلائع .

- كوادر من الشباب من عمر ١٤ وما فوق ومسؤولة عن مجموعات الطلائع .
ذكر سابقا العلاقة المثلى المرغوبة بين حركة الطلائع ومنظمة الشبيبية ، حيث تنتدب الاخيرة عناصر لقيادة مجموعات الطلائع . ويكون نشاطهم هذا قسما من التزامهم بالتنظيم ، وتعبيرا عن ممارستهم في نطاق الخدمة العامة . ولكن ارتؤي فصل حركة الطلائع الفلسطينية عن تنظيمات الشبيبية حاليا لارتباط الاخيرة بالتنظيمات السياسية . ولكن من الممكن تطبيق هذا المبدأ ضمن تنظيم الشبيبية حيث ينتدب شباب لتولي ، ارشاد العناصر الشبيبية المبتدئة . ولا يمنع من جهة اخرى دعوة منظمة الشبيبية لعناصرها للتطوع والعمل في نطاق حركة الطلائع . ويأتي هذا التطوع فرديا وليس على شكل انتداب رسمي يأخذ شكل كتل . ان الالتزام بهذا المبدأ قد يشجع مستقبلا دمج فئة عمر (١٢ - ١٤) مع حركة الطلائع .

واضافة الى الشباب العامل مع الطلائع يجري ابراز عناصر من الطلائع نفسها تساعد في النشاط مع عناصر الطلائع المبتدئة والوسطى اي فئتا عمر (٦ - ٨) و (٩ - ١٠) ويجري الاعتماد على العناصر المنتخبة من فئة الطلائع المتقدمة لتشارك في مسؤولية القيادة . وتصبح وظيفة الكوادر ارشادية وفنية نسبة لهذه الفئة . وتنظم دورات اعداد خاصة بهؤلاء الطلائعيين القادة .

ان تنوع فئات الكادر ناتج عن أهمية توفير تنظيم قاعدي واسع وهرمي يحقق الاهداف

الاجتماعية والتربوية . ولما كانت حركة الطلائع ومنظمات الشبيبة مؤسسات جماهيرية تربوية ، فهي تحتاج الى منهجية في عملها ، مما اوجب التأكيد على ضرورة وجود كوادر مخططة ومتخصصة تضع البرامج التفصيلية ، وتختلف اهمية الكوادر المخططة والموجهة نسبة لكل من حركة الطلائع ومنظمة الشبيبة ، يقولون في الاولى دورا قياديا ، بينما يقولون في الثانية دورا ارشاديا .

فعملية كسب مؤازرة عناصر متخصصة تربويا ومهنيا مهمة جدا لتطوير النشاط الشبيبي ومنحه بعده المنهجي ، فتكون عملية البناء عملية واضحة المعالم . كما ان نشاط هذه الفئات ضمن حركة الطلائع ، اي ضمن عمل تربوي ، يعتمد النشاط والممارسة اصلا ، يساعد الجميع على التحرر من ثقل التقليد الاعمى في التعليم المدرسي ، والتشجيع على طرح تساؤلات حول الاهداف التربوية من التعليم المدرسي وناتجه واساليبه . ونطرح هنا بعض الاستنتاجات التربوية التي قد تطرح امام المعلمين خلال العمل مع حركة الطلائع ومع فئة الشبيبة المبتدئة .

١ - اهمية النشاط في عملية الادراك .

ب - اهمية تكامل المواد العلمية في عملية تعميق الادراك وترسيخ المعلومات والاستفادة منها في الحياة اليومية .

ج - اهمية وجود المجموعات الطلابية التعاونية كعنصر ايجابي في تعميق الادراك ، الى جانب ما يمثله هذا العمل الجماعي من وسيلة لترسيخ قيم اجتماعية وعلمية مهمة اساسية لتطوير القدرات البشرية والمادية للمجتمع .

واما نسبة الكوادر الشبيبية العاملة على مستوى حركة الطلائع وتنظيم الشباب ، فنشاطها وسيلة مهمة لتطوير قدراتها القيادية . وتحتاج الثورة والمجتمع الحديث عامة الى اعداد كبيرة من العناصر القادرة على تحمل المسؤولية والابداع . فالحياة الحديثة تتطلب تعدد القياديين او الكوادر عامة من (سياسية وعسكرية واجتماعية وتقنية - مهنية) ويفهم تحت صفة القدرة القيادية : الكفاءة المهنية والتخصص والاستعداد للعمل الجماعي والسرعة في أخذ القرارات المناسبة .

ويوفر التنظيم الشبيبي للفئات العمرية المختلفة مجالا للتخلي ببعض الصفات القيادية . ويتحقق ذلك من خلال تحمل المسؤولية . والحصول على تاهيل وتدريب ملائمين . وهكذا يتمرس الشباب على العمل الجماعي وعلى التنظيم والتخطيط وبرمجة التنفيذ وتوزيع الادوار وانجاز التنفيذ وتقييمه بعد ذلك .

لا تكفي الممارسة وحدها لاعداد القادة من الشباب فهم يحتاجون الى منهجية في التفكير تساعدهم على اكتساب المهارات اللازمة . ويحصلون عليها بواسطة التدريب والتاهيل ويشمل هذا التدريب ، دورات تمهيدية واساسية ولاحقة ودورات فنية او تقنية متخصصة . كما يجري تنظيم حلقات لقاء وحوار وتقييم تشكل جميعها مجال توجيهه تربوي للكوادر الشابة .

ويشمل التاهيل ايضا اعداد المعلمين من مسؤولي فصائل الطلائع ، فيتبعون نفس الدورات او يلتحقون بدورات خاصة بهم . ويستحسن عموما ادخال مواد تتعلق بالنشاط الشبيبي او النشاط اللاصفي كما يسمى في النطاق المدرسي في مناهج اعداد المعلمين قبل او خلال الخدمة .

٥ - تنظيم مشاركة الشبيبة في الثورة :

خلال عرضنا للأسس التربوية ، جرى التأكيد على أهمية الممارسة بالنسبة لمشاركة الجيل الجديد في العمل الاجتماعي والثوري . توضح هذه الممارسة صفات المناضل ودوره الطبيعي . فلا بد إذن من تنظيم هذه الممارسة ، وادخالها في نطاق النشاط الثوري الدوري والاستثنائي . ويشمل وعي هذا الوضع الجديد النقاط التالية :

- أ - مفهوم المباشرة لترسيخ القيم والمسلك أي القناعات الأساسية .
 - ب - مفهوم الممارسة من أجل ان يعتاد الجيل الجديد على الجهات والادوار المستقبلية .
 - ج - مفهوم الاستفادة من الحشد البشري للشباب المنظم ، الذي يمتاز باطار دقيق وحماس للعمل ضمن نشاطات متعددة ، من الممكن توظيفها في المهمات الثورية المختلفة .
- والذي يطرح مجددا ، الشرط اللازم لتوفير مثل هذه الديناميكية ، هو وجود استراتيجية واضحة ، تحقق تعبئة جماهيرية ملازمة لاحتياجات مراحل النضال . وكما ذكرنا سابقا نفهم بالتعبئة الجماهيرية تحقيق حشد الامكانيات الجماهيرية البشرية والمادية المتوفرة . تستطيع هذه الاستراتيجية الواضحة والشاملة تحريك الكوادر السياسية والاجتماعية وجعلها تسترشد بالبرامج النضالية المرحلية . وهذا الوضع يمثل الحالة المثلى المطلوب الوصول اليها من خلال تطوير الوعي والتنظيم .

وتتطلب مشاركة الشبيبة في الثورة والحياة العامة تنظيم نشاطات دائمة تدخل ضمن التعبئة العامة ، مثل تجنيد مجموعات وفصائل الشباب في وحدات الميليشيا وفي فروع الدفاع المدني . ويكون دور الشباب دون السادسة عشر مساندا ، ولكنه قد يصبح أساسيا في بعض المراحل ، مما يتطلب تدريب الجميع لتحمل كامل المسؤولية . ولا بد من التنويه هنا الى ضرورة مساهمة الجنسين ، ولكن وانسجاما مع وضع اجتماعي معين يجب توجيه الفتاة نحو مهمات جديدة ، دون التخلي عن هدف التنظيم السياسي والمنظمات الجماهيرية في تطوير وعي الجماهير وتحريرها من قيم تعيق الارتقاء بمستوى التعبئة الجماهيرية .

وفي حال تطبيق التدريب العسكري والدفاع المدني في المدارس يطلب من منظمات الشباب دعم هذا التدريب .

وفي نطاق الاستفادة من التنظيم الشعبي ، يطلب من مجموعات الشباب القيام ببعض المهمات العسكرية ، الا انه يجب الانتباه الى عدم تركيز النضال الثوري على مهمات عسكرية محددة وانتظار ورودها ، والوقوع هكذا في حالة جمود اثر انحسار هذا العمل فمتابعة التدريب والحراسات والاستنفار في نطاق الميليشيا او الدفاع المدني ، أمر حيوي تربويا وثوريا . كما ان الدفاع المدني متعدد الجوانب والفروع ، يستعان بقسم منه في اوقات السلم .

وأمام الطلائعيين من مختلف الاعمار ، مهمات واسعة في حقل التحريض السياسي والثقيف والترفيه الموجه . فالاستعراضات الجماعية الواسعة المحددة الشعارات تساهم كثيرا في عملية التحريض الجماعي . فيجري توجيه النشاطات الفنية والرياضية لتحضير هذه المهرجانات والاستعراضات والعروض المختلفة . فهي جميعها تقدم اشكالا عديدة من مؤثرات التحريض مثل الرقص والغناء الشعبي ، والتمثيلات والمعارض الفنية .

لذا من المفيد جدا ترسيخ الوظيفة الاجتماعية والثورية للابداع الفني ، لدعم كل من التحريض والتعبئة .

وتمتلك الثورة الفلسطينية تجارب عديدة لعمق تأثير النشاط الفني الملتزم للجيل الجديد على الجماهير الفلسطينية والعربية عامة . لكن يجب التنويه الى ان هذا النمط من النشاط يجب ان يكون تعبيراً عن نشاط داخلي واسع ، يهدف اساساً الى تنمية قدرات ومواهب الشباب . فهو اذا نقض النشاط الشكلي الذي يتوجه صوب عدد ضئيل من الاطفال او الشباب ، يبرزهم اعلامياً . فمثل هذا المسلك سيء لتناقضه مع الاسس التربوية الداعية الى تثبيت القناعات الاساسية لدى الجيل الجديد .

ويجري توجيه الطلائع والشباب لخدمة الجماهير كجزء من الانتماء للثورة . ويتم هذا ، عبر العمل على تطوير الوضع الاجتماعي - الاقتصادي للجماهير . من مقومات التعبئة الجماهيرية . ويدخل ضمن هذا النشاط مجموعة من الاعمال الجماعية لتطوير وضع التجمعات السكنية الفلسطينية (قرى ، مدن ، مخيمات) ، وذلك من نواحي المرافق والتجهيزات العامة والصحة ، والمساهمة في اعمال اقتصادية وانتاجية مثل اصلاح الاراضي ، حصاد ، سدود ، اقنية ، تشجير ، والقيام ايضا بمهام فردية مثل رعاية اسر الشهداء والمشاركة في محو الامية ، والتطوع لترفيه الاطفال الصغار ومساعدة معلمات رياض الاطفال .

ان التفاعل بين الكوادر السياسية والاجتماعية وبين مجموعات الطلائع والشباب يساعد على تجنيد هؤلاء للقيام ببعض الاعمال من خدمات او انتاج تخفف من الابعاء المادية الواقعة على عاتق الثورة . ولكن يتطلب من هذه الكوادر اتباع الاسلوب العلمي في العمل من حيث تحديد الاحتياجات وبرمجة الحصول على هذه الاحتياجات . فتوضع المواصفات وتحدد الكميات المطلوبة على مستوى مؤسسة او جهاز واحد ، وعلى مستوى عدة مؤسسات او اجهزة . فتجري دراسات حول تخفيض التكاليف ، وتحدد نمط اشتراك مجموعات الطلائع والشباب في انجاز هذه الاحتياجات من سلع او انشاءات ، ونمط تدريب هذه المجموعات لتحقيق المستوى الانتاجي المطلوب ، والذي بدوره يثير حماس الشباب ويزيد من اهتمامهم .

ومن الابعاء المهمة المطلوبة حالياً من الفئات العمرية المختلفة ، توفير ادوات تعليمية ووسائل ايضاح ومواد مرافقة والعباب تربوية لجميع المراحل التعليمية ابتداء من الروضة حتى المرحلة الثانوية . وهذه المهمة ملحة لانتقار مدارس وكالة الغوث الى هذه الاشياء نتيجة سياسة الوكالة المالية وحتما ستتقلص الميزانية الفعلية للوكالة مع متابعة صعود التضخم المالي العالمي . وتتهيء هذه الممارسة ظرفين مهمين ، وهما التنسيق الفعلي مع النشاط المنهجي المدرسي وتشجيع عدد اكبر من المعلمين للاشتراك في النشاطات التربوية التابعة للنشاط الشبيبي . ومن خلال هذين الظرفين يجري تحسين الاساليب التربوية في كل من التعليم المدرسي والنشاط الشبيبي ، ومن الجدير ذكره ايضا ، ان انتاج ادوات ووسائل التعليم المختلفة من قبل الطلاب يجعلهم يحافظون عليها ، صيانة لانتاجهم او انتاج زملائهم ، مما يعزز المسلك المنشود من قبل التنظيم الشبيبي ، والداعي الى الحفاظ على التجهيزات العامة والانضباط الذاتي والجماعي .

٦ - العلاقة بين الحركات الشببية والمدرسة :

ان التنشئة الهادفة للجيل الجديد هي عملية متكاملة ، تستمد وضوحها من ديناميكية المجتمع ومن طموحاته الاجتماعية والاقتصادية ، اي من ارادة التغيير والبناء . وتشمل التربية المدرسية والعائلية والشببية والاعلام الموجه للجيل الجديد . وذكرنا سابقا أهمية الحماس الجماهيري والديناميكية العامة كعوامل تطوير الكبار واشراكهم فسي تحقيق الاهداف التربوية ، واعطائهم مثلا صالحا للجيل الجديد .

ولذا يعول كثيرا على وعي الكوادر والجماهير عامة لاهمية توجيه التربية ، وما يتولد عنه من دعم متناهي للنشاط الشببي ، ويتجه ايضا هذا الوعي صوب التربية المدرسية ، لي طرح تساؤلات حول فعالية التعليم الحالي .

فكل اهمال لدور المدرسة هو ايضا تقييد للنشاط الشببي ، وبالتحديد نسبة للفئات العمرية حتى الخامسة عشرة . فوظيفة النشاط الشببي دعم واكمال دور المدرسة ، والتي بدورها توفر المستوى العلمي المطلوب لتحقيق بعض النشاطات الشببية . ومن هذا المنطلق ايضا جرى اقتراح فصل نشاط حركة الطلائع حتى عمر ١٢ سنة عن التنظيمات وربطها بالمدرسة . ولا يعني ذلك سيطرة المدرسة كمؤسسة على نشاط الطلائع ، فالهدف هو الانطلاق من مجموعات التلاميذ في المدرسة وتنظيمهم بمؤازرة كوادر من داخل وخارج المدرسة .

ان اعتماد مجموعات التلاميذ في المدرسة يفرض مراعاة الظروف الموضوعية ، بحيث يحرص احيانا على عدم ابراز الصفة السياسية للتنظيم واعطائه صفة خاصة أقرب الى النوادي المدرسية والكشاف ، من التمسك بمبدأ ادخال النشاط اللاصفي في المدرسة واستعمال ابنتها وتجهيزاتها كأندية في العطل الاسبوعية والسنوية .

فالاصرار على تنظيم النشاط الشببي الطلائعي في اطار المدرسة يهدف ايضا الى اجتذاب بعض التربويين من الجهاز التعليمي في المدرسة ، وحثهم على اكتشاف عمق عملهم التربوي وما يفرض من ابداع . وخصوصا ان الاتجاه التربوي الحديث يعتمد على النشاط كأسلوب مفيد في التعليم المنهجي . ومن خلال التنسيق مع النشاط اللاصفي تترسخ أهمية اسلوب النشاط ، وتتحقق المعادلة السليمة بين المعرفة والادراك ، والتي تساهم في تطوير شخصية الطالب .

ولتحقيق هذه الاهداف ، يجري تنظيم النشاط الشببي بشكل يخدم النشاط المنهجي المدرسي . فتنظم مجالات ومواضيع النشاطات انطلاقا من تسلسل المعلومات المنهجية المدرسية . والشرط الاساسي لتوفير اسس نجاح هذا التنسيق ، تكامل عرض المواضيع المدرسية . والشرط الاساسي لتوفير اسس نجاح هذا التنسيق ، تكامل عرض المواضيع العلمية على شكل وحدات يساعد في تنظيم نشاطات تعمق من فهم الظواهر والقوانين المحيطة بالطلاب . وهنا تبرز القدرة الإبداعية لدى المعلمين وكادر حركة الطلائع في الاستفادة الكاملة من هذا التنسيق لتطوير المادة الدراسية ، وتنظيم النشاطات بشكل يسمح بالاستنتاج المباشر من مشاهدة البيئة المحلية او بالتطبيق المفيد .

وتساهم النشاطات الفنية واليدوية في تصنيع الوسائل التربوية وتجميل المدرسة وتنظيم الحفلات المختلفة داخل وخارج المدرسة ، لاجتذاب الاهداف والمشاركة في حملات الترفيه وتعبئة المجتمع المحلي .

ولحركة الطلائع دور اضافي في المدرسة ، كونها تستطيع توفير الانضباط الداخلي ، اي ربط مسلكية الافراد والمجموعات بواجبات الطلائع وتوفير جو المنافسة الخلاقة بين مجموعات الطلائع . ويستفاد من هذه الحركة لتشجيع التعاون بين الاطفال في الدراسة ، فتساعد المجموعة العناصر المقصرة من افرادها ، كما يساعد الطلائع الكبار الطلائع الصغار . وهدف هذه المعاضدة رفع مستوى الصف ، مما يزيد الحماس التربوي للمعلم وحماس التلميذ للتعليم ، فيقلص حجم التسرب . ويتدنى هذا التسرب ايضا في حال اهتمام حركة الطلائع والمدرسة والمعلمين بحل المشاكل العائلية التي تسبب ايضا ترك التلامذة للمدرسة .

وتطرح هنا قضية مهمة وهي انتشار طريقة المنافسة الفردية وتشجيع ذوي الطالب لها ، وانطلاقا من مفاهيم سيكولوجية واجتماعية خاطئة . وهي منافسة مضرّة لنمو التلميذ ، اذ يخضع للارهاق الجسدي والنفسي ، كما ينظر الى زملائه كاعداء . ان الاهداف التربوية المقترحة لبناء الانسان الجديد تكافح هذا الاتجاه لانه يبرز الانانية والفردية ويشجع كسل المعلمين ، ومن هنا فان نشاط حركة الطلائع عامل اساسي في تحقيق العمل الجماعي .

وابتداء من عمر ١٠ سنوات يبدأ انشاء النوادي العلمية والفنية داخل المدرسة ، وتتجاوب هذه الدعوة مع نوايا الطلائع ولا نتحدث عن اتجاهات وهوايات ، فهي لم تتركز بعد . فهدف النوادي ايجادها وتنميتها ، وتتجاوب هذه الدعوة ايضا مع بروز القدرة على التركيز الذهني والمتابعة ونمو الاستعداد للمشاركة وتحمل المسؤولية . وتشجيع تحديد الاهتمامات يتجاوب مع تشجيع بوادر القدرة على الادارة الذاتية والاستعداد لحياة ديموقراطية وهذه الاستعدادات وتنميتها تهيء الطلائع للنشاط مستقبلا ضمن منظمة الشبيبة .

ويطلب من منظمات الشبيبة ان تتبع في نطاقها نفس الاسلوب خصوصا فيما يتعلق بالشباب من عمر ١٣ حتى ١٥ ، مع اعطاء المشاريع صبغة اكثر ابداعية واكثر التصاقا بهوايات واهتمامات الشباب . والاختلاف الوحيد مع النشاط السابق ، ان هذه النوادي تقع خارج النطاق المدرسي ، في المعسكرات او النوادي او مراكز هذا التنظيم . ويطلب رأي المعلمين والجامعيين والفنيين حول بعض التساؤلات او العضلات .

ومن الخطأ تنظيم النشاطات العلمية والفكرية بمعزل عن الاسترشاد بالمواد العلمية ، وذلك خوفا من الاستخفاف بالدراسة والمواد الدراسية ، خصوصا وان عوامل الاستخفاف كثيرة : سخافة الكتب ، كسل المعلمين ، انعدام الوسائل التربوية . ومع الاسترشاد بالمواد المدرسية الحالية يجري الطلب والعمل على وضع مناهج و مواد جديدة .

٧ - علاقة التنظيم الشبيبي بالتربية العائلية :

أردنا الحديث سابقا عن العلاقة مع المدرسة ، لابرار عمق وشمول الصلة بين النشاط الشبيبي او اللاصفي والنشاط المنهجي المدرسي ، والهدف من هذا الابرار توضيح الدور المحوري للمدرسة والتأكيد على خطأ تجاوزها . يقودنا بحث مسألة المدرسة الى دراسة علاقة التربية المدرسية الحالية مع التربية العائلية . فالعلاقة بينهما غير واضحة وتتسم بشبه انفصال تام . فلقد وذل الوضع الحالي للمدرسة ان اوضحت تهتم فقط بالتعليم كعملية تلقين ، مهملة عملية تربية التلميذ ، فسعيها الاوحد ينصب على تحقيق انسجام

التلميذ مع الانظمة المدرسية غير مبالية للآثار السلبية التي تقع على شخصية هذا التلميذ . ونتيجة هذا الفهم الوظيفي الضيق اخذت المدرسة تهمل نسج علاقة مع ذوي التلميذ ، مدعية عدم اهتمام هؤلاء بالمستوى التعليمي لاولادهم . وهذا التدبير يحتوي على قسط من الحقيقة ، فالاهل خصوصا من الاوساط الشعبية ترى ان المعلم اقدر على تقييم وتعليم اولادهم ، فليس من الجائز التدخل في شؤونه . وجاء هذا الموقف كتكملة لموقف سابق حيث كان الاهل يسلمون اطفالهم للمعلم ، الذي يتقن القراءة والكتابة .

مطلوب من المدرسة تقييم مسلكها واتباع نهج جديد من العلاقة مع ذوي الطالب ، انسجاما مع وظيفتها الاساسية ، وهي التربية . وعلى الحركة الشبيبية ايلاء هذه العلاقة وهذا التنسيق الاهتمام الكامل ومنذ بدء نشاطها . خصوصا وان الهدف الاساسي للحركة الشبيبية هو بناء الشخصية الايجابية للجيل الجديد . ومن هذا المنظور فهي ملزمة بالتنسيق الكامل مع التربية العائلية . ويتحقق هذا التنسيق من خلال التعاون مع الاهل وتوعيتهم بالاهداف والاساليب التربوية المختلفة ، ودعوتهم لتطوير نمط تربيتهم لابناءهم ، وتوجيه الطفل لفهم ذويهم ومساعدتهم . .

فالخطوة الاولى المطلوبة هي القيام بحملة توضيح لاهداف الحركة الشبيبية واسلوب نشاطها ، وتوضيح أهمية هذه الاهداف وهذه الاساليب في بناء الانسان الجديد وتعزيز معارفه وادراكه وتوجيهه مسلكيا وعلميا ومهنيا . وتستعمل جميع وسائل الاتصال لتحقيق الوعي المطلوب . ويجري التركيز على التوعية داخل التنظيمات السياسية والمنظمات الجماهيرية . والنتائج المرجوة من هذا الوعي هي :

أ - تشجيع الانتساب الى حركة الطلاب ومنظمات الشباب . ب - التنسيق بين التربية العائلية والتربية المدرسية والشبيبية . ج - مؤازرة حركة الطلاب والشباب ودعمها ماديا وبشريا . . د - الاشتراك في مجالس الاهل او في اللجان التربوية . هـ - الاهتمام الجماعي بحركة الطلاب ومنظمات الشباب وتقديم الاقتراحات بتطويرها وتوفير المناخ الملائم والتنسيق اللازم لدعوتها لخدمة الثورة والجماهير .

لن يأتي التنسيق عفويا ، انه يحتاج الى حوار دائم بين الاهل وكادر الطلاب . ويجري بتنظيم اللقاء اما مباشرة (فرديا وجماعيا) او من خلال نشاطات للطلاب تستقطب اهتمام وحماس الاهل . ومطلوب ايضا من الكادر زيارة المنازل لمعرفة سبب غياب بعض الطلاب عن او اهمالهم ، مما يفسح المجال امامهم لمعرفة الوضع العائلي ، ويطلب ايضا من كواد اجتماعية تعمل مع العائلات والجماهير كافة ، تشجيع التنسيق بين العائلة وحركة الطلاب والمدرسة ، وشرح ميزات هذا التنسيق .

٨- النشاط الشبيبي واثره على التوجيه المهني والعلمي

ابرزنا سابقا أهمية ترسيخ مبدأ حب العمل والعمال لدى الجيل الجديد ، وذلك بهدف تضامن فعلي مع الجماهير العريضة واحترام عملها ونضالها . . فهذا الموقف الايجابي يساعد الطلاب على النمو في جو من الحماس للعمل اليدوي والعمل عامة ، واعتبار الابداع في العمل اساس النجاح الاجتماعي ، بدل المركز والمردود المالي . مع الاستدراك ان الكفاءة المهنية تمنح الانسان مكانة في المجتمع ومكافأة مقبولة . .

وذكرنا ايضا أهمية الممارسة والعمل في عملية استيعاب كل من القوانين العلمية والبيئة

المحلية . فمن خلال هذا النشاط يتحقق تألف الجيل الجديد من العلم والتكنولوجيا . ويشعر بقدرته على فهمها والاستفادة منها للمصلحة الخاصة والعامة . ويزداد هذا التألف مع ترسيخ هويات علمية ويدوية تجعل الشباب يتجاوز مرحلة التقليد ليصل الى مرحلة التجديد (الاختبار والاكتشاف) . وتسهل عملية التألف مع توضيح مبدأ تطور الاكتشافات . فيدرك ان الاكتشافات ليست عملية خارقة للطبيعة . بل هي عملية نمو وتطوير . ولفهم عملية الانتاج يجري تنظيم مشاريع عمل جماعية تبرز أهمية التخصصات المختلفة ، وفائدة التنسيق فيما بينها لانجاز هذه المشاريع ، كما يستفاد من الزيارات لمواقع الانتاج المختلفة للاطلاع على نوع التخصصات المختلفة .

ويطلب من النشاط الشببي المساهمة الفعالة في توجيه الفرد مهنيا عند بلوغه اخر المرحلة الاعدادية او المتوسطة . فيجري مساعدته على اكتشاف رغبته المهنية . ويأتي هذا الاكتشاف كما ذكر سابقا من العوامل الثلاث التالية :

- حب العمل والعمال .

- معرفة المهن المختلفة واهميتها الاقتصادية والمستقبلية .

- بروز قدرات لدى الفرد يسعى الى تثبيتها من خلال هواية مستمرة تشده الى اختيار تخصص ملائم .

ونعلم يقينا ان الوضع الفلسطيني والعربي عامة لا يوفر كامل الامكانيات لتحقيق الرغبات المهنية للجيل الجديد . فما يزال عدد معاهد التأهيل المهني قليلة ، كما لا تتوفر اقية اخرى لتأهيل مهني حديث . مع العلم ان نمط التأهيل المهني السائد في الدول العربية يتناقض واهداف التنمية الاجتماعية - الاقتصادية وللأسباب التالية :

- نظري ولا ينطلق من الظروف المحلية .

- ينقل على مادة التخصص ، ولا يساعد على تنمية القدرات العلمية والعملية للطلاب ، اي لا يساعده على التطور العلمي بعد التخرج .

- اسلوب خاطيء لانه يتطلب امكانيات مادية كبيرة ، غير متوفرة لمعظم الدول العربية ، وعلى الاخص للثورة الفلسطينية .

وفي هذا الاطار يستطيع التنظيم الشببي ان يتولى دورا مهما في الاعداد المهني ، مرتكزا على الاتجاه التربوي الحديث الداعي الى ارفاق التعليم الاكاديمي بنشاط يدوي تكنولوجي يوجه التلامذة ويمنحهم قدرة على العمل بعد الانتهاء من الدراسة الثانوية . ونوهت فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني بهذا الاتجاه : « ادخال مواد فنية او مهنية او تكنولوجية ذات محتوى اكاديمي وعلمي يفوق مثيلاتها في المدارس الصناعية مما ينوع مؤهلات المتخرجين ويجعلها اكثر تجاوبا مع متطلبات الحياة المعاصرة » .

لكي تقوم المدرسة العربية عامة والفلسطينية خاصة بهذه المهمة يفترض تطوير مناهجها ، مما يحتم تحديد استراتيجيات واضحة . ويأتي هذا الطرح الان سابقا لوانه لاشترطه وجود تيار تربوي واسع مدعم بتأييد القوى السياسية والجماهيرية .

ويقوم التنظيم الشببي بمهمته في حقل التوجيه المهني والعلمي من خلال النشاطات الخمسة التالية :

- اولا : تنظيم نشاطات يدوية وعلمية لترسيخ المهارات لدى الطلاب والشباب .
- ثانيا : تشجيع ممارسة نشاطات متقدمة ضمن النوادي العلمية ، تتطلب تطوير المهارات السابقة (كهرباء ، نجارة ، حدادة) .
- ثالثا : تنظيم العمل الانتاجي بشكل يوطد المهارة اليدوية والذهنية للجيل الجديد .
- ويجب التنويه هنا بان تنظيم مثل هذا العمل المبرمج يتطلب معرفة دقيقة بالمشروط الاقتصادية والتقنية .
- رابعا : اعداد برامج تأهيل مهني خلال العطل الصيفية .
- خامسا : تنظيم دورات تأهيل مهني للمتسربين من المدرسة قبل انتهاء المرحلة الاعدادية (وسنتحدث عن هذه النقطة في الفقرة القادمة) .
- ومن الجدير ذكره ان بعض مدارس وكالة الغوث تحتوي على مشاغل لحصص الاشغال اليدوية ، والتي كانت قسما من نظامها التربوي ، الا انها تخلت عن تعميمه ، وتقلص عدد المدارس التي تحتوي على مثل هذه المشاغل . ان هذه التجربة جديرة بالدراسة والتقييم والعمل على احيائها ، والسعي للاستفادة من المشاغل في نشاط النوادي وخلال العطل المدرسية الطويلة ، خصوصا عطلة الصيف .

٩ - النشاط مع الشباب المتسرب باكرا من المدرسة ومع الشباب العامل عامة .

ان توضيح العلاقة المفروضة بين حركات الشبيبة والشباب العامل خصوصا تلك الفئة التي تركت المدرسة سابقا ولم تحصل على تأهيل مهني منظم ، يتوخى ايضا ابراز ظاهرة خطيرة يعيشها النشاط الشبيبي الفلسطيني ، وهي اقتصار الحركات الشبيبية الحالية على التلاميذ او الطلاب ، مثل الكشاف او الاشبال . ولم يكن هناك وعي واضح لاجتذاب الشباب العامل خصوصا من فئة عمر (١٣ - ١٦) ، برزت ظاهرة سيئة جدا وهي اصرار الاتحاد العام للطلاب الفلسطينيين على تمثيل الشبيبة الفلسطينية خارجيا ، فدخل في معارك مع المؤسسات الفلسطينية الاخرى مثل المجلس الاعلى لرعاية الشباب او الاشبال . ومع اعترافنا بميزة خاصة به وهي شموله للطلاب الفلسطينيين من داخل وخارج الارض المحتلة . الا ان تمسكه بتمثيل جميع الشباب ، يطمس نسبة حجم فئة الطلاب الى مجموع الشباب ، وذلك على مستوى نفس فئة العمر او على مستوى مجموع الشباب من عمر ١٣ الى ٢٤ سنة .

ان موقف الاتحاد العام لطلاب فلسطين وموقف جميع المنظمات والمؤسسات العاملة مع الشباب ناتج عن تصور خاطئ وهو انتساب جميع الشباب من عمر ٦ الى ١٨ الى المدارس ، وانتساب الشباب من عمر ١٩ وما فوق الى الجامعات . ونتج هذا التصور من تضخيم قضية اهتمام الشعب العربي الفلسطيني بالتعليم والتخصص ، كما ان الحديث الدائم عن ضخامة اعداد الكفاءات العليا يرسخ هذه الاسطورة . وهكذا جرى طمس ظاهرة التسرب من المدرسة والحجم الحقيقي للشباب من فئة عمر (١٣ - ٢٤) خارج مراحل التعليم وانواعه . فحسب الكتاب الاحصائي السنوي لدائرة التربية في وكالة الغوث لعام ١٩٧٢ - ١٩٧٣ ، بلغت نسبة الطلاب من فئة عمر (٦-١١) ٨٢٦ بالمائة نسبة الى هذه الفئة ، ونسبة الطلاب من فئة عمر (١٢ - ١٤) ٦٩ بالمائة ، ونسبة الطلاب من فئة عمر (١٥ - ١٧) ٤٠٣ بالمائة ، اي ان من فئة العمر الاخيرة يوجد

٥٩٧ بالمائة من الشباب خارج نطاق المدارس والمعاهد الفنية .

ان قضية التسرب من المدارس ما تزال مرتفعة نسبة لفئة عمر (١٥ - ١٧) وبل فئة عمر ١٤ وما فوق اضافة الى تسرب قبل هذا العمر . وقسم من هذا التسرب عادي ، اي ان قسما من الطلاب يتوقف عن الدراسة بعد الاعدادية ، وهو اتجاه طبيعي ، لان التعليم الالزامي او الاساسي المفروض يكفي بـ ٩ سنوات دراسة (المرحلة الابتدائية + المرحلة الاعدادية) ، بل ان ٨ سنوات من التعليم الاساسي المنظم يكفي لتهيئة الجيل الجديد للتأهيل المهني ، غير ان المشكلة الحالية هي ترك الشباب للمدرسة وهم غير مؤهلين علميا ومهنيا ، اذ ان المستوى العلمي يتدنى وباطراد ، وليس المجال هنا للحديث عن الاسباب ، كما لا يتوفر المجال لمعظم هؤلاء الشباب للانتساب الى معاهد مهنية .

وبسبب ضيق مجال التأهيل المهني جرى التمييز في العنوان بين الشباب العامل عامة وبين الشباب المتسرب من المدرسة ، كما ان هذه الفئة من الشباب تعيش فترة عاطلة عن العمل بسبب المنافسة القوية في اليد العاملة غير الفنية ، وعدم وضوح اتجاه توظيف كفاءتهم وجهدهم ، وهم ايضا معرضون دائما للبطالة ، ولكن هذا الاهتمام الخاص لا يهمل الدعوة الى شمول جميع العمال من الشباب ، وخصوصا ان قسما منهم وقد تعلم مهنة عن طريق معاهد وكالة الغوث او معاهد اخرى او استحصل على هذا التأهيل المهني عن طريق التعليم الميداني ، فهذه الفئة من الشباب تتميز بمدخول لا بأس به ، يجعلهم يخصصون قسما منه لرفاهيتهم الخاصة ، ومعظم هذا الترفيه غير صالح اجتماعيا ، لوقوعه في حلقة الاثارة الاعلامية التجارية . فيوفر التنظيم الشبيبي الترفيه المفيد ويفرس لديهم حماسا يوظف اوقات الفراغ للنشاطات التي تفيده وتفيد المجتمع . .

فأي نشاط شبيبي يهمل هذه الفئات من الشباب ويتهرب من تحمل مسؤولية مساعدتهم على التطور العلمي والمهني هو عمل غير تربوي ، شكلي ، يبتغي الاعلام الرخيص وتبرير الذات بنشاط شبيبي مبتور والاستفادة منه لنيل امتيازات خاصة (مثل السفر) . ولا يخفى ان مثل هذه الاشكال التنظيمية فارغة من الانشطة التربوية وتهمل تحديد الاهداف التربوية الاستراتيجية والمرحلية ، تستفيد من شطر بسيط من استعدادات الجيل الجديد وتبرزها . فلقد اصبح من الملح وطنيا واجتماعيا اعطاء الاهتمام الخاص بالشباب العامل او الشباب غير الطلابي ، وابرار الحركة الشبيبية كمؤسسة لاستيعاب وتوجيه هؤلاء الشباب ، وتنظيم جو تفاعل بين الشباب العمالي والشباب الطلابي .

ولا يكفي استقطاب الشباب من عمر ١٥ سنة للنشاط السياسي كدليل على الاهتمام المركز بالشباب ، فان قبول انتسابه الى احد التنظيمات السياسية دون مروره بفترة نشاط شبيبي ، عمل غير تربوي ، اذ يحرم هؤلاء الشباب من اهتمام خاص ، يتطلبه نموهم السيكولوجي ، ويضعهم مباشرة لسيطرة الكبار ، وجميعها عوامل سلبية في تربية الكوادر المستقبلية .

وتجاوبا مع اوضاع الشباب العامل ، تنظم الحركات الشبيبية نشاطات تتفق واطواق فراغهم ، فنجذبهم ، كما تتحرر الحركة من اغراءات تفضيل تعمل مع الطلاب بسهولة استقطابهم المختلفة وفي اوقات مريحة للكادر المسؤول ، ومع تطبيق مبدأ الادارة الذاتية والديموقراطية تتوفر عناصر اثبات الظروف والمصالح الخاصة ، واجراء تنظيم عدد كبير من النشاطات تتجاوب والاهداف التربوية والاهتمامات الفردية والجماعية . ومن الجدير ذكره ان الشباب العامل عامة والمتخصص منه خاصة قادر على تجاوز النقص في

تجهيزات معينة . فيعمس فرديا وجماعيا على توفيرها ، وقد يجري استقلال مشاغل عمله او ادوات العمل لانجاز التجهيزات المطلوبة . كما يستطيع الشباب العامل تقديم دعم او قرض لمجموعاتهم ، يساعدها على تحقيق برامجها وتنويع النشاطات وتحقيق دخل يغطي الديون .

مع اهمية تنظيم نشاطات مشتركة بين الطلاب والشباب العامل ومع أهمية الاستفادة من مهارات العمال في نشاط مشترك والاطلاع على اوضاع هؤلاء العمال ، يتوجب أحيانا تنظيم حلقات خاصة بالشباب العامل يتحدثون خلالها عن مشاكلهم المهنية والمعيشية ، ويطلب من الاتحاد العام لعمال فلسطين عامة والنقابات القطاعية خاصة ارسال مندوبين لحضور هذه الحلقات للاستماع والارشاد وتحديد مهمات مشتركة . فوجود نقابيين واهتمامهم بالشباب العامل يزيد من وعيهم الاجتماعي - السياسي والنقابي ، ويؤهل الشباب لتحمل مسؤوليات نقابية او اجتماعية .

ان التفاعل بين الشباب الطلابي والشباب العامل يمثل امتدادا للزمالة في نطاق المدرسة والتي قد تكون قد تراجعت مع الانتقال الى مواقع العمل ، ويساهم تفاعلها في تطوير وعيها السياسي والاجتماعي ، كما تحظى الحركة الشبيبية بعناصر فنية ، متحمسة لتوصيل معارفها ومهارتها الى جميع الفئات العمرية ، فتعمل تارة ككادر مرشد او موجه في حركة الطلاب او لدى الشباب المبتدئ (١٣-١٥ سنة) ، وتعمل طورا كعناصر ضمن مجموعات النوادي العلمية ، تشارك في الاختبارات العلمية ، موظفة خبرتها العلمية والمهنية ومستفيدة لتطوير معرفتها النظرية والعلمية . ويدعونا هذا العرض الى تأكيد اهمية كسب حماس العمال الفنيين في النشاطات اليدوية والعلمية لجميع فئات الشباب والاعتماد على هذه الفئة لتنظيم تأهيل مهني واسع ، ويدخل ضمن تشجيعهم للعمل مع الشباب منحهم مكافآت تشجيعية ، وتعيين قسم منهم مسؤولين عن المشاغل التقنية في مراكز الشباب او في المراكز المتعددة النشاطات وفي مشاغل المدارس .

وعلى الحركة الشبيبية تحمل مسؤولية تنظيم تعليم وتأهيل الشباب المتسرب باكرا من المدرسة وغير المؤهل مهنيا ، وتنظيم برامج رفع المستوى العلمي للشباب . وقد تقوم الحركة الشبيبية منفردة بتنظيم هذه البرامج او قد تنسق مع الاجهزة الرسمية او الاجتماعية . ويجري تنظيم نوعي من التعليم :

- تعليم عادي لرفع المستوى العلمي .

- تعليم مهني او تطوير مهني .

ينظم للشباب المتسرب باكرا من المدرسة برامج تعليمية تؤهل لمستوى اخر سنة المرحلة الاعدادية او المتوسطة مع التشجيع على تقديم الامتحانات الرسمية . واما الاساليب المطلوب اتباعها خلال هذا النمط من التعليم فهي مستمدة من اساليب تعليم الكبار ، لان معظم افراد هذه الفئة من الشباب هم من كبار السن نسبيا ، وقد لا يتحمسون للتعلم عن طريق الاسلوب المدرسي التقليدي ، بينما استطاع تعليم الكبار ايجاد اساليب تربوية تتجاوب وحماس الشباب ، وتدعوهم للمثابرة والاجتهاد تحقيقا لموحيهم . واهم اسلوب في تعليم الكبار وضع مواد علمية تستفيد من خبراتهم اليومية ، وتشجعهم على الحوار والتفكير والتحليل .

ومن المؤسف حقا ان الثورة الفلسطينية ، المعبرة عن نفسها كحركة جماهيرية تهدف

الى رفع الغبن اللاحق بالجماهير الفلسطينية وذلك من خلال التحرير والعودة ، تهمل قضية رفع مستوى الشباب علميا ومهنيا ، واتباع سياسة تعليم الكبار ، ستحصل الثورة على عناصر وكوادر اكثر اطلاعا وكفاءة ، وثقة في نفسها وتتحلى بمنهجية لتعميق معارفها وكفاءتها العسكرية والسياسية .

تتطلب عملية تعليم الكبار ، تحقيق توافق بين شرطين :-

- مركزية تنظيم اسس تعليم الكبار وربطه بمراحل التعليم العادي .

- قبول حد من اللامركزية في تحديد المواد والمواضيع والبرامج دعما لجذب الشباب، وتشجيعا لمشاركتهم الفعلية ، من خلال عرض خبراتهم ومعارفهم ، وتوظيف الناتج العلمي في تحسين الكفاءة المهنية لهؤلاء الشباب .

وفي الحالتين يجب التنسيق مع جهاز مركزي لتعليم الكبار يحدد الاسس والعلاقات ويؤهل الكوادر العاملة في حقل تعليم الكبار ويساعدها على وضع البرامج الملائمة والظروف المحلية . والى حين اعتماد هذا التنظيم وهذا التنسيق ، يطلب من التنظيم الشبيبي تشجيع تجارب محددة ودعوة المربين والاختصاصيين لانجاح هذه التجارب .

ويجب ان لا يحول ادخال بعض مواد تأهيل مهني ضمن نشاط الشبيبية دون تنظيم برامج خاصة ومركزة للفئات المختلفة ، وحسب ظروفها الخاصة . وتتفاوت مدة البرنامج حسب المستوى المطلوب واولقات فراغ الشباب المعني ، ويجري التركيز في المرحلة الاولى على الشباب دون الثامنة عشر ، الذي يكون قد حصل على ٦ سنوات تعليم على الاقل وهم فئتان من الشباب :

- الفئة الاولى وتمثل الشباب الذي اكتسب مهنة من خلال العمل وينقصه المعرفة العلمية الكاملة لتأهيله المهني .

- الفئة الثانية وتمثل الشباب الذي ترك المدرسة ولم يحصل على اي تأهيل ومعظم افراد هذه الفئة شبه عاطلين عن العمل .

فينظم للفئتين تأهيلا مهنيا ملائما . يتضمن الارتقاء بالمستوى التعليمي ليصل الى مستوى ٩ سنين دراسة . مما يسترعي تنظيم تعليم عادي للفئات التي لم يصل مستواها الى الحد المطلوب .

ويجري تنظيم برامج التأهيل المهني حسب ظروف الشباب ، من برامج مكثفة للعاطلين عن العمل او للمتحمسين لتطوير وضعهم المهني في أقرب فرصة ممكنة ، وكذلك تنظيم برامج بطيئة حسب وضع ورغبات الشباب ، تدوم فترة طويلة .

الخاتمة :

توخى العرض السابق الى ابراز اهمية التنظيم الشبيبي والممثل في حركة الطلاب ومنظمة الشبيبية او المنظمات الشبيبية في تنشئة الجيل الجديد الفلسطيني حسب الاهداف الوطنية والاجتماعية للثورة الفلسطينية . واكد هذا العرض على المضمون التربوي المتكامل للتنظيم الشبيبي ، وما ينشده من توجيه لقيم ومسلك الفرد من خلال الممارسة والعمل ، وما يبتغيه من تطوير لقدرات الفرد الذهنية واليدوية وتوظيفها في ترسيخ

القناعات وتفجير الابداع . وتمثل الحركات الشبيبية (خصوصا منظمة الشباب) اطارا منظما لتعبئة وتوجيه قدرات وحماس الشباب لدعم العمل الثوري .

وسعى العرض ايضا الى تطوير « فلسفة التربية للشعب العربي الفلسطيني » ، والمقترحة من قبل مركز التخطيط ، لكي تصبح هذه الفلسفة واضحة الاهداف نسبة لتكامل العمل التربوي وتفاعله مع الجماهير مضمونا ونشاطا .

وبهدف تسهيل استنتاج صورة موضوعية للنشاط الشبيبي الفلسطيني جرى اعتماد دليل تحليل يبرز تكامل الاهداف التربوية وانماطها وشروطها ، ويمثل هذا الدليل الصورة المثلى لتحقيق تربية واضحة الاهداف والنتائج . غير ان العرض لاحظ الظروف الفلسطينية الخاصة ، واهمها عدم السيطرة على التعليم المدرسي ، تشتت الشعب العربي الفلسطيني ووجود نصفه في فلسطين المحتلة . وطالب العرض وبالحاح بالعمل على توجيه التربية المدرسية ، ورأي ان النشاط الشبيبي الطبيعي سيمثل عامل ضغط مهم لتطوير التربية المدرسية والنظام التربوي عامة . لان المعضلة التربوية بنظرنا لا تنحصر في الاشراف غير الفلسطيني على المدارس ، وفي قمع الشخصية العربية الفلسطينية وقمع الطموح الوطني ، بل تكمن المعضلة ايضا في هيمنة تفكير وتقاليد جامدة وبالية على التربية المدرسية وافئقارها الى اهداف واضحة ، واضحت المدرسة مؤسسة تخدم الجهاز التعليمي اكثر من خدمتها للطلاب . وان حسنت النوايا احيانا ، الا ان النظرة الجزئية للتعليم تفشل كل تطوير نوعي ملموس . ويتوقع مع نمو الوعي للدور التربوي المتكامل للنشاط الشبيبي ، وتبني كل من منظمة التحرير والتنظيمات السياسية والجماهيرية للحركات الشبيبية ، وبروز حماس من كوادر هذه المؤسسات المختلفة ، ظهور اهتمام تربوي يتحول مع الممارسة الطبيعية الى ارادة بتطوير التربية المدرسية ، وتحقيق تكامل في النشاطات التربوية .

وبالرغم التطلع الى حركة شبيبية مرتبطة بقيادة سياسية واحدة ، وتتبع اسلوب تنظيم يحترم القدرات الجسدية والذهنية للفئات العمرية المختلفة ، الا انه يجب اخذ الظروف المرحلية بعين الاعتبار ، مما يتطلب الاقرار بتعدد منظمات الشبيبية (١٣ سنة وما فوق) انطلاقا من تعدد التنظيمات السياسية ، مع رفض مبدأ تعدد حركات الطلائع او الاشبال والزهرات دون الثالثة عشر ، للنتائج التربوية العكسية لمثل هذا التشتت واهمال تطوير نشاط لا صفي يشمل الاكثية العظمى من الاطفال ما بين ٦ و ١٢ سنة . فتنشأ حركة طلائع واحدة تتبع منظمة التحرير ، حيث يعترف بها ولها حرية الحركة . واما في الاراضي المحتلة وفي الاقطار العربية المقيدة لنشاط منظمة التحرير فيجري تنظيم نشاطات تربوية تعزز القسم الاكبر من الاهداف التربوية والوطنية ، تتلاءم والظروف المحلية .

المطلوب اولا قيام المجلس الوطني الفلسطيني باصدار وثيقة توضح اهمية الاهتمام بالاجيال الصاعدة وتؤكد على فعالية النشاط الشبيبي وتحدد الاهداف التربوية والاسس العملية المرغوبة ، خصوصا مبدأ وحدة تنظيم الاطفال دون الثالثة عشر من العمر في حركة طلائع تتبع المجلس الاعلى للشباب ، ويجري تحديد مهمات لهذا المجلس ، تهيئه لتحقيق الاهداف التربوية من خلال النشاطات المختلفة ، فيطور من هيكلته وينشئ اقسام جديدة ، تتولى التدريب ووضع البرامج وتوجيه ودعم النشاطات التربوية المختلفة . ويتطلب هذا التطوير اغناء المجلس بكوادر تربوية ومهنية قادرة على تحمل المسؤوليات الجديدة .

ولانجاح مهمة المجلس الاعلى يجب تنظيم تنسيق مع المجلس الاعلى للتربية والثقافة ومع الاتحاد العام للمعلمين الفلسطينيين شرط تطوير هذا الاتحاد وجعله اداة فعالة لتطوير الفكر التربوي والاساليب التربوية ، وذلك من خلال الحوار المنظم والطبوعات ودورات التاهيل ، فيصبح هذا الاتحاد تنظيما مهنيا الى جانب مهمته النقابية . واخيرا تنظيم تنسيق مع جميع الاجهزة العاملة في الحقل التربوي والاجتماعي . وهدف جميع انماط التنسيق هذه توفير الشروط والامكانيات اللازمة لتحديد اطر واساليب العمل واعداد النشاطات والبرامج التربوية المختلفة .

موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيوني الدولي ١٨٩٧ - ١٩٠٤

في الفترة الممتدة من ٢٩ آب (اغسطس) الى اول ايلول (سبتمبر) عام ١٨٩٧ عقدت « المنظمة الصهيونية العالمية » اول مؤتمر صهيوني في مدينة بال بسويسرا . وقد دعا الى عقده د . ثيودور هرتزل ود . ماكس نوردو . وكان من أهم مقرراته استيطان فلسطين واتخاذها وطنا قوميا للشعب اليهودي . وقد ألقى هرتزل في المؤتمر خطابا تحدث فيه عن الهجرة اليهودية الى فلسطين ، ورأى انه لو تم ارسال عشرة الاف سنويا اليها ، فان ذلك لا يمكن ان يؤدي الى تأسيس دولة يهودية فيها نظرا لوجود تسعة ملايين يهودي في العالم او اكثر ، وان عمليات التسرب والهجرة على هذا النحو ستبقى مئات السنين « دون ان نحصل على هدفنا » . ورأى هرتزل انه لا بد من الحصول على « ميثاق دولي » من أجل انشاء الدولة اليهودية ، كما انه لا بد من موافقة الدولة العثمانية وسلطانها الذي يحارب الهجرة اليهودية ، « فمما لا شك فيه ان الحكومة التركية ستعيد فرض قوانين منع الهجرة رأسا ، ولا نستطيع ان نعارض هذه الخطوة ابدا . فمن يعتقد انه باستطاعة اليهود التسلل الى ارض اجدادهم فهو يخدع نفسه ، كما انه يخدع الآخرين . . . كما انه ليست من مصلحتنا ان نذهب الى هناك قبل نضوج الفكرة » . و اضاف هرتزل بأن حل مسألة الشرق الاوسط والمسألة اليهودية في آن واحد سيكون له تأثير على العالم المتحضر بأسره . ولم يكتف هرتزل بعرض هذه الامور بل اراد استمالة الدول الاوروبية في تنفيذ الفكرة الصهيونية لان

☆ اجزاء من رسالة جامعية تقدم بها الكاتب للحصول على درجة الماجستير في التاريخ الحديث من جامعة بيروت العربية ، بعنوان موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية

« تحسن وضع اليهود سيساعد على تحسين وضع مسيحي الشرق » . (١)
ومن اجل ذلك كان الاهتمام الصهيوني يتركز للحصول على وثيقة من السلطان
عبد الحميد الثاني بجعل فلسطين دولة يهودية بضمانات دولية واعتبر لبنان
مثالا لذلك . (٢)

والواقع ان الزعيم الصهيوني هرتزل ، ابدى منذ البداية ضرورة اقامة « بنك
صهيوني » فبدأت جهوده لتحقيق هذا الغرض منذ منتصف تشرين الثاني
(نوفمبر) عام ١٨٩٧ . ووضح انه بدون هذا البنك يغدو الامل الصهيوني
في الحصول على وثيقة للهجرة والاستيطان في فلسطين املا صعب التحقيق .
وتعبيرا عن اهتمامه بائشاء البنك عين هرتزل دافيد ولفسون (D. Wolfson)
التمول اليهودي والزعيم الصهيوني ، رئيسا للجنة خاصة سميت « لجنة البنك »
(Bank Commission) . (٣)

وفي هذه الفترة من عام ١٨٩٧ بدأ النشاط الصهيوني - الدولي لبذل
المساعي من اجل انجاح عمليات التمويل الصهيوني لامتلاك فلسطين ، فسعى
هرتزل للاتصال بكبار الممولين الاوروبيين ومنهم اليهود بالتأكد امثال :
بورناتسكي ، الثري البولوني ، وسيلجمان اليهودي - الانجليزي . واتصل
ايضا باللورد روتشيلد من كبار الاغنياء اليهود . ويظهر من خلال الاتصالات
التي اجراها هرتزل مع كبار الرأسماليين الدوليين واليهود معا ، بأن الحركة
الصهيونية ليست حركة جماهيرية تنبع من ارادة الجماهير اليهودية ، ولكن
يمكن اعتبارها حركة رأسمالية استعمارية لان مرتكزاتها كانت تنطلق وتعتمد
على تلك الاسس .

وكان على هرتزل ان تتجه جهوده الدبلوماسية نحو السلطان العثماني
والحكومة التركية وبعض المسؤولين الاوروبيين ايضا وقدااسة البابا . وفي ١٧
تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٨٩٧ ارسل هرتزل رسالة الى قيصر المانيا يطلب
مساعدته لاقامة شركة يهودية تحت الحماية الالمانية تهتم بأمور الهجرة
اليهودية ، ويطلب منه بذل جهوده مع السلطان لاقتناعه باستيطان يهودي في
فلسطين ليكون ذلك موضوعا من الموضوعات الهامة التي سيثيرها القيصر مع
السلطان العثماني عند سفره الى الاستانة . (٤)

وفي الوقت الذي كانت الجهود الصهيونية تبذل مع الدول الاوروبية الكبرى
لانجاح استيطان يهودي فلسطيني ضمنه القانون العام ، كانت لا تزال موجات
من الهجرة اليهودية تصل الى الاراضي المقدسة وتعمل على شراء الاراضي
فيها . (٥) ونظرا لهذا الواقع فقد زادت شكوك السلطان عبد الحميد الثاني
في نشاط الحركة الصهيونية ، فاتخذ وسائل للحد من الاطماع اليهودية في
فلسطين ، فأرسل بعض اعضاء امانة السر الخاصة به في قصر يلدز لتولي
حكم متصرفية القدس بدلا من الموظفين الذين تدرجوا في سلك وظائف الادارة

العثمانية . وكان اول من وصل الى القدس توفيق بك الذي كان امينا وصارما في تطبيق نصوص القانون . (٦)

وفي ٤ شباط (فبراير) عام ١٨٩٨ اجتمع هرتزل بالسفير العثماني في المانيا ، احمد توفيق ، لبذل وساطته من اجل تحقيق المشروع الصهيوني مقابل القروض المالية اليهودية ، فأخبره السفير العثماني صعوبة امتلاك فلسطين ، و اشار عليه بإمكانية توطين اليهود في مناطق اخرى من آسيا الصغرى ، شرط ان يكون اليهود كغيرهم من المواطنين العثمانيين غير مستقلين عن الدولة . وانتهى الاجتماع برفض هرتزل لهذا العرض .

وبعد نشر الآراء الصهيونية والاوربية حول استعمار يهودي لفلسطين ، اشارت صحيفة « المقتطف » عام ١٨٩٨ الى معارضة الدولة العثمانية للهجرة اليهودية الى فلسطين ، ووضحت ان « ٠٠٠ نقل اليهود الى فلسطين وابتياح الارض من الحكومة ومن اصحابها اصعب من نقلهم الى الارجتين . ولذلك نستبعد نجاح الصهيونيين ، ونحسب ان السعي لدى حكومات روسيا ورومانيا والبلغار في اصلاح شأن اليهود فيها اقرب منالا ، لا سيما ان طلب كفالة الدول الاوربية وحمايتهم [حمايتهم] لليهود الذين يراد نقلهم الى فلسطين عقبة كبيرة في سبيل هذا الغرض لان الدولة العثمانية لا ترضى به » . (٧) وتكرس ذلك عمليا عندما اصدر السلطان عبد الحميد الثاني قوانين جديدة ، (٨) في حزيران (يونيه) عام ١٨٩٨ منع فيها اليهود الاجانب من دخول القدس ، على ان هذه القوانين لقيت معارضة من القنصليات الاجنبية ، فأبرق متصرف القدس الى الباب العالي يطلب منه تعليمات دقيقة ومحددة حول القوانين الجديدة . (٩) فجاء الرد بعد شهرين وبالذات في ٢٥ آب (اغسطس) عام ١٨٩٨ - اي قبل انعقاد المؤتمر الصهيوني الثاني بثلاثة ايام - يطلب الصدر الاعظم تنفيذ قوانين الهجرة الخاصة باليهود . وقد اكد القنصل البريطاني ديكسون (Dickson) هذا الواقع فذكر في تقريره بأن متصرف القدس قد بعث له برسالة مع سكرتيه يعلمه فيها « انه تلقى تعليمات من الباب العالي لتطبيق الانظمة المرعية لدخول اليهود الاجانب الى القدس - كل اليهود الاجانب - دون تمييز في جنسياتهم ، وبالتالي ان تطبق هذه الانظمة على اليهود البريطانيين ، وان الانظمة المذكورة تنص على انه لا يسمح ليهودي اجنبي بدخول فلسطين الا بعد تعهده بدفع التامين وبمغادرة البلاد خلال ثلاثين يوما . (١٠) ولقد بلغ تشدد السلطات العثمانية في تنفيذ هذه القوانين انها منعت نائب القنصل البريطاني في انطاكية من الدخول ما لم يقدم التمهيد المطلوب باعتباره يهوديا . (١١)

وفي نفس الفترة وصل تقرير من السفارة البريطانية في القسطنطينية الى ديكسون ردا على رسالته حول موقف الدولة

العثمانية من مسألة تسجيل الاملاك التي طلب « الاتحاد الانجلو - يهودي » (Anglo - Jewish Association) شراءها في القدس . فأوضح السفير البريطاني انه لا بد من التهرب من القوانين العثمانية ومن اجل ذلك « فأنني احيطكم علما بأنني اقترحت على سكرتير صاحب الجلالة الاول للشؤون الخارجية ، العمل بنصيحة الاتحاد الانجلو - يهودي بوضع اسم شخص او اشخاص ممن لا تستطيع الحكومة العثمانية الاعتراض على ان يكونوا مشترين للاملاك » . (١٢)

وفي عام ١٨٩٨ استمرت القوانين العثمانية تحد من الهجرة اليهودية حيث كانت السلطات العثمانية المحلية في فلسطين تنجح في طرد القادمين اليهود ، وقد اكدت التقارير الواردة من الاراضي المقدسة ان السلطات هناك عاملت اليهود بقسوة ، مما اضطر السفير البريطاني وقنصله في القدس الى تقديم الاحتجاجات على هذه المعاملة . ولكن متصرف القدس ، توفيق بك ، اكد في رده على القنصل « ان سلطات حيفا قامت بالفعل بمنع العائلات اليهودية من النزول الى رصيف الميناء لانها لم تستطع ان تقدم تعهدا وضمانة بالعودة بعد زيارة البلاد تبعا للانظمة المرعية ، ومن اجل ذلك اعيدوا الى الباخرة » . (١٣)

هذا وقد طلبت السفارة البريطانية في القسطنطينية من قنصلها ديكسون ان يستفسر عن السبب في اخراج اليهود البريطانيين ، وان يقوم نائب القنصل امزالاك (Amzalak) بمساع لمنع الاخراج القسري للرعايا البريطانيين المزودين بجوازات سفر بريطانية رسمية . وقد ارسل ديكسون تقريرا الى السفير البريطاني في الاستانة يعلمه فيه بأن امزالاك حصل على وثيقة خطية موقعة من شاهدي عيان يهود حول المعاملة التريكية غير اللائقة لليهود البريطانيين . ويبدو ان اليهود البريطانيين قد عذبوا بالايدي لارغامهم على العودة الى الباخرة . (١٤) وبناء على هذه المعلومات قدم اوكنر (O'Conor) - السفير البريطاني في الاستانة - احتجاجا على الموقف العثماني من اليهود البريطانيين ، كما اعتبرت وزارة الخارجية البريطانية ان منع اليهود من الدخول الى فلسطين مخالف للاتفاقيات الدولية ، « وان على الامبراطورية العثمانية ان تعيد النظر في هذه الانظمة المطروحة على البحث الآن ، لانه تتعارض مع حقوق الانسان » . (١٥)

وكانت الاوضاع التي يعاني منها المهاجرون اليهود ، تزيد اصرار قادة الحركة الصهيونية وفي مقدمتهم هرتزل على ضرورة تأمين التأييد الدولي للمشروع الصهيوني . ويمكن القول انطلاقا من ذلك ، ان عام ١٨٩٨ اعتبر العام الصهيوني - الالمانى نظرا للمحاولات المكثفة التي قامت بها الحركة الصهيونية لاقتناع القيصر الالمانى غليوم الثاني ، بالتوسط لدى السلطان العثماني في رحلته الى الاستانة في خريف ١٨٩٨ . وبالفعل فقد لحق هرتزل

بالقيصر الالمانى الى الاستانة ، وهناك اراد الاجتماع به ليعطي لنفسه صفة
المفاوض الدولي والمتحدث الرسمي عن يهود العالم . وبعد اجتماعهما في ١٨
تشرين الاول (اكتوبر) عام ١٨٩٨ لم يحصل هرتزل على اي قرار من القيصر
تأييدا للمشروع الصهيوني .

وفي ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) من عام ١٨٩٨ وصل القيصر الالمانى الى
القدس بعد ان غادر الاستانة ، وقد حرص هرتزل على اللحاق به ايضا وتقديم
المطالب الصهيونية في الاراضي المقدسة . وفي القدس حرص اليهود على
استقبال القيصر وزوجته استقبالا مميّزا ، وصبوا لهما النصب والقصب
المزدانة ، واصطف هرتزل مع كبار الحاخامين وتلامذة المدارس العبرية الذين
انشدوا لهما نشيدا ترحيبيا بالالمانية يقول : (Heil Dir in Siergerkrana)

(١٦) . ولكن رغم هذا الترحيب ورغم تقديم المطالب الصهيونية واجتماع
هرتزل بالقيصر الالمانى ، الا انه من الثابت ان جوابه كان غير مشجع حيث
اشار الى ان المسألة تحتاج الى دراسة كما « ان محييي الى القدس الشريف
لم يكن مبنيا على غايات سياسية ، بل لانني كنت اميل الى زيارة هذه المدينة
المقدسة التي مات فيها السيد المسيح » . (١٧)

والواقع ان الزعيم الصهيوني لم ييأس نتيجة لفشله مع القيصر الالمانى . بل
استمر في نشاطه لكسب التأييد الدولي الاستعماري ، فقد اتجه نحو بريطانيا
وبدأت مفاوضاته مع وزير المستعمرات البريطانية جوزيف تشمبرلن
(J. Chamberlin) لتحقيق مشروع اسكان اليهود في شبه جزيرة سيناء
واقامة دولة يهودية تحت الوصاية البريطانية . ولم يقتصر نشاط هرتزل على
بريطانيا ، بل حرص في عام ١٨٩٩ على نيل تأييد القيصر الروسي ، لان
الصهيونية مفيدة لروسيا على حد قول هرتزل ، لانها تشكل حاجزا في وجه
المقوى الثورية المناهضة للقيصر ، وهي ايدولوجيا ضد النظام الاشتراكي
« ولا ننسى اننا اليوم وفي كل مكان نحارب الثوريين ، واننا نعمل على ابعاد
الطلاب والعمال اليهود عن الاشتراكية والفوضوية » . (١٨) وبالرغم من هذه
العروض المغرية ، فان الزعيم الصهيوني لم يلق تجاوبا من القيصر الروسي .

وبعد ذلك ، اتجه هرتزل نحو اميركا محاولا كسب تأييدها لان الصهيونيين
الامريكيين يعطفون على مشروع استيطان اليهود في فلسطين ، وكان السفير
الامريكي الصهيوني - في الاستانة - ستراوس من بين هؤلاء المؤيدين ، وهو
الذي تدخل كثيرا لدى الدولة العثمانية من اجل انجاح المشروع الصهيوني .
وفي اواخر عام ١٨٩٩ ، قابل هرتزل السفير ستراوس في النمسا ، واتفقا على
التعاون « من أجل تقديم المساعدة لشعبنا » ، كما اتفقا على استمرار المراسلة
بينهما على ان يوقع السفير رسالته باسم مستعار هو « مسيو تامبكس » . وقد
طلب هرتزل منه متابعة المساعي مع الاوساط العثمانية وتوسيط اُرتين افندي

الموظف في الباب العالي ولكن ستراوس حذره من هذه الفكرة وقال له : لا ارتين ولا غيره يؤثر كثيرا او قليلا على السلطان . وافهمه « ان السلطان عبد الحميد رجل حاذق داهية ، وانه هو الذي يحكم نفسه بنفسه وليس لانسان عليه نفوذ » . (١٩)

وفي ١٧ حزيران (يونيه) عام ١٨٩٩ اجتمع هرتزل بنوري بك ممثل الدولة العثمانية في مؤتمر السلام الذي كان يعقد في لاهاي . وحاول الزعيم الصهيوني رشوته لقاء التوسط لدى السلطان بقبول اليهود في فلسطين ، فابتسم نوري بك بسخرية ، مما دعا هرتزل لان يقول : « اوحت الي ابتسامة سعادته الخبيثة بأن هذا لن يكون اكثر من حلم » . (٢٠) و اشار نوري بك الى الموقف العثماني الرسمي بقوله : « نقبل اليهود ، تركيا واسعة . . . وسوف يكون اليهود تحت حماية القانون التركي محميين من الاضطهاد . . . ولكن الاماكن المقدسة لا يمكن تسليمها لهم . فحتى قوانين تركيا تمنع الجماعات اليهودية من التركيز هناك . . . » (٢١) وفي نفس الوقت كان متصرف القدس يتشدد ويمنع بيع الاراضي للمهاجرين اليهود ، كما كان يرفض ان يقوموا ببناء مساكن لهم . (٢٢)

وفي عام ١٩٠٠ بدأت الحركة الصهيونية تلاقي تأييدا واسعا في الاوساط الرسمية البريطانية لدرجة ان حوالي ستين مرشحا لمجلس العموم البريطاني اعلنوا تأييدهم للصهيونية ومبادئها ، كما ازداد عدد الجمعيات الصهيونية في بريطانيا من ١٦ جمعية الى ٣٩ جمعية . (٢٣) وقد حاول هرتزل ان يستثمر هذا التأييد البريطاني في الضغط على السلطان العثماني الذي كان عنيفا في كرهه للانجليز ، والذي كان ينسب اليهم معظم مشاكله مع الاقليات في الامبراطورية . (٢٤) وكانت سياسته تجاه الانجليز تعرف باسم (Anti - British)

ويلاحظ ان المهاجرين اليهود استفلوا كل ثغرة وجدوها في الحكم العثماني المحلي ، فبعد نقل متصرف القدس توفيق بك المشهور بتشدهه حيال الهجرة اليهودية في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٠٠ ، وجدنا ان اليهود وجهوا انظارهم مرة ثانية الى المتصرفية ، لان المتصرفين الثلاثة الذين خلفوه في المنصب لم يكونوا مثله من حيث الامانة والاخلاص . (٢٥) ولكن الحكومة العثمانية اصدرت في تشرين الثاني (نوفمبر) عام ١٩٠٠ « القوانين المتعلقة بالزوار اليهود للاراضي المقدسة » حيث الغت قانون تأمين الخمسين ليرة تركية وتحديد الاقامة بـ (٣١ يوما) الصادر عام ١٨٨٧ وما يليه ويسمح لكل يهودي اجنبي يزور فلسطين الاقامة فيها مدة ثلاثة شهور مقابل تسليم جوازه واعطائه بدلا منه جوازا احمر خاصا مقابل تعرفة رسمية هي غرش واحد . وقد احتوى القانون الجديد اربعة بنود تضمنت التعليمات الخاصة بالمهاجرين اليهود ، وذكر بأنه على جميع اليهود الزائرين لفلسطين سواء قدموا من الخارج

او من باقي الولايات العثمانية ان يكونوا مزودين بتذكرة او جواز مرور يعين مدة الزيارة والهدف من الرحلة ، وانه يتوجب على هؤلاء اليهود لدى وصولهم الى اي ميناء في ولاية بيروت او متصرفية القدس ، ان يقدموا التذكرة او جواز المرور للموظف المسؤول عن الميناء ، ويدفع كل منهم غرشا واحدا ويعطى بالمقابل تذكرة سفر او تذكرة اقامة مؤقتة تسمح لهم بالتنقل او البقاء في فلسطين مدة ثلاثة شهور . (٢٦) وبعد انقضاء المدة يطردون بالقوة من البلاد - اذا لزم الامر - ويكون ذلك بمعرفة القنصلية ذات العلاقة . (٢٧)

والواقع ان الزعيم الصهيوني تيودور هرتزل رأى انه لا بد من السفر الى الاستانة محاولا الاجتماع بالسلطان عبد الحميد الثاني بواسطة الجاسوس والمستشرق الهنغاري اليهودي ارمينيوس فامبري (A. Vambery) . وفي ٢٠ ايار (مايو) عام ١٩٠١ توجه هرتزل الى العاصمة العثمانية - وكانت هذه ثالث زيارة له بعد زيارته الاولى عام ١٨٩٦ والثانية عام ١٨٩٨ - وقد استطاع الحصول على موعد بمقابلة السلطان ولكن ليس على اساس انه زعيم للصهيونية بل كصحافي بارز . (٢٨) وقد حذره فامبري قبل الاجتماع من الانجراف في آراء مضادة لما يفكر به السلطان وقال له : « اياك ان تحدثه عن الصهيونية . انها فانوس سحري ، القدس مقدسة لهؤلاء الناس مثل مكة » . (٢٩) الا انه اوصى اليه ان الصهيونية جيدة مع ذلك ضد المسيحية ، لهذا كان هرتزل ينطلق في مفاوضاته على اساس ان اليهود هم الحلفاء الطبيعيين للمسلمين ضد النصارى على حد زعمه .

وفي ١٨ ايار (مايو) عام ١٩٠١ جرت المقابلة بين السلطان وهرتزل بحضور الحاخام موسى ليفي - حاخام اليهود في تركيا - وفي الاجتماع بدأ هرتزل ممالة واستعطاف السلطان - بواسطة مترجم القصر الخاص ابراهيم بك - وقال له : « اني اكرس نفسي لخدمته لانه يحسن الى اليهود ، واليهود في العالم كله مدينون له بذلك . واني بشكل خاص مستعد لتأدية اية خدمة له وخاصة الخدمات الكبيرة . . . » (٣٠) و اشار الى الخدمات المالية لاصلاح الاقتصاد العثماني المتدهور وتصفية الديون المقدرة بمليون ونصف المليون جنيه ، وعرض توسطه لايقاف حملات صحف « تركيا الفتاة » في اوروبا . ثم لمح الى ان الحركة الصهيونية تهدف الى ايجاد « ملجأ لليهود » في الاراضي المقدسة . وبعد اخذ ورد قال السلطان عبد الحميد : « . . . ان بلادنا التي حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء اجدادنا . . . لا يمكن ان نفرط بشبر منها دون ان نبذل اكثر مما بذلناه من دماء في سبيلها » . (٣١) و اضاف السلطان : « اني احب تطبيق العدالة والمساواة على جميع المواطنين ، ولكن اقامة دولة يهودية في فلسطين فلا » . (٣٢)

، وامام هذا الواقع فقد صدم الزعيم الصهيوني وقرر العودة الى اوروبا

وقال : « لقد تأثرت بأقوال السلطان التي تتسم بالحقيقة والفخر ، بالرغم من انها تضع في الوقت الحاضر نهاية لكل آمالي » (٣٣) وقبل سفره اتصل بابراهيم بك - سكرتير القصر - وبعزت بك - احد المسؤولين الاتراك - وقد طلب محاولا اقناعهما تحقيق المشروع الصهيوني ، الا ان عزت بك اجابه - بلهجته الفرنسية الركيكة - « بامكان الاسرائيليين ان يأتوا ، لكن عليهم ان يوافقوا على ان يصبحوا رعايا عثمانيين ٠٠٠ ليس عليهم ان يصبحوا رعايا اترك فقط بل ايضا ان يتخلوا عن ولاءاتهم السابقة وان يصدقوا رسميا من قبل الحكومات المعنية على تخليهم » . ويعتبر هذا الموقف العثماني ادراكا عمليا وسياسيا للاخطار التي يمكن ان تنجم عن استيطان اليهود في فلسطين مع استمرارهم على جنسياتهم وولاءاتهم الاوروبية والاميركية السابقة ، لان معنى ذلك استفحال خطر الامتيازات الاجنبية وتزايد تدخل الحكومات التي كان اليهود يعيشون في ظل سيطرتها .

وبعد التداول بهذه الآراء قال ابراهيم بك - متابعا آراء عزت بك - « وعليهم ان يؤدوا الخدمة العسكرية اذا دعاهم جلالته الى الجندية » . ويلاحظ بأن هذا الشرط هو من ضمن الشروط التعجيزية ، ذلك ان لا اليهود يقبلون بتنفيذ هذا الشرط ، ولا القوانين العثمانية تسمح باستخدام غير المسلمين في الجندية العثمانية . وانهى عزت بك الموضوع بأنه « تحت هذه الشروط قد نسمح بدخول الاسرائيليين من كل بلد ٠٠٠ امر آخر ، يجب ان لا يجري الاستعمار في جماعات كبيرة . بدلا من ذلك لنقل خمس عائلات هنا وخمس عائلات هناك موزعين بدون اتصال » . فقال هرتزل في داخله - بعد سماعه للرأي الاخير - « حتى تنهبهم وتذبحهم بسهولة اكثر » (٣٤) ثم انتهى هذا الاجتماع على قرار غيره بدون اية نتيجة .

والحقيقة ان تيودور هرتزل رأى ضرورة الاتصال بدوائر الحركة الاستعمارية البريطانية للوصول الى مخرج دبلوماسي ومالي يقنع الدولة العثمانية بما يريد ان يحققه لليهود فاتصل بسيسل رودس (S. Rhodes) للفادة من ماله وتجاربه الاستعمارية وطالما ان السيطرة على فلسطين امر استعماري - على حد قول هرتزل - فلا بد اذن من الاتصال برودس . فأرسل اليه رسالة بتاريخ ١٠ كانون الثاني (يناير) عام ١٩٠٢ يعرض عليه المشروع الصهيوني ويطلب منه تأييده . ولكن هرتزل مني بصدمة كبرى اثر تلقيه خبر وفاة سيسيل رودس في آذار (مارس) عام ١٩٠٢ .

وفي ١٢ شباط (فبراير) عام ١٩٠٢ سافر تيودور هرتزل الى استانبول في زيارة رابعة ولكنه لم يستطع في هذه المرة مقابلة السلطان ، غير انه اجتمع مجددا مع ابراهيم بك وعزت بك . وفي هذا الاجتماع انكر ابراهيم بك ما اشيع من ان السلطان سمح بالهجرة اليهودية الى فلسطين لتأسيس دولة يهودية .

ثم كرر الشروط السابقة التعجيزية ، وتظاهر هرتزل بالقبول شرط ان يختار اليهود مناطق الهجرة واعداد المهاجرين دون قيد او تحديد . ولكن الجانب العثماني رفض هذه الشروط واعلن ان الدولة هي التي ستعين المناطق التي سيسكنها اليهود كالعراق وآسيا الصغرى باستثناء فلسطين ، فما كان من هرتزل الا ان اظهر امتعاضه مبررا ان اللجنة الصهيونية العليا لم تمنحه صلاحيات تخوله ارتجال سياسة من هذا النوع، وقد لا تتفق هذه العروض مع « برنامجنا » .

وبالرغم من تحركات هرتزل الفاشلة مع الدولة العثمانية ، فقد راح يتصل بالمسؤولين البريطانيين يحثهم على انشاء دولة يهودية في فلسطين او العريش وسيناء ، فاجتمع في حزيران (يونيه) عام ١٩٠٢ باللورد جيمس دي روتشيلد، وفي ٢٢ تشرين الاول (اكتوبر) من نفس العام يحظى باجتماع مع وزير المستعمرات تشمبرلن ، ثم يجتمع بعض مضي يومين بوزير الخارجية اللورد لانسدون لاقناعه بمشروعه لان الدولة اليهودية ستكون قاعدة لبريطانيا « وسيكون لانجلترا عشرة ملايين عميل من اجل عظمتها وسيطرتها . وهذا الولاء لا بد ان يكون على الصعيدين السياسي والاقتصادي » (٣٥)

وفي ١٢ كانون الثاني (يناير) عام ١٩٠٢ اجتمع هرتزل باللورد روتشيلد في لندن لتأمين مبلغ ثلاثة ملايين جنيه من « جمعية الاستعمار اليهودية » على ان يؤمن بقية المبلغ من اثرياء اليهود ، وذلك لتسهيل تنفيذ المشروع الصهيوني ، وبالفعل فقد اتفق الزعيم الصهيوني مع البريطانيين على ارسال مجموعة من الخبراء الانجليز اليهود الى مصر وفي مقدمتهم : ليوبولد كسلر ، وجولد سميد ، وجرينبرج ، وذلك لدراسة امكانية قيام الدولة اليهودية في سيناء والعريش . وبالفعل فقد سافرت البعثة ولحق بها في ٢٣ آذار (مارس) عام ١٩٠٢ ، وهناك اجتمع مع بطرس غالي واللورد كرومر ، ولكن تبين له صعوبة تحقيق المشروع لان بريطانيا - حتى تلك الفترة - لم تكن مستعدة لمواجهة السلطان العثماني . كما ان الحكومة المصرية رفضته رسميا (٣٦) الامر الذي دعا هرتزل لان يفكر بأوغندا او موزامبيق .

وكان هرتزل في هذه الفترة من عام ١٩٠٢ يعاود اتصالاته بالواسط العثمانية حيث عرض في ثلاث رسائل - احداها الى السلطان والثانية الى الصدر الاعظم والثالثة الى ابراهيم باشا - مسألة القروض اليهودية للدولة العثمانية وانه على استعداد لتأمين مبلغ مليون ليرة تركية مقابل تنفيذ مطالبه . واقحم في هذا الموضوع بعض الشخصيات المقربة من السلطان عربية وتركية على السواء فأرسل برسالتين احداها الى عزت باشا العابد والاخرى الى تحسين باشا لئلا مساعيهما في تحقيق المشروع الصهيوني في فلسطين او على اجزاء منها مثل حيفا وعكا ملحقتين بالعراق . وفي الوقت نفسه واصل نشاطه

مع الرأسمالية الصهيونية لشراء بعض املاك اللبناني الياس سرسوق الذي رفع اسعار اراضيهِ للمتاجرة بها « والان يطلب السيد سرسوق ٢٥ فرنكا للدونم الواحد ، بينما تقول تقاريرنا انه لا يساوي اكثر من ١٥ - ١٨ فرنكا » . (٢٧)

وقد استطاعت الحركة الصهيونية بأساليبها الملتوية شراء هذه الاراضي وغيرها في سهل مرج ابن عامر من عائلة سرسوق ، الامر الذي ادى الى اثاره وسخط الفلاحين الفلسطينيين لان معنى ذلك طردهم من الاراضي التي كانوا يعملون بها . وكان عام ١٩٠٣ يشهد تسلا يهوديا الى فلسطين ، وقد ساعد في ذلك الخلل والرشوة في الادارة العثمانية ، وقد اتسمت هذه الموجة من الهجرة بتدفق الطبقات المتوسطة اليهودية من روسيا وبولندا ورومانيا . (٢٨)

وفي اوائل عام ١٩٠٤ يتجه هرتزل نحو البابوية ويقابل في روما وزير خارجية الفاتيكان الكاردينال ميري دي فال الذي اكد له ان الاراضي المقدسة يجب ان لا تكون بأيدي اليهود . فيتجه في ٢٣ كانون الثاني (يناير) من نفس العام لمقابلة ملك ايطاليا الذي ابدى عطفه على المشروع الصهيوني . وصرح انه لا يميز بين اليهود والايطاليين وقال لهرتزل : « فلسطين ستكون لكم ويجب ان تكون . المسألة فقط تحتاج الى وقت . انتظروا حتى يصبح عددكم هناك نصف مليون » . فأبدى هرتزل تدمره من الموقف العثماني وقال : « ان اليهود ممنوعون من الدخول يا سيدي » . فرد الملك : « كل شيء يمكن ان يكون بالبخشيش » . (٣٩)

والجدير بالذكر ان هرتزل طلب من الدوائر الرسمية الايطالية التوسط لدى الباب العالي على ان يرسل الملك الايطالي نفسه السلطان العثماني للتوصية باستعمار فلسطين ولكن السلطان عبد الحميد الثاني ظل على موقفه المعارض للحركة الصهيونية ، وقد افهم السلطان وسطاء هرتزل بتبليغه رفضه تحقيق مشروع في فلسطين وقال :

« انصحوا الدكتور هرتزل بألا يتخذ خطوات جديدة في هذا .

الموضوع . اني لا استطيع ان اتخلى عن شبر واحد من الارض ،

فهي ليست ملك يميني بل ملك شعبي . لقد قاتل شعبي في سبيل

هذه الارض ورواها بدمه ، فليحتفظ لليهود ببلايينهم . اذا مزقت

امبراطوريتي فعلهم يستطيعون انذاك ان يأخذوا فلسطين بلا ثمن ،

ولكن يجب ان يبدأ ذلك التمزيق اولا في جثثنا ، وانني لا استطيع

الموافقة على تشريح اجسادنا ونحن على قيد الحياة » .

ومن الاهمية بمكان ان هذا الاعلان العثماني اثر تأثيرا مباشرا على المنظمة

الصهيونية ، بل وعلى الدول الأوروبية حيث رأت ان السلطان عبد الحميد الثاني لم يغير مواقفه من الاستيطان اليهودي في فلسطين ، وهذا مما يؤثر على تطلعاتها مباشرة ، وللدلالة على ذلك ما اتخذته الحكومة البريطانية من موقف معارض ومستمر للقوانين العثمانية الخاصة بالهجرة اليهودية ، فقد اوعزت الى قنصلها في القدس في نيسان (ابريل) عام ١٩٠٤ بأن الحكومة البريطانية لن تقبل قوانين الهجرة ، ومن اجل ذلك لا يمكن ارغام اليهود الانجليز على مغادرة البلاد (٤٠) . ولكن الحكومة العثمانية تمسكت بقرار منع بيع الاراضي والعقارات في فلسطين الى اليهود من جميع الجنسيات ، لان معظم اليهود الاجانب كانوا يأتون الى فلسطين بغرض شراء الاراضي والاقامة الدائمة (٤١) .

وتذكر بعض المصادر الصهيونية انه نتيجة للموقف العثماني الرسمي حيال المشروع الصهيوني ان عرض القنصل العام للدولة العثمانية في فينا علي نوري بك - وهو غير نوري بك - على تيودور هرتزل مشروعاً غريباً لتحقيق استيطان يهودي واقامة الدولة اليهودية ، وبدونه لا يمكن ان تنال الصهيونية ما تريد في فلسطين ، وهو ان يبحر هرتزل الى اليوسفور في سفينتين وينسف قصر « يلدز » ليتاح للسلطان عبد الحميد فرصة الهرب او القبض عليه ، ومن ثم تعيين سلطان آخر بدلا منه ، ولكن قبل ذلك يجب اقامة حكمة مؤقتة تعطي اليهود امتياز الاستيطان في فلسطين .

ورغم غرابة القصة فقد درسها هرتزل وقدر تكاليفها وفكر بعواقب فشلها ، وقد طرحت الفكرة في ٢٤ شباط (فبراير) عام ١٩٠٤ ، وقرر هرتزل اللجوء اليها اذا فشلت مساعيه الاخيرة السلمية في استانبول ، لكنه ابرق الى علي نوري بك في ١٩ نيسان (ابريل) من نفس العام معتذرا عن عدم قبول الاقتراح بسبب خشية هرتزل من قيام مذبحه هائلة يبنى بها اليهود في الدولة العثمانية اذا فشل المشروع . (٤٢)

والواقع ان هرتزل ظل حتى آخر ايامه ينشط من اجل تحقيق مشروع « الدولة اليهودية » في فلسطين ، وقبل وفاته بأيام قليلة اتصل بالكونت غولوشوفسكي وزير خارجية امبراطورية النمسا - المجر الذي وعده بتقديم المساعدات والتوسط لدى الدولة العثمانية - اذا سمحت الظروف - بالتخلي عن بعض المناطق في فلسطين لاستيطان عدد من اليهود يتراوح بين ٥ - ٦ ملايين نسمة ، على ان يتبع ذلك استعمار اليهود لسنجق عكا ليكون ايضا منطقة للاستعمار والاستيطان ونقطة للتوسع صوب المناطق المتاخمة .

وفي ١٦ ايار (مايو) عام ١٩٠٤ فقدت الحركة الصهيونية زعيمها فطويت بوفاته صفحة نشطة من التحرك الصهيوني . ويقول سوكولوف بصدده وفاته : « لقد تركنا وكان متأكدا باننا سنسلك نفس الطريق ، ولكن عاش فينا للابد كمثل النجمة التي تضيء وتسير ويبقى ضوءها مؤثرا في الآخرين » . (٤٣)

هوامش :

- ٨ - جاء في بنود القوانين الجديدة :
- أ - لا يسمح لليهودي الاجنبي زيارة الاراضي المقدسة الا بداعي الزيارة الدينية
- ب - يتوجب عليه دفع تأمين مالي اثناء دخوله البلاد .
- ج - يتعهد بمغادرة البلاد خلال ثلاثين يوما .
- 9 — Dickson (Report) , 23 Juine 1898 , No. 33 , in F. O. 195/2028 .
- 10 — Dickson to Bunsen , 25 Aug . 1898 , No. 41 , in F. O. 195/2028 .
- ..11 — Dickson to Bunsen , 25 Aug. 1898 , No. 41 , in F. O. 195/2028 .
- 12 — B. E. in Constantinople to Dickson , 25 Aug . 1898 , No. ? in F. O. 195/2026 .
- ١٣ - من رسالة توفيق بك الى ديكسون في ٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٩٨ نقلا عن :
- A. Hvamson , *The British Consulate in Jerusalem in relation to the Jews in Palestine 1838 — 1914* , Vol. II (London 1939 — 1941) , P. 528 — 529 .
- 14 — Dikson To British Embassador Constantinple , 7 oct. 1898 , No. ? in F. O. 195/2028 .

- ١ - انيس صايغ واخرون ، الفكرة الصهيونية - النصوص الاساسية (بيروت مركز الابحاث - ١٩٧٠) ، فقرات من خطاب تيودور هرتزل عام ١٨٩٧ ، ص ١٢٦ .
- ٢ - مكسيم رودونسن ، اسرائيل واقع استعماري ، ترجمة احسان الحصري ، مراجعة انطوان مقدسي ، عمان منشورات وزارة الثقافة (عمان ١٩٦٧) ، ص ٢٩ .
- 3 — A. Bein , *Theodor Herzl . . A biography* (Philadelphia - The Jewish Publication Society of America , 1940) , P. 267 .
- ..4 — *Ibid* , P. 280 .
- ٥ - للمزيد من التفاصيل حول الهجرة واطواع اليهود في فلسطين انظر ، المشرق كانون الاول (ديسمبر) ١٨٩٩ ، العدد ٢٣ . انظر ايضا ، الفشرة الاسبوعية ، كانون الاول (ديسمبر) ١٨٩٧ ، العدد ١٦٦٤ ، محمد رفيق ومحمد بهجت ، ولاية بيروت - القسم الجنوبي ، ج١ ، (بيروت ١٣٣٥ هـ - ١٩١٧ م) ، ولاية مطبعة سي ص ٣٥٧ .
- 6 — N. Mandel , *Turks , Arabs and Jewish Immigration into Palestine 1882 - 1914* , St. Antony's Papers , No. 17. M. E. A. No. 4 . ed. by Albert Hourani (Oxford 1965) , P. 90 .
- ٧ - المقتطف ، الاول من نيسان (ابريل) ١٨٩٨ ، م ٢٢ ، ج٤ ، انظر ايضا ، المنار ٩ نيسان (ابريل) ١٨٩٨ ، م ١ ، ج٦ .

25 — N. Mandel , *Op . cit* ,
P. 90 .

٢٦ - القانون الخاص بالزوار اليهود
الى فلسطين ، تشرين الثاني (نوفمبر)
١٩٠٠ ، انظر .

F. O. 78/5479.

27 — Dickson To O'Conor ,
21 Dec. 1900 , No. 71 , in F. O.
195/2084 .

٢٨ - انظر حول هذا الموضوع :

A. Chouraqui , *Theodor Herzl
Inventeur de l'Etat d'Israel*
(Paris 1960) , P. 374 , I. Cohen
Op . cit P . 230 , A. Bein , *Op . cit*
P. 352.

٢٩ - يوميات هرتزل ، ٨ أيار (مايو)
١٩٠١ ، ص ١٠٩٢ (ت . ع . ص ١٧٢) .

٣٠ - المصدر نفسه ، ٨ أيار (مايو)
١٩٠١ ، ص ١١١٣ (ت . ع . ص ١٧٣) .

٣١ - جواد رفعت اتلخان ، **الخطر
المحيط بالاسلام - الصهيونية وبرتوكولاتها**
ترجمة وهبي عز الدين (بغداد مطبعة
الجاحظ ١٩٦٥) ، ص ١٢١ . والجدير
بالذكر ان تلخان كان قائدا تركيا معاصرا
للسلطان عبد الحميد الثاني ، ويملك
معلومات هامة جدا حول العلاقات
العثمانية - الصهيونية .

٣٢ - جواد رفعت اتلخان ، **الاسلام
ويثو اسرائيل** ، ترجمة يوسف اورا
الكيراي (انقره بدون تاريخ) ص ١٥٢ .
وهو كتاب غير منشور وغير مجلد ،
مطبوع باللغة العربية على الالة الكاتبة .

15 — F. O. To O'Conor , 24
Dec. 1898 , No. 276 , in F. O.
78/4579 .

١٦ - يعني هذا الترحيب بالعربية :
تحية لك ايها المظفر الذي يكلل رأسه
الاكليل .

١٧ - ابراهيم الاسود ، **الرحلة
الامبراطورية في الممالك العثمانية** ، (بعيدا
لبنان المطبعة العثمانية - ١٨٩٨) ، ص
١٢٨ .

١٨ - يوميات هرتزل ، ١٦ كانون الثاني
(يناير) ١٨٩٩ ، اعداد انيس صايغ ،
ترجمة هيلدا صايغ (بيروت - مركز
الايضات ١٩٧٣) ، ص ٧٨٣ (الترجمة
العربية ص ١٢٢) .

١٩ - فرانك مانويل ، **بين اميركا
وفلسطين** ، ترجمة يوسف حنا (عمان
منشورات وزارة الثقافة) ، ص ٣٩ .

٢٠ - يوميات هرتزل ، ١٧ حزيران
(يونيه) ١٨٩٩ ، ص ٨٧٣ (ت . ع .
ص ١٠٠) .

٢١ - نفس المصدر السابق .

22 — N. Mandel , *Op . cit* ,
P. 83 .

23 — I. Cohen , *Theodor Herzl
Founder of Political Zionism* ,
(New York — London 1959) ,
P. 228 .

٢٤ - ارنست رامزور ، **تركيا الفتاة
وثورة ١٩٠٨** ، ترجمة صالح أحمد العلي
مراجعة نقولا زيادة (بيروت دار مكتبة
الحياة - ١٩٦٠) ص ١٥٤ .

38 — I. S. Sitton , *Immigration et Croissance* , (Paris 1963) P. 37 .

٣٩ - انظر ، يوميات هرتزل ، ٤٢
كانون الثاني (يناير) ١٩٠٤ ، ص ١٥٩٦
(ت . ع . ص ٣١٨ ، ٣١٩) .

40 — Dickson To O'Connor , 17
Apr. 1904 , No. 20 , in F. O. 195/
2106 .

41 — Dickson To O'Connor , 12
Oct. 1904 , No. 64 , in F. O. 195
/2175 .

٤٢ - انظر تفصيلات هذا المشروع في
يوميات هرتزل . ٢٤ شباط (فبراير)
١٩٠٤ ، ص ١٦١٤ ، ١٦١٩ ، ١٦٢١
(ت . ع . ص ٣٥٦ - ٣٥٩) . انظر ايضا
.. N. Mandel *Op . cit* . P. 105 .

43 — N. Sokolow , *Zionism ,
Problems and Views* , (London
1916) , P. 37 .

وهو من بين مجموعة مفتي فلسطين
المرحوم الشيخ امين الحسيني ، ويضم
وثائق وفرمانات سلطانية خاصة باليهود
وفلسطين . وقد توصلت اليه بواسطة
السيد توفيق حوري امين عام الشؤون
الثقافية .

33 — A. Chouroqui , *Op . cit* ,
P. 148 .

٣٤ - انظر يوميات هرتزل ، ايسار
(مايو) ١٩٠١ ، ص ١١٢٢ (ت . ع .
ص ١٨٠) .

٣٥ - يوميات هرتزل ، ٢٤ كانون الثاني
(يناير) ١٩٠٢ ، ص ١٣٦٤ (ت . ع .
ص ٢٥٠) .

36 — N. Sokolow , *History of
Zionism 1600 — 1918 , Vol . 1* ,
(London 1919) , P. 296 .

٣٧ - يوميات هرتزل ، حزيران (يونيو)
١٩٠٣ ، ص ١٥٠٤ (ت . ع . ص ٢٩٠) .

سور و بروج

خلال النصف الثاني من الثلاثينات اشتد التناقض بين حركة التحرر الوطني الفلسطيني من جهة وبين الحركة الصهيونية ممثلة في اليشوف اليهودي في فلسطين من جهة أخرى . ولاحظ الطرفان ان نتيجة التناقض بينهما ، وتفجره ، سيكون لها أثر عميق ، يترك بصماته على مجرى تطور الاحداث في فلسطين ، ليس لفترة قصيرة كما كان يحدث في السابق ، وانما لفترة طويلة ، اذ تمحور الصراع بين النقيضين حول امر اساسي وجوهري : ما هو الطابع المستقبلي لفلسطين ؟ وعلى الرغم من ان فلسطين حتى ذلك الحين كانت تقطنها اكثرية عربية ، وبالتالي تحمل طابعا عربيا ، فان العرب اخذوا يدركون اكثر من اي وقت مضى ، مدى الخطورة التي اخذ يشكلها التجمع الاستيطاني اليهودي في عملية قضم وطمس الطابع العربي بواسطة سلاحه الاساسيين المهاجرة والاستيطان . كما وان اليشوف اليهودي بدوره اخذ يدرك بانه قادم على فترة صراع لم يسبق لها مثيل مع السكان الاصليين ، حول مسألة حسم الطابع المستقبلي لفلسطين . ومن خلال ادراك الطرفين لطبيعة الصراع في تلك المرحلة ، لجأ كل منهما الى سلاحه ، حيث لجأ الطرف العربي الفلسطيني الى سلاح الاحزاب والمقاومة والكفاح المسلح ، بهدف الحفاظ على الطابع العام لفلسطين ، واصطدم كما هو الحال اليوم !! بغض النظر عن تغيير الشكل والرمز ، بأطراف عدوة ، تمثل في الحركة الصهيونية والاستعمار البريطاني والانظمة العربية التي كانت خاضعة بشكل تام للاستعمار الاجنبي . وقد تعامل مع العدوين الاولين باشكال نضالية مختلفة ، منها الاضرابات والكفاح المسلح ، اما الطرف العربي فقد كان مؤثرا في مجرى سير الاحداث في فلسطين اكثر مما يكون متأثرا منها ، ولعل نهاية الاضراب العام الذي قام به الشعب الفلسطيني في عام ١٩٣٦ والذي يعتبر من اطول الاضرابات في التاريخ ، كانت قد تأثت بفضل

عوامل من بينها تدخل بعض الدول العربية !

ولسنا هنا بصدد دراسة الثورة الفلسطينية التي تفجرت في عام ١٩٣٦ وامدتت حتى اندلاع الحرب العالمية الثانية ، وانما بصدد القاء الضوء على السلاح الذي اشهرته الحركة الصهيونية ، في تلك الفترة اي بين ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، في وجه الشعب الفلسطيني ، ويسمى في الابد الصهيوني « سور وبرج » متحالفة في تحقيقه مع الاستعمار البريطاني ، ومستعينة في تجسيده بيهود الشتات واموالهم ، في ظل واقع عربي مريح بالنسبة لها .

ولعل الحافز الذي دفعنا للكتابة حول هذا الموضوع ، ندرة تناوله في الادبيات العربية ، والرغبة في مقارنته بالاستيطان الاسرائيلي في المناطق المحتلة . بيد ان هذا الحافز اصبح واجبا عقب السابع عشر من ايار الماضي حين وصل الليكود الى سدة الحكم في اسرائيل ، واصبحت المناطق العربية المحتلة بمفهومه ليست مناطق مدارة او مناطق محتفظ بها كما يزعم حزب العمل ، بل مناطق محصرة !

سور وبرج :

كأي مجتمع مهاجرين ، اعتمد اليسوف اليهودي حتى عام ١٩٣٦ اقامة المستوطنات في فلسطين في اماكن استهوتها ، وخاصة في الاماكن الجميلة في السهل الساحلي الفلسطيني . وعند اندلاع الثورة الفلسطينية ومجيء اللجنة الملكية بعد ذلك الى فلسطين ، ووسط الحديث عن توصياتها بالتقسيم ، اخذت الحركة الصهيونية ممثلة بالوكالة اليهودية وهي بمثابة حكومة اليسوف اليهودي ، بانتهاج خطة استيطانية مدروسة ، تعتمد على سياسة فرض الامر الواقع ، واقامة المستوطنة بين عشية وضحاها ، اي خلال ليلة واحدة ، وفي اماكن معينة ومحددة ، دون اذن من السلطات ، محاطة بالاسلاك الشائكة ، ويبرز في وسطها سور وبرج ، يطل من فوقه الحراس المستوطنون ، ليعلنوا ان هذا الامر الواقع هو الذي سيحدد الخريطة المستقبلية للدولة اليهودية ، وليس توصيات اللجنة الملكية او اية هيئة دولية .

كان من نتيجة تخوف الوكالة اليهودية من مقاومة السكان العرب لعملية اقامة المستوطنة التي تستغرق في الايام العادية اسابيع واشهر ، ان فكرت بغرس الامر الواقع ، وسط المحيط العربي ، خلال ساعات من اليوم . ولا شك بأن هذا الامر كان بمثابة عملية عسكرية محدودة ، وقد تأتي عن ذلك اكساب الكيبوتس في تلك المرحلة الخصائص العسكرية ، وبقيت تلك الخصائص قائمة حتى قيام اسرائيل ، ثم اخذت بعد ذلك تتلاشى ببطء دون ان تزول تماما ، وكان لها تأثير كبير على نفسية سكان الكيبوتس وقيمته .

وتذكر المصادر الاسرائيلية أن اول من فكر بهذا النوع من المستوطنات هو شلومو جرزوفسكي عضو كيبوتس « تال عمال » ، فقد اقترح اقامة سور مصنوع من الاخشاب المليئة بالحصى ، على شكل مربع ، ضلعه ٣٥ مترا ويحتوي بداخله على اربعة منازل بسيطة ، ويقام عند كل زاوية منه موقع عسكري ، ويحاط السور من الخارج باسلاك شائكة . ويقام في وسط السور برج عال يحتوي على كشاف يشغل بواسطة مولد كهربائي .

ولم يكن من الضروري التقيد بعرض وطول السور والبرج او عدد البنايات ، فقد كان الامر يختلف بين مستوطنة واخرى ، وانما الالتزام باتمام العملية خلال ساعات من النهار كان امرا ضروريا لتفادي احباط العملية على يد السكان العرب .

كانت جميع الاستعدادات تتم قبل بروز النقطة الاستيطانية على الارض بشكل سرى في احدى المستوطنات القريية من المكان المستهدف . وفي اليوم المعين ومع بزوغ الفجر كانت تنطلق قافلة تتكون من عشرات الشاحنات التي تنقل مواد البناء الجاهزة وادوات العمل والاطعمة ، يصحبها مئات من المستوطنين اليهود ، معظمهم من سكان المستوطنات المجاورة ، للمساعدة في العمل ، حيث يتم هناك بناء حائطين متوازيين مصنوعين من الخشب المشوب بالاسمنت . لكي يكون بوسع السور صد العيارات النارية . ثم يجري العمل داخل السور في بناء البرج ، وعلى رأسه غرفة مراقبة يطل من فوقها كشاف يرسل اشعته خلال الليل حول المنطقة لمعرفة ما يجري هناك . ويحاط البرج بعدد من المباني البسيطة للمستوطنين الجدد الذين يأتون عادة مع القافلة ، وسط حراسة افراد الهجناء الذين كانوا يؤمنون النقطة الجديدة بجهاز لاسلكي « غير شرعي » للاتصال مع سائر النقاط الاخرى . كما ان حكومة الانتداب كانت تقوم بنصيبها وتزود النقطة الاستيطانية الجديدة بـ « نقطة حراسة » من اليهود . وهكذا ، وخلال ساعات معدودة من النهار يبرز في المكان الذي تختاره الوكالة اليهودية ، وسط منطقة عربية ، « سور وبرج » مزود بوسائل الدفاع والهجوم ، ويمهد الطريق لاقامة « سور وبرج » آخر . ومن هنا اتت تسمية الاستيطان الاسرائيلي خلال الاعوام الثلاثة ١٩٣٦ - ١٩٣٩ بهذا الاسم ، الذي يعني بالاساس ، فرض معالم جديدة فوق الاراضي الفلسطينية لها مفعول قوي جدا على مصيرها السياسي مستقبلا . ولا نبالغ اذا قلنا ان « سور وبرج » قد حدد سلفا خريطة الدولة اليهودية في فلسطين قبل عشر سنوات من قيامها .

بنفس الحرص على دقة التخطيط والتنفيذ ، حرصت الوكالة اليهودية على اختبار المناطق التي تقام فيها الوقائع الجديدة بشكل يمكنها من اقتطاع اكبر قدر من الاراضي الفلسطينية في حال فرض التقسيم ، والعمل باستمرار على تغيير الطابع العام لفلسطين لصالح الحركة الصهيونية . ومن هنا كان حرصها

على اقامة نقاط استيطانية في اماكن « لم يسبق لقدم يهودية ان وطنتها »
 ووجهت جهدها لاستكمال الترابط الاقليمي بين ما تقيمه ، او ما هو قائم فسي
 مناطق نائية ، وبين مناطق التجمع اليهودي في السهل الساحلي الفلسطيني .

واجه الجزء الشمالي من فلسطين النصب الاكبر من هذا النمط الاستيطاني
 فقد برزت في تلك الفترة البسيطة على شكل « سور وبرج » نقاط استيطانية في
 غور بيسان على الحدود الاردنية ، ومنطقة الحولة على الحدود السورية ، وفي
 الجليل الاعلى مقابل الحدود اللبنانية . كما ودعم مرج ابن عامر وجبال نابلس
 الشمالية بنقاط شبيهة ، وشهد سهل عكا هو الآخر نشاطا من هذا النوع لتثبيت
 التواجد اليهودي في منطقة خليج حيفا وتعزيزه واحداث سيطرة على شاطئ
 البحر المحاذي للجليل الغربي . ولم يخل السهل الساحلي وخصوصا المناطق
 المتاخمة للشاطئ ، وكذلك المناطق الجنوبية من هذا النشاط ، وان كان
 بمقدار اقل .

ومن الجدير بالذكر ان سرعة وكرة استيطان سور وبرج كانت ثلاثم نفسها
 مع تكاثر الحديث حول التقسيم ، ففي شهر تموز من عام ١٩٣٧ عندما اعتزمت
 « اللجنة الملكية » اصدار توصياتها بشأن تقسيم فلسطين برزت خلال اسبوع
 واحد ثمانى مستوطنات على شكل سور وبرج ، وذلك استباقا للتوصيات
 والتأثير عليها . وخلال شهر ايار من عام ١٩٣٩ وعشية صدور « الكتاب
 الابيض » انشئت على جناح السرعة ١٢ مستوطنة منها سبع مستوطنات خلال
 يوم واحد فقط !

كتلخيص لما سبق ، يمكن القول ان اليشوف اليهودي في فلسطين اخضع
 الاستيطان اليهودي في الاعوام ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، بشكل محكم ومدروس ،
 لمتطلبات سياسية واستراتيجية ، واعتبره هذه المرة ليس هدفا بحد ذاته بمقدار
 ما هو سبيل لاحتلال سياسي للبلاد . واقام خلال هذه الفترة ٥٥ مستوطنة ذات
 طابع عسكري في مراحلها الاولى ، تعيد الى الازهان صورة استيطان الغرب
 الاميركي بشكل او بآخر في فرض « الامر الواقع » .

ولعل سياسة « الامر الواقع » قد برزت في هذه المرحلة باجلى صورها ،
 واحيطت بهالة من القدسية ، وتركت بصماتها على الاجيال اللاحقة . ويحدثنا
 ابراهام هرتسفيك احد الشخصيات الفاعلة في مشروع « سور وبرج » عن مدى
 تقديس « الامر الواقع » في سياق سرده لقصة بناء مستوطنة بيت يوسف في
 عام ١٩٣٩ في غور بيسان : « عندما سنحت الفرصة لاستملاك منطقة تبلغ
 مساحتها ٤٠٠ دونم ، لم نفوتها ، وفور الانتهاء من الترتيبات الرسمية برزنا
 على الارض ، وعند انتهاء العمل ، وقبل وصول القطار من حيفا الى صفد ، الى
 النقطة الاستيطانية الجديدة القريبة من خط سكة الحديد ، خرجنا جميعا شبيبة
 وشباننا بغرض ايقاف القطار ، والقول لسائقه انه من الآن فصاعدا ستكون

هنا محطة جديدة واسمها بيت يوسف • علقنا لافتة تحمل اسم بيت يوسف • وقبل مجيء القطار بثوان، تنظمتنا ووقفنا على الخطين لكي نرغمه على التوقف في المكان المنوي تحويله الى محطة • وفي اعقاب صفارات كثيرة مشفوعة بالصراخ لم يكن هنالك خيار امام السائق الا التوقف • ومع خروجه من غرفته استمر في كيل الشتائم ولم يهدأ الا بعد ان احضرنا نبيذا واشياء طيبة ، وقلنا له ، انه يتوجب عليه من اليوم فصاعدا ايقاف القطار في هذا المكان ، سواء كان القطار قادما من حيفا الى سمخ او من سمخ الى حيفا • وردا على ادعائه بأنه لم يتلق امرا من قبل السلطات العليا ، قلنا له انه لا يوجد امر اسمي من الامر الواقع : بالامس لم تكن هنا مستوطنة ، ولذا لم تكن محطة ، اما من الآن فصاعدا فهنالك مستوطنة ، لذا ينبغي ان تكون هنالك محطة » •

العلاقة مع سلطات الانتداب :

يحاول عدد كبير من المؤرخين الصهيونيين الايحاء بان استيطان « سور وبرج » تم في معظم الاحيان رغم انف سلطات الانتداب البريطاني او على الرغم من « الرياح الشريرة التي تهب من لندن » كما يحلو لبعض هؤلاء القول • بيد ان هذا الايحاء والذي يراد منه تصوير اليسوف اليهودي بأنه بنى استقلاله بقواه الذاتية دون الاعتماد على الاستعمار البريطاني بل وبالنضال ضده ، تدحضه الوقائع ، والموجودة في المراجع الصهيونية بالذات • فعلى الرغم من ان اقامة منزل عربي في فلسطين يخضع الى الموافقة المسبقة من جانب الحكومة المنتدبة ، فان هذه السلطة المنتدبة ، اعفت « سور وبرج » من تلك الموافقة ، واطلقت يد الوكالة اليهودية في اقامة المستوطنات حيثما شاءت في الاراضي الفلسطينية وخاصة المأهولة منها بالسكان العرب ، ولم يكن اصطدامها معها في بعض الاحيان يعود الى جوهر فكرة اقامة المستوطنات داخل التجمعات العربية ، بل يعود بالاساس الى حسابات تتعلق بالاعباء العسكرية المفروضة على السلطة المنتدبة لحماية المستوطنة •

ومن ناحيتها ، حرصت الوكالة اليهودية على امرين : الاول ، عدم تقديم طلب لسلطات الانتداب - ليس بسبب مناصبتها العداء بل من خلال الداللة والتقاء المصالح - لاقامة مستوطنة باعتبار ان ذلك من صلب شؤونها الداخلية ! والثاني ، الاصرار على ان تتحمل حكومة الانتداب نصيبها من تكاليف الحراسة ، حيث كانت الحكومة ترسل الى كل نقطة استيطانية نقطة حراسة تتشكل من عناصر يهودية ، وتزودها بالسلاح والذخيرة وتدفع مرتبات افرادها •

وقد استمر هذا الوضع قرابة عامين ، وفي عام ١٩٣٨ طلبت حكومة الانتداب من الوكالة اليهودية استشارتها قبل اقامة اية مستوطنة منذرعة بأنها تمر في ازمة مالية ، وان قيام اية مستوطنة جديدة يثقل من عبئها المالي ، الا ان الوكالة

اليهودية رفضت الالتزام بذلك ، خشية ان تؤثر الموافقة على استمرار المشروع الاستيطاني ، وتتسرب المعلومات الى اسماع الموظفين العرب في الحكومة . ولكنها وجدت حلا وسطا حيث وافقت على ابلاغ السلطات عن اعتزامها اقامة أية نقطة استيطانية جديدة ، ولكن دون الاعتراف بحق السلطات بمنع او تأخير اقامة اية نقطة استيطانية . واستمرت الوكالة في اقامة مستوطنات سوروبرج مع تغاضي الحكومة عن ذلك . وحدث اول صدام عندما اعتزمت الوكالة اليهودية اقامة مستوطنة حنيثا في شمال فلسطين بالقرب من الحدود اللبنانية . ونصحت حكومة الانتداب الوكالة بعدم الاقدام على اشادة المستوطنة ، الا ان الاخيرة رفضت التوصية ، وانكرت حق الحكومة في التصدي للمشروع ، واستطاعت الحكومة تأجيل العمل هناك مرات عدة ، الا انها في نهاية الامر خضعت للوكالة اليهودية واستجابت لطلباتها ، وزودتها بالسلاح المطلوب ، مع توجيه تحذير بأنها غير مسؤولة عن النتائج المترتبة على تحقيق المشروع ، ومن الجدير بالذكر ان المجاهدين العرب هاجموا في الليلة الاولى لمجيء المستوطنين مستوطنة حنيثا حيث احاط بها قرابة مئتي مجاهد ، والحقوا خسائر في الممتلكات والارواح بين صفوف المستوطنين ، كما وقاموا بعد ذلك بمهاجمة رجال المستوطنة وقتلوا خمسة منهم . ويبدو ان تحفظ سلطات الانتداب من اقامة مستوطنة حنيثا ناجم قبل كل شيء عن حسابات تتعلق بالجبهة العسكرية ، يتوجب على سلطات الانتداب بذلها لتوفير الحماية للمستوطنة بعد قيامها وسط منطقة عربية جبلية يتحصن بها المجاهدون العرب .

كما حدث صدام آخر في غور بيسان ، عندما صحا قائد سلاح الحدود الكولونيل كريستل من نومه صبيحة ٢٥-١١-١٩٣٨ ليجد مستوطنتين قد برزتا على الارض هناك ، هما كفار روبين ونفيه ايتان بدون اذن من سلطات الانتداب ، فتوجه برفقة ثلاثة من الضباط العرب الى المستوطنتين ، وحالما وصل اليهما قابله الحراس اليهود المزودون بأسلحة بريطانية . واحتج الضابط البريطاني على اقامة المستوطنتين بدون اذنه ، وهدد باتخاذ الاجراءات اللازمة لازالتها ، بيد ان التقاء المصالح العليا بين التجمع الاستيطاني والاستعمار البريطاني اقوى بكثير من ارادة ذاك الكولونيل البريطاني الذي وجد شرفه قد خدش في غور بيسان ، فقد تدخلت الوكالة اليهودية ، وكفت السلطات عن عرقلة الاستيطان هناك .

ولعل السياج الامني المعروف باسم « سور تيجارت » خير شاهد على مدى التعاون بين السلطة المنتدبة وبين التجمع الاستيطاني ، وطبيعة العلاقة بينهما . فمع تعاظم نشاط مجموعات المجاهدين العرب في منطقة الجليل عبر الحدود مع كل من سوريا ولبنان ، فكر السير شارلز تيجارت في بناء سياج امني على امتداد الحدود مع لبنان في محاولة لوضع حد لاعمال المقاومة عبر هذه الحدود وتعهدت الوكالة اليهودية بتحقيق رغبة السير شارلز ، والتي تلتقي عندها مصالح

الطرفين ، وتعزز العلاقة بينهما . وقد انجز هذا المشروع عمال يهود ، جلبتهم الوكالة اليهودية تحت حراسة الجيش البريطاني . ومن الجدير بالذكر ان الوكالة اليهودية دست مجموعة من المستوطنين وسط العمال اليهود على أساس انهم سيساعدون اخوتهم في اقامة السياج الامني . وغاflت تلك المجموعة رجال الامن البريطاني ، واقامت مستوطنة هناك وفق اسلوب « سور وبرج » خلال بضع ساعات . وعندما ادرك الضباط الانجليز « الخدعة » احتجوا وهددوا بازالة المستوطنة، الا ان سرعة تحرك الوكالة اليهودية وكذلك المصالح المشتركة، بخرت الغضب الفردي ، وابتقت مستوطنة « سور وبرج » دعما لسور السير شارلز .

ومن هنا يمكننا القول ان المصالح المشتركة بين السلطة المنتدبة واليشوف اليهودي قد حددت طبيعة العلاقة بين الاستعمار البريطاني والوكالة اليهودية ، وتميزت هذه العلاقة اكثر من اي وقت مضى بأكبر قدر من التعاون والتنسيق بين الطرفين ، خاصة وانهما واجها في هذه الفترة - وهي فترة سور وبرج - عدوا مشتركا يتمثل في الحركة الوطنية الفلسطينية التي اختارت في تلك الفترة طريق الكفاح المسلح ضد العدوين معا . ولا يمكن الاخذ بمقولات المؤرخين الصهيونيين التي تحاول ابراز اليشوف اليهودي وكأنه فرض نقاط سور وبرج وسط المناطق المأهولة بالسكان العرب او البعيدة عن التجمعات اليهودية ، والتي كان لها فضل كبير في خريطة الدولة اليهودية فيما بعد ، رغما عن العرب ، ورغما عن « السياسة البريطانية » كما يزعم الكثيرون منهم . ان في ذلك نصف الحقيقة وتجن عليها . فاستيطان سور وبرج تم بالفعل رغما عن ارادة العرب ، الا ان وجوده اساسا وظهوره على الخريطة الفلسطينية لم يكن ليتم لولا وجود الاستعمار البريطاني الذي كان له باع طويل في حماية تلك المستوطنات ، حيث كان يمدّها بالرجال (اليهود) والعتاد والمال . وبالإضافة الى تعاطفه مع المشروع الصهيوني في فلسطين ، فانه اعتبرها بمثابة قلاع تدعم جيوشه التي وصل عددها في تلك الفترة قرابة مئة الف جندي ، والتي حشدّها بهدف القضاء على الثورة الفلسطينية .

ولعلنا لا نبالغ ابدا ، وربما نكون متواضعين في قول الحقيقة ، اذا قلنا ان طبيعة العلاقة بين منفذي سياسة سور وبرج والسلطة المنتدبة ، شبيهة الى حد كبير من جوانب عدة ، بطبيعة العلاقة القائمة بين المجموعات الاستيطانية المتطرفة المنضوية اليوم تحت لواء جوش ايمونيم وبين حكومة الليكود ، الا انها تتميز عنها بخلوها من التوترات الحقيقية كالتي حدثت بين جوش ايمونيم والتجمع العمالي ، والقائمة اليوم بشكل اخف بينه وبين الليكود .

سور وبرج والثوار الفلسطينيين :

تمتاز الثورة الفلسطينية ماضيا وحاضرا ، وربما مستقبلا ايضا ، عن معظم ،

ان لم نقل جميع الثورات الوطنية في العالم بتنافس العناصر التي تتشكل منها الجبهة العدوة ويتكالبها في الوقوف والتصدي للثورة بهدف القضاء عليها . وبسبب كون هذا التنافس والتكالب متساويا تقريبا عند اطراف الجبهة العدوة ، فان الفارق بين التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي بسيط جدا ومتأرجح ، وفي بعض الاحيان يتحول التناقض الثانوي الى تناقض رئيسي لفترة معينة ، وفي فترات متباعدة يذوب التناقض الثانوي في التناقض الرئيسي خاصة عندما يكون العامل الزمني يتلاءم ومصالح الاطراف في القضاء على الثورة . حدث ذلك في الماضي ولا زال يحدث في الحاضر .

ولا غرابة اذن ان نجد الثوار الفلسطينيين في اواخر الثلاثينات يجهدون انفسهم في موضوعة التناقض ، فقد دارت نقاشات واسعة بين صفوفهم حول مسألة : ايهما يشكل التناقض الرئيسي مع الثورة ، الاستعمار البريطاني أم التجمع الاستيطاني الصهيوني ؟ ومن الطبيعي ان يخرج الثوار ، بسبب الفارق البسيط المتذبذب والمتأرجح بين التناقض الرئيسي والتناقض الثانوي ، ولواقع هجمة الطرفين العدوين الخطرة على الحركة الوطنية الفلسطينية ، بتوجيه الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني ممثلا في القوات البريطانية ، والحركة الصهيونية ممثلة بالتجمع الاستيطاني اليهودي الذي يتوسع يوما بعد يوم على حساب الاراضي الفلسطينية على شكل عمليات عسكرية هجومية . فبالاضافة الى المعاني السياسية التي تحملها عملية « سور وبرج » فانها كانت تعتبر ايضا بمثابة عملية عسكرية هجومية . ولا يغير في الحقيقة في شيء نظرة المؤرخين الصهاينة ووصفهم لها بأنها عملية عسكرية دفاعية ، باعتبار ان اقامة المستوطنات وسط المناطق المأهولة بالسكان العرب وفي الاماكن النائية والاستراتيجية حماية للشيوخ اليهودي . ولسنا هنا بصدد مناقشة هذا الزعم ، فقد اتسمت جميع اعمال سور وبرج بخصائص وصفات اية عملية هجومية ، حيث يصحو السكان العرب او حتى الجنود الانجليز ، ليشاهدوا مستوطنة قد برزت على شكل سور وبرج ، تتوفر لها جميع وسائل الدفاع والهجوم ، وممن بين الاهداف التي توختها تلك « العمليات العسكرية » عزل قواعد المجاهدين العرب الواقعة في منطقة نابلس عن القواعد في منطقة الجليل بواسطة عازل من نقاط الاسوار والابراج في مرج ابن عامر ، وكذلك عرقلة تحرك المجاهدين في منطقة بيسان عبر نهر الاردن .

لسنا هنا بصدد دراسة نشاط الثوار الفلسطينيين ضد مشروع « سور وبرج » لان دراسة هذا النشاط تندرج تحت موضوع اخر : ثورة ١٩٣٦ ، وانما نحن بصدد التطرق اليه بغرض استكمال دراسة موضوعنا ، ولذا فاننا بذكر بعض العمليات - على سبيل المثال لا الحصر ، التي قام بها الثوار الفلسطينيون في غور بيسان والجليل الاعلى ، ومن بينها عملية تيرات تسفي . ففي ٢٨-٢-١٩٣٨ هاجمت مجموعة من المجاهدين بقيادة الشيخ عطية مستوطنة تيرات تسفي في

غور الاردن الشمالي ، وتمكن المجاهدون خلال ساعة ونصف من القتال الليلي من احداث ثغرة في السور وتدمير الكشاف المثل من فوق البرج ووصفت المصادر الاسرائيلية بداية العملية بقولها « لقد تمكن العرب من الوصول الى حفرة قريبة من الموقع دون ان يشعر بهم احد ، وحينذاك شاهد الحراس حركة مشبوهة بالمقرب من الموقع . وسألوا من هناك ؟ وطمانهم احد افراد العصابة بكلمات عبرية ٠٠!! وقد استنجدت المستوطنة نتيجة ضغط الهجوم بالمستوطنات القريبة وبمحطة الشرطة !!

ومن الجدير بالذكر ان الجنرال ويل قائد الجيش البريطاني في فلسطين هنا موشيه شرتوك (شاريت فيما بعد) بنجاح الدفاع عن تيرات تسفي . كما ان المندوب السامي « وكوب » بعث ببرقية تهنئة بهذه المناسبة الى الوكالة اليهودية . وعند فجر ١٠-١٠-١٩٣٨ قاد المجاهد عبد الرحال مجموعة تتشكل من ٢٥ عنصرا ، وهاجم مستوطنة معوز في منطقة بيسان . وجرت معركة عنيفة اوشكت خلالها مستوطنة سور وبرج على السقوط ، مما دفع حراسها لطلب نجدة قوات الحدود البريطانية ، وبالفعل قدمت قوات من سلاح الحدود مدعومة بطائرة . وسقط في هذه المعركة شهيدا قائد المجموعة عبد الرحال ، كما واصيب الضابط البريطاني قائد مجموعة سلاح الحدود بجراح . وتعترف المصادر الاسرائيلية بـ « تراجع » قوات سلاح الحدود بعد اصابة القائد ، نتيجة ضغط هجوم المجاهدين .

وقد جرت عمليات اخرى في تلك المنطقة سقط في احداها حاييم شطورمان احد قادة اليشوف اليهودي في المنطقة الشمالية من فلسطين .

وفيما يتعلق بمنطقة الجليل ، فقد كان الثوار هناك على اهبة الاستعداد لمباغثة « سور وبرج » قبل ان يفاجأوا . وكان هذا هو السبب الاساسي من وراء نصيحة سلطات الانتداب للوكالة اليهودية بعدم اقامة نقطة استيطانية في الجليل الاعلى لان من شأن ذلك اضافة عبء عسكري على سلطات الانتداب نفسها . فقبل بروز مستوطنة حنيبتا على شكل سور وبرج في الجليل الاعلى ، قام الثوار بمباغثة المستوطنين بهجوم قوي ومنظم ، ووصفته المراجع الاسرائيلية بالقول ان « الهجوم اتسم بالجرأة وقدرة استراتيجية عظيمة » فقد قدم يوم انشاء المستوطنة حوالي ٤٠٠ مستوطن ، ومن بينهم ١١٠ من الحراس وافراد « سرايا الميدان » الذين جرى تجميعهم من جميع ارجاء اليشوف اليهودي في فلسطين . وقاد هؤلاء يتسحاق ساديه ، يساعده ضابطان شابان هما موشيه ديان ويجال آلون ، تدعهم طائرة استكشاف ، وعند حلول الظلام ، وخلال فترة تبادل الحراسة في المواقع التي اقيمت حال وصول المستوطنين ، فوجيء المستوطنون بهجوم يقوم به المجاهدون بواسطة ثلاث مجموعات ، تمكنت احداها من احتلال موقع . ودارت معركة عنيفة بين الطرفين اسفرت عن اصابة عدد كبير من المستوطنين وقتل

قائدين هما يعقوب بارغر ويهودا برنر .

وبعد ذلك تعرضت حنيئا ومستوطنات اخرى لعدد من الهجمات كانت تصد بمؤازرة القوات البريطانية وخاصة تلك التي كان يقودها الضابط البريطاني وينجت .

كما ان سور تجارت الذي تعهدت ببنائه الوكالة اليهودية لحساب القوات البريطانية تعرض لهجمات عدة من قبل الثوار الذين كانوا ينشطون على طرفي الحدود الفلسطينية اللبنانية ، وتمكنوا في ليلة واحدة من تدمير السور على امتداد ١٤ كم .



في العام ١٩٦٧ وجدت اسرائيل نفسها تسيطر على مناطق عربية جديدة ، تعتبر وفق جميع الخرائط الصهيونية لمفهوم « ارض اسرائيل » ملكا وارثا لها . وخلال الاشهر الاولى من الاحتلال كانت اسرائيل تعيش تحت وطأة صدمة الانتصار الذي فاق كل تقديراتها ، وتحت وطأة الرغبة في اشهار السلاح الاساسي الذي يعتمده مجتمع المهاجرين والمستوطنين . وبين صدمة النصر ، والرغبة في اشهار السلاح ، تأخرت عملية خلق وقائع جديدة في المناطق العربية لمدة شهور عدة ، حتى انه بدا للكثيرين ان اسرائيل على استعداد للانسحاب من جميع الاراضي المحتلة حديثا مقابل سلام حقيقي يمنحها الاعتراف الرسمي العربي .

الا ان هذا التصور لم يدم طويلا ، حين اخذت شهوة التوسع وتكريس الاحتلال تتعاطم وتفوق شهوة الاعتراف مقابل الانسحاب الكامل . وعند هذه النقطة التي بدأت تتضح معالمها في اواخر ١٩٦٧ ، وتتضح اكثر فيما بعد ، اخذت اسرائيل بتطبيق السلاح الاساسي لاي مجتمع مهاجرين ومستوطنين ، وبدأت بخلق وقائع جديدة وطمس معالم قديمة من خلال الاستيطان ، وتمكنت خلال فترة العشر سنوات الماضية ، اي خلال عهد حزب العمل ، من اقامة قرابة ٧٠ مستوطنة في الاراضي المصرية والسورية والفلسطينية ، تحتضن ما يقارب سبعة الاف مستوطن .

وما يهمنا هنا ، مقارنة استيطان العشر سنوات في المناطق المحتلة حديثا ، باستيطان الاعوام الثلاثة في الجزء الثاني من الثلاثينات في فلسطين ، واستشفاف مسيرة الاستيطان المستقبلية التي يقودها الليكود . . . لقد اتصف النشاط الاستيطاني خلال فترة حكم « التجمع العمالي » بسمات بارزة من أهمها :

١ - تعدد وكثرة المشاريع الاستيطانية : من المعروف ان هنالك لجنة وزارية لشؤون الاستيطان ، مسؤولة عن تخطيط الاستيطان في المناطق العربية المحتلة ، الا ان هذه اللجنة لا تعمل وفق تخطيط شامل وواضح ، يتم تنفيذه في فترة

محددة ، بل تخضع التخطيط لاعتبارات سياسية واقتصادية في بعض الاحيان . وبسبب عدم وجود تصور عام وواضح لدى اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان - بحكم التباين في وجهات النظر عند اعضائها - وقيامها بين الفينة والاخرى باقامة مستوطنة هنا وهناك ، فقد اخذت المشاريع الاستيطانية المطروحة في اسرائيل تبرز خلال هذه الفترة بشكل يفوق ربما بروز المستوطنات على الارض ، ومن بينها مشروع ألون الذي خطر في ذهن صاحبه عقب حرب حزيران ١٩٦٧ وهو يطير في طائرة هليكوبتر فوق الاراضي المحتلة حديثا ، ثم بلوره فيما بعد ، ويدعو الى اقامة شبكة من المستوطنات على مرتفعات الجولان ، وفي غور الضفة الغربية متحاشيا مرتفعاتها المشرفة على الاغوار ، وفي جبال الخليل ، وشمال سيناء وقطاع غزة ، وكذلك مشروع ديان الداعي الى تركيز الاستيطان في المرتفعات الجبلية من الضفة الغربية ، وليس في الغور المحاذي لها ، ومشروع بيرس المعروف بمشروع الاقاليم الذي يقسم « ارض اسرائيل » الى عدد من الاقاليم ، ومشروع رعنان فايتس الشبيه بمشروع بيرس ، ومشروع البروفيسور فوخمان ، المعروف بمشروع « العمود الفقري المزدوج » الذي يتفوق على المشاريع آنفة الذكر ، ويدعو الى تركيز الجهد الاستيطاني على امتداد السهل الساحلي الفلسطيني من جهة ، وعلى خط يبدأ من جبل الشيخ في الشمال مرورا بالاغوار وادي عربة حتى شرم الشيخ في الجنوب ، من جهة اخرى . ويتصور فوخمان في حال تطبيق مشروعه وجود ملايين من اليهود يملأون ارجاء « الدولة اليهودية » التي تمتلك عمودين فقريين ، وتشكل القدس حلقة الوصل بينهما . بالاضافة الى ذلك هنالك تصورات كثيرة حول الاستيطان سواء عند المسؤولين او الكتاب ، زد على ذلك ان لكل حزب برنامجا وتصوره لاستيطان المناطق المحتلة . وهذا الامر لم يكن قائما في فترة سور وبرج . لقد كانت تلك المرحلة تتسم بالتطبيق لمشروع واحد ، محدد .

٢ - التباين في التطبيق : بسبب عدم وجود خطة واضحة ومعتمدة من قبل اللجنة الوزارية لشؤون الاستيطان ، فان اقامة المستوطنات لم تجر جميعها وفق طريقة واحدة مدروسة . فقد درجت اللجنة على اعداد الارض للمستوطنة الجديدة واعداد النواة لها والبدء بعد ذلك باشادة المستوطنة ، الا انها في كثير من الاحيان تجد نفسها مرغمة على الاعتراف بمستوطنة اقامها غلاة المستوطنين حسب طريقتهم ، مثلما حدث في كريات اربع بالقرب من الخليل والخان الاحمر بالقرب من القدس وألون موريه في منطقة نابلس . وبعض المستوطنات في الهضبة . وفي بعض الاحيان النادرة لجأت السلطات المسؤولة عن الاستيطان الى اسلوب سور وبرج ، كما حدث في قرية عقوبة في الجنوب الشرقي لمدينة نابلس حين استيقظ الفلاحون العرب ليجدوا حقولهم قد اتلفت بواسطة طائرة انقضت عليها واحرقت الاخضر واليابس بواسطة السموم التي رشتها على المنطقة ، وليروا مستوطنة قد برزت على الارض محاطة بالسياج ! تحمل اسم

جتيت • وكما حدث أيضا في جوش عتسيون حين اقيمت مستوطنة جديدة هناك بين ليلة وضحاها على اراضي الفلاحين العرب •

ان طريقة واسلوب اقامة الوقائع الجديدة في المناطق المحتلة تختلف اختلافا كبيرا عن طريق سور وبرج الا فيما ندر • وذلك لاختلاف الظروف ، وربما الهدف ايضا •

الاختلاف في الهدف : من الملاحظ ان الحماس الذي ابداه الجمهور الاسرائيلي تجاه الاستيطان خلال الاعوام العشرة الماضية ، وتفاعله معه ، أقل بشكل عام ، عن حماس اليسوف اليهودي تجاه سور وبرج وتفاعله معه ، ويعود ذلك الى اسباب اهمها الاختلاف في هدف كل منهما ، ذلك ان سور وبرج كان يهدف الى تحقيق الدولة على اكبر قدر من الاراضي الفلسطينية بينما يهدف استيطان الاعوام العشرة الى توسيع الدولة لتبسط ظلها على اكبر قدر من الاراضي العربية وهناك فرق بين تحدي « تحقيق الدولة » وبين تحدي « توسيع الدولة » •



ربما تتبادر الى الازهان تساؤلات عدة : هل اشهرت سلطات الاحتلال سلاح الاستيطان عقب حرب حزيران واقامت ما أقامت من وقائع جديدة ، لدفع الطرف العربي للجلوس على مائدة المفاوضات تخوفا من تغيير معالم الارض وتغيير طابعها العربي ، وتحصل من وراء ذلك على الاعتراف العربي الرسمي بما كان قد حققه سور وبرج ؟ وهل سيحصل الطرف العربي مقابل موافقته على اي نوع من السلام تريده اسرائيل ، على حسر ظل الاستيطان من جميع المناطق المحتلة ؟ واذا كان الامر لا يحتمل كلمة « جميع » فهل تنحسر ظلاله لتغطي مناطق « التعديلات الطفيفة » على الحدود ؟ وما هي حدود « التعديلات الطفيفة » ؟ وهل من شروط الحدود الامنة ، وجود استيطان اسرائيلي على امتدادها ؟

الحقيقة ان هذه التساؤلات كانت تطرح بشكل او بآخر ، قبل السابع عشر من أيار الماضي ، مع تكاثر الحديث حول التسوية ، على الرغم من ان محاولة الاجابة عليها كانت تنبئ في الضباب السميك المحيط بالموقف الاسرائيلي • ذلك ان موقف « التجمع العمالي » الحاكم تجاه الاستيطان لم يكن محددًا واضحا • حيث كانت تتصارع داخله جملة من المواقف لتيارات مختلفة تؤيد جميعها الاستيطان ، بيد انها تختلف حول : الحجم والمكان والزمان • ومن الجدير بالذكر ان دعاة « الحجم الصغير » يقفون الى جانب « الحجم الكبير » بعد تحقيقه على الارض ، كما ان معارضي « المكان » يأخذون بتقديسه بعد ان تشاد فوقه مستوطنة ، واما معارضو « الزمان » فان الزمن كفيل بازالة اثار معارضتهم!

ولا غرابة في ذلك ، فهؤلاء جميعا أبناء مدرسة « سور وبرج » المعتمدة على تقديس سياسة الامر الواقع .

ويمكن القول ان الموقف الاسرائيلي خلال العشر سنوات من النشاط الاستيطاني يمكن العثور عليه عند نقطة ما بين مواقف التيارات المختلفة التي يتشكل منها التجمع العمالي وبين مواقف الاحزاب المشاركة في الائتلاف الحكومي ، اي ان محصلة مجموعة هذه القوى المتباينة المواقف ، مع الاخذ بعين الاعتبار الرأي العام في اسرائيل ومعادلة القوى في الصراع والاعتبارات الدولية . زد على ذلك ان هذا الموقف - اذا تم العثور عليه بوضوح - ليس جامدا ، بل متحرك لجهة التشدد في استيطان المناطق العربية المحتلة ، بحكم عامل التقدم على الاستيطان . فموقف اسرائيل تجاه الاستيطان في عام ١٩٧٠ مثلا هو غيره في عام ١٩٧٢ او عام ١٩٧٥ . ومن هنا فان اية اجابة ، حتى ولو كانت شبه دقيقة ، فانها تخضع دائما للمتغيرات التي تطرأ على الموقف الاسرائيلي .

أما بعد السابع عشر من أيار الماضي ، فان اية اسئلة من هذا النوع تبدو باهتة امام صورة الواقع الجديد ، المؤطرة بعامل التقدم وفلسفة بيجن ، والتي اذا امعنا النظر فيها جيدا ، وبنظر سليم ، فاننا سنشاهد فيها بيجن يعتلي « سورا وبرجا » في الاراضي المحتلة حديثا ! يتطلع ويبتسم . . . لانه يرى على البعد في الافاق الرحبة من حوله اسوارا اخرى مختلفة ، ذات مهام مغايرة ، يقف على رأسها . . . ويئن من خلفها . . .

بيد ان هذه الصورة يمكن ان تهتز وتسقط الى الابد ، اذا استحال الانين الى صرخة .

مراجع « سور وبرج » (بالعبرية)

- ١ - كتاب تاريخ الهجناه « ب » القسم الثاني . المحرر الرئيسي : البروفسور بن تسيون دينور - المكتبة الصهيونية - معرخت ١٩٦٤ .
- ٢ - تاريخ الاستيطان الصهيوني - الكس باين - مساده ١٩٧٠ .
- ٣ - الحركة العمالية في ارض اسرائيل - موشيه بارسلفسكي - الكيبوتس الموحد .
- ٤ - من الشتات الى الدولة - يوسف اوليتسكي - احي اساف .
- ٥ - تاريخ حركة العمال في ارض اسرائيل - تسفي بن شوشان - عام عوبيد ١٩٦٣ .

جدول بالعمليات العسكرية لقوات
الثورة الفلسطينية ١١/١ - ١٤/١٢/٧٧

خسائر قتيل	السلاح المستعمل	نوع العملية	موقعها	تاريخ العملية		
				الرقم	اليوم	الساعة
—	عبوات ناسفة موقوتة	تفجير	القدس - احد باصات شركة ايجد	١٣	٧٧-١١-٣١	١٤٥
—	عبوات موقوتة	تفجير	القدس - كريات موشي محطة الباصات المركزية لشركة ايجد	٧	٧٧-١١-٤	٧٠٠
غير محدد	عبوات ناسفة موقوتة شديدة الانفجار	تفجير	مار الياس - طريق القدس - الخليل - محطة الباصات	٣	٧٧-١١-٤	١٠١٥
غير محدد	عبوات ناسفة موقوتة	تفجير	بتاح تكفا - تل ابيب قسم الحجز في محطة الباصات المركزية	٤	٧٧-١١-٧	٧٣٥
—	عبوات ناسفة موقوتة	تفجير	مطار اللد - الساحة الرئيسية	٥	٧٧-١١-١٠	٨١٥
غير محدد	عبوات موقوتة شديدة الانفجار	تفجير	كريات جت - تل ابيب المحطة الرئيسية لشركة ايجد	٦*	٧٧-١١-١١	١٣٠٠
—	قتابل يدوية واسلحة فردية	مجموع	نابلس - ميدان الساعة	٧	٧٧-١١-١١	٢١٠٠
٢	عبوات ناسفة شديدة الانفجار	تفجير	القدس - بنك هابوعليم	٨*	٧٧-١١-١٣	١٠٠٠
٣	عبوات ناسفة موقوتة	تفجير	القدس - باب الخليل - طريق القدس - الخليل	٩	٧٧-١١-٢١	١١٠٠
غير محدد	عبوات ناسفة موقوتة	تفجير	عسقلان - محطة الباصات	١٠	٧٧-١١-٢٥	١٥٠٠
غير محدد	عبوات ناسفة حارقة موقوتة	تفجير	بتاح تكفا - تل ابيب ورشة تابعة لمشروع الخشب المصفح	١١	٧٧-١١-٢٨	٥٠٠
	عبوات ناسفة	تفجير	ينفي يعقوب - القدس المجمع الاستهلاكي التابع للجيش	١٢	٧٧-١١-٢٧	١١١٥
غير محدد	الغام مزروعة	تفجير	الطريق الترابية الممتدة بين قريتي بيت اولادودورا - قضاء الخليل	١٣	٧٧-١١-٢٨	٨٥
غير محدد	عبوات ناسفة	تفجير	بواية يافا - شرق القدس	١٤	٧٧-١٢-٣	١٣٠٠
غير محدد	عبوات ناسفة موقوتة	تفجير	بواية يافا - القدس	١٥	٧٧-١٢-٤	—

بدأت بالتحقيق . رصد اذاعة اسرائيل
السبت ١٢-١١-١٩٧٧ ، العدد رقم
١٣٤١ ، ص ١٤٣)
★ اعترف العدو في نشرته

★ اعترف العدو في نشرته
الاخبارية الساعة ١٤ر٠٠ بوقوع انفجار
في محطة ايجد في كريات جات وعلن عن
اصابة ولد بجراح خفيفة وان الشرطة

سوء البشرية جريح	خسائر العدو المادية	شاهد	خسائر المقاومة جريح	مفقود	المصدر / البلاغ العسكري رقم تاريخ
—	—	—	—	—	١٩٧٧-١١-١
٦	—	—	—	—	٧٧-١٣٢
غير محدد	—	—	—	—	٧٧-١٣٣
—	—	—	—	—	٧٧-١٣٤
غير محدد	—	—	—	—	٧٧-١٣٥
—	—	—	—	—	٧٧-١٣٦
غير محدد	—	—	—	—	٧٧-١٣٧
٣	—	—	—	—	٧٧-١٣٨
٥	—	—	—	—	٧٧-١٣٩
غير محدد	—	—	—	—	٧٧-١٤٠
غير محدد	—	—	—	—	٧٧-١٤١
غير محدد	—	—	—	—	٧٧-١٤٢
—	—	—	—	—	٧٧-١٤٣
غير محدد	—	—	—	—	٧٧-١٤٤
غير محدد	—	—	—	—	٧-١٤٥
غير محدد	—	—	—	—	٧٧-١٤٦

مروان حميد

جراح احدهم بالغة . (رصد اذاعة
اسرائيل ، الاثنى عشر ١٩٧٧-١١-١٤ ، العدد
١٣٤٢ ، ص ١٥٤) .

الاخبارية الساعة ٧:٠٠ بوقوع انفجار في
حارة النصارى في القدس القديمة ، قرب
مدرسة اسبانيول ، وقد اسفر الانفجار عن
مقتل شخص واحد واصابة ثلاثة بجروح

تلك الزيارة

تلك الزيارة ، وهذا الصراع : هيئة التحرير

المواقف

١ - المقاومة الفلسطينية ، عبد الحفيظ محارب ، ٢ - المناطق المحتلة .	فلسطينيا
• غازي الخليلي :	عربيا
• صبري جريس :	اسرائيليا
• سمير كرم :	دوليا
• حسين ابو النمل :	شعبيا
• جوزيف سماحة :	الييمين اللبناني

الاصداء

• ناشي طه :	الصحافة البريطانية والاميركية
• جاكلين فرهود :	الصحافة الفرنسية
• فيصل دراج :	الصحافة المصرية

الوثائق

- : خطاب السادات في مجلس الشعب • بيان بيغن للمصريين • دعوة بيغن للسادات • قبول السادات للدعوة • خطاب السادات امام الكنيسة • خطاب بيغن امام الكنيسة • البيان الاسرائيلي عن الزيارة • بيان اللجنة التنفيذية لم • ت • ف • البيان السوري - الفلسطيني المشترك • وثيقة الوحدة الوطنية الفلسطينية • بيان قمة طرابلس • بيان المؤتمر الشعبي •

تلك الزيارة ، وهذا الصراع

ليست زيارة السادات الى الكيان الصهيوني هي المفترق . هي عنوانه الصارخ ، العاري ، والنهائي . والمفترق هو مجموعة من التفاصيل والاجراءات والممارسات التي تشكلت داخل مسار عام هو التسوية الاميركية الامبريالية ، قفز بها السادات « بقوة الدفع » من التردد الى الفضيحة . هل كان من المحتم ان يقود هذا المسار رئيس اكبر دولة عربية الى الكنيست ؟ ان المزايا الشخصية لمثل هذا الرئيس اعطت للمكرامة الوطنية ادنى الاعتبارات . ان هذا المسار يرمي السائر فيه الى الهزيمة والاستسلام ، ولكن ليس حتميا ان يكون الكنيست هو المقر .

انهيارات ونهوض ، هذا هو العالم الثالث في علاقاته بانهيار الامبريالية . وحين يدق الانهيار ، تفرق الرجعية في التفاصيل وتحاول ان توحى بأن تفاصيل انهيارها هي تفاصيل الواقع :

« تلك الزيارة » ليست نهاية الصراع بين الامة العربية وبين الصهيونية والامبريالية ، انها تجدد الصراع بطريقة معقدة حين نرى للطرف المعادي امتدادا في الداخل العربي ، فتعلن فلسطين - بمعانيها الكثيرة - بعدها الاجتماعي .

وهذا الملف يجمع التفاصيل او اكثرها اهمية من أجل ان يقول ان الصراع ليس على التفاصيل ، لكن التفاصيل تشير الى ايقاع السقوط - سقوط الذين انتهى

دورهم التاريخي .

تلك الزيارة - لهم .

وهذا الصراع لنا ،

وهو صراع على الافق الذي يسده الوحش الاميركي بالحديد والمواد الاستهلاكية . الهزيمة لحظة . لكن السياق التاريخي يصنعه البديل التاريخي .

هيئة التحرير

فلسطينياً

١- المقاومة الفلسطينية

قبل ان يعلن السادات عن استعداده لزيارة الارض المحتلة ، كانت الاوساط الفلسطينية لا تشعر بالارتياح الى الموقف المصري . وكانت هذه الاوساط تخشى ان يذهب السادات بعيدا في محاولته الالتفاف على مسألة التمثيل الفلسطيني لضمان عقد مؤتمر جنيف في اقرب وقت . ولقد ازدادت هذه الخشية مع ما راج من أخبار ومعلومات عن موافقة السادات على ورقة العمل الاميركية - الاسرائيلية . ولعل هذا ما يفسر لنا زيارة الاخ ابو عمار الى القاهرة قبل عقد مؤتمر وزراء الخارجية العرب ، اذ ان الدبلوماسية كانت تحاول ان تستشف ابعاد الموقف المصري لترى اين تقف ، ولتحدد الاطار العام لحركتها وسط ما كان يجري من احداث .

ولم تكن هذه الاوساط لتتصور ان السادات قد يذهب بعيدا الى هذا الحد للخروج من الطريق شبه المسدود الذي يواجهه مؤتمر جنيف . ولذا فقد فوجئت كثيرها من الاوساط العربية باعلان السادات . الا ان المفاجأة ، على الرغم من ثقلها ، لم تدفع منظمة التحرير الفلسطينية الى رمي القفاز في وجه السادات فوراً . فانظرت بعض الوقت لدراسة ابعاد هذا الاعلان ومدى الجدية فيه .

لقد كانت جملة من الامور تدفع المنظمة الى التريث في اعلان موقف رسمي . منها ، ان الاخ ابو عمار كان لا يزال في القاهرة . وانه لم يبق على عقد مؤتمر وزراء الخارجية العرب الا يومين . اضافة الى ان السادات اعلن انه سيزور سوريا قريبا ويلتقي الرئيس الاسد . ان التريث الرسمي لم يمنع الامور من ان تتفاعل على الصعيد الشعبي فقد تفاعل الاعلان عن الزيارة بسرعة في الاوساط الشعبية الفلسطينية ، وفي اوساط بعض المنظمات الفلسطينية . وقد تبلور هذا التفاعل بمواقف شعبية اذانت الزيارة واعتبرتها خيانة قومية ، وبيانات وتصريحات صدرت عن اكثر من منظمة فلسطينية ، صيغت بلهجة متشددة ، اذانت الزيارة واستنكرتها ودعت الى مواجهة الموقف الجديد بصلافة وحزم .

لقد واجهت القيادة الفلسطينية اسبوعا من القلق قبل ان يصدر موقف رسمي من م.ت.ف . بادانة الزيارة واستنكارها . وفي هذا الاسبوع لم تكن الزيارة وابعادها ، هي التي شغلت القيادة الفلسطينية ، بل كانت مسألة الاحداث في جنوب لبنان ، والتي شكلت هما آخر وكبيرا للقيادة الفلسطينية . لقد جاء الاعلان عن الزيارة في وقت كان فيه جنوب لبنان يتعرض لاعتداء اسرائيلي وحشي ، وفي وقت بدا فيه ان ضغوطا عربية تمارس على الثورة الفلسطينية للانسحاب من الجنوب .

لقد اجتازت القيادة الفلسطينية هذا الاسبوع من القلق ، وخرجت منه بموقفين واضحين من الزيارة ، ومن مسألة الانسحاب من الجنوب .

فبالنسبة لمسألة الانسحاب من الجنوب ، حددت القيادة الفلسطينية موقفها كما اعلنه

مصدر مسؤول في م.ت.ف. في ١١/١١ ، فقد أكد هذا المصدر « التزام القيادة الفلسطينية الكامل والفوري بتطبيق اتفاق القاهرة حسب ما نصت عليه البنود الاجرائية في لقاء شتورا » .

وبالنسبة للزيارة ، فقد حدد التحرك الشعبي أبعاد الموقف الفلسطيني وهو الموقف الذي انعكس في بيانات رسمية صدرت عن العديد من المنظمات الفلسطينية خلال هذا الاسبوع ، ومنها البيان الذي صدر مساء ١١/١٧ عن اللجنة المركزية لحركة « فتح » وجاء في البيان « ان فتح ومن خلال موقفها النضالي ترفض هذه الزيارة التي تعتبر انعطافا خطيرا تضع الشعب الفلسطيني وثورته في موقف خطير امام العدو الصهيوني » وتوجه البيان الى السادات للعدول عن الزيارة . كما أكد التزام فتح الثابت « بمنطلقات مجالسنا الوطنية ومقرراتها وبرامجها » ودعا الى التحرك الموسع في الساحة العربية والدولية على الاسس التالية : « أ - التمسك بقرارات قمتي الجزائر والرباط وتأكيد ان م.ت.ف. هي الممثل الشرعي والوحيد . ب - رفض أي حل لا يستند على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره واقامة دولته الفلسطينية المستقلة . ج - تأكيد الحرص على التضامن العربي » .

وفي ١١/١٨ ، قال الاخ ابو عمار انه فوجيء بقرار السادات واضاف « ان ما ورد على لسان الرئيس السادات في خطابه امام مجلس الشعب المصري لم يكن مكتوبا في نص الخطاب ، بل انه خرج على النص الاصلي عندما اعلن عزمه على زيارة الكنيسة » ، واكد « ان هذا العمل الخطير الذي يقوم به السادات انما يقوم به منفردا » واضاف « وهذا الانفراد في اتخاذ هذا القرار الخطير يشكل منعطفا حادا وخطيرا في مجرى النضال العربي برمته » .

لقد حددت منظمات المقاومة الفلسطينية الاخرى مواقفها في بيانات رسمية صدرت قبل ان يبدأ السادات زيارته للارض المحتلة .

ففي ١١/١٦ ، أصدرت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين بيانا استنكرت فيه الزيارة ، واعتبرتها تسليما من السادات بالشروط الاسرائيلية - الاميركية ، ودعت الجبهة في بيانها الى « استمرار النضال ضد محاولات طمس الشخصية الوطنية المستقلة للشعب الفلسطيني والالتفاف على منظمة التحرير ممثلا شرعيا وحيدا له . ودعوة كافة فصائل المقاومة الى ادانة خطوات السادات الخيانية والتصدي لها » .

وكانت الجبهة الديمقراطية قد اصدرت بيانا في ١١/١٠ ، اعتبرت فيه اعلان السادات ارتدادا كاملا عن قرارات مؤتمر الجزائر والرباط ، و « تحللا كاملا من قبل نظام السادات من التزاماته تجاه حقوق شعبنا الفلسطيني وحقوق شعوبنا العربية والقومية » .

كذلك فقد أدانت طلائع حرب التحرير الشعبية - الصاعقة ، المواقف الساداتية ، وجاء في بيان أصدرته الصاعقة في ١١-١٦ ، ان هذه المواقف « لا تمثل فقط اعترافا بشرعية الكيان الصهيوني واغتصابه للاراضي العربية الفلسطينية ، بل انها تبدي استعدادا لاقامة علاقات حميمة مع ذلك الكيان على حساب مصالح وحقوق الامة العربية » .

وخلال الفترة نفسها ، اي ما بين ١١-١٠ ، ١١-١٧ ، اصدرت منظمات الرفض الفلسطينية بيانات استنكرت الزيارة وشجبته ، كما أدانت مجمل نهج التسوية ، ودعت الى اعادة النظر في مجمل هذا النهج . وقد تأكد هذا الموقف في البيان الذي صدر عن المجلس

المركزي لجبهة القوى الفلسطينية الراضة للحلول الاستسلامية ، حيث أدان البيان الزيارة واعتبرها « خيانة صارخة لكل القيم النضالية القومية التحررية في الوطن العربي » .
 و اضاف « ان الخطوة المصرية الجديدة لا يمكن ان تأخذ رغم خطورتها بمعزل عن الوضع العربي الرسمي وعن احتمال قيام أنظمة رجعية واستسلامية اخرى بالاقدام عليها مع بعض الفوارق المعروفة في الشكل وليس في المضمون او الجوهر » واكد البيان ان هذا الوضع الجديد « يجب ان يواجه بمسؤولية قومية وتاريخية عالية تضع كافة القوى والاحزاب والانظمة الوطنية والتقدمية أمام المحك الصعب والخيار الاصعب » .

لقد شكلت محصلة هذه المواقف الموقف الرسمي لمنظمة التحرير الفلسطينية . ففي ١٨-١١ وبعد اجتماع عقده اللجنة التنفيذية لـ م . ت . ف . وممثلو فصائل الثورة الفلسطينية ، صدر بيان شجب زيارة السادات ووصفها بأنها تنكر لدماء الشهداء ودعا جماهير الاراضي المحتلة للاضراب والتحرك على أوسع نطاق لادانة الزيارة وافشالها ، وجاء في البيان « ان القيادة الفلسطينية اذ تعلن رفضها لخطوة الرئيس السادات تؤكد على تمسكها بقرارات المجلس الوطني الفلسطيني في دوراته المتعاقبة وبرامجه السياسية ، وتدعو جماهير الامة العربية الى شجب وادانة هذا الموقف الخطير الذي يمس وجود امتنا ومستقبلها وشرفها . كما تدعو سائر الاقطار العربية الى تحديد موقفها واسماع صوتها تجاه هذا الوضع » .

وفي ٣٠-١١ ، اجتمع المجلس المركزي لـ م . ت . ف . في دمشق ، وصدر في اثر الاجتماع بيان اشار الى ان الزيارة « تشكل بحد ذاتها وبالنتائج التي أخذت تتوالى بعدها انتهاكا خطيرا لمبادئ النضال العربي ضد العدوان الصهيوني الامبريالي الذي بدأ في فلسطين منذ مطلع هذا القرن » . واكد البيان « ان هذه السياسة الاستسلامية التي قادت الى الزيارة واتبعت بدعوة العدو الصهيوني الى اجتماع يعقد في القاهرة تشكل خطرا جديدا على الثورة الفلسطينية وخيانة عظمى للقضية الفلسطينية والعربية » وطلب البيان الدول العربية بتحديد موقف واضح من الزيارة ونتائجها وشجب « مواقف القلة من المسؤولين العرب التي حركتها الامبريالية الاميركية لتأييد السادات في سياسته الاستسلامية » .
 وطلب « الامة العربية على المستويين الرسمي والشعبي بأن يكون حجم التصدي للمؤامرة مساويا لخطورتها » واكد « ان تمتين العلاقة الاستراتيجية بين م . ت . ف . والقطر العربي السوري وتلاحم كافة القوى والانظمة الوطنية العربية معهما لهو الحلقة المركزية في صمود الامة العربية في وجه المؤامرة الجديدة ، والتصدي لها واحباط نتائجها » .

بهذا الموقف انطلقت القيادة الفلسطينية في التصدي لخطوة السادات ولمجمل ما ترتب عليها من نتائج ، على جميع الاصعدة ، الشعبية ، والرسمية العربية والدولية .

شعبيا : جرى التنديد بالزيارة على أوسع نطاق شعبي . ودعت جميع منظمات الثورة الفلسطينية ، الجماهير الشعبية الى التنديد بالزيارة واستنكارها والتصدي لها بكل الوسائل الممكنة : تظاهرات ، بيانات استنكار ، مهرجانات شعبية .

رسميا : تابعت القيادة الفلسطينية تصديها للزيارة ولمجمل نتائجها ، وبدأت المنظمات على تحديد موقف من كل خطوة يخطوها السادات . وتعاملت م . ت . ف . رسميا مع الزيارة وما تلاها من خطوات ونتائج ، وفق الخطوط التي حددها بيان اللجنة التنفيذية في

في ١٩-١١ اعلن ابو اللطف « ان السادات لم يعد بأي حال من الاحوال مؤهلا للتحدث باسم شعبنا الفلسطيني او امتنا العربية ، وان اي عرض يقدمه السادات او اي اتفاق يصل اليه مع المعتدين الصهاينة مرفوض من أساسه من قبل الثورة الفلسطينية » .

وحول خطاب السادات امام الكنيسة صرح مصدر مسؤول في م.ت.ف. في ٢١-١١ بقوله « ان التنازلات الهائلة الوطنية والقومية التي تضمنها خطاب السادات قد قابلها العدو الصهيوني بمزيد من التصلب والاصرار على ابقاء احتلاله للاراضي العربية والفلسطينية » ، و اضاف المصدر « ان الثورة الفلسطينية ترفض بعناد واصرار هذا الموقف الموجه ضد نضالها » .

كذلك فقد علق ياسر عبد ربه على الخطاب نفسه بقوله « ان كل ادعاء للسادات حول تمسكه بالمواقف العربية الوطنية لا يساوي شيئاً بعد ان قدم اخر اوراق الاستسلام والركوع عندما قام برحلته » . و اضاف « ليس أمام الدول الوطنية في سوريا والعراق والجزائر وليبيا واليمن الديموقراطي الا العمل المباشر مع منظمة التحرير الفلسطينية من أجل فرض العزلة الكاملة حول الخائن ومقاطعته وتشكيل اوسع جبهة وطنية عربية ودولية حليفة لتطويق مشروعه الخياني وهزيمته » .

وجوبهت دعوة السادات الى م.ت.ف. للاشتراك في مؤتمر القاهرة ، برفض من كل منظمات الثورة الفلسطينية ، كما أكدت م.ت.ف. رفضها الدعوة ، و اعلن مصدر مسؤول في م.ت.ف. ذلك في ٢٧-١١ وقال « ان خطاب السادات أمام مجلس الشعب المصري في ٢٦-١١ لم يأت بجديد ، وان اقتراحه لعقد مؤتمر في القاهرة يضم جميع الاطراف المعنية في النزاع في الشرق الاوسط لا يمكن قبوله » .

وفي ٣٠-١١ أذ ان ابو اللطف في كلمته أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة ، زيارة السادات ومجمل ما ترتب عليها من نتائج ، و اوضح « ان الدعوة التي وجهتها حكومة مصر الى الاطراف المعنية بالصراع لعقد اجتماع تحضيري يمهّد لمؤتمر جنيف ، والتي رفضتها سوريا ومنظمة التحرير ، تكشف بوضوح عن عقم هذا الطريق في دفع عجلة السلام الى الامام » .

عربيا :

أجرت قيادة منظمة التحرير الفلسطينية اتصالات سياسية مع اكثر من دولة عربية لتنسيق المواقف ومواجهة الموقف الجديد . كانت دمشق المحطة الاولى في التحرك السياسي عربيا ، فقد قام الاخ ابو عمار على رأس وفد من اللجنة التنفيذية بزيارة الى دمشق ، اجتمع خلالها الى الرئيس الاسد وعبد الحليم خدام . وقد صدر عن هذا الاجتماع بيان سوري فلسطيني مشترك في ٢٣-١١ ، اكد وحدة الموقف الفلسطيني - السوري في مواجهة خطوة السادات وما سيتلوها من نتائج .

وكان السيد خالد الفاهوم ، رئيس المجلس الوطني الفلسطيني ، والسيد محمد علي الحلبي ، رئيس مجلس الشعب العربي السوري ، قد وجها في ١٨-١١ برقية مشتركة الى

رؤساء المجالس البرلمانية في أقطار الوطن العربي دعوهم فيها الى استنكار زيارة السادات ورفضها وادانتها « لا بوصفها مسعى خاطئاً ونليلاً للسلام القائم على الاستسلام ، ولكن كذلك بوصفها خذلاناً لارادة الشعب العربي في الكفاح ومحاوله لتمرير كرامته وتشويهه تاريخه النضالي وتهديم معنوياته واستباحة دماء شهدائه الابرار » .

ثم جرى في ٢٦-١١ اجتماع سوري ، فلسطيني اخر بين عبد الحليم خدام واعضاء من اللجنة المركزية « لفتح » على رأسهم الاخ ابو عمار . وفي هذا الاجتماع تم بحث سبل التنسيق وتدعيم العلاقات الفلسطينية - السورية . كما جرى اجتماع اخر في ٣٠-١١ بين الرئيس حافظ الاسد والاخ ابو عمار بحضور الاخ ابو اياد .

وكانت المحطة الثانية هي بغداد ، حيث وصل الاخ ابو عمار الى بغداد ومعه الاخ ابو اياد في ٢٨-١١ ، وأجرى خلال الزيارة التي استمرت يومين ، محادثات مع المسؤولين العراقيين حول الوضع الجديد وسبل مواجهته . أما المحطة الثالثة فقد كانت طرابلس حيث وصلها الاخ ابو عمار في ٣٠-١٢ على رأس وفد فلسطيني لحضور مؤتمر طرابلس .

الى جانب ذلك فقد شاركت م.ت.ف. في المساعي التي قامت بها الجزائر وليبيا لضمان عقد مؤتمر طرابلس وتقريب وجهات النظر بين سوريا والعراق .

ففي ٢١-١١ التقى في دمشق مع عبد السلام جلود ، الاخوة ، ابو مازن وعبد المحسن ابو ميذر ونايف حواتمة ومحمد زهدي النشاشيبي واحمد جبريل ، كما التقى ايضا في دمشق في ٢٥-١١ الاخوة ابو جهاد وابو ماهر وابو ميذر ، مع الاخ طالب الابراهيمي مبعوث الرئيس ابو مدين الى سوريا والعراق .

ودوليا ، كانت القيادة الفلسطينية حريصة على دراسة الموقف الجديد مع الاتحاد السوفياتي ، فقام الاخ ابو اللطف والاخ ياسر عبد ربه بزيارة الى الاتحاد السوفياتي استمرت يومين ، اجتماعاً خالهما الى غروميكو ، وفي ٢٨-١١ تسلم الاخ ابو عمار رسالة من القادة السوفييت ، كما سلم السيد سولداتوف رسالة منه الى القادة السوفييت .

الوحدة الوطنية الفلسطينية ومؤتمر طرابلس

على الرغم من اتفاق جميع منظمات الثورة الفلسطينية على اذانة زيارة السادات واستنكارها ورفض كل ما قد يتولد عنها من نتائج فان الملاحظ ان هذا الاتفاق لم يلحم الشرخ الذي كان قائماً في الجسم الفلسطيني بين جبهة الرفض وم.ت.ف. ولقد بدا من خلال البيانات التي أصدرتها المنظمات بصدد الزيارة ، ان هناك شعوراً متزايداً لدى الجميع بضرورة لحم هذا الشرخ والوقوف بصلاية في مواجهة الوضع الجديد عبر تمثين الوحدة الوطنية الفلسطينية وتصليبها .

كانت البداية في وحدة الموقف الفلسطيني ، هي توحيد الوفد الفلسطيني الى مؤتمر طرابلس ، وهو التوحيد الذي دفع قبل نهاية المؤتمر الى اتفاق جميع منظمات الثورة الفلسطينية على برنامج النقاط الست ، الذي شكل الاساس لوحدة الموقف الفلسطيني .

وعلق المحرر السياسي لوفاء على البرنامج فقال « ان الثورة الفلسطينية بالتقاء جميع فئاتها على برنامج النقاط الست قد استوعبت بسرعة كافة المعطيات المستجدة ، وقدمت

ردها الثوري والفوري ليشد اللحمة بين القوى الوطنية في الساحة العربية لخلق الجبهة التقدمية العربية ، المناهضة والمقاتلة ضد الحلول الاستسلامية الامبريالية والصهيونية والرجعية وأدواتها في المنطقة العربية ، .
غ . ا

٢- المناطق المحتلة

لكي نحيط بقدر الامكان بالمواقف المختلفة في المناطق المحتلة تجاه الحدث الخيانية . المتمثل في زيارة رئيس اكبر دولة عربية الى اسرائيل . يجدر بنا التوقف قليلا عند القوى السياسية في المناطق المحتلة وموقف كل منها تجاه الحدث الخيانية . ليس من اجل المعرفة او التغطية فحسب ، بل من اجل دعوة الاطراف العربية الفلسطينية المتصدية لزيارة السادات لاتخاذ موقف عملي واضح تجاه الفريق المؤيد للزيارة ، ولعل ذلك هو الامتحان الحقيقي لقدرة المقاومة على التصدي ، وجدية الاطراف العربية في التصدي ، لاخطر حدث يواجه الامة العربية .

يمكن تقسيم القوى السياسية في المناطق المحتلة الى ثلاثة قوى :

- ١ - انصار سلطات الاحتلال ، وهم مجموعة من العملاء المستفيدين من الاحتلال .
- ٢ - انصار النظام الاردني ، وهم مجموعة من الشخصيات المرتبطة بالنظام الاردني مصلحيا ، وسبق لها ان شغلت مناصب وزارية او برلمانية او مناصب عليا في العهد الاردني .

ومن الجدير بالذكر هنا ان انصار السلطتين الاردنية والاسرائيلية . يحملون ولاء مزدوجا لكليهما ، يتفاوت عند كل شخصية بمقدار ارتباطها بهذه السلطة او تلك . ويفتقر هؤلاء الى اي رصيد شعبي ، وتكمن قوتهم في الدعم الذي يتلقونه من السلطتين . ويمكن ان يطلق عليهم « علميا ، اسم اصحاب الولاة المزدوج ، وتعتبر صحيفة « القدس » عن مواقف هذا الفريق .

- ٢ - انصار م.ت.ف. ويتشكل هذا الفريق من العناصر الوطنية ومعظم رؤساء البلديات والمؤسسات الشعبية ، ويمتلك رصيذا شعبيا قويا ، وتسانده صحيفتا « الشعب » ، و « الفجر » .

وفما يتعلق برؤساء البلديات ، تجدر الاشارة هنا الى ان هناك رئيسا واحدا فقط الياس فريج رئيس بلدية بيت لحم من انصار النظم الاردني ، وان رئيسين اثنين هما ههد قواسمة (الخليل) ورشاد الشوا (غزة) يحاولات الجمع بين التأييد للنظام الاردني و م.ت.ف. مع الحرص على الاعلان عن تأييدهما لمنظمة التحرير .

عشية الزيارة

في الثامن من نوفمبر ، قبل الزيارة بيوم واحد . عقد رؤساء البلديات والمؤسسات

والجمعيات الوطنية في مدينة بيرزيت مؤتمرا شجبوا فيه زيارة السادات لاسرائيل ، واكدوا في بيان اصدروه على ان « جماهيرنا في المناطق المحتلة تتطلع الى اقامة سلام دائم وعادل مبني على الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وقيام دولته الوطنية المستقلة بقيادة ممثله الشرعي الوحيد م.ت.ف » .

ووقع على البيان كل من رؤساء بلديات : نابلس ، رام الله ، قلقيلية ، البيرة ، جنين ، طولكرم ، اريحا ، حلحول ، بيرزيت ، ذورا ، وعدد من الشخصيات الوطنية .

واتخذ المؤتمر قرارا التزموا فيه بعدم اداء صلاة عيد الاضحى في المسجد الاقصى في القدس بسبب اعتزام السادات اداء الصلاة فيه ، وقرروا اداء الصلاة في مسجد آخر يحمل اسم جمال عبد الناصر في مدينة نابلس .

وسبق ذلك تحركات طلابية اخذت شكل التظاهرات ضد الزيارة ، ففي الثالث عشر من نوفمبر قامت الفتيات في مدارس مخيمات اللاجئين في منطقة رام الله بتظاهرات ، وكن يهتفن ضد السادات وقصف الطائرات الاسرائيلية لجنوب لبنان ، كما جرت تظاهرة في بيت لحم قام بها الطلبة هناك قبل وصول السادات بيوم واحد ، منددين بالزيارة ومطالبين رئيس البلدية الياس فريج تغيير موقفه .

ومن الجدير بالذكر ان تحديد موعد الزيارة جاء في وقت اغلقت فيه المدارس ابوابها بمناسبة عيد الاضحى ، ولم يتسن للطلبة التجمهر الا بعد انتهاء زيارة السادات . ومع ذلك فقد اشارت الصحف الاسرائيلية الى ان عناصر « مجهولة » قامت بتوزيع منشائير في مدن الضفة الغربية منددة بزيارة السادات ، كما وذكرت ان شوارع المدن ملئت بالملصقات والكتابات المنددة بالزيارة ، واتهمت « انصار م.ت.ف » في الضفة بانهم يقفون وراء جميع هذه الاعمال .

وفي هذا الجو عشية الزيارة رحب رئيس بلدية بيت لحم الياس فريج بالزيارة مركزا على انه « يقف دائما الى جانب لقاء من هذا النوع بين زعماء اسرائيليين وزعماء عرب » اما رئيس بلدية الخليل فهد قواسمة فذكر ان « قرار السادات يعكس جرأة سياسية غير عادية ، ونأمل جميعا بان تؤدي زيارته الى احلال السلام في المنطقة » . وافصح رئيس بلدية رام الله كريم خلف عن موقف مغاير اذ قال « لا يهمني شخصا اذا ما جاء الى القدس جميع ملوك ورؤساء الدول العربية ، ولكن يهمني اذا لم يهتموا قبل ذلك للحصول على الاستقلال الوطني للشعب الفلسطيني » اما رئيس بلدية اريحا عبد العزيز السويطي فقد ندد بالسادات وقال انه لن يستقبله فيما لو وجهت اليه دعوة . وكذلك رئيس بلدية طولكرم حلمي حنون الذي قال : « نحن الفلسطينيون لسنا متحمسين للخطوات الاخيرة للرئيس السادات » .

اما على صعيد الصحف الصادرة في المناطق المحتلة ، فقد رحبت صحيفة « القدس » بالزيارة وانتقدت منتقدي الرئيس السادات ، بينما انتقدت صحيفة الشعب الزيارة

وصدرت صحيفة « الفجر » يوم عيد الاضحى وهي تحمل على صفحتها الاولى صورتين كبيرتين للرئيس الراحل جمال عبد الناصر ورئيس م.ت.ف. ياسر عرفات .

ولعل اقرب وصف لحقيقة مشاعر السكان العرب في المناطق المحتلة قد جاء على لسان الصحفي الاسرائيلي داني روبنشتاين (دافار ١٨-١١-٧٧) حين قال « يشعر كل عربي

يعيش تحت الاحتلال الاسرائيلي ويتعاطف مع الحركة الوطنية الفلسطينية ، بان الكابوس القديم المتمثل في الخشية من قيام الزعماء العرب - البعض او الجميع - بعقد اتفاق مع اسرائيل على حساب المصالح الوطنية للفلسطينيين ، اخذ يراوده من جديد . وسني هذا الكابوس هي تقريبا نفس سني الصراع اليهودي العربي في المنطقة » ، وأضاف ان « الاحساس بالضيق في المناطق يرافق الخوف من حل عربي على حساب الفلسطينيين » ، وتنبأ روبنشتاين ان يصبح السادات خلال الاسابيع القادمة الشخصية المكروهة الاولى في المناطق المحتلة .

الزيارة

خلال فترة زيارة الرئيس السادات لاسرائيل ، التقى في المطار ثلاث شخصيات من المناطق المحتلة ، وفي صبيحة يوم الاضحى ادى « مهمة » صلاة العيد في المسجد الاقصى ، والتقى بعد ذلك لمدة ربع ساعة في فندق الملك داوود بثماني شخصيات من المناطق المحتلة .

عندما هبطت طائرة السادات في مطار اللد ، وهبط الرئيس منها ، وجد امامه جميع قادة مجتمع المهاجرين والمستوطنين واقفين تاهبا لاستقباله . ولم يسبق لاي رئيس دولة زار اسرائيل ان حظي بمثل هذا الاستقبال . ولم يجد ضمن هذا الحشد من شخصيات المناطق المحتلة الا ثلاث شخصيات تعتبر نموذجاً حقيقياً لفريق الولاء المزدوج للسلطتين الاردنية والاسرائيلية ، وعصارة الخيانة الوطنية ، وهذه الشخصيات التي ارتسمت في عيني السادات للحظات هي : الشيخ محمد علي الجعبري سيء الصيت الرئيس السابق لبلدية الخليل ، والقاضي نهاد جار الله الذي اخذ مؤخراً يسبح بحمد السلطتين ، ومصطفى دويدن الوزير السابق في حكومة الاردن التي نفذت المجزرة عام ١٩٧٠ والصدوق الحميم لوصفي التل الذي لقي مصرعه امام احد فنادق القاهرة . ولعل الرئيس السادات كان يأمل ان يرى وجوهاً غير هذه الوجوه ! الا ان الامل شيء والواقع شيء اخر ، فالحدث الخيانة لا تتناغم معه الا الرموز الخائنة .

وفي صبيحة اليوم الثاني من الزيارة توجه الرئيس « المؤمن » نحو المسجد الاقصى لاداء صلاة عيد الاضحى ، وهنا واجه صدمة ثانية ، فقد قاطعت الشخصيات الوطنية وجميع رؤساء البلديات الصلاة في المسجد الاقصى ، وادت صلاة العيد في مسجد آخر يحمل اسم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر . ولم يجد السادات حوله في المسجد سوى مجموعة من الشيوخ الطاعنين في السن ورجال المخابرات المصرية والاسرائيلية .

سبقت زيارة الرئيس للمسجد ترتيبات أمنية مشددة لم تشهد لها مدينة القدس العربية مثيلاً في تاريخها ، فقد استمرت التدابير الامنية ثلاثة ايام اقامت خلالها قوات الامن الاسرائيلية طوقاً بشرياً حول منطقة المسجد ، وغرست رجال امن في كل زاوية من المنطقة ، بالإضافة الى طائرات الهليكوبتر التي عملت ساعات متواصلة في مسح المنطقة من الجو . ووسط هذه التدابير الامنية سار الرئيس نحو المسجد الاقصى بخطوات ثابتة يحرسه وفق المصادر الاسرائيلية مظلليون يرتدون القبعات الحمراء تابعون لفرقة المظلات التي كانت قد احتلت منطقة المسجد الاقصى في عام ١٩٦٧ .

وقد بلغت التدابير الامنية حداً بعيداً من الشدة حين اقدم المسؤولون عن الأمن باغلاق ابواب المسجد قبل ساعة من بدء الصلاة ، وزج بعدد كبير من رجال المخابرات الاسرائيليين

وسط المصلين . وعندما بدأ المصلون بإداء الصلاة ، شهد المسجد للمرة الاولى في تاريخه ، منظرا غريبا يندر ان يجود التاريخ بمثله ، منظرا فرضته عملية السجود والركوع : قسم من الموجودين داخل المسجد يركع ويسجد ، وقسم آخر (رجال الامن اليهود) يقف هنا وهناك بدون حراك باستثناء النظرات ، ولم يكن هذا القسم قليل العدد ، الامر الذي خلق كما ذكرت الصحف الاسرائيلية تدمرا بين صفوف المصلين من « المبالغة » فسي الاحتياطات الامنية .

وجاءت الصدمة الثالثة في آخر جملة من خطبة عيد الاضحى . ومن الجدير بالذكر ان السلطات الاسرائيلية ، امتنعت وفق ما ذكرته الصحف الاسرائيلية عن التدخل فسي موضوع الخطبة عندما طلب حسن كامل مدير مكتب الرئيس السادات الذي وصل الى اسرائيل قبل وصول الرئيس السادات بيوم ، منها التدخل في هذا الموضوع ، فما كان من حسن كامل الا ان توجه الى خطيب المسجد وطالبه بـ « احترام الحدث ، ومباركة الرئيس السادات ، والتحدث باعتدال وحذر » .

قرأ خطبة العيد الشيخ عكرمة صبري ، وبعد ان تحدث عن المعاني الروحية الكامنة في العيد ، تطرق الى الجانب السياسي وقال « ايها المسلمون في ارجاء المعمورة ، ان زيارة الرئيس السادات اتاحت لنا التحدث اليكم عبر الاثير وعبر محطات الاقمار الصناعية وعبر شاشات التلفزيون ، لنسمعكم صوت الاقصى المحزون ، صوت الشعب الفلسطيني المكروب ، ولتشاهدوا آثار الحريق المشؤوم الذي اصاب هذا المسجد المبارك على ايدي اعداء الاسلام عام ١٩٦٩ ، واصبح منبر البطل صلاح الدين اثرا بعد عين » .

ومضى الشيخ عكرمة قائلا « ... ونذكر الرؤساء بان فلسطين عامة والقدس خاصة امانة في اعناقهم ، كما هي امانة في اعناقنا ، امانة الاجيال تلو الاجيال ... »

واختتم الشيخ الخطبة بالقول « اللهم هيء من يوحد المسلمين ، ويحذو حذو صلاح الدين » .

وربما كان اثر هذه الصدمة اخف وقعا على السادات ، لانها في الحقيقة ليست موجهة اليه وحده .

بيد ان السادات صحا بعد ذلك على نعمة تفرحه وتفرح الكثيرين في هذا الشرق العربي ، فقد حدث بعد انتهاء القاء الخطبة ان اخذ البعض ممن في المسجد يهتفون « بالدم بالروح نفيديك يا سادات » حدث ذلك في الداخل ، أما في الخارج فقد كان الوضع مختلفا تماما . فقد ذكرت الصحف الاسرائيلية ان الشباب العرب اخذوا يتجهرون خارج المسجد بالقرب من الطوق الامني المفروض حول المسجد ، ويهتفون لفلسطينيين ويندون بالسادات ، وارردت قصة طريفة بطلتها مذبةة التلفزيون المصري همت مصطفى التي سبق لها ان تغنت كثيرا بنضال « الصامدين » في الارض المحتلة . تقدمت المذبةة المحترمة الى مجموعة من الشباب العرب لتسجيل حديث تلفزيوني فتقدم شاب وتحدث على مسمع من جنود الاحتلال وقدم تحليلا للزيارة من منطلق وطني شاجبا صاحبها ، فما كان من المذبةة المحتشمة الا ان اندفعت ، نحو الشاب الفلسطيني واخذت تدفعه بكلتا يديها ، الامر الذي

دفع قوات الاحتلال للتدخل وتهدةة روح المذبةة ، وافادت الصحف الاسرائيلية ان الرئيس السادات لم يشاهد هذا « المنظر » الذي حدث بالقرب من المسجد الاقصى .

بعد انتهاء الصلاة في المسجد توجه السادات الى كنيسة القيامة ، تحت حراسة جنود المظلات ، واجمعت الصحف الاسرائيلية على ان التظاهرات المناوئة له خارج الكنيسة كانت اعنف من تلك التي حدثت بالقرب من المسجد الاقصى . حيث اشتبك المتظاهرون مع قوات الامن التي قامت بتفريقهم . بعد ذلك خرج الرئيس من كنيسة القيامة وتوجه الى فندق الملك داوود ، وتنفس رجال الامن الصعداء .

وفي الحادي والعشرين من نوفمبر عقد اجتماع في فندق الملك داوود بين السادات وثمانى شخصيات من المناطق المحتلة استغرق ربع ساعة فقط ، والاشخاص الثمانية هم : حكمت المصري من نابلس رئيس البرلمان الاردني سابقا ، نعيم عبد الهادي من نابلس ، انور الخطيب حاكم قضاء القدس سابقا وسفير الاردن في القاهرة سابقا ، الياس فريج رئيس بلدية بيت لحم ، مصطفى دودين وزير سابق في الحكومة الاردنية ، المحامي ابراهيم ابو ستة من قطاع غزة ، سليمان العزيزة رئيس بلدية دير البلح والشيخ فرح مصادر .

واجمعت الصحف الاسرائيلية على ان الاحاديث التي جرت في هذا الاجتماع اتسمت بالجمالة ، حيث اعرب عدد من الاعضاء عن اسفهم للحملة القائمة ضده في العالم العربي والمناطق المحتلة . الا انها ذكرت ان المحامي ابراهيم ابو ستة الذي وصفته بانه متعاطف مع م.ت.ف ، القى كلمة امام السادات « اثارت حفيظته » ولعل هذه الكلمة تعتبر الصدمة الرابعة والاخيرة له في رحلته . فوفق ما ذكرته الصحف الاسرائيلية اعلن ابو ستة في كلمته ان م.ت.ف هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، وطالب الرئيس السادات باعادة فتح اذاعة صوت الثورة الفلسطينية في القاهرة بعد ان امر السادات باغلاقها . واوضح للسادات ان « التهجمات عليه لم تنبع من العداة تجاهه ، بل العكس من ذلك ، فقد نبعت من المحبة ، لان العالم العربي لم يرد له ان تتأثر مكانته وشرفه بسبب زيارته لاسرائيل » .

وفي ختام كلمته طلب من السادات ان ينقل تحياته الى ياسر عرفات !! وذكرت الصحف ان السادات « كظم غيظه » ورد عليه بالقول « بصير خير » .

وخلال فترة الزيارة افادت الصحف الاسرائيلية ان تظاهرات جرت في مدينة نابلس هتفت ضد السادات ، واصطدم المتظاهرون مع قوات الشرطة التي قامت بتفريقهم ، كما وجرى في مدن وقرى عدة رسم شعارات على الجدران تدين زيارة السادات ، وحدثت اضرار في مستشفى المقاصد في القدس . كما انفجرت في مدينة القدس شحنة من المواد المتفجرة قبل دقائق معدودة من المؤتمر الصحفي الذي عقده كل من السادات وبيجن .

في اعقاب الزيارة

عقب انتهاء زيارة السادات لاسرائيل ، وجه النظام المصري باسم حزب مصر العربي الاشتراكي الحاكم دعوة الى عدد من شخصيات المناطق المحتلة لزيارة القاهرة ، فسي محاولة منه للطعن بتمثيل م.ت.ف. للشعب الفلسطيني في جميع اماكن تواجده . وقد انقسمت الاراء في المناطق المحتلة حول الدعوة ، فجماعة « الولاء المزدوج » ايدوا الدعوة بدون تحفظ وعلى رأس هؤلاء مصطفى دودين وبرهان الجعبري من الخليل والياس فريج

من بيت لحم ونهاد خير الله من القدس وعبد الرؤوف الفارس من نابلس، وهاشم الخوزندار من غزة . وهناك مجموعة ترهن تلبيتها للدعوة بموافقة م.ت.ف. ويقف على رأسها رئيس بلدية الخليل فهد قواسمه ورئيس بلدية غزة ، رشاد الشوا ، وحكمت المصري من نابلس .

اما انصار م.ت.ف. الممثلين في معظم رؤساء البلديات والمؤسسات الشعبية والشخصيات الوطنية والجماهير الشعبية ، فقد اعلنوا رفضهم المطلق للدعوة ، وعقدوا اجتماعا في السادس والعشرين من نوفمبر في جامعة بيرزيت حضره رؤساء بلديات نابلس ، رام الله ، بيرزيت ، اريحا ، حلحول ، بالإضافة الى عدد كبير من رؤساء المؤسسات الشعبية والشخصيات الوطنية ، واجمع المتحدثون على ان « السادات لا يملك حق تعيين مندوبين فلسطينيين وفق ما يرتأي » وادكوا على ان « م.ت.ف. هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني وهي التي تملك حق التحدث باسم الفلسطينيين وتمثيلهم » ودعا المتحدثون الى اقامة جبهة عربية موحدة لعزل السادات .

اما على صعيد التحرك الشعبي ، فقد اخذت الجماهير في الضفة الغربية ، تعبر عن موقفها يوميا تقريبا بعد اجتماع بيرزيت ، على شكل تظاهرات واضرابات في عدد من مدن الضفة الغربية ، شاجبة مشاريع السادات ومنتصدة لقوات الاحتلال .

من ناحية اخرى عكس الصراع القائم بين انصار م.ت.ف. وبين مجموعة الولاء المزدوج ، نفسه على الصحف الصادرة في المناطق المحتلة ، فقد امتدحت صحيفة القدس المبادرة المصرية بخصوص توجيه دعوات للزعامة التقليدية لزيارة القاهرة ، الا ان صحيفتا « الشعب » و « الفجر » ادانتا هذه المبادرة بشدة ، لانها تستهدف « تعيين فلسطينيين لتمثيل الشعب الفلسطيني بالتنسيق مع الحكم العسكري في المناطق المحتلة » .

وليس هنالك شك ان زيارة السادات قد انعشت بشكل قوي فريق « الولاء المزدوج » للسلطين الاسرائيلية والاردنية ، وبثت فيهم روحا جديدة. بعد ان كانوا عاجزين قبيل الزيارة حتى عن عقد مؤتمر في الضفة الغربية . وعبر الكاتب الاسرائيلي يهودا ليطاني (هآرتس ٧٧/١١/٢٤) عن هذا الانتعاش بالقول : « يعتقد انصار الاردن الذين يشكلون فريقا يعتبر معتدلا في المناطق المحتفظ بها والقدس الشرقية ، ان وقتهم قد حان الآن عقب زيارة السادات » . وقال احد الاشخاص من انصار الاردن في الضفة الغربية عقب الزيارة : « انني متأكد الآن اننا نحن الاشخاص المعتدلين في الضفة الغربية والقدس وقطاع غزة ، سنمثل الفلسطينيين في جنيف ، وبعد ذلك سنشكل عاملا حاسما في كل اتفاق تقبله الاطراف » . وقال : « لن يكون في المستقبل القريب لمنظمة التحرير ما تقوله ، فقد حشرت الآن في الزاوية » .

ولكن ماذا يريد هؤلاء بعد « حشر م.ت.ف. في الزاوية ؟ » .

لقد ادلى احد اركان هذا الفريق مصطفى دودين الوزير السابق في الحكومة الاردنية بتصريح نقلته عنه صحيفة عل همشار (٧٧/١١/٢٠) افصح فيه عن الهدف حين قال : « يتوجب على سكان المناطق في اية تسوية سلمية في الشرق الاوسط ، الحفاظ على علاقة مع دولة اسرائيل على الاصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية .. ويتوجب قبل ذلك

خلق علاقة كهذه مع الاردن ، وبعد ذلك التحول الى اتحاد فدرالي مع اسرائيل « .
ويبقى السؤال امام منظمة التحرير الفلسطينية : الى متى يبقى العملاء الفلسطينيون
بضاعة رخيصة يتهافت عليها هذا النظام العربي او ذاك بالتعاون مع العدو الاسرائيلي
ضد اقدس قضية عرفتها الامة العربية ؟ .

عبد الحفيظ محارب

صدر عن مركز الابحاث
والاعلام الموحد في م ت ف

طريق تلّ الزعتر

مقدمة : محمود درويش
اعداد : هاني منديس
الاعداد الفني : منى السعودي

اطلبه من مركز الابحاث / التوزيع
ص ١٦٩١ - بيروت ٠ تليفون ٢٢٦٥٨٥
ومن سائر المكتبات في لبنان والخارج

السعر : ١٠ ل٠

عَرَبِيًّا

غازي الخليلي

في التاسع من شهر تشرين الثاني « نوفمبر » اعلن السادات في خطاب له امام مجلس الشعب المصري استعداده « لبذل اقصى الجهود من اجل السلام ومواجهة قادة اسرائيل ولو في الكنيست نفسه » .

الكثيرون الذين استمعوا الى كلمات الرئيس المصري هذه ، في العالم العربي وخارجه ، لم يصدقوا ما سمعوه ، ورددوا مذهبين : هذه مناورة من السادات ، هذه زلة لسان . وصمت العالم العربي ، ودهشت الجماهير العربية ، هل تصدق ، هل تكذب ما سمعته ؟ كان العالم مشدودا الى تفاصيل ما يجري حول مؤتمر جنيف ، وكان السؤال هل يعقد مؤتمر جنيف قبل نهاية العام الحالي ، ام في اوائله ؟ وكانت ايام قليلة جدا باقية حتى يعقد مؤتمر وزراء الخارجية العرب في تونس ، ليقرر الدعوة الى مؤتمر قمة عربي . كثيرون ارتابوا في اصرار السادات على القذف بعيدا باحتمالات عقد مؤتمر قمة عربي في تاريخ قريب . ولكن ربيتهم لم تكن لتدفعهم بعيدا الى ما يعد السادات من مفاجآت . باستثناء الذين كانوا على علم بالامر .

لقى السادات قنيلته الموقوتة ، ولم ينتظر طويلا ، كان يريد للانفجارات ان تتوالى ، وللدوي ان يكون كبيرا . وهكذا توالى الاحداث لتقطع الشك باليقين . عشرة ايام فقط ما بين الاعلان عن الزيارة وبين البدء بها . عشرة ايام قطعها السادات متوترا قلقا ، مضطربا ، عشرة ايام اراد بها السادات ان يطوي صفحة ثلاثين عاما من النضال الدامي والمرير ، ويقفز فوق التاريخ !

قال انه زاهب لاداء صلاة العيد في المسجد الاقصى . وهناك علموه ان الاقصى ليس صلاة . هناك قالوا له : الاقصى لا يريده ويخجل من استقبالك .

وتمت الزيارة ، فانه حقا يصدق القول ! قال انه سيذهب ، بالتأكيد سيذهب ، هكذا رد بعصبية على سائله في مؤتمره الصحفي الذي عقده في دمشق بعد انتهاء زيارته لها . وليس اوقح من الخائن عندما يتماذى في الخيانة . وليس اجراً من الجماهير في مواجهة الخيانة .

قال انه اتخذ قراره بالزيارة منفردا ، دون التشاور مع احد من المسؤولين العرب . قد يكون هذا صحيحا ، ولكن كل ما فينا من احساس وحس ، ينطق بعكس هذا . وحتى الوقائع التي عرفت حتى الان ، تكذب انفراد السادات . فالخائن لا يخون منفردا ، والزيارة كحدث ، اكبر من الانفراد ، واكبر من ان تكون هاجس ايام او حتى اشهر قليلة . ولا شك ان ما يأتي من الايام سيكشف الكثير الكثير من التفاصيل . وعندها ، ما نراه حدسا يصبح وقائع .

كان الحدث - الخيانة ، اكبر من قدرة الجماهير العربية ان تراه دون دهشة ، ودون

غضب . فالحدث يحاول ان يطغي ثقافة وتراث جيلين كاملين او اكثر . عشر سنوات . من التمهيد للغة جديدة وابجدية جديدة تلغيان مضامين الصراع ، لم تكن كافية لان تجعل من الحدث - الخيانة ، حدثا يمكن استيعابه ، او يمكن تبريره - على اقل تقدير . نعم ، أراد السادات ان يكون الحدث صدمة ، تصدم ثقافة الجماهير ليدهرها ، لينهي هذه الثقافة الوطنية التي تربت عليها الجماهير اجيالا . اراد ان يخترق الحاجز النفسي كما قال هو ، وكما نقول نحن ، اراد ان يخترق الثقافة الوطنية ، ان يدمرها . قدم الخيانة مغطاة برغيف الخبز ، ليسهل على الجماهير الجائعة ابتلاعها ، ولكي تنسى وهي تسد بعض جوعها ، انها تخون ماضيها وتتنكر لمستقبلها .

ولكن ابجدية جديدة كانت الجماهير العربية قد خلقتها وكرستها . عندما اعتبرت ان الوطن اكبر من الجوع . لقد صاغت هذه الابجدية الجديدة . الجماهير الفلسطينية . لاول مرة ، عندما رفضت طيلة ثلاثين عاما البيت المريح والسكن المريح ، والرغيف الطازج ، بديلا عن الوطن . عندما رفضت مشاريع الاسكان والتوطين خارج الوطن ، ولو في أرض عربية .

هل نسي السادات هذه الابجدية . ربما تناساها ، او حاول ان يتناساها ، ولكن الجماهير المنهكة والجوعى لم تنس ولا تنسى . الجماهير العربية التي ما تخرج من معركة الا لتدخل في معركة ، ما تنتهي من مؤامرة ، الا لتواجه اخرى ، طيلة الثلاثين عاما الماضية ، لم تكن تملك الا ان تغضب وتصرخ ، على الرغم من كل القمع الذي يثقل كاهلها ، على الرغم من كل السجون المليئة بمناضليها ، وعلى الرغم من انه لم يبق من قواها الوطنية والتقدمية ، الا للول تركض من معركة الى معركة ، وترفض ان تستسلم .

غضبت الجماهير ، والغضب كان تظاهرات وبيانات ومؤتمرات هنا وهناك . المنظمات الوطنية ، الاحزاب الوطنية ، الاتحادات ، النقابات ، النساء والرجال ، الاطفال والشيوخ ، الامهات والارامل والثكلى ، كلهم غضبوا ، كلهم صرخوا ، كلهم لم ينسوا ان الوطن اكبر من الجوع . ربما ان الغضب لم يكن بمستوى الحدث . وربما انه لا يكفي ان يغضب . لان الغضب لا يعيش ولا يبقى الامع الحدث الساخن ، وعندما يبرد الحدث ، يبرد الغضب ايضا . ولكن الغضب ليس الا بداية ، قد يدفع مع الاحساس بالخطر ، السى ان تتكسر الكثير من القيود ، الى ان تطلق حرية الجماهير . . . وعندها ، عندها فقط ، نقول غضبنا كان اعلانا بالثورة ، كان بداية لا تتوقف ، وسيرة ليس لها الا ان تتوج بالظفر .

شعبيا كانت الجماهير في حالة غضب ، تضغط ، وتحدد الشعارات والمواقف : وحدة وطنية فلسطينية ، وجبهة صمود وتصدي عربية ، رسمية وشعبية .

ورسميا كانت الحسابات اقل غضبا واكثر برودا . دول عربية غضبت ، وسارعت باعلان الموقف باستنكار الزيارة وادانتها ، من مواقع مختلفة ، ولدوافع متفاوتة ، وان كانت كلها ننقني . في أن ما يجري اذا ما استكمل طريقه ، سوف يجرف الجميع ، وسوف يطال الجميع . لا استثناء هذه المرة . اما الانسجام الكامل مع الترتيبات الجديدة واما التصفية . ودول عربية اخرى باركت وأيدت وهي قلة ، والدول العربية الباقية ، انتظرت ، تباكت على التضامن العربي ، بعضها كان يؤيد خفية ويلعب من داخل الدائرة وليس من خارجها ، وبعضها وقف على هامش الدائرة ، يراقب مسار الاحداث ، قبل ان يوجهه بوصلته في اتجاه محدد .

حسابات ، تجري احيانا ببرود ، و احيانا تسري في الارقام مياه ساخنة ، تخريط بعض الحسابات ، و تعيد ترتيب الموازين من جديد . و « اللعبة » لم تنته بعد ، و سمحت فيما مضى من أيام للاعبين من خارج الدائرة ان يشاركوا دون اعلان او ان ينتظروا ، ولكن تسارع الاحداث سيلغي هذا الاستثناء قريبا ، و قريبا جدا ، حيث ستصبح الامور محصورة كليا في اتجاهين : اما الانسجام واما المواجهة .

والعرض التالي الذي نقدمه عن مواقف الدول العربية ، موثقة كما حدثت ، او كما اعلنت ، دون تحليل او تدخل بكشف خلفيات المواقف وابعادها ، هذا العرض ، نعترف مسبقا انه ليس كاملا ، فالاحداث تتسارع ، و تسير بسرعة اكبر من صياغة الخبر نفسه ، فالمواقف لم تستقر بعد ، ولم تتحدد بشكل نهائي . لقد أردنا من هذا العرض ان نقدم صورة ، تتكامل مع العروض الاخرى الواردة في هذا الملف عن مواقف الاطراف المختلفة ، كي يرتسم الحدث امامنا بكل شموليته ، أملين في فهم اوضح و اكثر وعيا للاتسي من الاحداث .

مصر

دأبت الصحف المصرية منذ الاعلان عن الزيارة ، على الاشادة باقتراح السادات ووصفت صحيفة الاهرام (١٦-١١) ما اسمته « مبادرة السادات » بانها « كسر الحلقة المفرغة من الحديث عن اجراءات مفاوضات السلام دون الدخول في جوهر عملية السلام » . و اضافت « انها مبادرة سوف تثبت للعالم اجمع ان مصر ذهبت الى اخر الشوط و بذلت المستحيل ، بمعنى كلمة المستحيل - لكي تحصل على سلام عادل ، و يبقى على اسرائيل ان تتحمل عواقب ذلك كله امام شعبها و امام العالم و امام التاريخ » و لم يبد في البداية اي رد فعل من مؤسسات النظام المصري على ما اعلنه السادات ، و ان كان عدم مرافقة اسماعيل نهمي للسادات في زيارته الى دمشق كانت تشير الى وجود معارضة للسادات . و لذا ما ان اعلن السادات موافقته على قبول الزيارة مساء السابع عشر من شهر تشرين الثاني « نوفمبر » حتى قدم اسماعيل فهمي ، نائب رئيس الوزراء و وزير الخارجية استقالته احتجاجا على ذلك ، و استقال بعده مباشرة محمد رياض ، الذي عينه السادات خلفا لفهمي ، فاضطر السادات الى قبول استقالة رياض ، و كلف بطرس غالي ، و زيرا للخارجية بالوكالة .

وبهذه الحركة السريعة ، حاول السادات ان يلجم مسبقا أية معارضة لزيارته قد تبرز من داخل النظام نفسه ، و حرص السادات عشية توجهه للارض المحتلة ، ان يؤكد تضامن قيادة الجيش معه و تأييد مجلس الشعب المصري له . فأرسل له محمد عبد الغني الجمسي ، وزير الحربية ، بمناسبة عيد الاضحى ، برقية تهنئة بالعيد ضمنها تأييد القوات المسلحة لبيادرته ، و جاء فيها « ان القوات المسلحة تدرك ابعاد الموقف الراهن و مسؤولياته ، و تترقب بكل ثقة خطواتكم الشجاعة في سبيل السلام القائم على العدل » . كذلك دعا سيد مرعي ، يوم توجه السادات الى الارض المحتلة ، مكتب مجلس الشعب المصري ورؤساء لجان وهيئات مكاتب المجلس ، الى اجتماع عاجل ، صدر عنه بيان بتأييد الزيارة ، جاء فيه « أننا كمثليين عن هذا الشعب والمعبرين عن ارادته ، نقف وراء الزعيم انسور السادات صفا واحدا مباركين هذه المبادرة » . غير ان حزب التجمع الوطني الديمقراطي ، الممثل

بنائين في المجلس ، اصدر بيانا حذر من الزيارة ومخاطرها ودعا السادات الى العدول عنها . كذلك فقد ذكرت مصادر صحيفة « السفير ٢٠-١١ » انباء عن وجود معارضة للسادات في القوات المسلحة المصرية وقالت « ان القوات المسلحة المصرية في حالة طوارئ منذ ١٢ يوما ، وانه احيل على التقاعد ١٣٠ ضابطا ، كما جرى تبديل معظم قادة الفرق المدرعة ، وان حركة تطهير واسعة نفذت في سلاح الطيران والدفاع الجوي » .

على صعيد الحكومة، باستثناء تصريحات بطرس غالي ، لم يصدر اي تصريح حول الزيارة الا يوم الحادي والعشرين من شهر تشرين الثاني ، اي بعد ان انهى السادات زيارته للارض المحتلة . فقد أصدر حزب مصر العربي الاشتراكي ، وهو الحزب الحاكم . بيانا ايد فيه الزيارة ووصفها بالمبادرة الذكية والشجاعة ، و اضاف « ان هذه المبادرة انعربية تأتي في اطار الموقف الثابت لمصر » و أكد « ان مصر وقد تحملت مسؤوليتها التاريخية في الدفاع عن امته العربية ... تتحمل اتخاذ القرارات المناسبة لتحقيق اهداف الامة العربية في الحرب وفي السلم » . وانتقد البيان معارضي المبادرة ، حيث اشار الى « ان اتجاه الرفض لهذه المبادرة يكشف عن مواقف القوى الخارجية التي ليس من صالحها حلول السلام بالمنطقة » . وفي ٢٠-١١ اصدر مجلس الوزراء المصري بيانا دافع فيه عن زيارة السادات جاء فيه « ان مجلس الوزراء يعلن للشعب المصري انه يقف مع الجماهير تاييدا للخطوات الشجاعة والجريئة للرئيس السادات ويحيي قدرته في وضع صيغ جديدة لدبلوماسية ثورية لا تتقيد بالاطارات التقليدية والتعقيدات الاجرائية ... لقد كان قدر مصر ان تتحمل دائما النصيب الاكبر من التضحيات في الارواح والدماء بل والاقوات . كما اصبح قدرها ايضا ان تتحمل النصيب الاكبر في اقرار السلام القائم على العدل . وبهذا يتأكد للعالم ان مفتاح السلام او الحرب هو دائما وسيبقى بيد مصر » .

وكي يؤكد السادات تضامن كل مؤسسات النظام معه وتأييدها له ، فقد كان في استقباله لدى عودته من الارض المحتلة ، كل من حسني مبارك ، وسيد مرعي وممدوح سالم والفريق محمد عبد الغني الجمسي ، كما تم تنظيم استقبال شعبي له .

بعد انتهاء الزيارة والاطمئنان على تأييد مؤسسات النظام لها . تحرك النظام المصري رسميا باتجاهات عدة :

(١) مواجهة المعارضة العربية لخطوته ، بانتقاد المعارضين بشدة ، وقد شارك في هذا الانتقاد السادات نفسه بتصريحاته العنيفة والمتشعبة ، اضافة الى الكثيرين من المسؤولين المصريين ، والصحافة المصرية التي جندت كل الاقلام للدفاع عن السادات ، و اظهار خطوته ، بانها تحمل السلام والرخاء لمصر .

(٢) التأكيد على ان السادات في زيارته لم يقدم تنازلا لاسرائيل وان مصر لا تزال تلتزم بالموقف العربي العام من حيث الانسحاب الاسرائيلي من جميع الاراضي المحتلة وتأمين الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني ، وان مصر لا تنوي عقد تسوية منفردة مع اسرائيل . وقد عبر عن هذا الموقف بطرس غالي في اجتماعه مع سفراء الدول العربية

المعتمدين في القاهرة ، وكذلك سفراء الدول الافريقية وذلك في ٢٣-١١ ، و اعلن بطرس غالي بعد الاجتماع ، انه ابلى سفراء موقف مصر الذي حدده بالنقاط التالية : (١) قضية فلسطين هي القضية الاولى الاساسية ولا حل لمشكلة الشرق الاوسط الا بحل هذه

القضية . (٢) مصر ترفض كل حل جزئي ولا تقبل الا الحل الشامل الكامل (٣) مصر تتمسك بالتضامن العربي (٤) مصر لم تغير من اهدافها ومبادئها وان التطور الذي حدث هو ثورة ايجابية في اسلوب المواجهة الدبلوماسية القائمة على اساس الاتصال المباشر .
(٢) عدم الوقوف عند الزيارة . واستمرار الحركة المصرية باندفاعها ، وبهذا الخصوص فقد تحركت الدبلوماسية المصرية بالاتجاهات التالية :

أ - حصر الهجوم الاعلامي بالدول العربية المعارضة . والواضحة في معارضتها ومحاولة تفهم مواقف الدول التي صممت على الزيارة او وقفت على الحياد . مع ابراز موقف الدول التي أيدت الزيارة وباركتها كالسودان والمغرب .
ب - حث اسرائيل على تقديم مبادرة تدعم موقف السادات عربيا ودوليا ، وقد عبّر عن ذلك السادات في الكثير من تصريحاته بعد زيارته .

ح - التقدم خطوة اخرى بعد الزيارة تدعمها وتبقي على زخمها ، وقد جاءت هذه الخطوة باعلان السادات في السادس والعشرين من شهر تشرين الثاني « نوفمبر » عن دعوته لعقد مؤتمر في القاهرة تحضره اطراف النزاع ورئيسا مؤتمر جنيف للسلام والسكرتير العام للامم المتحدة . وقد قام بطرس غالي في اليوم التالي بتوجيه الدعوة الى كل من اسرائيل وسوريا والاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية والولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي والامم المتحدة ، محددًا تاريخ الاجتماع في موعد متفق عليه اعتبارًا من ١٢-٣-١٩٧٧ . ووضح غالي في الدعوة الموجهة الغاية من الاجتماع بقوله « هذا الاجتماع هدفه التحضير لمؤتمر جنيف وضمان نجاحه ، ويهدف الى التوصل الى تسوية عامة لنزاع الشرق الاوسط ، للوصول الى سلام عادل ودائم في المنطقة » . *

أثارت دعوة السادات الى هذا الاجتماع ردود فعل مختلفة ، ادت الى ان يؤجل الـ ١٤-١٢-١٩٧٧ ، وان يكون على مستوى أقل من مستوى وزراء الخارجية ، ولم تعلن عن استعدادها لحضوره الا اسرائيل والولايات المتحدة والامم المتحدة ، اضافة الى مصر صاحبة الدعوة .

وفي ١٢-١ ، اعلن مراد غالب سفير مصر لدى يوغوسلافيا استقالته من منصبه احتجاجًا على الزيارة . *

اتخذت السلطات المصرية سلسلة من الاجراءات ضد الاطراف التي عارضت الزيارة . في ١٨-١١ ، اوقفت السلطات المصرية اذاعة صوت فلسطين التي تبث من القاهرة . بعد ان اذاعت بياني حركة فتح واللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية بخصوص زيارة السادات الى الارض المحتلة .

في ٢٣-١١ ، ابعدت السلطات المصرية ثلاثة من المسؤولين الفلسطينيين في مصر ، وهم جمال الصوراني ، مدير مكتب م.ت.ف ومندوبها لدى الجامعة العربية ، ربحي عوض ممثل فتح في مصر ، وصخر بسيسو رئيس اتحاد طلبة فلسطين في مصر ، كما اغلقت

★ لم تدع المنظمة كطرف ، بل دعيت لارسال وفد عنها للتشاور مع المسؤولين المصريين حول التمثيل الفلسطيني في المؤتمر .

مركز الاعلام الفلسطيني الموحد ، ومكتب فتح في القاهرة . وقامت بطرد عدد كبير من الطلبة الفلسطينيين والعرب .

في ٢٤-١١ ، اعلن ناطق باسم شركة مصر للطيران ان الشركة اوقفت جميع رحلاتها الى ليبيا والجزائر .

في ٢٧-١١ قامت السلطات المصرية بطرد عبد العادل الصكبان ، امين مجلس الوحدة الاقتصادية بالجامعة العربية ومن التابعة العراقية ، باعتباره شخصا غير مرغوب فيه .

اضافة لذلك ، فقد وجه حزب مصر العربي الاشتراكي في ٢٤-١١ دعوة لمن اسماهم بالزملاء الفلسطينيين المقيمين في الارض المحتلة لزيارة القاهرة ، « للاجتماع هناك بالمختصين ولناقشة الموقف الذي ترتب على زيارة السادات للقدس » :

وفي ٥-١٢ اعلنت الحكومة المصرية قطع علاقاتها الدبلوماسية مع كل من سوريا ، والجمهورية العربية الليبية والجزائر واليمن الديمقراطية والعراق ، واعطت وزارة الخارجية المصرية سفراء هذه الدول والعاملين فيها مهلة ٢٤ ساعة لمغادرة الاراضي المصرية .

سوريا

لم يصدر عن سوريا رد فعل فوزي على اعلان السادات استعداده لزيارة الارض المحتلة، وانتظرت سوريا زيارة السادات لها على أمل ان تثنيه عن زيارته . ولما فشلت في ذلك اعلنت موقفها الراض للزيارة ونتائجها بعد ان انتهت زيارة السادات لدمشق مساء السابع عشر من شهر تشرين الثاني « نوفمبر » . وقبل اعلان هذا الموقف لم تشر وسائل الاعلام السورية الى الزيارة لا كخبر ولا كتعليق . باستثناء اشارتين غير مباشرتين الاولى ، وردت في تعليق لصحيفة « الثورة ، ١٢-١١ » انتقدت فيه التهافت على السلام فقالت « استعجال السلام والمطالبة به والرغبة فيه شيء وامكان تحقيق السلام او القدرة على فرضه شيء اخر » وتساءلت لماذا كل هذا الاستعجال لانعقاد جنيف « ان السلام لا يتحقق من خلال اظهار الرغبات به والالاحاح على تحقيقه ، والسفر اليه هنا وهناك او استعجال الوصول اليه او الحرص العربي على عقد مؤتمر جنيف » .

اما الاشارة الثانية فقد وردت في البيان الذي صدر عن القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي (١٥-١١) في ذكرى الحركة التصحيحية ، حيث حذر البيان من الحلول الثنائية والمنفردة لازمة الصراع العربي - الاسرائيلي ، ودعا الى استخدام كل الوسائل والامكانات العربية المتاحة لارغام اسرائيل على تحقيق السلام العادل في الشرق الاوسط .

لقد تحدد الموقف السوري رسميا عندما أعلن الرئيس حافظ الاسد في مؤتمر صحفي بعد انتهاء زيارة السادات لسوريا ، عن فشل سوريا في اقتناع السادات العدول عن زيارته للارض المحتلة ، واكد رفض سوريا لهذه الزيارة . ومساء اليوم نفسه صدر في سوريا بيان باسم كل من القيادتين القومية والقطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي والجهة القومية والتقدمية والحكومة السورية . وحدد البيان موقف سوريا بكل ابعاده ، وجاء فيه « ان قرار رئيس جمهورية مصر العربية واصرارها على القيام بزيارة اسرائيل يعتبر ضربة موجعة ومؤلمة للامة العربية وخروجاً على ارادتها وتفتيتاً لتماسك اقطارها ... ان الامة العربية التي ترى في الصراع ضد الوجود الصهيوني في فلسطين صراعا

تحريرا قوميا لن تغفر لاي مسؤول عربي ان يقدم على اية خطوة تساهم في ترسيخ العدوان وتؤخذ استمرارينه وتسبغ الشرعية على احتلاله الارض العربية « وطالب البيان » العرب جميعا ان يتحملوا مسؤولياتهم القومية في مواجهة الاخطار التي يسببها ذهاب حاكم عربي « الى اسرائيل » كما دعا « الاشقاء العرب في الوطن الكبير الى العمل لاحباط المخاطر المتوقعة وتطويقها والبحث عن الصيغ التي تعيد للامة العربية متانتها ونماسك اقطارها لتستطيع التصدي لمشاريع العدو الصهيوني » .

وفي اليوم التالي « ١٨-١١ » اجتمع الاسد الى القيادة المركزية للجبهة القومية والتقدمية حيث جرت خلال الاجتماع مناقشة عامة للعواقب المترتبة على زيارة السادات . وأصدرت الجبهة اثر الاجتماع قرارا بان يكون يوم السبت ١٦-١١ ، والذي يصادف بدء زيارة السادات للارض المحتلة يوم حداد وطني في الجمهورية العربية السورية .

مع بدء زيارة السادات للارض المحتلة . تحركت الدبلوماسية السورية باتجاهات عدة متجاوبة مع تحرك الدول العربية الراضة للزيارة ، ومحددة لخطوط عملها المقبلة .

(١) مباشرة حملة اعلامية واسعة ضد زيارة السادات على جميع الاصعدة .

(٢) تتمين تحالفها وعلاقاتها مع منظمة التحرير الفلسطينية ، فقام وفد من اللجنة التنفيذية لـ م.ت.ف يرأسه الاخ ابو عمار بزيارة لدمشق يومي ٢١ و ٢٢-١١ واجرى الوفد محادثات مطولة مع الفريق حافظ الاسد وقيادات حزب البعث العربي الاشتراكي . وصدر في اثر هذه المحادثات بيان سوري فلسطيني مشترك (٢٣-١١) محددا خطوط العمل المقبلة ، وقد اكد البيان ان الاتفاق تم على عدة نقاط منها : (١) الادانة التامة لهذه الزيارة والاستعداد لوضع كل الطاقات لاسقاط نتائجها وتوجيه نداء الى شعب مصر وجيشها للتصدي لهذه الخيانة . (٢) دعوة سائر الدول العربية الى ادانة زيارة السادات ، والتاكيد على ان الموقف من كل دولة عربية « يتحدد في ضوء موقف تلك الدولة من الزيارة وما يتبعها من تحركات واتصالات » . (٣) الدعوة لقيام تضامن حقيقي في مواجهة مؤامرة السادات ودعم موقف م.ت.ف وسوريا . (٤) التحرك عالميا لفضح سياسة السادات واخطارها . (٥) الدعوة لعقد مؤتمر شعبي للأحزاب والمنظمات والاتحادات النقابية والمهنية العربية ، وتشكيل لجنة تحضيرية لذلك .

(٣) رسم بعض الشكوك حول احتمالات عقد مؤتمر جنيف بعد زيارة السادات ، وبهذا الخصوص بدت الدبلوماسية السورية حذرة بعض الشيء ، ففي حين ذكرت مصادر صحيفة « النهار » ٢٤-١١ ان مصادر سورية مأذون لها صرحت بأن سوريا لا تزال مع المساعي المبذولة لاحلال سلام عادل ودائم وعقد مؤتمر جنيف ، الا انها تقف بقوة ضد زيارة السادات وترفض نتائجها ، قال عبد الرحمن خليفاي في تصريح له نقلته صحيفة « الرأي العام » الكويتية (٢٤-١١) ان سوريا لم تقرر بعد اذا كانت ستذهب الى جنيف ام لا في حال انعقاده . وذكرت السفير (٢٦-١١) ان مصدرا سوريا مسؤولا علق على امكان عقد مؤتمر جنيف بقوله « لا شك ان زيارة السادات لاسرائيل قد وضعت مؤتمر جنيف في ثلاجة حتى اشعار اخر » .

(٤) التجاوب مع المساعي العربية لعقد مؤتمر قمة عربية للدول العربية الراضة لزيارة السادات . ففي (٢١-١١) استقبل الرئيس الاسد عبد السلام جلود ، وذكرت السفير

(٢٤-١١) ان الاسد ابلغ جلود انه مستعد من جانبه لحضور القمة المصفرة وانه مستعد لطى صفحة الماضي مع العراق وتجاوز الحساسيات والخلافات الحزبية والسياسية

تدعيما لقدرات المواجهة . واعلن الاسد في (٢٨-١١) حول احتمالات المصالحة بين العراق وسوريا ، ما يفيد استعداد سوريا لذلك بقوله « هناك خطر داهم ، ونحن جميعا نسعى لمواجهة هذا الخطر الداهم ، وكل ما تتطلبه مواجهة هذا الخطر الداهم نحن مستعدون له » . وبناء على ذلك ، فقد دعت سوريا دعوة ليبيا لعقد مؤتمر قمة عربي للتصدي والصمود ، الذي حدد مواعده في ١-١٢-١٩٧٧ في طرابلس . وشاركت في هذا المؤتمر بوفد يرأسه الفريق الاسد . ورفضت سوريا حضور مؤتمر القاهرة ، واعلن عبد الحلیم خدام (٢٦-١١) انه يستحيل على سوريا قبول الدعوة . ووصف المؤتمر بانسه « غطاء للعلاقات المصرية - الاسرائيلية الجديدة » .

لقد اوضح عبد الحلیم خدام الموقف السوري في خطابه امام مجلس الشعب السوري (٢٧-١١) حيث قال ان المطالب لمواجهة الظروف الطارئة ، (١) تعبئة الرأي العام العربي تجاه المخاطر الجديدة التي يتعرض لها مصيره القومي (٢) خلق موقف عربي متماسك حول خط عام يهدف الى : (١) الحرص على تحقيق اوسع قاعدة للتضامن العربي حول هذا الخط (ب) التأكيد على قومية الصراع بيننا وبين العدو الاسرائيلي .

٥ - تمتين العلاقات مع الاتحاد السوفياتي . وبهذا الخصوص قام عبد الحلیم خدام بزيارة للاتحاد السوفياتي في ٢٨-١١ ، جرى خلالها التشاور حول الوضع في منطقة الشرق الاوسط، كما جرى خلالها التفاهم على رفض الاتحاد السوفياتي الاشتراك في مؤتمر القاهرة . وقد استمرت زيارة خدام ثلاثة أيام التقى خلالها بالسيد بريجنيف حيث سلمه رسالة من الاسد . وذكرت « تاس » ان الجانبين السوري والسوفياتي اتفقا على الردع الحازم لاي محاولات لتخريب الصداقة بينهما ، واعربا عن العزم للسعي لبلوغ التسوية الشاملة في الشرق الاوسط في ظروف تستثنى امكانية عقد الصفقات الانفرادية التي لا يزال يتشبث بها قادة بعض البلدان العربية . واكدوا وجوب السعي للتسوية الشاملة مع الاشتراك المتكافئ في الحقوق لمنظمة التحرير الفلسطينية .

الجمهورية الليبية

انتظرت ليبيا عدة ايام قبل ان تحدد موقفا رسميا من اعلان السادات استعداده لزيادة الأرض المحتلة ، وبدأ التحرك الليبي الرسمي ضد الزيارة اعتبارا من ١٦-١١ ، وقد اتخذ التحرك الليبي الاتجاهات التالية :

(١) تحديد موقف محدد من الزيارة برفضها ، ففي ١٦-١١ ، اعلن في طرابلس ان مؤتمر الشعب العام اوقف مناقشة جدول اعماله العادي وعقد جلسة طارئة استعرض فيها تدهور الموقف في منطقة المواجهة ، في الوقت الذي شهدت فيه طرابلس تظاهرات شعبية ضد الزيارة . وفي اليوم نفسه علقت وكالة انباء الجماهيرية الليبية على « خطوة السادات » فوصفتها بانها اوجدت انهيارات مؤسفة ودرامية في موقف المواجهة العربي مع العدو الصهيوني . وفي اليوم ذاته انتقد منصور الكيخيا ، مندوب ليبيا في الامم المتحدة ، زيارة السادات ، واعتبرها تطورا خطيرا ، قد يثير ردود فعل عنيفة في المنطقة وفي مصر .

وفي ١٧-١١ ، صدر عن المؤتمر الشعبي العام بيان استنكر زيارة السادات ووصفها بأنها جريمة في حق الامة العربية ، وأشار البيان الى ان المؤتمر اتخذ عدة مقررات منها :

(١) وضع كافة امكانات الجماهيرية السياسية والعسكرية تحت تصرف سوريا والمقاومة الفلسطينية .

(٢) دعوة الجماهيرية للموقف وراء سوريا في موقفها الصلب .

(٣) سوف تسحب الجماهيرية اعترافها بشرعية الدولة المصرية ، كما سوف تطالب بإخراجها من جامعة الدول العربية ونقل مقر الجامعة من القاهرة فورا ، وذلك اذا اصر السادات على السفر الى الاراضي المحتلة .

٤ - دعوة ياسر عرفات لزيارة فورية الى ليبيا .

وفي ١٨-١١ استدعى العقيد القذافي السفراء العرب المعتمدين في ليبيا ، ووجه عبرهم رسائل الى رؤساء الدول العربية طالبا اليهم ان يحددوا موقفا واضحا من خطوة السادات . وأبلغهم قرار الجماهيرية بسحب اعترافها بالحكومة المصرية .

وفي ٢٢-١١ أصدرت الحكومة الليبية بيانا اعلنت فيه سحب اعترافها بالحكومة المصرية وتطبيق احكام مقاطعة العدو الصهيوني على مصر ، واقفال الاجواء والمطارات الليبية ني وجه الطائرات المصرية ومنع البواخر التي تحمل علما مصرية من العبور فسي المياه الاقليمية الليبية والرسو في موانئها ، وايضا اقفال الاجواء والمطارات الليبية في وجه الطائرات التي تطير من مصر واليها ، وكذلك البواخر .

(٢) القيام باتصالات واسعة مع الدول العربية لدراسة الوضع واتخاذ الاجراءات اللازمة .

ففي ١٦-١١ ، بعث العقيد القذافي برسالة الى الفريق حافظ الاسد حملها احمد عبد السلام خضال ، رئيس مكتب العلاقات الليبية في سوريا . وذكرت صحيفة « الثورة السورية ١٩-١١ » ان القذافي اقترح في رسالة الى الاسد اتخاذ اجراء مقاطعة ضد مصر اذا تمت الزيارة ، كما اقترح « اجراء اتصالات مع جميع الملوك والرؤساء العرب للاتفاق على خطوات تاريخية تحفظ الحق العربي وتكفل هزيمة العدو الصهيوني » .

وفي ١٨-١١ ، استقبل انور السادات المقدم الركن عبد الفتاح يونس من القوات المسلحة الليبية وسلمه رسالة من العقيد القذافي ، كما سلم مبعوث ليبي اخر رسالة من العقيد القذافي الي الرئيس النميري تدور حول التطورات الاخيرة والعلاقات الثنائية بين البلدين .

في ٢١-٢٤/١١ قام عبد السلام جلود بزيارة الى كل من سوريا والعراق والجزائر ، لدراسة الوضع الجديد ، وسعى جلود خلال زيارته هذه الى تقريب وجهات النظر بين سوريا والعراق ، وتأمين اشتراكهما في مؤتمر قمة يعقد في طرابلس ضد زيارة السادات .

كذلك بعث القذافي خلال الفترة نفسها ابو زيد دوربه محملا برسائل منه الى السعودية وعدن وابو ظبي .

في ١١-٢٨ ، وجهت امانة الخارجية الليبية دعوات الى الدول العربية لعقد مؤتمر عربي في طرابلس في ١٢-١-١٩٧٧ ، وقال ناطق رسمي ليبي ، انه « اذا لم تفلح الجهود المبذولة لعقد اجتماع القمة الموسع فان عددا من الدول العربية التي تتحمل مسؤولية الصمود ودعم المقاومة الفلسطينية ستجتمع في طرابلس في الموعد المحدد » . وذكرت « السفير - ١١-٢٩ » ان ليبيا لا تمنع ان يكون اللقاء على مستوى وزراء الخارجية العرب اذا تعذر ان يعقد على مستوى القمة .

وذكرت مصادر صحفية ان كلا من اليمن الديموقراطية وسوريا والجزائر ومصر وافقت على حضور مؤتمر قمة للتصدي والصمود في طرابلس في ١٢-١-١٩٧٧ ، وان المشاورات والاتصالات لا تزال جارية لتأمين حضور العراق .

وصباح ١٢-٢ ، افتتح في قصر الشعب بطرابلس ، مؤتمر الصمود والتصدي بحضور القذافي ، والاسد ، وبومدين ، وياسر عرفات ، وحضر عن اليمن الديموقراطية عبد الفتاح اسماعيل الامين العام للتنظيم السياسي الموحد ، الجبهة القومية ، وعن العراق ، وفهد برئاسة طه ياسين رمضان ، عضو القيادة القومية وعضو مجلس قيادة الثورة العراقي . وقد ترأس المؤتمر العقيد القذافي ، وعملت ليبيا على انجاح المؤتمر ما امكن ، والخروج منه بموقف موحد وجبهة متحدة للصمود والتصدي .

استمرت جلسات المؤتمر اربعة ايام ، حيث صدر في ١٢-٥ ، بيان عن المؤتمر وقعته جميع الاطراف المشاركة باستثناء العراق ، وقد اعلن البيان عن قيام جبهة قومية للصمود والتصدي شاركت فيها الاطراف الموقعة على البيان ، وترك الباب مفتوحا للدول العربية الاخرى للانضمام الى هذه الجبهة .

وعلى هامش المؤتمر صدر في ١٢-٥ ، عن القذافي والاسد قرار بعزل السادات من رئاسة دولة اتحاد الجمهوريات العربية ، ونقل جميع مؤسسات دولة الاتحاد الى طرابلس .

العراق

اوردت الصحف العراقية اعلان السادات استعداده لزيارة اسرائيل ، كخبير وبدون تعليق ، خلال الاربعة ايام الاولى . وفي ١١-١٤ ورد اول تعليق على الزيارة في صحيفة الثورة العراقية ، وجاء في التعليق ان ما ذكره السادات اثار استغرابا شديدا في الاوساط العربية ويعتبر امرا خطيرا جدا ويجب الوقوف عنده . وادان التعليق نهج التسوية بشكل عام وقال « ان هذا المسلك الذي يسلكه بعض المسؤولين العرب يعبر عن تصميم متواصل على الوقوع في المخطط الامبريالي - الصهيوني والاستعداد للتفريط بأهم القضايا واعزها » .

وفي ١١-١٥ اصدرت القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي بيانا ضد زيارة السادات ، قالت فيه « انها تعتبر تصرف الرئيس السادات انحرافا خطيرا لا يجوز تجاوزه او السكوت عنه » وادان البيان سياسة التنازلات المتتالية التي تقدمها الانظمة العربية للعدو الصهيوني ولسيدته الامبريالية . وحذر من مغبة الاستمرار في هذه السياسات ، ودعا الى اعادة النظر فيها بصورة جذرية ومخلصة وشاملة ، والى انتهاج طريق التمسك بالحقوق العربية المشروعة » .

وفي ١٩-١١ ، استدعت وزارة الخارجية العراقية رؤساء البعثات العربية المعتمدين في العراق ، وأحاطتهم علما بصورة رسمية بموقف العراق من زيارة السادات ، وهو الموقف الذي عبر عنه بيان القيادة القومية . كذلك وفي اليوم نفسه أصدرت الجبهة الوطنية والقومية التقدمية بيانا جاء فيه « ان خطوة الرئيس المصري الخيانية في التوجه الى الارض المحتلة ٠٠٠ تنذر بتطور خطير وسريع للاحداث في المنطقة » وتشكل « تحديا خطيرا لارادة ابناء شعبنا في مصر ولسائر ابناء الشعب العربي وبخاصة العربي الفلسطيني » وأشار البيان الى ان الزيادة تأتي « في سياق نهج كامل في التسوية الاستسلامية والارتداد عن مكتسبات شعبنا في مصر . ونهج الاستسلام والمساومة على مصائر حركة التحرر الوطنية العربية » . ودعا البيان « الحكومات والحزاب في الوطن العربي ان ترتفع الى مستوى مسؤوليتها القومية ٠٠٠ وشن نضال ظافر لمواجهة الهجمة الامبريالية الصهيونية » .

بهذا الشكل تحدد موقف العراق رسميا مع بدء زيارة السادات . وبهذا الموقف تحركت الدبلوماسية العراقية لمواجهة نتائج الزيارة والتطورات التي رافقتها . لقد كان على العراق ان يجيب على مسألتين اساسيتين مترابطتين ، وهما مصير ومستقبل علاقاته مع سوريا ، والاشترك في مؤتمر القمة في طرابلس .

ربط العراق موقفه من سوريا ومن مؤتمر طرابلس ، بالموقف من التسوية بشكل عام . فقد دأبت الصحف العراقية والاجهزة الاعلامية الاخرى على نقد نهج التسوية بشكل عام وهي تنتقد زيارة السادات ، كما كان الهجوم الاعلامي على مصر يتضمن هجوما على سوريا . واستمر هذا الموقف حتى اعلن العراق اشراكه في مؤتمر طرابلس ، حيث توقفت اعتبارا من ٢٠-١١ ، الحملات الاعلامية . وبالنسبة للاشتراك بمؤتمر طرابلس ، ظل الشك باحتمال اشترك العراق في المؤتمر حتى لحظة اعلان العراق موافقته على الاشتراك فيه . واستقبل العراق مبعوثين من القذافي ومن هوارى بومدين ، كما استقبل ياسر عرفات ، الذي اكد ضرورة اشترك العراق في المؤتمر . وفي ٢٨-١١ ، وبعد اجتماعين استثنائيين للقيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي وللجبهة الوطنية والقومية التقدمية ، للبحث في مستلزمات مواجهة النتائج المترتبة على زيارة السادات . تبسّى العراق دعوة لعقد مؤتمر قمة في بغداد ، تحضره كل من العراق وسوريا واليمن الديموقراطية والجمهورية العربية و م.ت.ف ، كما شملت الدعوة الامناء العاملين لمنظمات الرفض الفلسطينية ، وحدد يوم ٥-١٢ ، موعدا للمؤتمر ، على ان يبحث المؤتمر في اصدار وثيقة قومية لجبهة قومية للصمود والتصدي . وارسل البكر مبعوثين يحملون رسائل منه تتضمن الدعوة الى كل من رؤساء الجزائر واليمن الديموقراطي والجمهورية الليبية ، واوكل الى السفير العراقي في سوريا تسليم الدعوة الى الرئيس الاسد .

كانت دعوة العراق تبدو متعارضة مع الدعوة الليبية ، ولم يكن مهما اين يعقد المؤتمر بقدر ما كان مهما عقد المؤتمر نفسه ، وبحضور العراق . ولقد حسم العراق تردده حين اعلن في ٣٠-١١ ، في بيان صدر عن مجلس قيادة الثورة العراقي ، ان العراق قرر الاشتراك في مؤتمر طرابلس بوفد يرئسه طه ياسين رمضان عضو القيادة القومية ، عضو مجلس قيادة الثورة ، ويضم نعيم حداد ، عضو القيادة القومية ، عضو مجلس قيادة الثورة ، وعدنان حسين وزير التخطيط ، والدكتور سعدون حمادي وزير الخارجية .

واعلن ناطق رسمي عراقي ان دعوة العراق الى عقد مؤتمر قمة عربي في بغداد ما زالت قائمة .

ومع اعلان الاشتراك في مؤتمر طرابلس ، ارسل الرئيس البكر طارق عزيز مبعوثاً شخصياً له الى موسكو . وغادر طارق عزيز بغداد في ١-١٢ ، حيث اجتمع هناك الى غروميكو وبريجنيف ، وذكرت « تاس - ٢-١٢ » انه تم خلال المحادثات « التأكيد على العزم لدى الطرفين على العمل لاحقا على تعزيز اواصر الصداقة بين كلا البلدين وتوسيع تعاونهما المؤتمر الشامل على الاساس المتين للمعاهدة السوفياتية - العراقية المعقودة العام ١٩٧٢ » .

اشترك العراق في المؤتمر لم يؤد الى انضمام العراق الى الجبهة القومية للصمود والتصدي . فقد رفض الوفد العراقي التوقيع على البيان الختامي للمؤتمر ، واعلن طسه ياسين ان العراق لم يوافق على الوثيقة لانها لم تحقق شيئاً ، وازداد « ان الوفد العراقي اقترح ان يعلن المؤتمر رفضه لقراري مجلس الامن الرقم ٢٤٢ و ٢٢٨ ورفضه لاي مفاوضات مباشرة او غير مباشرة » .

وفي رسالة من الرئيس البكر الى العقيد القذافي اوضح العراق موقفه ، وجاء فسي رسالة البكر « ان توجهنا صميمي لاقامة جبهة للصمود والتصدي على ان تكون مثل هذه الجبهة محدودة الاهداف والالتزامات وان يكون منطلقها التصدي للمؤامرات الامبريالية والصهيونية واساسها رفض الخط الاستسلامي التساومي الذي سارت عليه انظمة التسوية » .

الجزائر

بعد قطع اي شك باحتمال رجوع السادات عن قراره في زيارة الارض المحتلة ندد عبد العزيز بوتفليقة وزير الخارجية الجزائري في ١٩-١١ بزيارة السادات ، وقال « ان القرار المصري يتعارض مع قرارات مؤتمرات القمة العربية » وازداد « هذه سياسة جديدة ، انها تثير الحيرة وستكون لها ذيول خطيرة وعميقة . . . وليس من حق احد ان ينتهجها باسم الامة العربية » .

وفي اليوم نفسه علقت صحيفة « الشعب » الجزائرية على الزيارة فقالت : « ان زيارة السادات ليست فقط تحدياً لتضحيات شهداء النضال العربي وانما استهانة واحتقار لمشاعر الامة العربية وامعانا في تعميق تمزقها » وازدادت « ان عبادرة السادات ليست في الواقع الا نتيجة لسياسة العبور الامبريالي الى المنطقة بعد حرب تشرين » . لقد شاركت الجزائر في الجهود التي بذلت لتقريب وجهات النظر بين سوريا والعراق وتأمين اشتراكهما فسي مؤتمر طرابلس ، ففي ٢٤-١١ بعث برمدين احمد طالب الابراهيمي ، وزير التربية الجزائري الى كل من دمشق وبغداد . وفي ٣٠-١١ حثت صحيفة « الشعب » في تعليق لها « القوى التقدمية المناضلة في الوطن العربي الى تجاوز بعض الخلافات الثانوية للارتفاع الى مستوى مسؤولياتها التاريخية » وطالبت بدعم الجبهة الشرقية ، فقالت : « ان الرد العربي الحاسم على دعاة الاستسلام يمر بدعم الجبهة الشرقية وتحريك الجبهة العسكرية الفلسطينية » . وقد شاركت الجزائر بوفد رأسه الرئيس بومدين ، وسعت لانجاح المؤتمر .

اليمن الديمقراطية

في ١٩-١١ ، اصدرت وزارة الخارجية بيانا شجبت فيه زيارة السادات ووصفتها بأنها تشكل خطرا وضررا على القضية الفلسطينية . وقد لبث اليمن الدعوة لحضور مؤتمر طرابلس دون تردد . وكان من المنتظر اشتراك اليمن بوفد يرأسه سالم ربيع علي ، غير انه في اللحظة الاخيرة اعلن ان الوفد سيكون برئاسة عبد الفتاح اسماعيل ، وقد ادى تأخر وصول الوفد اليمني ، الى تأجيل افتتاح مؤتمر طرابلس يوما .

المغرب

كان الملك حسن الثاني من المبادرين في تأييد السادات ، وكان اول تعليق له على الزيارة قوله في ١٧-١١ ، انه يرغب ان يرى الشرق الاوسط وقد جمع « بين العبقريّة الاسرائيلية والموارد العربية » . وفي ١٨-١١ اتصل الحسن الثاني بالسادات تليفونيا . ونقل اليه تقديره واعجابه بجهوده لتحقيق السلام . وأشارت مصادر صحفية الى ان الحسن الثاني كان من الذين اشتركوا في ترتيب زيارة السادات .

السودان

بادر جعفر النميري الى دعم السادات في خطوته . وفي ٢١-١١ ، ترأس النميري اجتماعا طارئا للمكتب التنفيذي للجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي السوداني ولجلس الوزراء ، وقد صدر عن الاجتماع بيان يشيد بالسادات وبزيارته ، وجاء في البيان « وقد رأى الاجتماع ان خطاب السادات جاء تأكيدا محمدا وواضحا لمبادئ النضال العربي والتزاما قاطعا بأهدافه الرامية الى الانسحاب الكامل من الاراضي العربية المحتلة والى كفالة الحقوق الاساسية للشعب الفلسطيني » . ورفض البيان كل تشكيك في قدرة مصر وشعبها وطالب بوضع حد لكل حملات التشكيك التي تكرر الانقسام .

وقد بادر النميري للقاء السادات في الاسماعيلية فور عودته من الارض المحتلة واضعا كل ثقله مع السادات ، وفي ١-١٢ قام النميري بزيارة السعودية ، لتوضيح موقف مصر كما ذكرت بعض المصادر الصحفية . وفي حديث للنميري مع مجلة « المصور » المصرية بتاريخ ١-١٢ ، قال « ان زيارة السادات تمت في اطار استراتيجية عربية متفق عليها سواء من حيث الوسيلة او الهدف » . وانسجاما مع هذا الموقف فقد طلبت وزارة الخارجية السودانية في ٢٥-١١ من م.ت.ف. ابعاد ممثلها في السودان الاخ ابو خير . لانه « شخص غير مرغوب فيه » .

تونس

رحبت تونس في البداية بخطوة السادات ، وقد اعلن ذلك مصدر حكومي في تونس في ١٧-١١ ، وقد دأبت الصحف التونسية الموالية للحكومة وكذلك اجهزة الاعلام الرسمية

على الاشارة بموقف السادات وفي ١٨-١١ علقت صحيفة « العمل » التونسية على الزيارة فقالت « اذا اخذنا بمبدأ ان السكوت علامة الرضا فلا شك ان زيارة السادات لاسرائيل تحظى بتأييد اغلبية العواصم العربية ، وان المعارضات التي سجلت حتى الان كانت صادرة من جهات لم تبخل في الماضي على القيادة المصرية بانتقاداتها » . غير ان الحكومة التونسية سرعات ما صحت موقفها . فقد صرح الشطي ، وزير الخارجية التونسي منتقدا الزيارة ومؤكدا على موقف تونس في دعم منظمة التحرير الفلسطينية . ومن الدول العربية الاخرى التي ايدت السادات كانت عمان ، فقد اعلن قابوس بن سعيد في

رسالة الى السادات بتاريخ ١٩-١١ تأييده للزيارة ووصفها بأنها « خطوة شجاعة وجريئة تدفع بعجلة السلام الى الامام » .

لبنان

كان لبنان الرسمي متخوفا وقلقا ازاء التطورات الجديدة . والتزم لبنان بالصمت ازاء ما يجري ، وفي ٢٧-١١ ابدى وزير الخارجية اللبناني تخوفه من ان تكون للاوضاع العربية الراهنة انعكاسات مباشرة على ارض لبنان . وقال : ان الامور تتطور بسرعة ويأمل لبنان في ان لا تسيء التطورات المقبلة الى الاوضاع فيه .

ومن هذا المنطلق ، الصمت والحياد ازاء ما يجري ، اعتذر لبنان عن حضور مؤتمر طرابلس ، وكذلك مؤتمر القاهرة . وعلل اعتذاره بحضور مؤتمر القاهرة ، بأنه ليس معنيا بالمؤتمرات التحضيرية بل بمؤتمر جنيف نفسه اذا ما دعي اليه .

الاردن

الموقف الاردني الرسمي من الزيارة كان موقفا انتظاريا ، اتسم بالتردد ، فمن ناحية بدا الاردن مرتاحا للزيارة ورأى فيها خطوة شجاعة وجريئة ، ومن ناحية ثانية كان يبدو غير مستعجل في القاء ثقله وراء السادات . غير ان الموقف كان اكثر وضوحا على الصعيد الشعبي ، وعلى صعيد الصحافة . فشعبيا قوبلت الزيارة باستنكار شديد ، وصحفيا ، بادرت الصحف الاردنية الى انتقاد الزيارة ووصفتها بأنها خطيرة وستؤثر على التضامن العربي .

لقد صمت الاردن رسميا على الزيارة في البداية ، وفي ١٩-١١ اصدر مجلس الوزراء الاردني بيانا بعد اجتماع طارئ للمجلس حضره الملك حسين ، وجاء في البيان « ان الاردن من منطلق مسؤولياته القومية كدولة مواجهة يهيب بالامة العربية جمعاء في الطرف الراهن الدقيق ان تتبصر في ردود فعلها تجاه المبادرة المصرية وتجاه مستقبل العلاقات العربية . ان اعظم خطر يمكن ان تتعرض له القضية العربية يأتي من الصراعات الداخلية والتمزق والفرقة بسبب الانفعال والتسرع واتخاذ المواقف العرضية والسلبية » واكد البيان « ان الاردن يؤمن ان التضامن العربي ووحدة الصف المرتكزين على العقل والجراة هما السبيل لتحقيق الاماني واقامة السلام العادل والمشرق في المنطقة » الا ان عدنان ابو عودة كان اكثر صراحة في توضيح ابعاد الموقف الاردني عندما صرح في ٢٢-١١ مشيدا بالزيارة ،

مدعيا انها حققت اهدافها وقال « انها حطمت الجليد وازالت الحاجز النفسي بين العرب والاسرائيليين واشاعت أملا جديدا بالنسبة لمؤتمر جنيف » .

لقد كان الاردن عيننا على القاهرة وعينا على دمشق ، فهو من ناحية يرغب ان تستكمل الزيارة ما قامت من أجله ، وهو من ناحية لا يرغب في ان يضع كل اوراقه في سلة السادات . ولهذا بعث الملك حسين برئيس وزرائه إلى دمشق في ٢٤-١١ ، لبحث الموقف مع سوريا . ومن هذا المنطلق اعتذرت الحكومة الاردنية عن حضور مؤتمر القاهرة وأبدت في بيان لها استعدادها للمشاركة في مؤتمر القاهرة اذ حضرته جميع الاطراف العربية المعنية في نزاع الشرق الاوسط . ولم تتردد في قبول اقتراح فالدهايم الذي دعا الى عقد مؤتمر تحضيرى في مقر الامم المتحدة يسبق عقد مؤتمر جنيف ويأتي عقب انتهاء مؤتمر القاهرة .

لقد بدا الاردن اكثر قربا للموقف المصري في الخطاب الذي وجهه الملك حسين في ٢٨-١١ من راديو وتلفزيون عمان ، وجاء في الخطاب « ولئن كانت لنا تحفظاتنا في الجوهر والشكل على المبادرة المصرية فاننا نفهم الدوافع التي دفعت الرئيس السادات الى اتخاذ هذا القرار الذي يتطلب تجاوز الكثير من التقاليد والاعراف والحواجز النفسية التي بنيينا عليها مواقفنا من اسرائيل واسلوب معالجة القضية الفلسطينية » ووصف حسين في خطابه مواجهة السادات العلنية لقادة اسرائيل بأنها « جراءة ومخاطرة وحماسة في اختراق الحواجز التي تعيق التسوية القادمة » ، وحذر من انقسام الوطن العربي انقساماً لا رجعة فيه ، ودعا الى « تطويق الشرخ وترميم التضامن » .

السعودية

السعودية كانت هي الطرف الغائب والحاضر في كل ما يجري ، فمع اعلان السادات عن الزيارة ، ارتفع اكثر من سؤال حول الموقف السعودي . هل السعودية على علم بالزيارة؟ واذا لم تكن على علم مسبق ، هل ستعلن السعودية مواقفها ام تعترض . لقد حسمت السعودية بعض هذه الاسئلة ، عندما اصدر الديوان الملكي السعودي في ١٨-١١ بيانا اعلن فيه مفاجأة السعودية بنبأ الزيارة ، ولكن دون تحديد موقف مع او ضد . قال البيان « لقد فوجئت المملكة العربية السعودية بعزم فخامة الرئيس محمد انور السادات على زيارة اسرائيل ، وقد بادر جلالة الملك خالد بن عبد العزيز في حينه ببعث رسالة الى فخامته اوضح فيها موقف المملكة العربية السعودية في هذا الشأن بطريقة صريحة لا تحتمل اللبس او الغموض . والمملكة العربية السعودية انطلاقا من مقررات القمة العربية التي لم تصدد الاهداف فصحب وانما الوسائل الرامية الى تحقيق هذه الاهداف لتعتبر مبادئ التضامن العربي هي الاساس السليم والمنطلق الواجب الاتباع لاي جهد عربي مبدول في سبيل حل القضية العربية . ومن هنا فان المملكة العربية السعودية تؤمن بأن اية مبادرة عربية في هذا الشأن يجب ان تنطلق من موقف عربي موحد » .

لكن على الرغم من هذا البيان ، فان مصادر صحفية اجنبية اكدت اكثر من مرة ان السعودية تلقي بثقلها وراء السادات . فذكرت « الواشنطن بوست » في ٢٥-١١ ، انه على الرغم من عدم الارتياح المبدئي السعودي لزيارة السادات ، فان السعودية تلقي بثقلها وراء مبادرة السادات . وقالت الصحيفة ان قرار السعودية هذا كان لقطع الطريق على الجهود

السورية والدول العربية الاخرى لتكوين جبهة موحدة في معارضة السادات وابقائه معزولا وقد اشارت صحيفة « الاهرام » المصرية الى موقف سعودي كهذا ، الا ان وكالة الانباء السعودية نفت خبر « الاهرام » واعادت التأكيد على الموقف السعودي كما جاء في بيان الديوان الملكي السعودي . غير انه على الرغم من هذا النفي ، فان ثمة اشارات وتساؤلات لا تزال تحيط بالموقف السعودي وابعاده ، ولا سيما بعد ان نفت السعودية ما ذكرت مصادر صحيفة من ان السعودية بصدد وقف معونتها المالية الى مصر .

أما بقية الدول العربية فقد كانت موافقها شبيهة بالموقف السعودي ، التأكيد على التضامن العربي والقلق عليه دون التطرق الى الزيارة كحدث وكنائج .

فالكويت مارست رقابة صارمة على الصحف الكويتية وطلبت وزارة الاعلام الكويتية في

١٨-١١ من الصحف « ضرورة الالتزام بقانون المطبوعات الذي ينص صراحة على حظر نشر كل ما من شأنه المساس برؤساء الدول العربية » . وفي ٢٣-١١ ، اكد جاسم المرزوق ، كبير الناطقين الحكوميين بالوكالة اثر اجتماع استثنائي لمجلس الوزراء الكويتي ، اكد مجددا تمسك الكويت المعلن « بقرار القمة العربية المتعلق بالشعب الفلسطيني وضرورة الانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي المحتلة والمحافظة على الصفة العربية للقدس » ، وفي ٣٠-١١ ، اعلن وزير الخارجية الكويتي ، ان بلاده لن تحضر اي مؤتمر قمة عربي الا اذا حضرته جميع الدول العربية على ان يسبقه اعداد مسبق ، ووضح « ان الكويت تهدف من وراء ذلك الى عدم زيادة الشقاق الموجود حاليا بين الدول العربية ورأب الصدع ودعم التضامن العربي » .

اما دولة اتحاد الامارات العربية فقد كانت اوضح في موقفها في البداية ، ثم نهجت النهج نفسه الذي اعلنته الكويت ، ففي ١٩-١١ صدر عن مجلس الوزراء بيان حث الدول العربية على عدم المبالغة في معارضتها لزيارة السادات ، ووضح « اننا نشعر بأسف عميق للتناقضات الراهنة في المواقف العربية واتجاه بعض الدول العربية لاتخاذ مواقف لم تتفق عليها المجموعة العربية » . وفي ٢٩-١١ اصدر مجلس الوزراء بيانا اخر اكد فيه « تمسك دولة اتحاد الامارات العربية بالمبادئ الثابتة والمعلنة لسياستنا الخارجية والتزامها بالاهداف التي حددها الاجماع العربي في مؤتمرات القمة العربية. والتي تؤكد على استعادة جميع الاراضي العربية المحتلة وعدم التفريط في الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني » .

وفي قطر ، قال الشيخ خليفة بن حمد آل ثاني ، امام مجلس الشورى القطري في ٢٨-١١ « اننا هنا في قطر نؤمن انه ليس اخطر على هدفنا المشترك من ان ندع الانقسام يعصف بتضامننا لانه امضى اسلحتنا » واضاف « ان حملات التشكيك والاثام لا تؤدي الا الى منعنا من الوقوف معا من أجل تحقيق التزامنا الجماعي والمقدس باستعادة الاراضي العربية المحتلة وخاصة القدس ، وتمكين الشعب الفلسطيني من استعادة حقوقه المشروعة » .

وفي البحرين ، اصدر مجلس الوزراء في البحرين بيانا في ٢٨-١١ ، اكد فيه تمسك البحرين بقرارات القمة العربي في كل من الجزائر والرباط وبخاصة القرارات المتعلقة بحق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير والمحافظة على الطابع العربي لمدينة القدس والانسحاب الاسرائيلي الكامل من الاراضي العربية .

اسرائيلياً

صبري جريس

زيارة السادات للقدس ، الهادفة - على حد تعبير الزائر - الى كسر « الحواجز النفسية » الناجمة عن الصراع العربي - الاسرائيلي تمهيدا لاجلال « السلام » في المنطقة ، لم تؤد ، كما يبدو ، الى اية تغييرات ملحوظة في « نفسية » الاسرائيليين . ويمكن القول ، استنادا الى مختلف ردود الفعل التي صدرت عن الاسرائيليين ، زعماء وافرادا ، بعد الزيارة الساداتية - واذا جاز لنا استعمال نسب تقديرات السادات لعوامل الصراع العربي - الاسرائيلي ، على غرار قوله المأثور « ان ٩٩٪ من اوراق اللعبة هي في ايدي اميركا » ، التي فقدت ١٤٪ منها بعد « الجراة » الساداتية في زيارة القدس ، فأصبح مجموع ما تملكه ٨٥٪ فقط - ان تلك الزيارة لم تؤد الى زوال ٧٠٪ من عوامل الصراع ، كما قدر السادات ، بل ٧٪ فقط ! فقد « دهش » الاسرائيليون فعلا ، خصوصا خلال الايام التي سبقت الزيارة واثناءها ، من اعلان السادات عن استعداده لزيارة القدس والتحدث امام الكنيست ، واثنى بعضهم على « جراته » و « شجاعته » و « اقدامه » ، الا ان الزيارة لم تكد تنتهي حتى عادت النغمات الاسرائيلية الى سابق عهدها واتضح ، بما لا يدع مجالا للشك ، ان مواقف الاسرائيليين ، حكومة وسكانا ، غير ناجمة عن عوامل نفسية ، بل تحركها عقيدة صهيونية متأصلة في النفوس واطماع توسعية ومخططات استراتيجية امبريالية ، لا تستطيع زيارة اي زعيم عربي لاسرائيل ان تليها . ويبدو ايضا انه لن يمر الا وقت قصير حتى يتضح للسادات نفسه خطأ خطه وتقديراته ، التي دفعته الى زيارة القدس واجراء « محادثات » مع الارهابي مناحم بيغن .

قوة اسرائيل وضعف مصر قادا السادات الى القدس

خلفا لهذيان النظام المصري وكافة مسؤوليه واجهزة اعلامه ، الناجم عن العقدة التي خلفها « عبور » قناة السويس خلال حرب تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٣ ، والادعاءات القائلة ان اسرائيل اصبحت مستعدة للسلام ، من جراء تذكريات « خوفها » فقط من عملية « العبور » تلك ، ليس هناك اي دليل يثبت صحة هذه الادعاءات المصرية . بل على العكس من ذلك ، نكاد لا نرى اسرائيليان يختلفان فيما بينهما على ان قوة اسرائيل وضعف مصر بالذات هما اللذان قادا السادات الى القدس .

فخلال النقاش ، الذي ثار في اسرائيل حول دوافع الزيارة الساداتية ، اعلنت - مثلا - النائبة غيئولاه كوهين من ليكود ، العضوة السابقة في منظمة ليحي (شتيرن) الارهابية والمقربة من مناحم بيغن حاليا ، والمعروفة بضيق افقها ومنطلقاتها الفاشية ، ان وجود رجل صلب وعنيد كمناحم بيغن على رأس السلطة في اسرائيل هو الذي دفع السادات الى

زيارتها ، ولذلك ليس هناك من طريقة أخرى للحفاظ على مصالح إسرائيل الا المزيد من التصلب و « الصمود » . أما النائب يهودا بن - منير ، زعيم كتلة الحزب الديني القومي (المجدال) في الكنيست ، واحد ابرز الصقور في معسكر المتدينين العنصريين ، فقد اعلن في مقابلة صحفية : « ان ارض - اسرائيل هي روح اليهودية والصهيونية . واعتقدت وزملائي ان موقفا صلبا [متفقا] مع هذه العقيدة سيقربنا من السلام اكثر من اقتراحات التنازلات التي ستجر طلبات أخرى أكثر تطرفا . وها قد اتضح انه بوجود حكومة صلبة ، اتخذت موقفا حازما . . . حدث التغيير الكبير لدى . . . السادات والشعب المصري » (١) .

كما ان رأي المتحدثين باسم المعارضة العراقية ، في هذا الصدد ، لا يختلف كثيرا عن رأي مؤيدي الحكومة . فقد اعلن يفتال آلون وزير الخارجية السابق في مقابلة صحفية : « ان العراق يستطيع ان يسجل لصالحه ، ان سياسة السلام والامن التي اتبعها هي التي خلقت وضعا مكن الرئيس السادات من ان يفضل ، في هذه المرحلة ، الخيار السياسي على العسكري » (٢) . وكتب احد المعلقين المعروفين في صحيفة « دافار » الهستدروتية ، الناطقة الان باسم المعارضة ايضا : « لا شك في ان الاتفاقيات المرحلة التي وقعت بين كل من مصر واسرائيل في عهد رابين [وهي الاتفاقيات التي عارضها ، فسي حينه ، بيغن وليكود] قد خلقت ارضية مكنت السادات من التقدم نحو الوضع الحالي . ان فتح قناة السويس واطلاح مدن القناة واستلام آبار النفط . . . قد جعل طريق السلام مربحا للسادات ، وذلك نتيجة للوضع الداخلي في مصر » (٣) . ولذلك لو بقيت حكومة رابين في السلطة ، لحدث الشيء نفسه .

وانطلاقا من الاسس نفسها ، كتب احدهم مشيرا الى عوامل القوة الاسرائيلية التي دفعت السادات الى زيارة القدس ، بقوله : « لا ينبغي ان ننسى ان السادات حضر الى القدس فقط بعد فشل مصر في اربع حروب وفي حرب الاستنزاف ، ثم فشل المقاطعة العربية ، وكذلك بعد توطين مشارف رفح [واقامة مدينة] ياميت [على الاراضي المصرية في شمال غرب سيناء] ، وبعد صمودنا العنيد امام الضغط الاميركي خلال عشر سنوات . . . سنتذكر دائما ان زيارة السادات للقدس سببها محاربو النقب وسيناء ،

ومستوطنات المهاجرين التي صمدت امام هجمات الفدائيين في قطاع غزة ، وعابرو القناة ومستوطنو النقب ، وبناء بئر السبع وايلات » (٤) . كما انه « ليس صدفة ان السادات حضر لمقابلة بيغن وغولده منير ، وليس غولدمان او اليسانف [المعروفين بمواقفهم الحماضية] . والسلام سيحل نتيجة لتعاظم قوتنا ، لا تقزيمنا » ، ولذلك ، لا بد من العمل كثيرا لاستيعاب [المزيد] من المهاجرين ، وبناء قوتنا واقامة مستوطنات في كل انحاء البلد . لقد اتضح لنا اخيرا ان هناك اجرا للعناد والعمل والضحايا ، رغم ان الطريق لا تزال طويلة » (٥) . وأجرى احد الصحفيين الاسرائيليين مقابلة مع المستوطنين في الجولان ، فأتضح له ان معظمهم قلق من مبادرة السادات السلمية ودعوته الى الانسحاب الاسرائيلي من كافة المناطق المحتلة ، لان اكثريةهم لا تنوي ترك تلك المنطقة (٦) .

ويرى بعض الاسرائيليين ان هناك ايضا دوافع أخرى للزيارة الساداتية للقدس ، منها عداء السادات للسوفييت ثم « يأسه » من الاميركيين . فقد اعلن ، مثلا ، الدكتور موشي شارون ، مستشار بيغن للشؤون العربية ، في مقابلة صحفية « ان الدافع الاخير الذي حرك السادات نحو القدس كان . . . الاتفاق السوفييتي - الاميركي بشأن جنيف » (٧) ، مؤكدا ان السادات ، يكره الإتحاد السوفييتي « . . . وعبر احد المعلقين الاسرائيليين عن رأي

مفاده « ان توجه ادارة كارتر نحو استراتيجية حل شامل [لازمة الشرق الاوسط] سلبت مصر مكان الصدارة في العالم العربي » ، ولذلك « رأي الرئيس المصري نفسه مضطرا الى ان يقوم بمبادرة دراماتيكية ، تشد الاميركيين قبل الجميع ، ومن ثم العرب ، واخيرا اسرائيل » (٨) . وازداد آخر ان تعثر المباحثات حول كيفية عقد مؤتمر جنيف قد وضع أمام السادات صورة لوضع قاتم « اعادت الى ذهنه كل ما حدث حتى اللحظة التي اضطرته الى اتخاذ قرار الحرب [في تشرين] » ، وذلك اثر فشل مهمة المبعوث يارينغ التي استمرت « ثلاث سنوات واسرائيل تماطل في « المباحثات » ، دون ان تتنازل عن اي شيء جوهري » (٩) ، بحيث خشي السادات من ان يتكرر هذا الوضع ثانية ، نتيجة للنقاش حول اوراق العمل المختلفة . كذلك يبدو ان السادات « عندما اغاد حساباته ، توصل الى تقييم واقعي للوضع : بعد عام ، اي في ١٩٧٨ ، سينتهي مفعول الاتفاق المرهلي مع اسرائيل ، الذي وقع سنة ١٩٧٥ ، وسيجابه بالسؤال ما اذا كان عليه ان يجدده او يتصل منه » (١٠) ، ولذلك رأى انه قد يكون من المفيد القيام بزيارة اسرائيل لـ « تحريك » الوضع .

وعزا البعض دوافع الزيارة الساداتية الى عوامل اقتصادية ، ناجمة اساسا عن تدهور الاقتصاد المصري . ففي مقابلة صحفية اعلن البروفيسور الياهو كنوفسكي ، الباحث في معهد شيلواح التابع لجامعة تل ابيب ، وهو المعهد الذي يزود - كما يبدو - مختلف الاجهزة الاسرائيلية بالتحليلات الاكاديمية لما يجري في العالم العربي ، ان مصر تملك مقومات اقتصادية لا بأس بها ، قادرة على بناء اقتصاد سليم ، لو احسن استغلالها ، ولكن البلد « ينقصه المدراء الجيدين والقوى البشرية [الملائمة] . كذلك تنقصه سياسة اقتصادية تدفع الى تقوية الانتاج ، بدلا من العمل على ازدياد عفته ، كما يحدث اليوم . . المشكلة هي في السياسة الاقتصادية . . . والبيروقراطية المخيفة التي تجمد كل مبادرة وكل نية حسنة » (١١) . وازداد كنوفسكي : « لدى مصر طبقة كبيرة من المثقفين من الناحية العددية ، ولكنها غير متوازنة من الناحية الاقتصادية . ففي مهن معينة (الحقوق) هناك زيادة كبيرة في المثقفين ، اما فيما يتعلق بالمهن التقنية فهناك نقص كبير في القوى البشرية » . ثم ان السادات بحاجة الى « ثورة داخلية شاملة ، قد يكون عقد حلف مع اسرائيل اسهل عليه من القيام بها . . . ان نظامه يستند على طبقة [منتفعة] ، جاءت نتيجة لتعيينات سياسية ، تستغني من « حلب » الصناعة المصرية وتمنع تطويرها . واذا حاول [السادات] التخلص من هذه الطبقة - فسيفقد حكمه . ومما يلفت النظر انه في الثورة الناصرية سنة ١٩٥٢ قضت مجموعة الضباط على طبقة ملاك الاراضي الفاسدين ، الذين كانوا في الحكم . واما اليوم ، مع الجيل الثاني لهذه الثورة ، فالنظام المصري يستند ثانية الى طبقة . . . فاسدة من مدراء الشركات الحكومية ، الذين يستغنون على حساب مصر . وهؤلاء ، بالاضافة الى ضباط الجيش ، هم اعمدة النظام . وهم ، في النهاية ، احد العوامل غير العلنية التي دفعت السادات « للمجيء الى اسرائيل (١٢) . يضاف الى ذلك ان السادات فشل في جذب رؤوس اموال كافية لتوظيفها في مصر ، وعندما

طلب منه الممولون الاجانب التخفيض في نفقات الحكومة رأى ، بعد الاضطرابات التي حدثت في كانون الثاني (يناير) الماضي اثر خفض المعونات الحكومية للمسلح الاستهلاكية الاولى ، انه لا مخلص من التخفيض في نفقات الجيش ، وبالتالي التخلي عن اللجوء الى استعمال القوة مع اسرائيل .

الزيارة الساداتية مكسب كبير لإسرائيل

لا يكاد يختلف اسرئيليان فيما بينهما على ان مجرد وقوع الزيارة الساداتية للقدس هو مكسب كبير و « ربح صاف » لاسرائيل . بل ان المسؤولين والمعلقين الاسرائيليين يتبارون فيما بينهم للتدليل على اهمية تلك الزيارة من وجهة النظر الاسرائيلية . فقد علقت احدى الصحف الاسرائيلية على ذلك الحدث بقولها ان مجرد حدوثه يعني « كسر . . طوق المقاطعة التي فرضها العالم العربي علينا حتى الآن ، [وهذا] بمثابة اعتراف ، ليس بحقيقة وجودنا فحسب ، وانما بحث وجود الدولة اليهودية كدولة ذات سيادة وكواحدة من دول المنطقة . ويبدو لنا ، من تصريحات السادات ، انه على بينة من معنى هذه الحقيقة لزيارته » (١٢) . واذاف أحد المعلقين الاسرائيليين : « ان مجرد الزيارة هي بمثابة اعتراف واقعي باسرائيل . . ان المعنى التاريخي يكمن في مجرد زيارة [السادات] لدولة هو في حالة حرب معها ، وكذلك في كسر الحصار حول اسرائيل منذ انشائها ، وفي الحادثات المباشرة والودية مع حكومتها ، واخيرا في الاتفاق الذي تم مع رئيس الحكومة « لا سفك دماء بعد اليوم » ، « لا حروب بعد اليوم » (١٤) . ولاحظ آخر « ان السادات قد اعطى اسرائيل في زيارته الحد الاعلى مما يمكنه تقديمه تقريبا - ليس فقط الاعتراف بحق اسرائيل في الوجود ، وانما بعدالة وجودها . وتعتبر زيارته لمؤسسة « ياد فاشيم » [لتخليد ضحايا النازية اليهود] ذات مغزى كبير ، اذ لا تعني فقط الاعتراف بالحقيقة الموضوعية لوجود اسرائيل وعدم المقدرة على هدمها والقضاء سكانها في البحر ، وانما تعني ايضا اعترافا بالعقيدة الصهيونية التي عملت على قيامها » (١٥) . واكد ثالث : « ان السادات قدم ، من طرفه ، تنازلات كبيرة وفورية . فقد اعترف باسرائيل واعترف بالقدس عاصمة لها ، وحتى بالجذور القومية لدولة اسرائيل كدولة يهودية وصهيونية - كان هذا هو المعنى التاريخي للزيارة التي قام بها لكل من الكنيست وياد فاشيم . . لقد غير هذا التنازل طابع النزاع العربي - الاسرائيلي ، ومنح اسرائيل شيئا ما كانت تصفة طيلة السنوات الماضية على انه احد اهدافها الرئيسية - الاعتراف والمفاوضات المباشرة . وليس مجرد مفاوضات مباشرة ، وانما مفاوضات في القدس وعلى اعلى المستويات » (١٦) .

واكد نائب رئيس حكومة اسرائيل ، يغئال يادين ، على « ان الاهمية الاساسية في زيارة السادات هي ان المفاوضات المباشرة بين اسرائيل وبين اكبر دولة عربية قد بدأت . وهذا ما اردناه سنين طويلة » (١٧) . اما فيما يتعلق بتصرف السادات اثناء زيارته للقدس ، فقد لاحظ ادهم ان تلك « الزيارة للاماكن الاسلامية والمسيحية المقدسة [تمت] برفقة رئيس بلدية القدس تبدي كوليك ، وهو ما لم يفعله وزير المالية الاميركي ، الذي رفض [قبل بضعة اسابيع من زيارة السادات] القيام بزيارة للقدس الشرقية برفقة رئيس البلدية » . ولم يتوقف الامر عند هذا الحد ، بل « ان السادات نفسه هو الذي طلب ان يقوم كوليك بمرافقته ، وزارا سوية الاماكن المقدسة الاسلامية والمسيحية » ، وهذا اعتراف منه « بأن القدس موحدة ويرئسها احد الاسرائيليين » (١٨) .

أما محرر معاريف ، شالوم روزنفيلد ، فقد وصف الزيارة بانها « ترخيص عقائدي واخلاقي لعقد لقاءات مشابهة في المستقبل ، منح من قبل زعيم اكبر دولة عربية ، السادات » ، وهو الرجل الذي « تخوله خلفيته السياسية وايمانه الديني ومكانته الدولية

صلاحية لان يكون « اماما » لدى قطاع كبير من الرأي العام العربي في بلاده وخارجها » (١٩) . و اضاف روزنفيلد « ان تلك الزيارة ستترك اثرا كبيرا بالنسبة لمواقف دول العالم الثالث والعالم الشيوعي تجاه اسرائيل ٠٠٠ . اذ ، في النهاية ، ما السذي سيخشاه الان زعيم افريقي او شرق - اوروبي من ان يعقد لقاءات مكشوفة وعلنية مع قادة اسرائيل ، ما دام السادات قد فعل ذلك ؟ » (٢٠) .

ويبدو ان هذه المكاسب الضخمة التي جنتها اسرائيل مجانا نتيجة للزيارة الساداتية قد اثرت في « نفسية » بعض الاسرائيليين ، وازالت « الحواجز » التي ازعجت السادات ، فراح بعض الاسرائيليين ينتقد الحكومة ويحثها على تقديم « شيء ما » للسادات . فقد لاحظ احدهم « ان اسرائيل لا تزال مدينة لمصر ، وانه كلما تأجل تسديد هذا الدين فانه سينمو ويكبر » . مؤكدا « ان هذا العصر الجديد يتطلب ان تتم التنازلات الاسرائيلية من الآن وصاعدا لمصر ، وليس للوسطاء الاميركيين » (٢١) . وفي مجال تقديم النصيح للحكومة الاسرائيلية للقيام ببعض « التنازلات » للسادات ، طالب احدهم حكومة اسرائيل « بأن تعلن ٠٠٠ عن اطلاق سراح قسم كبير من آلاف السجناء الامنيين العرب المعتقلين لدينا ٠٠٠ وهذه البادرة الطيبة ليست موجهة الى مصر بالذات ، وانما الى العالم العربي بأسره ، وبصورة خاصة تجاه جيراننا العرب الفلسطينيين » (٢٢) ، بينما اقترح آخر ان تتمثل تلك « التنازلات » في « ضمان مكانة دولية داخل القدس ، عاصمة اسرائيل ، للاسلام والمسيحية واعتبار الرئيس المصري هو المؤتمن على تنفيذ كافة هذه التعهدات واجراء المفاوضات بشأن تفاصيلها » (٢٣) . أما اوري افيري ، محرر مجلة « هاعولام هازيه » ومن كبار الداعين الى التقارب العربي - الاسرائيلي ، فقد طالب بان تمنح اسرائيل السادات « على الاقل حق اختيار الممثلين الفلسطينيين الذين سيدعون الى جنيف ، حتى وان كانوا اعضاء في منظمة التحرير الفلسطينية ، او ان يقول كلمة ٠٠٠ في موضوع الحدود ، او المشكلة الفلسطينية » (٢٤) .

غير انه على الرغم من هذه الاقتراحات ، هناك من يعتقد ، من ناحية ثانية ، انه « لا يتحتم علينا ان ننظر الى زيارة السادات لاسرائيل كفضيلة تلزمننا بالتنازل عن معطيات امن حيوية » ، لان تلك الزيارة ليست الا « بداية لتصحيح جريمة بشعة ارتكبتها مصر بحق اسرائيل ، ولا تزال مستمرة منذ ثلاثين سنة ، ابتداء من الغزو المصري لاسرائيل في ايار (مايو) ١٩٤٨ » (٢٥) .

المصالح الاسرائيلية اولا

يبدا ، كما اشرنا ، ان الزيارة الساداتية لاسرائيل لم تؤثر على « نفسية » الاسرائيليين ولم تزل « الحواجز » بينهم وبين العرب ، بقدر ما دفعت العديد منهم للدعوة الى ضرورة التمسك بالمواقف التي يعتقد انها تخدم مصلحة اسرائيل ، وعدم الانجرار وراء العواطف الساداتية . وقد قام عدد من المسؤولين الاسرائيليين باطلاق التحذيرات الهادفة الى التذكير بالفلسفة الكامنة وراء المواقف الاسرائيلية والمصالح الاستراتيجية للكيان الصهيوني . فقد علق ، مثلا ، النائب زلمان شوفال على الزيارة الساداتية بقوله : « اننا نريد قطعا ان نؤمن بأن نوايا ٠٠٠ السادات صادقة . ولكن علينا ان نتذكر ان شبكة العلاقات بين الدول لا تقوم على حب او كره ، ولكن على المصالح واعتبارات القوة » . ولذلك « علينا ان نحذر من ان تتحول رحلة السلام الى رحلة

تنويم ، فحتى بعد الزيارة ٠٠٠ لا يزال الضمان الوحيد للامن والسلام هو قوة الجيش الاسرائيلي وقدرتنا على الدفاع عن انفسنا « (٢٦) . اما النائب والوزير السابق جاد يعقوبي فقد اعلن « ان السلام يعني واقعا آخر جديدا ٠٠٠ يستند الى شبكة جديدة من العلاقات السياسية والاقتصادية والانسانية ٠٠٠ والحدود المفتوحة والعلاقات التجارية والتعاون والعلاقات الدبلوماسية . وهذا واقع ستكون الشعوب والافراد والحكومات المعنية باستمراره ٠٠٠ ومن الضروري ان تتطور العلاقات تدريجيا ، في اطار السلام ، الى سوق مشترك ٠٠٠ وتعاون في مجالات تطوير الاقتصاد والتكنولوجيا والطاقة والمواصلات » . وفي حالة سلم كهذه يمكن ان ترى « اسس الامن » الاسرائيلية التي ينبغي ان تستند الى « حدود يمكن الدفاع عنها ومناطق واسعة مجردة من السلاح واجهزة انداز » (٢٧) . وحذر يعقوبي من تقديم تنازلات الى الانظمة الدكتاتورية العربية ، التي يمكن ان تتغير سياستها بسقوط الرجل القوي فيها .

كما انبرى غلاة التوسعيين الصهيونيين للتحذير من خطوة السادات ، مشككين في نواياه . فقد حذر ، مثلا ، البروفيسور العجوز بنيامين اكنسين ، احد اعرق مفكري الجناح اليميني الصهيوني ورفيق جابوتينسكي سابقا وبيغن لاحقا ، من ان السادات قد ينضم اخيرا الى جبهة الرفض العربية ، حتى اذا قدمت له اسرائيل بعض التنازلات . كما اشار اكنسين الى ان السادات لم يقترح اقامة علاقات كاملة ، اقتصادية وثقافية وسياسية ، مع اسرائيل ، التي لا ينبغي عليها ، في مثل هذا الوضع ، اتخاذ قرارات مصيرية ملزمة (٢٨) . أما الدكتور امرون بن - عامي ، احد زعماء حركة ارض -

اسرائيل الكاملة ، فقد حذر بشدة من الوقوع في « فخ » السادات ، مؤكدا « ان مجرد المطالبة بانسحاب اسرائيلي الى حدود الخامس من حزيران ١٩٦٧ في الجنوب والشرق والشمال - رغم الاتفاقيات والضمانات وتجريد المناطق من السلاح - لا يعني الا ان تحارب اسرائيل في اوضاع وظروف سيئة ، لا تمكنها من الدفاع الذاتي » (٢٩) . واذاف بن - عامي : « ان من يطلب هذا الانسحاب يعرف ان النتيجة الحتمية لذلك ستكون

دولة فلسطينية على ضفتي الاردن ، اي على ٨٠٪ من ارض الانتداب الاصلية ، على رمى المدفعية من القدس وتل - ابيب وحيفا . وهو يعرف ايضا ان خروج الجيش الاسرائيلي من سيناء سيحيد سلاح الجو الاسرائيلي ، وان ذلك سيضع اكثرية قواعدا الجوية تحت رمى الصواريخ التي تستطيع الحيلولة دون اقلع الطائرات . ان الانسحاب الشامل [من المناطق المحتلة] سيفتح الطريق امام هجوم على اسرائيل من كافة الجبهات ، على غرار يوم الغفران » (٣٠) .

وكانت اكثر من جهة اسرائيلية قد انتقدت السادات بسبب خطابه « المتصلب » في الكنيسة ، والطلبات التي تقدم بها . فبعد عودة السادات الى مصر ، اثر انتهاء زيارته ، كتبت صحيفة « هارتس » معلقة على نتائج الزيارة بقولها : « لقد بقيت التناقضات [بين اسرائيل ومصر] في المسائل الاساسية قائمة على ما كانت عليه » ، خصوصا بالنسبة لموضوعي الحدود والفلسطينيين (٣١) . ووضحت الصحيفة نفسها ، في مناسبة اخرى ، ان اسرائيل لا تستطيع قبول طلبات السادات والعودة الى حدود لم تستطع العيش ضمنها خلال ٢٩ سنة (٣٢) . ولم يتوقف الامر عند هذا الحد ، بل ان بعضهم نوه حتى « باعتدال » بيغن في مقابل « تصلب » السادات ، لان « رئيس حكومة اسرائيل اقترح ان يخضع للمفاوضات كل موضوع وكل منطقة وكل مسألة مختلف عليها » ، بينما

« تشبث السادات بان لا شيء قابل للمفاوضات ، لا مسألة الحدود ولا المشكلة الفلسطينية ولا حتى مكانة القدس » (٣٣) . وأثنى آخرون على بيفن ، الذي لم يشر في رده على خطاب السادات ، الى «الاستعداد الاسرائيلي لتسوية اقليمية» ، لان السادات رفض ذلك و « التسوية يجب ان تكون متبادلة » . ثم ان اسرائيل « لم تتسلل الى المناطق المحتلة كسارق ليل ، اذ ان تلك المناطق انتقلت اليها في حرب حزيران ١٩٦٧ التي فرضتها مصر وسوريا والاردن باعتدائها علينا » ، وهي الحرب التي « اثبتت ان خطوط الهدنة لسنة ١٩٤٩ لا يمكن ان تكون حدود امن لاسرائيل ، سواء من الجنوب او الشرق او الغرب او الشمال » ، ولكن من اجل « السلام » فان اسرائيل مستعدة للتسوية ، ضمن الشروط التالية : « هناك مناطق نكون مستعدين لاختلافها لانها غير ضرورية لتطلبات امننا . . . وهناك مناطق نكون مستعدين لاختلافها لكي لا نضطر للسيطرة على قطاع كبير من السكان العرب . . . وهناك مناطق يتحتم علينا ان نضمها ضمن حدود الدولة لاسباب امنية حيوية بالنسبة لنا » . اما بالنسبة للمناطق التي ستخليها اسرائيل ، فيجب ان « نصر على ان تكون منزوعة من السلاح » (٢٤) .

وكان موشي دايان ، وزير الخارجية الاسرائيلي ، قد اعلن ايضا عن تحفظه من مفاهيم السادات السلمية ، اذ اعلن في احدى تصريحاته « ان مفهوم السلام لدى السادات مخالف لمفهومنا نحن . فالسادات يفهم السلام بشكله الاجرائي ، ووفقا للتعريفات في معاهدات الامم المتحدة ، التي لا تلزم بالضرورة اقامة علاقات ثقافية وسياسية » (٣٥) . أما كتلة الاحرار في تجمع ليكود اليميني الحاكم فقد عقدت اجتماعا ، اثر انتهاء الزيارة الساداتية ، للبحث في انعكاساتها على الاوضاع الداخلية في اسرائيل . وقد انتقدوا وزير المالية الاسرائيلي ، سمحا ارليخ ، خلال الاجتماع اولئك الذين طالبوا بتقديم تنازلات للسادات ، لانه « مع احترامنا للرئيس المصري ، فانه لم يقدم لنا الا برنامج الحزب الشيوعي الاسرائيلي . أمل ان يتنازل عن تلك الاقتراحات ، ولكنه حتى الآن لم يقم بذلك . اما المنافسة على تقديم التنازلات من جانب واحد ، فلا يمكن ان تؤدي الا الى الاضرار بالمفاوضات التي ينبغي ان تبدأ قريبا » (٣٦) . وأما دافيد شيفمان ، نائب رئيس بلدية تل - ابيب ، فقد اشتكى من « ان الحمائم قد يعودون الى رفع رؤوسهم » ، بعد الزيارة الساداتية ، ولذلك ينبغي على الحكومة ان تحرص على الاهتمام بالاعلام لشرح وجهة نظرها (٣٧) . وايد شوفمان ، في رأيه هذا ، النائب زلمان شوفال .

ويلاحظ ، من ناحية ثانية ، ان بعض الدوائر الاسرائيلية قد شككت بشكل واضح في قدرة السادات على احلال « السلم » في المنطقة وجر الدول العربية الاخرى وراه . فقد علق احدهم على قدرة مصر على اتخاذ القرارات المنفردة بقوله : « ان العرب لا يستطيعون شن حرب ضد اسرائيل بدون مصر ، ولكن مصر ايضا لا تستطيع عقد السلام دون الدول العربية » (٣٨) . ثم انه من الصعب معرفة « ردود الفعل لدى السادات ، لانها معقدة ومتشعبة » . واذاف آخر : « ان السادات ليس الناطق الآن بلسان الدول العربية . انه يستطيع ان يعرض مطالب سوريا ومنظمة التحرير الفلسطينية ، ولكنه لا يستطيع ان يأخذ على عاتقه اي تعهد بأسمها . انهما لم يعدا بانه لن تكون حروب بعد الآن في منطقة الشرق الاوسط ، ولم يقوما بأية خطوة من شأنها ان تفسر كأعتراف بإسرائيل وتسليم بحقها في الوجود . . . ومن الواضح اننا سندخل في مرحلة انتظار جديدة . . . لردود الفعل العربية على خطوة السادات ، حتى يتضح لنا باسم من

يتكلم « (٣٩) . أما الكاتب موشي شامير احد كبار التوسعيين الصهيونيين المعروف بمواقفه العرقية المناهضة للعرب ، فقد علق على الزيارة الساداتية بقوله : «لكني يسترجع المصريون سيناء ، فإنهم يحتاجون لموافقة اسرائيل فقط . اما لكي تحصل اسرائيل على السلام ، فإنها تحتاج الى موافقة ست دول عربية على الاقل ، وعلى رأسها السعودية والعراق في المرحلة الاولى . وهذا دون التطرق الى العنصر غير المطروح ، والذي لا يمكن ان يطرح (وغير المعروف ، والذي لا يمكن ان يعرف) المتعلق بالمنظمات الفلسطينية » وانتقد شامير الاعلام الاسرائيلي الرسمي الذي يركز على ان اسرائيل تسعى الى السلام فقط بقوله : « لنا مطالب اخرى غير السلام ، وهذا مبدأ اساسي يلزم غالبية الشعب في صهيون ٠٠٠ هناك المسألة الجغرافية - السياسية ، حيث توزيع الثروات الطبيعية هي مسألة حياة او موت لكل دولة او مجموعة دول . ولذلك يتحتم على اسرائيل ان تعد خطة سياسية وامنية واقتصادية بعيدة المدى ، تحتل فيها متطلباتنا في سيناء ، مكانا مركزيا ٠٠٠ ويجب ان تكون المسؤولية الامنية الشاملة في سيناء في ايدي اسرائيل ٠٠٠ التي ينبغي ان تكون شريكة في كل عمليات التطوير » في تلك المنطقة . كذلك ينبغي « التوصل الى فصل المفاوضات الاسرائيلية المصرية عن مشاكل الشرق الاوسط ، وهذا مبدأ لا بد لاسرائيل من ان تتمسك بامكانيته وشرعيته » (٤٠) .

ويبدو ان عرض المواقف المتصلبة على هذا الشكل من الوضوح احبط عزائم «الحمام» الاسرائيليين ، فطلق احدهم على هذا الوضع بقوله ان في اسرائيل سياسيين وسياسيين سابقين لا يستطيعون حتى تغيير طريقة كلامهم ، بل يغيرون مواقفهم السابقة لمنع حلول السلام (٤١) . بينما أعرب آخر عن شكه في ان يجزأ كثيرون من السياسيين الاسرائيليين على اعادة النظر في مواقفهم المسبقة (٤٢) .

غير انه على الرغم من ذلك هناك من يبدي تفاؤلا بقرب حلول السلام ، في اعقاب الزيارة الساداتية . ووصف الدكتور بوعز عفرون ، الاستاذ في جامعة تل - ابيب ، تصوره للعلاقات السلمية بين اسرائيل والعرب والرخاء الذي سيعود على الكيان الصهيوني بسببها بقوله : « ان المبالغ الضخمة التي يدرها البترول ، والتي تبحث لها عن مجالات للاستثمار ، ستبدأ في التدفق الينا . وان المقاولين ورجال الاعمال والفنيين والعمال المهنيين من اسرائيل سيذهبون للعمل في السعودية والكويت ومصر والسودان والاردن . ومع اختفاء خوف الحرب والتخفيف من الضغط الاقتصادي ستندفق الاستثمارات اليهودية وغير اليهودية ايضا من أوروبا ومن الولايات المتحدة . وعندها ستبدأ الهجرة اليهودية الحقيقية ، دون الحاجة الى مبعوثي الوكالة [اليهودية] من أجل تشجيعها . كما ان النزوح سيتوقف » (٤٣) . واذاف عفرون : « لماذا سينزح الاسرائيليون الى نيويورك ، للبحث عن مأمن من الحرب او عن فرص اقتصادية ، اذا توفر هنا الامن وزال خوف الحرب ، وكذلك توافرت الفرص امام المواطنين هنا في المنطقة . وسينجم عن ذلك زخم في البناء . كما سيتم بناء الجيش الاسرائيلي على اساس التطوع ، كما هي الحال بالنسبة للجيش البريطاني او الاميركي . ولن نضطر للخوف دائما على ابنائنا الذين يخدمون في الجيش . وبأستطاعتنا ان نقضي عطلة نهاية الاسبوع في مصر وزيارة الاهرام ، او زيارة زحلة في لبنان . وسيكون باستطاعتنا ايضا السفر الى أوروبا بالسيارة عن طريق لبنان ، سوريا ، تركيا ومضيق البوسفور » (٤٤) . ولكن مستشار بيغن للشؤون العربية استبعد امكانية هجرة الاسرائيليين الى الدول العربية ، بعد حلول السلام ، الا انه طالب على الرغم من ذلك « بمجابهة الشباب بتحديات جديدة،

وتقوية العلاقة مع العالم اليهودي ٠٠٠ وعدم التخلي عن شؤون الامن ، والبقاء دائماً بالمرصاد « (٤٥) . وحذر الدكتور إسرائيل بيليد ، رئيس بلدية تل ابيب ، من « خطر الذوبان ٠٠٠ الذي سيواجه إسرائيل عند فتح الحدود » ، ومن تحولها الى دولة « شرق اوسطية » (٤٦) . اما استاذ الاقتصاد البروفيسور كانوفسكي فقد حذر « من تضخيم منافع السلام الاقتصادية بالنسبة لكل من اسرائيل او مصر » (٤٧) .

حل شامل أم منفرد ؟

مع دعوة السادات ، بعد اسبوع على عودته من اسرائيل ، الى عقد مؤتمر في القاهرة بحضور كافة الاطراف المعنية بأزمة الشرق الاوسط ، تركزت ردود الفعل والتعليقات الاسرائيلية حول طبيعة النتائج التي يمكن ان يؤدي اليها مثل ذلك المؤتمر ، في حال عقده . ويلاحظ ان عددا لا بأس به من المسؤولين الاسرائيليين ، سواء من المؤيدين للحكومة او الذين يقفون على رأس المعارضة ، قد عبروا عن رأيهم (وامنيتهم) في نجاح المحاولات الهادفة الى عقد اتفاق صلح منفرد بين اسرائيل ومصر .

فرئيس حكومة اسرائيل مناحيم بيغن اعرب ، في اكثر من مناسبة استعداده للتوقيع على اتفاق منفصل مع مصر . اما وزير خارجيته ، موشي دايان ، فلا يقل حماسا عنه ، في هذا الصدد ، وكان قد شدد مرارا على صعوبة الوصول الى حل شامل ، املا ان ينشأ بسبب ذلك وضع يدفع مصر الى الموافقة على توقيع اتفاق صلح منفرد . ويبدو ان هذا هو ايضا موقف الكتل الاخرى المشتركة في الائتلاف الحكومي . ففي مقابلة صحفية ، اعلن الدكتور يهودا بن مئير ، رئيس كتلة المجدال المشاركة في الائتلاف : « من المهم للغاية ان لا نقوي الانطباع بأن اسرائيل تعمل لدق اسفين بين مصر وباقي الدول العربية . ولكن لا يقل أهمية عن ذلك ان يدرك الشعب المصري بأنه من الممكن حل المشاكل المعلقة بيننا وبينه ، وان حل القضية الفلسطينية اكثر صعوبة . وربما تكون النتيجة المشتركة : دعونا اذن نحاول التقدم بالنسبة للمشاكل المعلقة فيما بيننا . حسنا ، لن نوقع على اتفاقية ، ولكن سنصل الى اقامة علاقات طبيعية بيننا . يبدو لي ان هناك امكانية لذلك » (٤٨) .

أما على صعيد المعارضة ، فقد اعلن رئيس حكومة اسرائيل السابق يتسحاق رابين : « بحسب رأيي ستبذل في (مؤتمر) القاهرة كل الجهود للوصول الى اتفاق شامل على كل الجبهات . وفي اللحظة التي يتضح فيها ان السادات يفضل اتفاقا شاملا علينا ان نتعاون معه . ولكن اذا كان من الصعب الوصول الى اتفاق شامل ، واذا استمرت الدول العربية متشبثة بموقفها الرفض ، فلا ينبغي ان نسقط من الحساب [عقد] اتفاقية منفصلة بين اسرائيل ومصر » (٤٩) . وأما وزير الخارجية السابق يغال الون فقد اعلن ، في مقابلة صحفية ايضا : « اذا كان الرئيس السادات قد سلب من دمشق وطرابلس حق الفيتو على زيارته للقدس ، فانه لم يسمح لهذه المراكز العقيمة بفرض فيتو ايضا على تحركات القاهرة السياسية التي لا تهدف الى خدمة المصلحة العربية العامة فقط ، بل المصلحة المصرية ايضا . انني لا استبعد ، خلال سير المفاوضات السياسية ، امكانية تقديم اقتراحات بديلة ، كاتفاقية منفصلة او انتهاء حالة الحرب كمرحلة اخيرة قبيل عقد اتفاق السلام » (٥٠)

غير انه على الرغم من هذا التفاؤل لدى الزعماء الاسرائيليين بشأن امكانية توقيع اتفاق منفصل بين مصر واسرائيل ، يلاحظ ان اكثرية المعلقين الاسرائيليين ترى عكس ذلك ،

وتستبعد مثل ذلك الاتفاق بسبب المضاعفات والتعقيدات الناجمة عن القضية الفلسطينية . فقد أبدت ، مثلا ، احدى الصحف الاسرائيلية اغتباطها لان « مصر تسعى الان الى خلق ممثلين آخرين للفلسطينيين ، واذا نجحت في جهودها لبلورة بديل لم.ت.ف. او ، على الاقل ، لاضعاف مكانتها بين الفلسطينيين فان فرص التسوية ستزداد ويعود ذلك بالخير على كل من مصر واسرائيل » (٥١) . ولكن معلقا اخر سارع الى الاجابة : « ان السادات قد يكون مستعدا للتوصل الى تسوية سياسية دون موافقة سوريا ، ولكن من خلال اشتراك الاردن و- م.ت.ف. اذا ما ارادت المنظمة الوصول الى اتفاق مع اسرائيل » (٥٢) . واذا رفضت المنظمة ذلك « فان السادات سيكون على استعداد للتخلي عن شطر [منها] ، اذا ما ابدت اسرائيل استعدادا للوصول الى تسوية معقولة في الضفة الغربية مع الاردن وجهات فلسطينية معتدلة » ، بل « ربما يكون السادات مستعدا لان يضغط على العناصر المعتدلة في م.ت.ف. لكي تعترف باسرائيل » (٥٣) . و اشار أحدهم الى ان السادات لم يذكر فعلا اسم م.ت.ف. اثناء زيارته للقدس ، « لانه يعرف جيدا بأن ثمة اشياء كان من الافضل له ان لا يأتي على ذكرها في اسرائيل ، و- م.ت.ف. هو واحد منها ، بل والاكثر حساسية في هذه المرحلة على الصعيد السياسي » . ولكن هذا « لا يعني بأن السادات سيكون مستعدا لعزل م.ت.ف. عن الاتصالات السياسية . من الممكن ان نعتقد ، وبحذر شديد ، بأنه لن يشجع على اشتراك مباشر ل- م.ت.ف. في جنيف . ولكنه ، وبالقياص نفسه ، سيحاول تنسيق خطواته مع م.ت.ف. على الصعيد الفلسطيني » (٥٤) . و اضاف معلق اخر : « مهما تكن نتائج الصراع العربي الان .. لا نستطيع ان نفترض ان السادات يستطيع او على استعداد الان للتوقيع على اتفاق سلام منفرد مع اسرائيل ، من خلال اهمال المسألة الفلسطينية . . . كما ان اتفاقية مع [مصر] وحدها لن تؤدي الى سلام دائم » (٥٥) .

أما الوزير السابق (من حزب مبام) مردخاي بنطوف فقد علق على ما يعتبره اساس التضامن العربي بقوله : « رغم الخلافات والشتائم المتبادلة بين الدول العربية ، فانها جميعا تخضع لآطار ضغوط المعركة العربية الشاملة . ونتيجة لذلك (١) لا تستطيع اية دولة عربية عقد حلف عسكري مع أية دولة عربية ضد دولة عربية اخرى ، (ب) لا تستطيع اية دولة عربية ان تتورط في حرب ضد أية دولة عربية اخرى ، عدا حالات التدخل في الحروب المدنية الداخلية ، وحتى هذا يتم باسم « المصلحة العربية العليا » (كما حدث في اليمن ولبنان) ، (ج) لا تستطيع أية دولة عربية عقد اتفاق سلام منفصل مع اسرائيل ، (د) لا تستطيع أية دولة عربية اهمال الموضوع الفلسطيني ، كائنا ما كان تفسيرها « للقضية الفلسطينية » . ولذلك يبدو لي ان اليهود الذين يأملون في « سلام منفرد » ، او اهمال يهودا والسامرة [الضفة الغربية] وغزة من قبل اية دولة عربية ، يعيشون في أمانهم وليس في الواقع » (٥٦) .

« الحل الوظيفي » للقضية الفلسطينية : مستعمرة اسرائيلية في الضفة الغربية باشتراك الاردن ، وتجاهل الفلسطينيين في المهاجر وتصفية منظمة التحرير الفلسطينية .

بعد الزيارة الساداتية ، عادت مشاريع الحلول للضفة الغربية خصوصا وللقضية الفلسطينية عموما تطرح على كافة المستويات . وكان اول من بادر الى دراسة هذا الموضوع مجددا حزب العمل الاسرائيلي المعارض ، فقدت كتلته في الكنيست اجتماعا خاصا لاعادة النظر في موقفها من الحلول المطروحة للضفة الغربية . ووصف أحدهم

نتيجة المباحثات في ذلك الاجتماع بأنها « ثورة صغيرة في التفكير السياسي للمعراخ » ، وذلك نتيجة « لتبنيه » مشروع تسوية سلمية [وظيفية] ممكنة ، كان قد عارضها بشدة ، حتى قبل أقل من سنة ، معظم زعماء حزب العمل ومبام . فقد كان المؤيدون للتقسيم

الوظيفي في يهودا والسامرة ، حتى الان ، هم ٠٠ شمعون بيريس ٠٠ وموشي دايمان ٠٠ وفي مواجعتهم وقفت جبهة عريضة وصلبة عارضت ذلك الاتجاه في التفكير بكل قوة ٠٠ وضمت ٠٠ غولده مئير ٠٠ ويتسحاق رابين ٠٠ ويفئال لون ٠٠ وقد طالب اولئك الثلاثة ومعظم الوزراء الاعلان صراحة عن ان حزب العمل يؤيد تسوية اقليمية على الجبهات الثلاث « (٥٧) ٠ أما « الفرق الاساسي بين التسوية الوظيفية ، وتلك الاقليمية فهو ان الاخيرة تطالب بسلطة كاملة على جزء من المنطقة [الضفة الغربية] (الذي لن يعاد للاردن) ، بينما تعني التسوية الوظيفية سلطة محدودة جدا على المنطقة بأسرها (يهودا والسامرة) ٠ وتعتبر هذه التسوية بالنسبة للحمام مريحة ، لانها محددة بزمان معين ، وستؤدي قطعاً ، بحسب رأيهم ، الى تقوية العلاقة بين سكان الضفة الغربية وبين الاردن ، وان لن ينجم عن ذلك قيام دولة فلسطينية مستقلة ٠ أما بالنسبة للصحور في حزب العمل ، فان هذه التسوية تعتبر صيغة معقولة للامتناع عن السيطرة على نحو مليون عربي (في الضفة الغربية وقطاع غزة) والحفاظ على الخيارات الامنية [الاسرائيلية] في الضفة الغربية « (٥٨) ٠

أما سبب الاهتمام والتلهيل الكبيرين للتغيير في موقف حزب العمل واتجاهه نحو قبول التسوية الوظيفية في الضفة الغربية فيعود الى أمل البعض بأن تحظى مثل هذه التسوية برضى « الزعيم » بيغن ، الذي يصر على عدم التنازل عن « السيادة الاسرائيلية » على اي جزء مما يسمى « أرض - اسرائيل » ٠ وكان يفئال لون قد وصف موقف بيغن في هذا الصدد بقوله : « ان موقف رئيس الحكومة من أرض - اسرائيل الكاملة يتجاوز أية علاقة سياسية ٠٠ ان السيد بيغن ، حتى الان ، ليس على استعداد لاخذ المعادلات السياسية والاستراتيجية بالاعتبار « (٥٩) بالنسبة للضفة الغربية ٠

أما يتسحاق رابين فقد وصف تصوره للحل في الضفة الغربية بقوله انه ينبغي ان يبقى مستندا الى « منطلقات المعراخ الاساسية : تسوية اقليمية ، تعيين حدود دائمة تستجيب لمتطلبات امنا ، ٠٠ ولا تكون متطابقة مع حدود ٤ حزيران [١٩٦٧] ، وبالإضافة الى ذلك السيطرة على اكثرية سكان (الضفة الغربية) وعلى المناطق التي يقطنون فيها ، كجزء من الدولة الاردنية - الفلسطينية ، التي يستطيع الفلسطينيون ان يجدوا فيها تعبيراً عن هويتهم الذاتية ٠ والمعراخ لم يشجب ، في اطار تسوية مرحلية ، توزيع المهام بيننا وبين الملكة الاردنية وباشترك الفلسطينيين سكان المناطق ٠ وبحسب هذا التقسيم ستهتم الحكومة الاردنية بالمشاكل المعيشية العادية ، بينما تسيطر اسرائيل امنياً على تلك المناطق ، وكذلك تمنح حرية الحركة وحق الاستيطان من خلال اتفاق متبادل « (٦٠) ٠ واذف رابين : « انني مقتنع حتى الان ان معارضتنا للمفاوضات مع م٠ ف٠ واقامة دولة فلسطينية هو موقف ينبغي علينا الاستمرار في التشبث به ٠ ونحن ملزمون ، في هذا الظرف بالذات الذي يتضح فيه ان السادات لايلق أهمية كبرى على م٠ ف٠ ويؤكد على علاقة الاردن بالحل ، بالاصرار على موقفنا هذا « (٦١) ٠

وكان الدكتور يهودا بن - مئير ، رئيس كتلة المدفال في الكنيست قد أعرب عن رأيه ، في مقابلة صحفية ، بأن كتلته قد تؤيد حلاً وظيفياً في الضفة الغربية ، بقوله : « يبدو لي ان

هذه الفكرة ستحظى بالقبول من قبل المدفدال . ان [سبب] نقاشنا الكبير مع حزب العمل [هو] ان الاحاديث عن تقسيم او تسوية اقليمية في [الضفة الغربية] غير [واقعية] ليس بالنسبة لنا فقط وانما بالنسبة للعرب ايضا . وفسر بن - مؤير مفهومه للتسوية الوظيفية بقوله : « ينبغي المحافظة على العلاقة بين دولة اسرائيل [والضفة الغربية] والواضح ان « الحل الوظيفي » ينبغي ان يتم بتعاون بعض الاشخاص من الضفة

وعلى حق اليهود للعيش هناك ، ومن الضروري ان يكون الجيش الاسرائيلي مسؤولا ، بشكل او باخر ، عن الامن [في تلك المنطقة] . هذا هو الجوهر . وباعتقادي ان المدفدال سيكون مستعدا للمرونة بكل ما يتعلق بالنواحي الشكلية ، التي قد تكون مهمة للعرب - كالاتهام وجوازات السفر والاسماء والقضايا الاخرى . وهنا توجد امكانات عديدة ومن الممكن التنازل للعرب . وهذا كان قصدي عندما قلت للرئيس السادات اننا على استعداد للاقتاتة في منتصف الطريق او اكثر . ومن غير المهم ماذا سيكون مكتوبا في جواز سفر عرب [الضفة الغربية] . ما يهمني هو ان يكون باستطاعة اليهود العيش [في تلك المنطقة] ، وان يبقى اولئك اليهود مواطنون في دولة اسرائيل ، التي تبقى مسؤولة عن ادارة شؤونهم ، وان يهتم الجيش الاسرائيلي بامنهم « (٦١) » . ولاحظ بن - مؤير بسرور ، اثناء مقابله « ان الرئيس السادات لم يذكر [خلال زيارته لاسرائيل] كلمة الاستيطان ولو مرة واحدة » ، مما يدل على عدم معارضته لاستمرار الاستيطان الاسرائيلي في المناطق العربية المحتلة ، حتى بعد حلول « السلام » .

أما يغثال لون ، صاحب المشروع المعروف باسمه لحل مشكلة الضفة الغربية (الداعي ، باختصار شديد ، الى تقسيم الضفة واعادة القسم المأهول منها بكثافة عربية الى الاردن ، وضم الجزء الباقي الى اسرائيل والاحتفاظ بمراكز اسرائيلية عسكرية استراتيجية على طول نهر الاردن) فقد عاد واعلن ، في مقابلة صحفية ايضا ، عن تمسكه بمشروعه . ودلل ألون على محاسن مشروعه بقوله : « انه معقول تماما ويستند على ثلاثة معطيات اساسية : جغرافية وسكانية واستراتيجية . ومنذ اصدرت هذا المشروع ، في تموز (يوليو) ١٩٦٧ ، لم تطرأ تغييرات تذكر على المعطيات الثلاثة . فالجغرافيا بقيت على ما كانت عليه منذ أيام سيدنا ابراهيم ، بينما تغير الوضع السكاني في غير صالحنا . أما التطور التكنولوجي لوسائل القتال فانه يدعم اسس [المشروع] الاستراتيجية . ان المشروع مناسب ايضا لانه ينم عن تفهم للمصالح الاقليمية للدول العربية ، ويجب بشكل بناء على بقايا القضية الفلسطينية ويستجيب بالطبع لمتطلبات اسرائيل الامنية ، ولا أرى له اي بديل ، الا اذا ارادت اسرائيل الاتكال على ضمانات اجنبية كبديل لقوتها في الدفاع الذاتي . وهو ما احذر منه « (٦٢) » . وعندما سئل ألون عما يعنيه بقوله « بقايا القضية الفلسطينية » ، اجاب انه يختار كلماته بعناية فائقة . ثم فسر قصده من استعمال هذه العبارة بقوله : « ان شرق الاردن ، المعروف اليوم باسم المملكة الاردنية ، يشكل نحو ثلثي

ارض - اسرائيل التاريخية . والشعب القاطن هناك ، اذا كان من السكان المحليين او من اولئك الذين انضموا اليهم من الضفة الغربية ، على مر السنين ، ينتمي ، عرقيا ودينيا وتاريخيا ، الى تلك المجموعة من السكان العرب الذين يعيشون في المناطق المحتفظ بها . وليس هناك من مبرر لحل القضية الفلسطينية بواسطة تأسيس دولتين فلسطينيتين ، واحدة الى الشرق من نهر الاردن واثانية الى الغرب منه . وفي كل حال لن تستطيع دولة ثاانية حل المشاكل الانسانية الناجمة عن القضية الفلسطينية ، مثل مشكلة اللاجئين ، التي تستطيع

حلها فقط دولة فلسطينية - اردنية موحدة ، واسعة وذات قدرة كبيرة على الاستيعاب « (٦٣)

وكان الون قد أعلن في أكثر من مناسبة عن معارضة لما يسمى « الحل الوظيفي » في الضفة الغربية . ونسب بعضهم اليه وصفه ذلك الحل بأنه « صيغ مختلفة لفاهيم جنوب افريقيا [بشأن التمييز العنصري] » (٦٤) . وبلغة أخرى ، يعني الحل الوظيفي قيام بإقتوسان فلسطيني في الضفة الغربية ، تابع لإسرائيل ، لا حول له ولا قوة .

والواضح ان « الحل الوظيفي » ينبغي ان يتم بتعاون بعض الاشخاص من الضفة الغربية والاردن ، وذلك دون أية علاقة لمنظمة التحرير الفلسطينية او للفلسطينيين في المهاجر به . وكان وزير الخارجية الاسرائيلي موشي دايان قد اعلن عن رأيه في هذا الصدد بقوله : « بالنسبة للفلسطينيين . . ليست لنا أية علاقة مع اساتذة جامعيين [من أصل فلسطيني] يقطنون في الولايات المتحدة ، او مع فلسطينيين آخرين يسكنون في المانيا او أية بلدان أخرى . من المحظور على اي شخص ان يعتقد اننا على استعداد لمفاوضة فلسطينيين من غير سكان المناطق [المحتلة] . ولقد وافقنا على ان نتفاوض بشأن الضفة الغربية مع الاردن ، وبشأن غزة مع مصر ، ونحن على استعداد ايضا لبحث ذلك مع العرب الفلسطينيين ، ولكن ليس مع مهاجرين ولا مع م.ت.ف. الا مع أولئك الذين يقطنون في المناطق المحتلة » (٦٥) ، وذلك لبحث طريقة « العيش المشترك » معهم ، اي كيفية حكم اسرائيل لهم .

وعلق أحدهم على محاسن « الحل الوظيفي » المقترح للضفة الغربية بقوله : « ان احدى المحاسن الرئيسية لتسوية مرحلية في يهودا والسامرة يكمن في تقديمها مناسبة اخرى لحل مشكلة منظمة التحرير الفلسطينية ، بواسطة حلها وتصفيها . ان مجرد وجود م.ت.ف. اصبح عقبة رئيسية أمام السلام وحل القضية الفلسطينية . . ان السدول العربية هي التي انشأت [م.ت.ف.] ، وهي التي يجب ان تصفيها وتجاهلها وتسلبها الاعتراف بها كمثلثة للشعب الفلسطيني » . أما الدكتور موشي شارون ، مستشار بيغن للشؤون العربية ، فقد اعلن ، في مقابلة صحفية ، عن ارتياحه « لان السادات استطاع خلال يومين من زيارته لإسرائيل تقزيم منظمة التحرير الفلسطينية ، وهو ما لم نستطع القيام به حتى الان » . كما دعا الى قطع المساعدات عن المنظمة تمهيدا لتصفيتها .

هوامش

- (١) من مقابلة مع ملحق دافار ٢-١٩٧٧ .
- (٢) من مقابلة مع عل همشمار ، ٢-١٩٧٧ .
- (٣) دانيئيل بلوخ في دافار ، ١١-١٨-١٩٧٧ .
- (٤) يهودا هرتيل في معاريف ، ١٢-١-١٩٧٧ .
- (٥) المصدر نفسه .
- (٦) مناحم راهاط في المصدر نفسه .
- (٧) من مقابلة مع ملحق هارتس ، ٢-١٩٧٧ .
- (٨) عيدان ديستنتشيك في معاريف ، ١١-١٨-١٩٧٧ .
- (٩) يوسف حاريف في المصدر نفسه .
- (١٠) المصدر نفسه .

- (١١) هاتسوفيه ، ١٩٧٧-١٢-٢ .
 (١٢) المصدر نفسه .
 (١٣) افتتاحية في هارتس ، ١١-١٢-١٩٧٧ .
 (١٤) مردخاي اورن في عل همشمار ، ١١-٢٣-١٩٧٧ .
 (١٥) دانيئيل بلوخ في دافار ، ١١-٢٠-١٩٧٧ .
 (١٦) حفاي اشد في المصدر نفسه .
 (١٧) في مقابلة مع معاريف ، ١١-٢٢-١٩٧٧ .
 (١٨) حفاي اشد في دافار ، ١١-٢٣-١٩٧٧ .
 (١٩) معاريف ، ١١-١٨-١٩٧٧ .
 (٢٠) المصدر نفسه .
 (٢١) حفاي اشد في دافار ، ١١-٢٥-١٩٧٧ .
 (٢٢) داني روبينشتاين في المصدر نفسه .
 (٢٣) حفاي اشد في دافار ، ١١-٢٠-١٩٧٧ .
 (٢٤) هاعولام هازيه ، ١١-٢٣-١٩٧٧ .
 (٢٥) غرشوم شوكن في هارتس ، ٢٥-١١-١٩٧٧ .
 (٢٦) يديعوت احرونوت ، ١١-٢٤-١٩٧٧ .
 (٢٧) المصدر نفسه ، ١١-٢٣-١٩٧٧ .
 (٢٨) جروزاليم بوست ، ١١-٢٣-١٩٧٧ .
 (٢٩) يديعوت احرونوت ، ١١-٢٠-١٩٧٧ .
 (٣٠) المصدر نفسه .
 (٣١) افتتاحية في هارتس ، ١١-٢٢-١٩٧٧ .
 (٣٢) افتتاحية في المصدر نفسه ، ١١-٢٩-١٩٧٧ .
 (٣٣) افتتاحية في معاريف ، ١١-٢٢-١٩٧٧ .
 (٣٤) جرشوم شوكن في هارتس ، ١١-٢٥-١٩٧٧ .
- (٣٥) هارتس ، ١١-٢٣-١٩٧٧ .
 (٣٦) يديعوت احرونوت ، ١١-٢٨-١٩٧٧ .
 (٣٧) المصدر نفسه .
 (٣٨) يعقوب ادلشتاين في هاتسوفيه ، ١١-٢٣-١٩٧٧ .
 (٣٩) افتتاحية في معاريف ، ١١-٢٢-١٩٧٧ .
 (٤٠) معاريف ، ١١-١٨-١٩٧٧ .
 (٤١) ليفي يتسحاق هيروشلمي في المصدر نفسه ، ١١-٢٢-١٩٧٧ .
 (٤٢) دافيد شوحام في « يديعوت احرونوت » ، ١١-٢٨-١٩٧٧ .
 (٤٣) بوغز عفرون في المصدر نفسه ، ١١-٢٠-١٩٧٧ .
 (٤٤) المصدر نفسه .
 (٤٥) موشي شارون في مقابلة مع ملحق هارتس ، ١١-٢٢-١٩٧٧ .
 (٤٦) يديعوت احرونوت ، ١١-٢٨-١٩٧٧ .
 (٤٧) في مقابلة مع جروزاليم بوست ، ١١-٢٣-١٩٧٧ .
 (٤٨) في مقابلة مع ملحق دافار ، ١١-٢٣-١٩٧٧ .
 (٤٩) في مقابلة مع دافار ، ١١-٢٣-١٩٧٧ .
 (٥٠) في مقابلة مع عل همشمار ، ١١-٢٣-١٩٧٧ .
 (٥١) افتتاحية في دافار ، ١١-٢٥-١٩٧٧ .
 (٥٢) دانيئيل بلوخ في دافار ، ١١-٢٣-١٩٧٧ .
 (٥٣) المصدر نفسه ، ١١-٢٠-١٩٧٧ .
 (٥٤) ماتي غولان في هارتس ، ١١-٢٢-١٩٧٧ .

- (٥٥) يتسحاق رونكين في حوتام ، ٢-١٢
 . ١٩٧٧-١٢
- (٥٦) من مقال في المصدر نفسه .
- (٥٧) امنون برزيلي في هارتس ، ٢-١٢
 . ١٩٧٧-١٢
- (٥٨) المصدر نفسه .
- (٥٩) في مقابلة مع عل همشمار ، ٢-١٢
 . ١٩٧٧-١٢
- (٦٠) في مقابلة مع دافار ، ٢-١٢
 . ١٩٧٧
- (٦١) في مقابلة مع ملحق دافار ، ٢-١٢
 . ١٩٧٧
- (٦٢) في مقابلة مع عل همشمار ، ٢-١٢
 . ١٩٧٧-١٢
- (٦٣) المصدر نفسه .
- (٦٤) امنون برزيلي في هارتس ، ٢-١٢
 . ١٩٧٧-١٢
- (٦٥) عل همشمار ، ٢-١٢-١٩٧٧ .
- (٦٦) مقابلة مع ملحق هارتس ، ٢-١٢
 . ١٩٧٧

يصدر قريبا عن

مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية

التركيب الاقتصادي

والاجتماعي لشرق الاردن

"مقدمات التطور المشوّه ١٩٢١ - ١٩٥٠"

تأليف

هاني حوراني

دولياً

سمير كرم

مسلمات أساسية

عندما نتناول البعد الدولي لانعكاسات رحلة انور السادات الى اسرائيل ينبغي ان ننطلق من عدة مسلمات اساسية ، بعضها يتعلق بالموقف الدولي - المتعدد الجوانب - من الصراع العربي الاسرائيلي عامة ، ومن ازمة الشرق الاوسط في صورتها الحالية بصفة خاصة ، وبعضها يتعلق بواقع الزيارة نفسها باعتبارها عنصراً مفاجئاً اضافة الى هذا الصراع ، والى الازمة ، عامل تغيير اعتبرته بعض الاطراف الدولية عاملاً ايجابياً ، بينما اعتبرته اطراف دولية اخرى عاملاً سلبياً ، والتزمت اطراف ثالثة « اللاموقف » انتظاراً للنتائج .

● مسلمة اولى هي ان مشكلة الصراع العربي - الاسرائيلي - وازمة الشرق الاوسط بصورتها الراهنة - كانت قد بلغت بالنسبة لاطراف دولية حداً من الالتهاب يستوجب نشاطاً لمنع الالتهاب من التحول الى انفجار . وهذه الاطراف الدولية هي بالتحديد الدول الراغبة في استمرار اوضاع الشرق الاوسط كما هي ، اذا لم يكن السير بها نحو حل سلمي امراً يكاد يبلغ درجة المستحيل في صعوبته . وهذه الاطراف بالتحديد هي الدول صاحبة المصالح الاقتصادية والاستراتيجية (بما فيها النفطية) التي تخشى ان يؤدي انفجار الوضع الى حرمانها ، ولو لفترة زمنية من التدفق النفطي او المالي او السلمي في الاتجاهين ، نحو دول الشرق الاوسط العربية ، او نحو هذه الدول التي نعنيها (الولايات المتحدة ، واوروبا الغربية ، وكندا ، واليابان) .

● مسلمة ثانية هي ان المشكلة - والازمة - كانت عندما « فرقت » انباء الزيارة قد اصبحت مصدر ارباك لتقديرات اطراف دولية لها مواقف مبدئية من هذا الصراع ، ولها جهود محددة ، ودور محدود ، في محاولات السير بالمشكلة - والازمة - نحو حل « متوازن » . وكان السبب الرئيسي لهذا « الاربك » عائد الى « مفارقات » ، وبالاخرى « تناقضات » السياسات والممارسات العربية ، مع المصالح العربية في هذا الصراع ، الامر الذي جعل من الصعب للغاية على تلك الاطراف الدولية - مهما كانت مواقفها ايجابية من القضية العربية - ان تؤدي دوراً ايجابياً وفعالاً في صف الجانب العربي

ومصالحه الاساسية . هذه الاطراف الدولية هي دول المعسكر الاشتراكي (وينطبق معنى هذه المسلمة على الاتحاد السوفياتي بالذات اكثر مما ينطبق على غيره) و « الاربك » الذي تعنيه هذه المسلمة هو ان هذه الدول وجدت نفسها تؤيد جانبا في الصراع - وفي الازمة - يتجه الى هزم ذاته اكثر مما تهزمه الظروف والعوامل الموضوعية الفاعلة في الازمة .

● مسلمة ثالثة مؤداها ان المشكلة - والازمة - كانت قد بلغت حداً - بالنسبة لاطراف

اخرى - لا يترك الا الشعور بالضرر الذي يجعل الاختيار الباقي امام هذه الاطراف الدولية - بحكم بعدها الجغرافي والسياسي والاستراتيجي عن حقل الغام الشرق الاوسط - هو موقف « اللامبالاة » . فقد كانت مساعي الجانب العربي في الصراع لدى هذه الاطراف الدولية قد اتسمت في الفترة الاخيرة بسمة « اللامبالاة » ، وهي سمة « بعدية » خاصة اذا كانت « العدوى » من الجانب صاحب المصلحة ونعني بهذه الاطراف الدولية التي تتناولها هذه المسلمة دول العالم الثالث ، وبصفة اكثر تحديدا دول عدم الانحياز الرئيسية وذات الثقل في العمل السياسي الدولي . ونعني باللامبالاة التي اصابت مواقفها تقلص دورها الى حدود تقديم اصواتها في المنظمات الدولية (الامم المتحدة اساسا) بصفة تلقائية في تأييد « قرارات » و « توصيات » معظمها لا يختلف عما « اعتادت » المنظمات الدولية اصدار مثيل له على مدى سنوات « الازمة » ، ومعظمها لا يكاد يتقدم نحو حل للازمة او الصراع خطوة واحدة .

● مسلمة رابعة هي ان نظرة الاطراف الدولية الى التوازن العسكري العربي - الاسرائيلي في فترة ما بعد حرب تشرين (اكتوبر) ١٩٧٣ كانت قد بلغت - وقت وقوع « مفاجأة » الزيارة - حد اليقين بان اسرائيل تمكنت من تحقيق تفوق عسكري يمكنها من الزام الجانب العربي مواقع الخوف من تحولات نحو اسلوب القوة ، بعد ان طال الجمود والانتظار . وهو خوف وجه سياسة الجانب العربي - بصورة تكاد تكون كلية - نحو شراء ارصدة رضاء « الراي العام العالمي » . (والمقصود بـ « العالمي » هو دائما الاميركي والاوروبي - اي الغربي دون غيرد) ، على اساس ان هذه الارصدة كافية لمنع اسرائيل من استخدام تفوقها العسكري استخداما فعليا بدلا من الاكتفاء باستخدامه استخداما نظريا . وقد استخدمت الاطراف الدولية - على اختلاف مواقفها من المشكلة - عامل التفوق العسكري الاسرائيلي كل وفق ما يمليه موقفه في المشكلة ، اي وفق ما تمليه مصالحه مع جانبي الصراع الشرق اوسطي ، خلال الفترة القصيرة السابقة للزيارة مباشرة . وبين جميع تلك الاطراف فان الولايات المتحدة - وهي مصدر هذا التفوق العسكري الاسرائيلي - لا بد ان تكون استثمرته في اتصالاتها مع اطراف من الجانب العربي كأداة ردع نظرية للحصول على ما حصل عليه الجانب الاميركي - الاسرائيلي من تنازلات سبقت الزيارة ، وجاءت بعد حرب ١٩٧٣ .

● مسلمة خامسة هي ان بين مواقف الاطراف الدولية على اختلاف اتجاهاتها ، تقوم علاقات تأثير وتأثر متبادلة فيما يتصل بالصراع العربي - الاسرائيلي وازمة الشرق الاوسط ، وان كانت « المفاجآت » اقدر من الاحداث العادية المتوقعة على فرز مواقف الاحزاب الدولية بصورة أقل صعوبة . بمعنى ان هناك تأثيرا وتأثرا بين الموقفين السوفياتي والاميركي - مثلا - من المشكلة ، الامر الذي أفرخ - على سبيل المثال - في الايام السابقة مباشرة للزيارة ذلك البيان السوفياتي - الاميركي المشترك الذي حدد خطوطا متفقا عليها بين الدولتين الاكبر بوصفهما رئيسي مؤتمري جنيف . كما ان هناك بالمثل تأثيرا وتأثرا بين الموقف الاميركي والموقف الاوروبي الغربي ، حيث لا تزال اوروبا الغربية تتصرف ازاء الازمة باعتبار ان اوروبا الغربية جزء من كتلة اطلسية اكثر من كونها كتلة متميزة ذات علاقات بالشرق الاوسط اقرب من علاقات الكتلة الاطلسية في مجموعها بهذه المنطقة ، وهكذا . وقد استطاع عامل « المفاجأة » في زيارة السادات لاسرائيل ان يصنف المواقف بصورة اوضح مما كانت عليه قبيل تلك الزيارة ، ولكن تبقى لمقولة التأثير والتأثر فعاليتها في تحليل المواقف ما بعد الزيارة . اي في رؤية معاني ردود الفعل ، وما بعد

ردود الفعل من اتجاهات • وتبدو هذه الفعالية حتى عندما تحاول اطراف دولية ان تطمس - او تقلل من أهمية - التمايز بين المواقف بعد الزيارة ، فهذه المحاولة ينبغي ان ترى باعتبارها جزءا من موقف للطرف الدولي الذي يمارسها •

على خلفية من هذه المسلمات ينبغي ان توضع محاولة فهم وتحليل مضامين المواقف الدولية التي انتجتها الزيارة •• ابتداء من ردود الفعل الاولية الى الاستجابات المتأنية المستندة الى ادراك للابعاد الاخرى - المحلية والدولية - والمكونات الاخرى للموضع في الشرق الاوسط الذي خلقته « الزيارة » •••

الولايات المتحدة

لعل الولايات المتحدة هي الطرف الدولي الوحيد الذي لا بد من التساؤل ازاءه عما اذا كانت الزيارة قد شكلت بالنسبة له « مفاجأة فعلية » او على الاقل ما مدى حدة تلك المفاجأة • ذلك ان الإجابة على هذا التساؤل تسهم بقدر ، في ايضاح اتجاه الدور الاميركي في تطورات الازمة •

والملاحظ انه لم يصدر عن اي مصدر رسمي اميركي تصريح يفيد اذا كانت الولايات المتحدة قد فوجئت او كانت على علم مسبق بخطوة السادات • تبقى تصريحات السادات نفسه هي السند الوحيد للاعتقاد بانه « لم يبلغ احدا ولم يأخذ رأي احد » • وصحيح ان التأييد السريع من جانب الولايات المتحدة - على لسان رئيسها كارتر ووزير خارجيتها فانس وعلى السنة كل مسؤول اميركي - لا يشكل عنصرا مفاجئا في ذاته ، الا ان سرعة تصرف الولايات المتحدة بوضع تسهيلات الدبلوماسية والاستخباراتية والاعلامية في خدمة الزيارة تشكك في امكان ان تكون الخطوة قد شكلت مفاجأة « كاملة » للولايات المتحدة •

ولكن من ناحية اخرى ، فان مواقف الولايات المتحدة ازاء ما تلا الزيارة من خطوات من جانب السادات ، ومن جانب معارضي الزيارة ، تكشف عن « تردد » ظهرت اعراضه على الدبلوماسية الاميركية ، وخاصة ازاء دعوة السادات لمؤتمر القاهرة ، وانكشاف حقيقة انه لن يحظى باستجابة من غير مصر واسرائيل وحدهما من الاطراف المباشرة في الازمة • واذا كان هذا التردد ينبىء عن شيء فلا بد من رؤيته ازاء الاحتمالين : احتمال ان يكون السادات قد خطا الى القدس المحتلة دون علم مسبق من واشنطن ، واحتمال ان يكون السادات قد فعلها بتنسيق مع ادارة كارتر • في الحالة الاولى تكون حسابات واشنطن السابقة التي أدت الى صدور البيان السوفياتي - الاميركي المشترك (في ١-١٠-١٩٧٧) قد افلتت من بين يديها ، وان يكون في اتجاه لا يؤدي النفوذ الاميركي بل يدعمه ، ويدعم رغبة الولايات المتحدة في تقليص الدور السوفياتي • وفي الحالة الثانية تكون واشنطن قد عملت عمدا على قلب المواثيق عن طريق هذه الخطوة ، ويكون ترددها اللاحق اما نابعا من مبالغة من جانب السادات في الاندفاع الى خطوات تالية للزيارة - مثل مؤتمر القاهرة (الذي تدخلت الولايات المتحدة لتؤجله) ، او نابعا من رغبة الولايات المتحدة نفسها في ان تبدو اكثر وعيا بأهمية الوجود العربي غيرالمصري ضمن اطار التطورات الجديدة ، الامر الذي يعطيها فرصة التعاطي مع بعض الاطراف العربية المعارضة للزيارة ، استمرارا لدور النفوذ الاميركي في المنطقة •

وهكذا فان محاولة تحليل الموقف الاميركي تجد نفسها امام تصورين متناقضين : اما

ان الولايات المتحدة تقوم بلعبة ارادية كاملة ، تحكم خطواتها قصدية محددة ومرسومة ومخططة مسبقا ، واما ان الولايات المتحدة وجدت نفسها امام موقف جديد يضطرها الى محاولة رأب الصدع الذي يمكن ان ينتج عن اندفاع مفاجيء من جانب السادات يخل (وفقا لبعض التصورات) بالوفاق الاميركي - السوفياتي ، ويدفع اطرافا كانت قد انضمت الى صفوف « المعتدلين » في السنوات الاخيرة ، الى مواقف « متطرفة » او « متصلية » ، وهذا ما لا يلائم حسابات الولايات المتحدة ، سواء التي تتصل بمصالحها في المنطقة ، او بحدود قدرتها على الحركة على المسرح الدولي .

ولكن تتبع شريط الاحداث التالية للزيارة (وتصريحات المسؤولين الاميركيين نعتبرها جزءا من هذه الاحداث) يؤدي بنا في الاغلب الى اقتناع بان الدبلوماسية الاميركية هي - في الواقع الفعلي - في مجرى وسط بين الوضعين اللذين يحددهما هذان التصوران المجردان . حيث نجد في الموقف الاميركي جوانب ثابتة وجوانب مهزوزة . فمما لا شك فيه ان الولايات المتحدة - سواء فوجئت بالزيارة او لم تفاجأ بها - قد أيدت خطوات السادات ، « وصلى » الرئيس كارتر من أجل نجاحها . ولكنها من جانب اخر لم تكن واثقة من طبيعة النتائج التي يمكن ان تسفر عنها ، وما اذا كانت هذه النتائج ستأتي ايجابية لمسعى التسوية ، او ايجابية لمركز السادات نفسه ، او ايجابية للمحور الاميركي في التسوية . وعندما تأكدت الولايات المتحدة - بعد قدر من التردد - من احتياج السادات الى دعمها فانها لم تتردد في الوقوف وراءه بكل ثقنها ، ربما اعتقادا منها بأن هذا يكفل له قدرا من قدرة التأثير في الصعيد العربي ويجبر اطرافا عارضته على ان تعتدل في معارضتها على الاقل .

● في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ، اي في اليوم السابق مباشرة على الزيارة قال سايروس فانس وزير الخارجية الاميركي في لقاء مع وفد يمثل « العرب الاميركيين » (اي الاميركيين من أصل عربي) - ان الولايات المتحدة تعتقد ان زيارة الرئيس السادات لاسرائيل « دقيقة جدا » والكلمة الانجليزية التي استخدمها فانس يمكن ان تعني ايضا « حرجة جدا » ، وقال انه « لا يستطيع التكهن بما سينتج عن هذه الزيارة » ، وان الولايات المتحدة تتطلع الى نتائج المبادرة « لعلمها كم هي حساسة » .

ولم يكن هذا هو الجانب الوحيد من تصريحات فانس مع « الاميركيين العرب » ، فقد حرص على التأكيد بأن واشنطن ستدعم الرئيس السادات . اي ان « المخاوف » التي تبديها الولايات المتحدة من دقة او حرج خطوة السادات لم تدفعها الى اتخاذ موقف الترقب والانتظار ، انما احتفظت الولايات المتحدة وحرصت على موقف التأييد لخطوته ، وكان ذلك يتم بصرف النظر عن النتائج . وكان مجرد الاعراب عن تلك المخاوف عاملا سلبيا خفض من قيمة التأييد الاميركي لخطوة السادات ، وان لم يسلبه تماما .

● في ١٨-١١ ايضا وجهت ادارة كارتر رسالتين الى السعودية والاردن حثتهما فيهما على تأييد خطوة الرئيس المصري ، وكان ذلك بداية ادراك الولايات المتحدة لخطر ظهور السادات معزولا محروما من التأييد في العالم العربي .

● في ١٨-١١ كذلك اعلنت مصادر البيت الابيض الاميركي « ان الولايات المتحدة تحاول ، ضمن طاقتها ، تظمين العرب الى ان دعما للزيارة لا يعني بشكل من الاشكال ترجعا عن هدفنا العلن وهو تحقيق تسوية شاملة » . وقالت هذه المصادر ان مستشاري كارتر اشاروا عليه بالاتصال شخصا بعدد من القادة العرب ليوجه عبرهم تلميحات الى العالم العربي .

وكانت هذه التصريحات - بدورها - انعكاسا لادراك الولايات المتحدة لوجود خطر بان تنعكس اثار رحلة السادات لاسرائيل سلبيا على النفوذ الاميركي في الوطن العربي .

● في ١٩-١١ - في يوم « الزيارة » نفسه قال الرئيس كارتر « ان آمال جميع الاميركيين وصلواتهم هي مع السادات وبيغن في محاولتهما السير قدما نحو السلام لشعوب الشرق الاوسط ، وبالطبع للعالم كله » .

وهنا كان كارتر يؤكد على الدور الاسرائيلي - الى جانب الخطوة الاستثنائية للسادات - معتبرا ان المسعى الجديد هو مسعى مشترك ينبغي ان ينسب الى الاثنين معا وليس الى السادات وحده . وكان ذلك بمثابة مؤشر الى رغبة تبديها الولايات المتحدة بان تشارك اسرائيل في صنع نتائج ايجابية لزيارة السادات لها عن طريق تقديم تنازلات تجعله لا يعود « حاوي الوفاض » . وهذه نقطة بدورها تثير - من جديد - النقاش حول ما اذا كانت هناك « استغلالية » كاملة للموقف الاسرائيلي عن الموقف الاميركي ، اي ما اذا كان بإمكان اسرائيل ان تنتهج سياسة خاصة بها لا تلتقي التقاء كاملا مع رغبات الولايات المتحدة . وعن هذه النقطة ايضا لا يد من تسجيل تحول عن مطالبة الولايات المتحدة - عربيا - بالضغط على اسرائيل ، الى تجاوز هذا الطرف الدولي نفسه وطلب التنازل من اسرائيل مباشرة ، مع تحول دور الطرف الدولي الى مجرد « التوجيه » او « الامل » في ان تدرك اسرائيل أهمية تقديم « تنازل » ما . وهكذا لا تعود الولايات المتحدة تواجه مفارقة الضغط العربي (النفطي او غير النفطي) والضغط الصهيوني (الداخلي والعالمي) ما دام الجانب العربي لا يطلب منها الضغط على اسرائيل ، وما دام الجانب الصهيوني يجد اسرائيل تتعامل مباشرة مع خصمها الاتي اليها بنفسه .

● في ٢٠-١١ - يوم خطاب السادات في « الكنيست » قال الرئيس الاميركي ان خطابي السادات وبيغن « يتسمان بروح الوفاق ويساهمان في تحقيق السلام في الشرق الاوسط » . وقال انه يرى ان « زيارة الرئيس السادات لاسرائيل ستدعم احتمالات السلام في الشرق الاوسط مهما تكن نتائج هذه الزيارة » .

لقد طبعت تصريحات الرئيس الاميركي عن خطاب السادات - الذي كان أهم بند في جدول اعمال الزيارة - بطابع باهت نشأ من حقيقة ان خطاب السادات لم يكن شيئا غير عادي كالزيارة نفسها ، انما كان تكرارا للمقولات نفسها التي سبق ان عبر عنها السادات مرات عديدة خلال سنوات منذ ١٩٧٢ . فلم يكن من غير الطبيعي ان تنجح التصريحات نحو الزيارة وردود فعلها اكثر مما اتجهت نحو تحليل خطابي السادات وبيغن .

وفي هذا اليوم الذي كانت فيه ردود الفعل العربية الرافضة في ذروتها قال كارتر « ان الرئيس الاسد الذي ندد بزيارة السادات لاسرائيل يريد السلام ، لكنه اصبح بطريقة غريبة ناطقا باسم الراديكاليين العرب » . واستطرد قائلا « اعتقد ان زيارة الرئيس المصري للقدس قد تزيل العقبات ، ان السادات لا يريد ترك سوريا خارج المفاوضات » .

وبدا يظهر جانب اخر من الموقف الاميركي في تصريح لكارتر في اليوم نفسه - ٢٠-١١ - يقول فيه انه لا يعتقد ان مصر واسرائيل ستتوصلان الى معاهدة سلام منفصلة ، وهو يعتقد على اي حال ان ذلك يجب الا يجري . وقد تكررت هذه النغمة على السبنة المسؤولين الاميركيين بعد ذلك ، والى الوقت المحدد لانعقاد مؤتمر القاهرة ، وبصفة اكثف اثناء انعقاد « مؤتمر الصمود والتصدي » في طرابلس .

بماذا يمكن تفسير هذا الالاح الاميركي على عدم وجوب حدوث اتفاق منفصل بين مصر واسرائيل ؟

لقد بدت الولايات المتحدة اكثر الحاحا على هذه النقطة حتى من الجانب المصري نفسه ، الذي - رغم تأكيدات المتكررة ايضا بهذا المعنى - سرب تصريحات من نوع ما أطلقه وزير الخارجية المصري بالوكالة بطرس غالي بأن السادات قد لا يجد امامه طريقا الا الاتفاق المنفصل مع اسرائيل ، اذا أصر العرب الاخرون على موقفهم ضد مبادرته السلمية . فلماذا تكون واشنطن حريصة الى هذا الحد على ابداء موقف معارض لاتفاق منفصل مصري - اسرائيلي ؟ الاحتمال الاول ان الولايات المتحدة لا تريد فعلا مثل هذا الاتفاق لانه يعزل مصر - والتيار الذي تمثله في ظل حكم السادات - ولانه يكتل باقي الدول العربية المناهضة للتسوية على طريقة السادات ، ويطيل في أمد الصراع ويعمق خطورته ، ويقلص النفوذ الذي استطاعت الولايات المتحدة تحقيق مستوى عال منه في الوطن العربي في ظل مشاركتها في المساعي الى « حل شامل » . وهو امر يهدد - في الوقت نفسه - بعودة نمو الدور السوفياتي في المنطقة من أبواب تأييد الدول والقيادات العربية المناهضة لسياسة السادات .

أما الاحتمال الثاني فهو محاولة الولايات المتحدة - بهذا الالاح على عدم تحبيذها اتفاقا منفصلا بين مصر واسرائيل - الايحاء بأن حدوث مثل هذا الاتفاق - اذا حدث - هو نتيجة طبيعية لتطورات الامور ، وليس محصلة ضغط او تخطيط اميركي . الامر الذي يخدم ايضا هدف التغطية على اتجاه تطورات الاتصالات المصرية - الاسرائيلية بعد الزيارة نحو هذه النتيجة بالذات .

ويلاحظ انه حتى هذه المرحلة لم تكن الولايات المتحدة قد أبدت اهتماما بالابتعاد عن الطريق المؤدي الى مؤتمر جنيف ، وهو ما كشفت عنه تطورات الايام التالية ، ويجدر بالملحظة ان هنري كيسنجر وزير الخارجية الاميركي السابق كان اول الاميركيين اتجاها نحو التقليل من أهمية جنيف ، اذ صرح (في ٢٠-١١) وضمن حديث عقب فيه على خطابي السادات وبيغن في الكنيست - بان « مؤتمر جنيف وسيلة وليس هدفا » . يمكن ان يكون هناك جنيف بعد ، بيد انه من الصعب الاعتقاد بأن مثل هذا المؤتمر يمكن ان ينجز ما لم يستطع هذا الاجتماع التاريخي والدراماتيكي ان يحققه .

وقد كشف كيسنجر في هذا الحديث - الذي نشرته صحيفة « نيويورك تايمز » - انه أجرى اتصالا هاتفيا مع بيغن والسادات وتمنى لهما التوفيق ، وانه عرض لبيغن والسادات الايجابيات التي تشكلها زيارة الرئيس المصري وكذلك الاخطار التي تمثلها هذه المبادرة . وقال ان اول هذه الاخطار هو ألا يحرز السادات وبيغن اي تقدم في محادثاتهما الخاصة ، وثاني الاخطار يتمثل في الاطاحة بكامل الحكم المصري اذا غادر الرئيس المصري القدس حاوي اليدين .

وترجع أهمية تصريحات كيسنجر الى ما ذكرته صحيفه « نيويورك تايمز » في اليوم نفسه (٢٠-١١) من ان « الوسيط الحقيقي الذي فتح الطريق أمام السادات وبيغن هو هنري كيسنجر » . وربما يمكن اخذ تصريح كيسنجر عن اتصاله تليفونيا بالسادات وبيغن على انه تلميح لدوره هذا . وربما كان دور كيسنجر كوسيط بين السادات وبيغن هو الوجه

المرئي من الدور الاميركي في هذه التطورات .

● في ٢٣-١١ بدأت المحاولات الاميركية لتطويق ردود الفعل العربية الحادة ضد زيارة السادات لاسرائيل ، وفي الوقت نفسه لدعم موقفه . فقد اعلن توم ريستون المتحدث الرسمي باسم وزارة الخارجية الاميركية ، ان ادارة كارتر تنتظر اكتمال التقارير التي ترد اليها حول زيارة الرئيس السادات للقدس لتقييم الموقف في الشرق الاوسط ، كما ذكر ان الولايات المتحدة ستقوم بالاتصال بالحكومات العربية « لتهدئة المشاعر » ولتبيد المخاوف من ان مصر واسرائيل تنويان توقيع اتفاق سلام ثنائي . (ولعل هذا اول تصريح يمهّد لقيام سايروس فانس بزيارته لعواصم المنطقة التي بدأت يوم ١٠-١٢) .

وقال ريستون ان الولايات المتحدة كانت على اتصال بالاطراف المختلفة بهدف استئناف مؤتمر جنيف في أسرع وقت ممكن .

والامر الواضح ان الولايات المتحدة تعتقد ان التلويح بجنيف يمكن ان يهدىء مشاعر الدول العربية الراضة لمبادرة السادات ، باشعارها بأن الخط الاساسي المتفق عليه مع الولايات المتحدة ، قبل زيارة السادات ، لا يزال هو خط السياسة الاميركية الاساسي .

وتأكيدا لهذا اعلن « دبلوماسي اميركي كبير » - في تصريح نقلته وكالة رويتر - في اليوم نفسه - « ان حكومة الرئيس كارتر تعارض اي صفقات منفردة بين البلدين (مصر واسرائيل) لا تشمل الجبهات العربية الاخرى التي تقف ضد اسرائيل » . ومنذ ذلك الوقت كانت الولايات المتحدة لا تزال تحتفظ بأمل اشتراك الاتحاد السوفياتي فسي التطورات الجديدة ، فقد دافع وارين كريستوفر القائم بمهام وزير الخارجية الاميركي فانس (اثناء غيابه في اجتماعات اطلسية) عن دور الاتحاد السوفياتي كرئيس مشترك - مع الولايات المتحدة - لمؤتمر جنيف ، في الوقت نفسه الذي انتقد فيه كريستوفر مهاجمة موسكو لزيارة السادات لاسرائيل . وذكر ان الولايات المتحدة « لا تستخف بالالتزامات السوفياتية التي تضمنها البيان الاميركي السوفياتي المشترك الذي صدر في أول تشرين الاول الماضي » .

● في ٢٤-١١ - وفي الاتجاه نفسه للتأكيد بأن الولايات المتحدة لم تغير خطها السياسي الرئيسي المتمثل في العمل على « حل شامل » من خلال مؤتمر جنيف - قالت مصادر اميركية مطلعة ان الولايات المتحدة لا تزال تعتقد ان من الضروري عقد مؤتمر جنيف ، كما تعتقد ان انقاذ المؤتمر من الفشل يمكن ان يتم في وجود اي انطباع عن مفاوضات مصرية - اسرائيلية منفصلة . وقالت المصادر نفسها ان الولايات المتحدة تجري اتصالات مع عدد من الدول العربية ، خصوصا سوريا ، سواء في واشنطن او في دمشق ، وان هذه الاتصالات تهدف الى تأكيد السياسة الاميركية التي رسمتها ادارة كارتر والقائلة بضرورة ايجاد حل شامل للصراع العربي - الاسرائيلي عن طريق مؤتمر جنيف .

وقالت مصادر دبلوماسية في واشنطن ان الولايات المتحدة تجري اتصالات مع السعودية لكي تتخذ هذه موقفا يستطيع ان يؤمن نوعا من الغطاء العربي للموقف المصري ، ويتيح في الوقت ذاته امكان قيام دور سعودي في التقريب بين مصر وسوريا .

في اليوم نفسه ذكرت انباء صحفية من واشنطن انه « برزت في بعض الاوساط الاميركية معارضة تدعو الى عدم تدخل الولايات المتحدة في مجرى الاحداث الجديدة ، خصوصا فيما يتصل بالعلاقات المصرية - الاسرائيلية » . كما ان ثمة « كلاما كثيرا الان في العاصمة

الاميركية عن ان الدور الاميركي اصبح دورا جانبييا بعد زيارة السادات لاسرائيل ، لكن مصادر مطلعة اكدت ان الولايات المتحدة لا تزال تلعب دورا اساسيا خصوصا على صعيد المساعي المبذولة لعقد مؤتمر جنيف » .

وتكشف هذه التصريحات - غير المنسوبة في معظمها - عن استمرار الولايات المتحدة في محاولة جذب اطراف عربية اخرى غير مصر الى الطريق الذي سار فيه السادات ، في الوقت نفسه الذي تترك لنفسها فرصة التبرؤ من فشل يمكن ان ينتهي اليه السير على هذا الطريق .

● في ٢٩-١١ - بعد اربعة ايام من اعلان اقتراح الرئيس السادات عقد مؤتمر في القاهرة يمهّد لاجتماع مؤتمر جنيف - اعلنت الولايات المتحدة رسميا انها ستلبي هذه الدعوة . اذ اعلن هودنغ كارتر الناطق باسم وزارة الخارجية الاميركية ان الولايات المتحدة وافقت على الدعوة التي وجهتها مصر الى الدول المشتركة في مؤتمر جنيف لحضور الاجتماع التمهيدي . ووضح ان التمثيل الاميركي سيكون في مستوى الخبراء ، وكانت تلك اشارة الى ان الاجتماع لن يكون على مستوى وزراء الخارجية كما كانت بيانات القاهرة قد اوضحت .

وقال الناطق الاميركي ان الولايات المتحدة ستذهب الى اجتماع القاهرة لانها تعتقد انه سيكون « مفيدا وسيعطي املا في التغلب على الصعوبات وفي التوصل الى اتفاق حول المواضيع التي ستؤدي الى الحل الشامل » .

وقد فسر الناطق الاميركي تأخر الولايات المتحدة في اعلان تليبيتها لدعوة السادات بأنه كان بسبب استمرار واشنطن في مشاوراتها مع الاطراف المعنية .

واضاف ان الولايات المتحدة مدعوة الى الاجتماع بصفتها احد رئيسي مؤتمر جنيف . ويكشف هذا الخبر ، من التصريح ان الولايات المتحدة كانت حتى ذلك الوقت - ورغم وضوح انتقاد موسكو لمبادرة السادات - تأمل ان يشترك الاتحاد السوفياتي في اجتماع القاهرة بهذه الصفة نفسها ، اي بصفته احد رئيسي مؤتمر جنيف . وان كان المتحدث الاميركي قد عاد فقال « ان حضور الولايات المتحدة اجتماع القاهرة دون الاتحاد السوفياتي لا يعتبر خرقا لروح مؤتمر جنيف » .

وسئل المتحدث : هل تحضر الولايات المتحدة الاجتماع في حال حضور منظمة التحرير الفلسطينية فأجاب : « اذا قررت اسرائيل الذهاب في وجود منظمة التحرير الفلسطينية فعلينا عندئذ ان نراجع سياستنا السابقة » .

والحقيقة ان تردد واشنطن في اعلان تليبيتها لدعوة السادات لاجتماع القاهرة اثار تكهنات عديدة ، اولها ان واشنطن فوجئت باقتصار التلبية على اسرائيل وبلاضافة الى مصر صاحبة ، الدعوة - الامر الذي جرد الاجتماع من اي صفة تجعله تمهيدا لمؤتمر جنيف كما كان القصد منه في الدعوة . ويبدو ان الولايات المتحدة اعتقدت - طموال ايام تردها - ان الاتحاد السوفياتي سيفضل ان يحضر على ان يغيب عن اجتماع القاهرة ، حتى لا يكون هذا بداية « عزل » له عن جهود التسوية ، فكانت تريد للرد على دعوة السادات ان يكون اميركيا - سوفياتيا في التوقيت على الاقل . ومن ناحية اخرى ذكرت مصادر واشنطن ان ادارة كارتر كانت ترغب في شرح موقفها لجميع الاطراف المدعوة

لاجتماع القاهرة لاقناعها بالاشتراك فيه .

والواقع ان معظم هذه التفسيرات لا يبدو منطقيا ، فان الولايات المتحدة لا تستطيع ان تقنع الاخرين بالحضور حين تتردد هي نفسها في اعلان تليبيتها الدعوة ، والامر الاكثر منطقية هو ان الولايات المتحدة كانت مترددة فعلا في الحضور دون الاتحاد السوفياتي ، ودون الاطراف العربية الاخرى ، وعندما رأت ان ذلك يضع القاهرة في محنة شديدة قدمت حضورها كدعم للدعوة ولتغطي الاجتماع ثقلا ما كان يمكن ان يكون له اذا اقتصر على مصر واسرائيل . وهنا لا بد من القول ان واشنطن ربما فوجئت بتسرع السادات في الدعوة الى هذا المؤتمر دون ان يكون قد امن حدا كافيا من التأييد . وفي الوقت نفسه ارادت واشنطن ان تحتفظ بصورة الدولة المتمسكة باللوازم الثلاثة : الحل الشامل (لا الانفرادي بين مصر واسرائيل) ، مؤتمر جنيف كسبيل الى هذا الحل الشامل ، و« المبادئ الثلاثة » لحل النزاع وهي الحدود الآمنة ، وطبيعة السلام ، وموضوع « الفلسطينيين » .

ويلاحظ ان تردد الولايات المتحدة في تأييد اجتماع القاهرة قد أثار غضب دوائر عديدة في واشنطن معروفة بتأييدها لاسرائيل ، ومعروفة بعلاقاتها الصهيونية . وعلى سبيل المثال - وتعبيرا عن آراء هذه الدوائر - فقد كتبت صحيفة « نيويورك تايمز » (في ٢٩-١١) ان رد الفعل الاميركي المتسم بالتردد « كان مزيجا من الانزعاج والتحفظ البارد اللذين لا يليقان بالولايات المتحدة التي يفترض فيها ان توافق في حرارة وان تشجع اي بادرة اعتدال في الشرق الاوسط » . وقالت الصحيفة الاميركية ان الخوف من احتمال فشل الرئيس المصري هو العنصر الوحيد الذي يجب ان يؤخذ في الاعتبار - عند تفسير الحذر الاميركي - ولاحظت ان هذا الخوف له ما يبرره ، « الا انه يجب ان يحث على مزيد الاخطار وليس على الفرص في مبادرة السادات . وهي تتردد حتى الان في قبول دعوته الاخطار وليس على الفرص في مبادرة السادات . وهي تتردد حتى الان في قبول دعوته الى اجتماع القاهرة ، مفضلة التشاور مع الاتحاد السوفياتي والاطراف الاخرى دون ان تقدم اي مساعدة للاطراف العربية « المعتدلة الممزقة حاليا ، بين قوى متنازعة » . ودعت « نيويورك تايمز » الولايات المتحدة الى ان تقف الى جانب مصر واسرائيل « حتى يمكن لسعاهما النبيل التقدم ... »

وكمثال اخر على الانتقادات الاميركية لتردد ادارة كارتر في الاستجابة لدعوة السادات ما قاله السناتور الصهيوني هنري جاكسون « ان تردنا يضعف موقف السادات » .

● في ٣٠-١١ بدأت الولايات المتحدة تبرز في المقدمة بدور اكثر ايجابية وأقل تخفيا في تأييد السادات ، وبدأت تظهر ملامح اولية لعدم التمسك بمؤتمر جنيف .

فقد اعلن الرئيس كارتر في مؤتمر صحفي ان مؤتمر القاهرة سيعقد في ١٤ كانون الاول (وكان هذا تاجيل اعلنته الولايات المتحدة ، ولم تعلنه القاهرة صاحبة الدعوة !) وان الفرد اثرتون مساعد وزير الخارجية لشؤون الشرق الاوسط سيمثل الولايات المتحدة فيه . وقال كارتر ان ابرام معاهدة منفصلة بين اسرائيل ومصر يعد امرا غير مستحب في الوقت الراهن ، وذكر انه طالما يوجدامل في تسوية شاملة في الشرق الاوسط فان الولايات المتحدة لا تحبذ الاتفاقات المنفصلة . غير انه اضاف قائلا انه « اذا لم يقبل الاردن او سوريا او لبنان ، في وقت لاحق ، السلام مع اسرائيل فان اتفاقا مصرياً -

اسرائيليا يمكن وضعه » .

واعرب كارتر في المؤتمر الصحفي نفسه عن اعتقاده بان السادات يتحدث بقدر ما تسمح به امكانياته باسم العالم العربي .

كانت هذه اول جرعة - قدمتها الدبلوماسية الاميركية لقبول التخلي عن جنيف او لعقد اتفاق منفصل بين مصر واسرائيل

● في اول كانون الاول قال سايروس فانس وزير الخارجية الاميركي انه يتعين على الولايات المتحدة « ان تركز جهودها على مؤتمر القاهرة » وفي اليوم نفسه صرح هودينغ كارتر المتحدث باسم الخارجية الاميركية بأن الولايات المتحدة لم تعد تبني آمالا كثيرة على فرص اشتراك وفود جديدة في مؤتمر القاهرة . وقال ان الولايات المتحدة لم تطلب من مصر تأجيل اجتماع القاهرة ، وان كانت قد طلبت مهلة ايام قليلة للحصول على موافقة دول أخرى على الاشتراك في الاجتماع . وأوضح ان الجهود الاميركية في هذا المجال قد فشلت .

في الوقت نفسه نشرت صحيفة « نيويورك تايمز » رواية مؤداها ان واشنطن وجهت الى الرئيس المصري قبل ساعات من اعلانه اقتراح عقد اجتماع تمهيدي لمؤتمر جنيف في القاهرة رسالة تدعوه فيها الى التخلي مؤقتا عن هذه الفكرة . وأضافت انه بناء على اصرار الادارة الاميركية التي كانت تخشى ردود فعل العواصم العربية الاخرى والنتائج التي قد تترتب على اقتراح السادات بالنسبة الى احتمالات استئناف اعمال مؤتمر جنيف وافق الرئيس المصري على تأجيل اجتماع القاهرة الى ١٣ كانون الاول :

واوضحت « نيويورك تايمز » انه في ٢٥ تشرين الثاني الماضي - اي عشية القاء السادات خطابه في مجلس الشعب ، - الذي احتوى على الدعوة للاجتماع التمهيدي - علمت الخارجية الاميركية بالطرق الدبلوماسية بمبادرة الرئيس المصري الجديدة ، وبعدها اعطى الرئيس كارتر موافقته ووجهت الى القاهرة رسالة عاجلة في محاولة لاقتناع السادات بالتخلي عن فكرته . وبعد فشل هذه المبادرة « حاول الاميركيون تأجيل الاجتماع الى ١٤ كانون الاول ، وبذلوا في الوقت نفسه جهودا استمرت اربعة ايام لاقتناع السوفيات بالاشتراك في الاجتماع . وخلصت الصحيفة الى القول ان الجهود الاميركية فشلت ، مما حمل واشنطن في ٢٩-١١ على تعيين الفرد اشرتون ممثلا لها في اجتماع القاهرة .

● في ١٢-٢ صرح كيسنجر - قبيل اجتماع له مع وزير الخارجية فانس - بأنه يؤيد عقد اتفاق مصري - اسرائيلي منفصل بعد مؤتمر القاهرة المقبل بالرغم من انه يفضل التسوية الشاملة مع كل اطراف النزاع .

وهكذا يلاحظ ان كيسنجر انما كان يعبر عن وجهة النظر الاميركية التي عبر عنها كارتر نفسه وغيره من المسؤولين الاميركيين في الآونة الاخيرة ، والتي تعطي جرعات محسوبة من تمهيد الاجواء لاتفاق مصري - اسرائيلي ، كنتيجة ممكنة لمبادرة السادات . ويدعم هذا اعتقاد يتردد في واشنطن بان سياسة كيسنجر لا تزال هي في خطوطها الاساسية واهدافها السياسية التي تنتهجها الولايات المتحدة حتى الآن .

● في ١٢-٥ اعلنت الولايات المتحدة خطوات للتحرك للنشط لدعم مبادرة السادات :

فانس يزور منطقة الشرق الاوسط ، ويسبق ذلك تحرك آخر يقوم به فيليب حبيب لـدى موسكو .

وقد أعلنت واشنطن ان التحرك الجديد يرمي الى دعم المحادثات المباشرة بين تل ابيب والعرب . وان فانس سيقوم بجولته في الشرق الاوسط للتحضير لاجتماعات اخرى بين تل ابيب والدول العربية . وقال الناطق باسم الخارجية الاميركية ان بلاده مهتمة بعقد مباحثات مباشرة في اي مكان ، « ونحن نعتقد ان افضل وسيلة لحل القضايا الاساسية هي المحادثات وجها لوجه » .

وقال ان فانس لن يحمل معه اية اقتراحات جديدة ، ولكنه سيؤكد ويوضح الدعم الاميركي للمشاوورات الاسرائيلية المصرية المباشرة .

وكان يسيرا على وكالات الانباء والصحف التي نشرت تصريحات المتحدث الاميركي ان تعقب بانه لم يذكر شيئا عن مؤتمر جنيف ، واكتفى بالاشارة الى « المحادثات التي تدعمها الولايات المتحدة في منطقة الشرق الاوسط » .

● في ٦-١٢ اعلن سايروس فانس في مؤتمر صحفي - ولاول مرة بصورة صريحة - انه « من الممكن تحقيق تسوية دون مؤتمر جنيف » . وشدد على ان الهدف من جولته في الشرق الاوسط هو دعم خطوات ومبادرات السادات ، وقال ان زيارة السادات لاسرائيل « بدأت عملية لا تقبل الرجوع الى الوراء » . وشن فانس هجوما شديدا على الاتحاد السوفياتي بسبب موقفه من مبادرة السادات الاخيرة ، الامر الذي اعتبر بمثابة تأكيد لتخلي واشنطن بصفة نهائية عن جنيف .

في اليوم نفسه غادر فيليب حبيب (الرجل الثالث في وزارة الخارجية الاميركية) موسكو بعد محادثات دامت يومين دون ان يحقق اي تقدم نحو اقناع الزعماء السوفيات بالمشاركة في اجتماع القاهرة .

ولعل من المناسب ان نذكر تحليلا لوكالة الصحافة الفرنسية من واشنطن عن جولة فانس وعن مؤتمره الصحفي . فقد ذكرت في هذا التحليل ان واشنطن قررت بايفادها وزير خارجيتها الى الشرق الاوسط الآن ان تخف الى نجدة الرئيس السادات ، في وقت يجد فيه نفسه معزولا اكثر من اي وقت مضى وسط عالم عربي في اوج غليانه . وتخشى حكومة كارتر ان يؤدي ذلك الى تعريض نظام حكم السادات للخطر . وقالت الوكالة الفرنسية ان واشنطن تخشى ان تزول فرص التسوية الشاملة ، وان ينشب نزاع مسلح جديد ، ولكن ليس هذه المرة بين اسرائيل وجيرانها ، وانما بين مصر وليبيا .

وفي الاتجاه نفسه كان تحليل صحيفة « نيويورك تايمز » التي رجحت احتمالات نشوب حرب عربية - عربية جديدة ، وبخاصة بين مصر وليبيا .

وهكذا شيئا فشيئا تتضح خطوط سير الدبلوماسية الاميركية في مرحلة ما بعد رحلة السادات لاسرائيل . (١) وضع مصر على طريق لا يتصور ان تلتقي عليه الدول العربية الاخرى - وخاصة دول المواجهة - دون ان يكون هذا الالتقاء بمثابة استسلام عربي شامل لشروط اسرائيل . ويعني هذا عمليا عزل مصر بثقلها الاستراتيجي والسياسي عن الدول العربية وعن القضية العربية . (٢) ابعاد الاتحاد السوفياتي عن جهود التسوية بالابتعاد اصلا عن صيغة مؤتمر جنيف التي يتمثل فيها الحضور السوفياتي في تلك الجهود

مع استمرار ابعاد الاتحاد السوفياتي سياسيا عن المنطقة وازهاره بمظهر المسؤول عن عرقلة « جهود السلام » (٣) التركيز على نموذج التعامل المباشر بين العرب واسرائيل، الذي تمثل في زيارة السادات ، وفي اجتماع القاهرة الذي لا يكاد يخرج في التحليل النهائي عن كونه محادثات ثنائية مصرية اسرائيلية ، يدخل فيها الاسرائيليون القاهرة رسميا لأول مرة ليصبح ذلك - فيما بعد - نمطا مقبولا ، وتنطبق عليه قاعدة « ان ما حدث قد حدث » التي طرحت ضمن التبريرات المقدمة للخطوات الفجائية غير المحسوبة .

● في ١٢-٨ كتب جيمس ريستون كبير معلقى « نيويورك تايمز » يقول ان احد اهداف جولة فانس في الشرق الاوسط « ان واشنطن تحاول ان تقنع السادات انه ذهب بعيدا جدا وسريعا جدا ولكن علينا جدا ، وانه بحاجة - لان يبطئ . فحتى اكثر الهتافين لسياسة السادات التصالحية مع اسرائيل مشوشون وقلقون الآن ، وذلك بسبب دبلوماسيته التلفزيونية العلنية » .

● في ١٢-٩ بدأ فانس جولته بمحادثات في القاهرة مع السادات . وقد صرح قبل وصوله الى القاهرة (في بروكسل) بان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي في نزاع مباشر حول اجتماع القاهرة ، وان الاتحاد السوفياتي يرغب في التوصل الى تسوية شاملة وهدفه لا يزال مؤتمر جنيف . ولكنه اضاف قائلاً انه يعتبر اجتماع القاهرة « خطوة مفيدة الى الامام » وان المشتركين فيه يتطلعون الى تسوية شاملة لا جزئية . القاهرة لا تلغي جنيف في النهاية » .

● في ١٢-١٠ بعد انتهاء محادثات السادات - فانس صرح الاخير في مؤتمر صحفي مشترك بينهما بقوله : « لا يزال هدفنا هو تحقيق تسوية شاملة وتوجد امور عديدة يجب ان تنجز لتمهيد الطريق نحو عقد اجتماع نهائي يمكن فيه التوصل الى تسوية شاملة » . وسئل فانس : ما هو الدور الاميركي في الخطوات المقبلة في المستقبل سواء في جنيف او في التسوية النهائية ، ما هي الالتزامات الاميركية ؟ فاجاب : اننا سنقوم بدورنا المساند للمبادرة التي اتخذت من جانب الرئيس السادات ورئيس الوزراء بيغن .

في اليوم نفسه ، وبعد ان انتقل الى اسرائيل ، صرح فانس بان الولايات المتحدة تقدم دعمها الكامل « لمبادرات السلام المصرية - الاسرائيلية » ، وقال انه جاء الى الشرق الاوسط لان الولايات المتحدة تريد المساعدة في المحافظة على هذا الزخم باتجاه التسوية الذي بدأت اسرائيل ومصر . واذاف « ان السادات في محادثاته اكد رغبته باجراء حوار مباشر بين الاطراف ، وهو ما ندعمه من كل قلبنا ونود ان نفعل كل ما باستطاعتنا للمساعدة على تقدمه . ويتحركنا الان الى الامام بحثا عن السلام ، اريدكم جميعا ان تعلموا اننا نشارك بالامال نفسها ، وانكم تتمتعون بالدعم الكامل وبصداقة الولايات المتحدة » .

وفي واشنطن قال الرئيس الاميركي كارتر - في حديث مع رؤساء تحرير عدد من الصحف الاميركية - انه يأمل ويتوقع من اسرائيل ان تبدي تجاوبا مع مبادرة الرئيس السادات ، وان تقدم ردا ايجابيا على سياسة الانفتاح التي تتبعها مصر .

واعرب كارتر - من ناحية اخرى - عن امله في ان تواصل السعودية مساندة مصر، وان تؤيد - ولو بطريق ضمني - مبادرات الرئيس المصري .

● في ١٢-١١ - في تل ابيب بعد انتهاء محادثاته مع الاسرائيليين - قال فانس ان

مؤتمر القاهرة سيبحث في المسائل الاجرائية والاساسية معا . وكرر القول بأن الولايات المتحدة تأمل في الوصول الى تسوية شاملة في الشرق الاوسط . كما قال ان الاحتمال وارد بان تحضر الدول التي رفضت تلبية الدعوة الى اجتماع القاهرة في وقت لاحق ، « علينا البدء بمحادثات القاهرة ثم نرى ما قد يحدث » .

واضاف فانس « ان الاتحاد السوفياتي بصفته الرئيس المشارك لمؤتمر جنيف يتحمل مسؤولية جدية ، الا اني لا اريد ان اعلق على دوره . اما دور الولايات المتحدة في المستقبل فهو دعم محادثات القاهرة » .

على وجه العموم فقد تشابك الموقفان الاميركي والسوفياتي كثيرا على نحو يكشفه اكثر عرض تطورات ردود الفعل السوفياتية والمواقف التي اتخذتها موسكو منذ الزيارة . ويمكن بعد ذلك تقديم تحليل لهذا التشابك وما اسفر عنه من اتجاهات متضادة .

الاتحاد السوفياتي

على الرغم من ان زيارة السادات لاسرائيل تشكل حلقة من سلسلة المفاجآت غير السارة التي صعقت الدبلوماسية السوفياتية في الشرق الاوسط ، وخاصة من جانب النظام المصري على مدى السنوات السبع الماضية (سنوات حكم الرئيس انور السادات) ، الا ان هذه المفاجأة بالذات لها طبيعة نوعية خاصة تختلف بها عن المفاجآت العديدة السابقة ، طرد الخبراء والفنيين السوفيات (١٩٧٢) والهجوم على الاتحاد السوفياتي بعيد حرب تشرين (اكتوبر) مباشرة (١٩٧٣) ، وتوقيع اتفاق فصل القوات الثاني في سيناء ، وما تضمنه من امتيازات استراتيجية ودبلوماسية للولايات المتحدة (١٩٧٥) ، والغاء معاهدة الصداقة والتعاون المصرية - السوفياتية (١٩٧٦) .

معظم تلك المفاجآت السابقة كان خاصا - الا بالاحرى موجها الى الاتحاد السوفياتي ، في اساسه . ولم يكن هناك - الى ان اعلن السادات عن عزمه على زيارة اسرائيل - شيء يوحي بان تلك المفاجآت يمكن ان تكتمل بمفاجأة التوجه الى اسرائيل مباشرة .

كذلك لا بد من ان يوضع في الاعتبار ان مفاجأة « الزيارة » وضعت الاتحاد السوفياتي امام صعوبة معينة ، ترجع الى انه طوال سنوات « الازمة » دافع عن فكرة « الحل السلمي » - وان لم يدافع عن « المفاوضات المباشرة » . الا ان وقوف الاتحاد السوفياتي بقوة وراء مبدأ الحل السلمي جعل لجوء السادات الى شعار صنع « السلام » كمبرر لخطوته المفاجئة يبدو كأنه يلتقي مع سياسة سوفياتية دائمة . فضلا عن انه جعل الاتحاد السوفياتي - في حال معارضته « مبادرة السادات السلمية » يظهر كأنه يقف ضد مبادئ عزيزة عليه دافع عنها باستمرار في سياسته الخارجية هي مبادئ السلام والتعاون الدولي وحل المشكلات العالمية بالطرق السلمية .

وكان الشيء المشترك بين مفاجأة « الزيارة » ومسلسل المفاجآت غير السارة السابقة عليها انها سحبت البساط مرة اخرى من تحت اقدام الاتحاد السوفياتي بعد ان كان قد حدث تهيؤ عالمي شبه كامل لعملية البحث النهائي عن حل شامل ، من خلال مؤتمر جنيف الذي يشارك الاتحاد السوفياتي الولايات المتحدة في رئاسته ، ويمثل من خلال هذه المشاركة الكابح لجماع الاندفاع الكامل للسياسة الاميركية في تأييد مطالب اسرائيل وشروطها .

ولعل من المهم ان نضيف الى هذا وذاك ان الاتحاد السوفياتي ربما فوجيء بانخفاض

حدة رد الفعل العربي ، - على مستوى الشمول - عما يمكن ان يكون متوقعا ، الامر الذي يجعل تقدير حسابات الموقف السوفياتي اصعب مما لو كان رد الفعل العربي فسي شموله في مستوى حدة « الانحراف » الذي وجهت الزيارة نحوه التطورات . ولقد كان الاتحاد السوفياتي دائم الاهتمام بالتنبيه الى اهمية عامل التضامن العربي ووحدة الموقف العربي في مواجهة اسرائيل والصهيونية والامبريالية الاميركية . ولهذا فان وقوف موسكو - بعد « الزيارة » - مع « جبهة » ضد « جبهة » في الوطن العربي لا بد قد شكل صعوبة اخرى امام الدبلوماسية السوفياتية بعد الزيارة . وقد سهل ذلك فعلا على الاطراف المؤيدة للزيارة - وبالتحديد على السادات نفسه - اتهام الاتحاد السوفياتي « بشق الصف العربي » و « العمل ضد تضامن الامة العربية » . . . الخ .

وصحيح ان « الزيارة » اسهمت في تعميق ازمة قائمة بالفعل بين موسكو ونظام السادات ، الا انها عمقت بالقدر نفسه والسبب نفسه « معاناة » الدبلوماسية السوفياتية من تطورات ازمة الشرق الاوسط . لانها تقلل من قدرتها على الحركة ما دامت مضطرة للالتزام بموقف الدفاع في مواجهة الدول العربية الاثقل وزنا ، فالدبلوماسية السوفياتية تجد نفسها مضطرة لتأييد طرف في ازمة الشرق الاوسط - هو الطرف العربي - لا يعينها على تأييده ، بل يضع العراقيل ويذهب الى حد نسف الدور السوفياتي . وبعد الزيارة فان اتجاه التطورات يشكل بالنسبة للدبلوماسية السوفياتية اختبار قوة ربما لم تواجهه من قبل منذ تحولها الى التأييد الشامل للقضية العربية الذي تكرر في حرب السويس (١٩٥٦) واستمر ثابتا لا يتجه بأي قدر نحو مصالحة او حتى مهادنة مع الصهيونية او اسرائيل من وقتها للآن .

ويمكن القول ان اهم ملامح هذا الاختبار ان الدبلوماسية السوفياتية تجد الآن اطارا للعمل اقرب الى المنظمات الجماهيرية والثورية منه الى اطار نظم الحكم العربية ، وهو عكس الوضع الذي اعتادت هذه الدبلوماسية على العمل فيه طوال عشرات السنين الماضية . وهذا الوضع - بدوره - يفرض مصاعب جديدة نظرا لظروف العمل الجماهيري والجهوي المعروفة في الوطن العربي على اختلاف انظمة الحكم في اقطاره المختلفة . ولا يخفف من هذه المصاعب الا عامل الاستقطاب الذي ادت اليه « الزيارة » في الوطن العربي ، حيث تكثرت بوضوح دول عربية معينة ضدها ونشطت في العمل لمقاومة الاتجاه الذي تمثله ، وان لم تستطع - لآن - ان تتكفل بالوضوح نفسه دول عربية ربما تضم تأييدا للزيارة ومغزاهها . وتنتظر ان يهدأ غبار ردود الفعل « الانفعالية » الاولى . ففي وضوح اهداف التكتل « الرافض » ما يمكن الاتحاد السوفياتي من رسم سياسته واتخاذ قرارات تجعل لدوره فاعلية اكبر في المرحلة التالية ، فيما لتلك الفاعلية من اهمية للمصالح السوفياتية والعربية على السواء حيثما التقت هذه المصالح .

● في ١٨-١١ كان اول هجوم عنيف وصريح من الاتحاد السوفياتي على « مبادرة » السادات ، حيث ركزت صحيفة « برافدا » الناطقة بلسان الحزب الشيوعي السوفياتي على « حملة الاحتجاجات التي اثارها مبادرة رئيس النظام المصري » في العالم العربي . وأبرزت « برافدا » بشكل خاص موقف سوريا ودعوتها للاشقاء العرب الى اتخاذ مبادرات تسمح باحباط النتائج الخطيرة للقرارات المصرية ، والى البحث في التدابير التي تعيد الى الامة العربية قوتها ووحدتها كي تستطيع التصدي للمشاريع الصهيونية .

وفي اليوم نفسه كتبت صحيفة سوفياتية اخرى ، تعد اقل تعبيراً عن وجهة النظر الرسمية من برافدا - هي صحيفة « الصناعة الاشتراكية » - تعليقا اكثر وضوحا في

معارضة « مبادرة » السادات . اذ كتبت مقالا بعنوان « الى احضان الاستعمار ، اكدت فيه ان الزيارة ستشق العالم العربي وتجعله العوبة في ايدي الامبريالية الغربية . واضافت قائلة : « لا شك في ان بعض الدوائر لا تخفي رضاها عن الصفقة بين السادات ومناحيم بيغن لان التفاهم الحبي بين الرجلين لبدء مفاوضات منفصلة تخدم الامبريالية . ان قوى الامبريالية والرجعية تخاف من وحدة الدول العربية ، التي تهدد مخططاته في الشرق الاوسط ، لكن الكلمة الفصل ستبقى لشعوب الدول العربية » .

ونكرت الصحيفة ، بان اسرائيل سعت طويلا الى استبدال جنيف بعقد الاتفاقيات المنفصلة مع الدول العربية كل على حدة . ان ذلك يتم لان اسرائيل تريد بشق وحدة الدول العربية ومنع تحقيق مطالب الشعب العربي في فلسطين .

وهكذا نجد ان ردود الفعل السوفياتية السابقة مباشرة على اليوم الاول للزيارة اتسمت بالتركيز على الاسباب العربية لمعارضة الزيارة ، اكثر منها على الاسباب السوفياتية او الدولية ، ومن بين هذه الاسباب التركيز على خطر شق الصف العربي . فلم تورد الصحف السوفياتية شيئا عن خطر محاولات ابعاد الاتحاد السوفياتي نفسه عن التسوية . بمعنى ان رد الفعل السوفياتي الاول كان ابراز رد الفعل العربي باعتباره رد الفعل المباشر والمشروع ، او ان رد الفعل العربي كان واجهة رد الفعل السوفياتي .

● في ١٩-١١ - اليوم الاول للزيارة - ظهر اول اتهام سوفياتي للسادات بأنه يسعى الى توقيع اتفاق منفصل مع اسرائيل ، وقد جاء هذا الاتهام في مقال لصحيفة هي ايضا اقل تعبيراً عن وجهة النظر الرسمية من برافدا - هي صحيفة « الحياة الزراعية » التي وصفت زيارة السادات لاسرائيل بانها « حج » قد يؤدي الى « اضعاف القوات المصرية المسلحة » . بل اضافت ان حكومة مناخيم بيغن رئيس وزراء اسرائيل « تهدف بوضوح الى اعداد وشن نزاع مسلح جديد في الشرق الاوسط . ان تل ابيب تعتمد على ان السياسة القصيرة النظر التي تنتهجها القيادة المصرية قد اضعفت الكفاءة القتالية للقوات المسلحة المصرية . وحكومة بيغن تقوم باستغلال ذلك في محاولة لعقد صفقة منفصلة مع مصر مبعدة اياها عن الجبهة المشتركة للدول التي تقاوم العدوان الاسرائيلي ثم تقوم بعد ذلك بتسديد ضربة اساسية الى سوريا » .

وفي هذا التعليق بدأت ملامح تحليل سوفياتي للاهداف والنتائج المحتملة لزيارة السادات لاسرائيل . ولكن عدم صدور هذا التحليل مباشرة عن « برافدا » او في بيان رسمي يعطي مؤشرا الى ان موسكو لا تعتبر هذا التحليل نهائيا ، او الى ان موسكو لا تعتبر « التوقيت » ملائما حتى ذلك الوقت لاعلان هذا التحليل بصفة رسمية حكوميا او حزبيا .

اما الموقف الرسمي فقد عكسته وكالة « تاس » السوفياتية في اليوم نفسه حين وصفت « الزيارة » بانها احد مظاهر « سياسة الاستسلام » ، وقالت « ان اعمال الرئيس المصري هي من صنع الولايات المتحدة وبعض الدول البورجوازية التي حثت القاهرة بكل الوسائل على اجراء مفاوضات منفصلة من وراء ظهر العرب » . ولاحظت « بأسف » ان السادات « قام برحلته على الرغم من اعلان رئيس الوزراء - الاسرائيلي ان تل ابيب ليست مستعدة للتفاوض حول الانسحاب من كامل الاراضي العربية المحتلة واقامة دولة فلسطينية » .

وهكذا فان التعليق الاكثر رسمية من جانب موسكو يرى ان الولايات المتحدة هي صانعة

قرار السادات بزيارة اسرائيل ، وان الهدف الرئيسي منها هو تسوية منفصلة بين مصر واسرائيل .

في اليوم نفسه - ١٩-١١ - بعث الرئيس السوفياتي بريجنيف برسالة الى الرئيس الاميركي كارتر - هي الثانية بينهما خلال ١٠ ايام - وتوصي اناتولي دوبرينين السفير السوفياتي في واشنطن تسليم الرسالة خلال اجتماعه بكارتر « للبحث في قضايا الشرق الاوسط » . ولم يذع شيء ، من الجانب السوفياتي (ولا الاميركي) عن مضمون تلك الرسالة .

● في ٢٤-١١ بعد اربعة ايام من خطاب السادات امام « الكنيسة » ورد بيغن عليه كان خط التحليل السوفياتي مستمرا في التركيز على ان الزيارة هي « محاولة للعمل من وراء ظهر العرب » ، وقالت صحيفة «موسكو فسكايا برافدا » (الناطقة بلسان الحزب الشيوعي لمنطقة موسكو) في مقال على هذا العنوان نفسه : « بعد ان ذهب البريقي صار من الواضح ان محادثات السادات مع مناحيم بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي كانت حوار طرشان » . وأضافت « أن السادات وبيغن تجاهلا المشكلات الرئيسية للشرق الاوسط في خطابيهما أمام الكنيسة الاسرائيلي وبعبارة اخرى فانهما يبحثان في كيفية تقرير مشكلتهما على انفراد » .

وجاءت اول اشارة من جانب الصحافة السوفياتية الى تعارض اتجاها مبادرة السادات مع الاتجاه السابق عليها نحو عقد مؤتمر جنيف لتحقيق تسوية شاملة في تعليق لصحيفة « برافدا » (٢٤-١١) كتب بهدف الرد على تحليلات الصحف ووسائل الاعلام المصرية لزيارة السادات . لقد قالت « برافدا » ان الصحف المصرية ادعت ان زيارة السادات ستمهد الطريق امام استئناف مؤتمر جنيف ، « ولكن بحكم الانباء الاسرائيلية فان زيارة السادات ينظر اليها في اسرائيل على اساس انها بداية اتصالات ثنائية منفصلة » .

● في ٢٩-١١ جاء اعلان اول موقف سوفياتي عملي ضد تداعيات زيارة السادات واثارها عندما اعلن الاتحاد السوفياتي رفضه الدعوة الموجهة اليه من القاهرة لحضور اجتماع القاهرة التمهيدي .

والامر الجدير بالملاحظة ان اعلان الموقف السوفياتي من دعوة القاهرة جاء بعد زيارة وزير الخارجية السورية عبد الحليم خدام لموسكو ومحادثاته مع المسؤولين السوفيات . مما يؤكد ان موسكو كانت بحاجة الى الاطمئنان الى موقف عربي واضح ومحدد ضد مبادرة السادات لكي تستند اليه في اتخاذ موقف سلبي من تلك المبادرة .

فبعد محادثات مطولة بين خدام ووزير الخارجية السوفياتي غروميكو اعلن الاخير ان الاتحاد السوفياتي « لا يستطيع ان يؤيد مبادرات الرئيس السادات نحو اسرائيل » . وقال انه مع ذلك ليس ضد البحث عن تسوية سلمية في الشرق الاوسط ولكنه يقف ضد محاولات شق العالم العربي . وقال غروميكو ان الاتحاد السوفياتي يعمل باستمرار لايجاد تسوية سلمية في المنطقة بالتعاون مع دول المواجهة العربية بما يضمن مصالح الدول العربية ككل ، وان الاتحاد السوفياتي لا يستطيع ان يؤيد مبادرة فردية كمبادرة السادات التي تمثلت في زيارته لاسرائيل وقيامه باتصالات منفردة مع زعمائها ، وكذلك دعوته الى اجتماع تحضيرى في القاهرة تمهيدا لعقد مؤتمر جنيف .

وتابع وزير الخارجية السوفياتي قائلاً : « انني لا ارغب في ان اصدر احكاما او استنتاجات مسبقة بالنسبة لمصير مؤتمر جنيف ، الا ان المرء يستطيع ان يقول ان خطط الرئيس المصري وضعتنا في موقف اكثر صعوبة من ذي قبل وان الصعوبات امام عقد هذا المؤتمر قد تضاعفت ، ودعونا ننتظر ونرى » .

ويمكن القول بان رفض الاتحاد السوفياتي حضور اجتماع القاهرة التمهيدي بعد انتقاده لزيارة السادات لاسرائيل كان نقطة فاصلة في التطورات الدولية التي احاطت بالزيارة وتداعياتها . لا تقل اهمية - ان لم تفق - قرار الولايات المتحدة بالموافقة على المشاركة في ذلك المؤتمر ، ذلك ان رفض موسكو الاشتراك في هذا الاجتماع قد جرده - الى حد كبير - من صفته كاجتماع تمهيدي لمؤتمر جنيف . ومن ناحية اخرى فان انتقال موقف « الرفض » السوفياتي لمبادرة السادات من حيز السياسة الاعلامية الى حيز الموقف الرسمي والعملية كان له تأثير مشجع بالنسبة لموقف « الرفض » العربي الذي يتبلور في طرابلس .

ومن الجدير بالملاحظة ان موافقة الولايات المتحدة على حضور اجتماع القاهرة ، ورفض الاتحاد السوفياتي له ، جاء في يوم واحد ، مما يمكن ان يوحي بان كلا من الطرفين كان ينتظر معرفة موقف الاخر حتى آخر لحظة ممكنة . وكما ان الولايات المتحدة حتى آخر وقت تحتفظ بالامل في اقتناع السوفيات بالموافقة على حضور الاجتماع ، فان السوفيات كانوا يحتفظون بتصور بان رفضهم يمكن ان يؤثر على الموقف الاميركي بحيث يدفع واشنطن للوقوف بعيدا عن اجتماع القاهرة تمسكا بما تم بينهما من اتفاق على ان يكون جنيف هو الطريق .

وقد اكدت التعليقات التالية للصحافة السوفياتية ان موسكو وجدت في موافقة واشنطن على حضور الاجتماع تصرفا غير متوقع بدرجة ما ، وفي الوقت نفسه نبهت الى ان حضور واشنطن يتنافى مع جنيف .

● في ١٢-١ انتقد الاتحاد السوفياتي بشدة قبول الولايات المتحدة حضور اجتماع القاهرة . وقالت مجلة « الازمنة الحديثة » السوفياتية ، ان هذا الموقف الاميركي يشكل نوعا من الضغط على الدول العربية ، حيث ان معظم هذه الدول يعارض حضور هذا الاجتماع .

● في ١٢-٢ اذاعت وكالة « تاس » بيانا عن محادثات اجراها طارق عزيز الممثل الشخصي للرئيس العراقي مع الرئيس بريجنيف ، وجاء فيه « ان اهتماما خاصا قد أعير الى الوضع في الشرق الاوسط » وازافت ان الجانبين اكدا على اهمية مشاورات القوى التقدمية في العالم العربي على الاساس المعادي للامبريالية ، والتوطيد للتعاقد مع حلفائها الطبيعيين ، الاتحاد السوفياتي والدول الاخرى للمنظومة الاشتراكية . كما ذكرت « تاس » انه « تم الاعراب كذلك عن التأييد الثابت للنضال البطولي الذي يخوضه الشعب العربي الفلسطيني من اجل حقوقه الوطنية المشروعة والاستعداد لمواصلة تقديم المساعدة الى حركة المقاومة الفلسطينية ، احدى الفصائل الطبيعية لحركة التحرر الوطني العربية » .

في اليوم نفسه حذر يوري فوكين ممثل الاتحاد السوفياتي في الامم المتحدة من ان اي توقيع لاتفاقيات سلام منفردة بين اسرائيل ومصر من وراء ظهر بقية البلدان العربية يؤدي الى نسف مؤتمر جنيف . وقال : « اذا ما فشل مؤتمر جنيف من جراء هذه المؤامرات

فان المسؤولية تقع على من كانت لهم اليد الطولى في ذلك » .

وواصلت « تاس » تحميل الولايات المتحدة مسؤولية هذا الاتجاه فقالت ان تأييد الولايات المتحدة « لتعميق الاتصالات المصرية - الاسرائيلية المنفصلة عن طريق الاشتراك في مؤتمر القاهرة يقوي الانقسام في صفوف الدول العربية » . وازافت ان واشنطن لعبت دورا رئيسيا في اقامة هذه الاتصالات واكدت ان الرغبة في فرض حل منفصل وتحاشي جنيف سيزيدان صعوبة تحقيق السلام في الشرق الاوسط .

وقد ألحت موسكو على هذا التحليل في صحفها بصورة يومية منذ ذلك الوقت مؤكدة على مسؤولية الولايات المتحدة عن التطورات الجديدة ، متوقعة ان تؤدي الى تسويات منفصلة والى نصف مؤتمر جنيف والى استبعاد منظمة التحرير الفلسطينية . و « بث الفرقة والانقسام داخل جبهة الشعوب العربية » (صحيفة « سيلسكايا جيزن » وهي صحيفة ناطقة باسم اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي - في ٢-١٢) .

● في ٤-١٢ خطت موسكو خطوة اخرى عملية باعلان تأييد واضح وقوي لمؤتمر طرابلس للزعماء العرب المناهضين لسياسة السادات . وقالت صحيفة « برافدا » ان هذا المؤتمر دليل على تعزيز القوى « لصلحة تسوية عادلة وشاملة » .

وقالت « برافدا » - في الوقت نفسه - ان الحادثات التي جرت في موسكو خلال الاسبوع الماضي بين الزعماء السوفيات ومسؤولين من سوريا والعراق واظهرت بوضوح ثبات اُنسياسة السوفياتية في شؤون الشرق الاوسط . وازافت ان موقف الاتحاد السوفياتي بصدد مسألة الشرق الاوسط لا يزال غير قابل للتغيير ، اي ايجاد تسوية شاملة للنزاع الاسرائيلي واستبعاد امكانية اجراء مفاوضات من أجل سلام منفرد واشتراك كامل للممثلين الشرعيين للشعب العربي الفلسطيني .

● في ٨-١٢ - عشية بدء وزير الخارجية الاميركي فانس جولته في عواصم الشرق الاوسط - اعلنت موسكو ان تصريحات فانس الرامية الى استبدال مؤتمر جنيف بمؤتمر القاهرة « متناقضة بصورة مباشرة مع البيان السوفياتي - الاميركي » الذي كان قد صدر في ١٠-١٩٧٧ . وقالت - في بيان لوكالة « تاس » - ان دوائر محسدة في الادارة الاميركية تحاول ان تضغط على دول المواجهة العربية لحملها على حضور اجتماع القاهرة .

وكان البيان السوفياتي - الاميركي المشار اليه قد نص على انه يتوجب عقد مؤتمر جنيف قبل نهاية هذا العام وباشتراك كافة الاطراف المعنية في سبيل حل المشكلة بشكل شامل .

● في ١١-١٢ اكدت « برافدا » ان الذين يحاولون نصف مؤتمر جنيف « سيتحملون مسؤولية كبيرة » . ووضحت ان الاتحاد السوفياتي مصمم تصميميا شديدا على تحقيق تسوية شاملة للنزاع العربي - الاسرائيلي باشتراك منظمة التحرير الفلسطينية ، الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني ، وذلك وفق شروط تستبعد مفاوضات السلام المنفصل .

واشارت « برافدا » الى ان الرئيس بريجنيف شدد - خلال محادثاته مع عبد الحليم خدام وطارق عزيز - على ان الاتحاد السوفياتي سيبقى الى جانب قوى الحرية والتقدم التي تناضل في الشرق الاوسط .

موقفان متشابكان

يتعين بعد هذا التتبع الانتقائي للاحداث والمواقف والاقوال التي صدرت عن الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ان نتجه نحو محاولة لتلمس الاتجاهات التي تشكل حصيلة هذه الجزئيات . ذلك ان الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي هما الاشد تأثيرا فسي اتجاهات التطورات ، خاصة عندما يبرز الخلاف بينهما الى المقدمة ، ولا يعود الخلاف في خلفية المشهد . كذلك لان التطورات التي اعقبت زيارة السادات لاسرائيل تمحورت - من منظور دولي - حول محورين : (١) جنيف وتسوية شاملة بحضور كل الاطراف بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية ، (٢) او تمهيدات ثنائية بين اسرائيل ومن يرغب (مثل السادات) من الدول العربية تمهد لاتفاقات نموذجية ثنائية تحتذى من غير الراغبين فيما بعد ، وقد تمهد لمؤتمر جنيف ، اذا ما امكن جذب مزيد من الاطراف نحو هذه التمهيدات لتصبح اوسع من ثنائية واضيق من شاملة . والمحور الاول يتبناه بوضوح الاتحاد السوفياتي . والمحور الثاني تتبناه بالمرآعة الولايات المتحدة .

ونلاحظ - فوق مستوى الجزئيات التي استعرضناها ان الولايات المتحدة - برغم كل الحرص الدعائي على التمسك بجنيف والتسوية الشاملة - اتجهت نحو الاستغناء عن جنيف ، وهو معادل للاستغناء عنه - او بالاحرى التخلص منه - المشكلات الزمنية التي رافقت مساعي عقد مؤتمر جنيف ، وعلى رأسها مشكلة التمثيل الفلسطيني . فالولايات المتحدة تتمسك باستبعاد منظمة التحرير الفلسطينية وتبحث بكل جهد عن ممثل بديل للفلسطينيين ، وفي الموقف الذي خلقته زيارة السادات فان الاتجاه الاميركي يعني نتيجة واحدة هي تسوية مصرية - اسرائيلية منفصلة ، مهما قيل في المرحلة الحالية انها « غير مرغوب فيها » فانه يمكن ان يقال بعد ذلك انها الممكن الوحيد في وجه « الرفض » العربي والدولي .

وبالمقابل حافظ الاتحاد السوفياتي على تمسكه بمؤتمر جنيف بكل ما يعنيه . وذلك تمسكا بالجانب الفلسطيني ، وبموقف عربي متحد . وبدور سوفياتي في محاولات التسوية الشاملة اللازمة .

فهل تستطيع الولايات المتحدة ان تدفع التطورات في اتجاه التخلص من الجانب الفلسطيني والدور السوفياتي وتفتيت الموقف العربي ؟ يمكن ان ترتفع حدة الخوف من مثل هذا الموقف اذا نجحت في دفع اسرائيل الى تقديم تنازلات جوهرية لمصر في اتفاق ثنائي . الامر الوحيد الذي يخلق اغراء لاطراف عربية اخرى ، وان لم يؤد - عمليا - فسي النهاية الى تقديم مثل هذه التنازلات بعد ذلك لتلك الاطراف التي ستاتي الى الحلبسة متأخرة . فضلا عن ان شواهد الموقف الاسرائيلي لا توحي للان باستعداد لهذا النوع من التنازلات في اي الاحوال .

ثم هل يستطيع الاتحاد السوفياتي ان يدفع التطورات في اتجاه العودة الى نقطة ما قبل « الزيارة » ؟ ام ان وقوع حدث « الزيارة » نفسه يخلق حتمية تغيير نحو موقف سوفياتي « رافض » في المعنى نفسه الذي يحمله « الرفض » العربي الراهن ؟ ان الاتحاد السوفياتي يستند في دبلوماسيته الان الى موقف عربي اصلب اقتناعا باهمية الدور السوفياتي عما كان عليه هذا الاقتناع قبل « الزيارة » ، وربما كان هذا هو مصدر القوة الاساسي للدبلوماسية السوفياتية في المرحلة الراهنة ، ويتعين على الاتحاد السوفياتي في هذه المرحلة ان يعطي كل شعور لكل العرب - قابلين ورافضين - بان « الوفاق » مع

الولايات المتحدة ليس الاولوية الاولى لسياسته العالمية ، وانه قادر على استخدام ثقله الدولي ، في غير الاتجاه الذي تدفع فيه الولايات المتحدة الاحداث ، ومن المؤكد ان التأييد العلني الذي قدمته موسكو لمؤتمر طرابلس مؤشر جيد الى هذه القدرة ، واذ كان التأييد غير العلني الذي قدمه الاتحاد السوفياتي بالاتصالات المباشرة اقوى حتى من ذلك فان هذا يعطي اطمئنانا اكثر للقوى العربية الراضة لمبادرة السادات .

اوروبيا الغربية

يمكن القول دون خشية التهور ان موقف اوروبيا الغربية من « الزيارة » والاحداث التالية لها هو موقف هامشي بالمقارنة الى موقف الولايات المتحدة وموقف الاتحاد السوفياتي ، وذلك لاسباب تقليدية اولها موقف التبعية الأوروبية الغربية للدبلوماسية الاطلسية - التي تكاد تخضع كلية لنفوذ الولايات المتحدة ، الا فيما يمس مباشرة المصالح الاقتصادية لاوروبيا الغربية حين تتعارض او تتنافس مع المصالح الاقتصادية الاميركية .

يضاف الى هذا ان اوروبيا الغربية لم تكن قد نجحت - رغم رغبة بعض اعضائها - قبل زيارة السادات لاسرائيل - في ان تؤمن لنفسها دورا في مؤتمر جنيف الى جانب الدولتين الاكبر ، ولهذا فهي لا تستطيع في مرحلة يتمحور فيها الصراع الدولي حول « جنيف او لا جنيف » ان تقفز الى دور مؤثر في تطورات الشرق الاوسط .

وتبقى الملامح الاساسية لموقف اوروبيا الغربية بعد « الزيارة » كما كانت قبلها . ميل الى التظاهر بدور حيادي ، مع حرص على المصالح الأوروبية (شراء النفط وبيع الاسلحة اساسا) مع الدول العربية ، مع حرص على التعاطف الدبلوماسي مع اسرائيل . وربما يمكن القول ان التأييد الذي اظهرته دول اوروبيا الغربية - كل على حدة - لخطوة السادات يرجع الى ان هذه الخطوة كانت خطوة على النمط الأوروبي . وقد ترددت في اوروبيا الغربية كثيرا مقارنة بزيارة السادات لاسرائيل بسياسة « الانفتاح على الشرق » (الاوستبوليتيك) التي انتهجها المستشار الالمانى السابق فيلي برانت ، والتي كانت بمثابة قبول للامر الواقع الذي انتهت اليه الاحوال في اوروبيا الغربية - وخاصة المانيا - في نهاية الحرب العالمية الثانية .

وكانت هذه هي الشرارة التي اوقدت فكرة منح السادات جائزة « نوبل » على اساس انه ينتمي الى تلك الفئة من « الاشخاص الفائقين » الذين يعرفون بقلوبهم ما ينبغي على امهم ان تريد ولا يترددون في السير في هذا السبيل » (على حد تعبير ثيو سومر رئيس تحرير « دي زاييت » الالمانية الغربية .

لقد رأت اوروبيا الغربية في السادات تحقيقا لعدة مبادئ دافعت عنها باستمرار في مواقفها ازاء أزمة الشرق الاوسط وازاء الصراع العربي - الاسرائيلي ككل : (١) مبدأ قبول « الامر الواقع » ، (٢) مبدأ التخلي عن استخدام القوة ، (٣) مبدأ الامتناع من جانب كل الاطراف على « طلب الحد الاقصى » ، (٤) مبدأ توسيع نطاق الانفراج ليتعدى حدود العلاقات الرسمية ليشمل الناس جميعا .

وهكذا فان كثيرا من ساسة اوروبيا الغربية يرون ان السادات قد حقق بزيارته وما اعلنه فيها ما كانوا يدافعون عنه انفسهم خلال سنوات طويلة ، وبطبيعة الحال فان هذا لا يشكل الا نظرة اوروبيا غربية الى مشكلة ليست اوروبيا غربية ، لا بطبيعتها ولا بطروفها

ولا بتاريخها .

وإذا كان هناك تمايز دقيق بين مواقف دول أوروبا الغربية الفردية - غير بيانات المجموعة الاقتصادية الأوروبية والسوق الأوروبية المشتركة ، كالتمايز بين موقف بريطانيا وموقف فرنسا مثلا ، او موقف الاخيرة وموقف المانيا الغربية ، فالحقيقة ان هذا التمايز غير ذي دلالة مهمة او مغزى له انعكاسات دولية على تطورات المشكلة . ولكن ردود الفعل الاعلامية الأوروبية الغربية تكشف في الحقيقة معرفة أدق بواقع العالم العربي ، وخلفياته التاريخية وسيكولوجيته ، أكثر مما تكشفه اطراف دولية اخرى . وربما كان ذلك راجعا الى حقيقة قرب أوروبا الغربية الجغرافي من المنطقة ، وقربها التاريخي من جذور المشكلة (وخاصة بريطانيا وفرنسا) .

● في ١٨-١١ قال ديفيد اوين وزير الخارجية البريطاني ان قرار السادات بزيارة اسرائيل « بادرة جريئة بعيدة النظر » ، واعرب عن امله في « ان تمهد الطريق امام استئناف مؤتمر جنيف » .

لقد التزمت بريطانيا بالموقف الاميركي تماما على مدى الفترة منذ الاعلان عن « الزيارة » الى موعد انعقاد اجتماع القاهرة .

ولكن الصحافة البريطانية - من جانب اخر - اجمعت على ان « الزيارة » تنطوي على مخاطر هائلة بالنسبة للسادات . وكتبت صحيفة « الديلي تلغراف » (ذات الاتجاهات اليمينية المؤيدة كثيرا للصهيونية) تقول « ان السؤال الوحيد الذي يجدر طرحه هو معرفة ما اذا كان السادات سيعود من القدس صفر اليدين بعد كل المجازفات التي يكون قد اقدم عليها » .

وأضافت : « اذا عاد السادات مذلولاً بالمعنى السياسي للكلمة ، فإن ذلك سيعني سقوطه في صورة شبه مؤكدة كذلك احتمال حرب جديدة » .

وحذرت « الغارديان » من انه اذا قرر السادات حقا التحدث في الكنيست ، وذلك في اول لقاء رسمي بين زعماء صهاينة وعرب منذ الاجتماع بين الملك فيصل وحاييم وايزمان ، فانه « يهدد باثارة موجة استنكار في العالم العربي يمكن ان تعجل بسقوطه » .

في اليوم نفسه ، في تل ابيب ، قال ادوارد هيث رئيس وزراء بريطانيا السابق وزعيم المعارضة المحافظة ان الموقف الدبلوماسي بين اسرائيل ومصر قد تبدل تماما نتيجة هذا القرار . وأضاف « ان مشاعر الحذر والخلافات والالام المتوارثة لا يمكن ان تتبدد بين عشية وضحاها » ، كما قال ان السادات وبيغن ابديا شجاعة فائقة لانهما راهنا بالفعل على مستقبلهما السياسي .

في بون - قبل « الزيارة » بيوم واحد ايضا - اعلن الناطق بلسان حكومة المانيا الغربية ان حكومتها « تحيي كل ما يمكن ان يساهم في خلق ظروف ملائمة لاستئناف مؤتمر جنيف » .

● في ١٩-١١ ذكرت وكالة الصحافة الفرنسية من بروكسل (مقر السوق الأوروبية المشتركة) ان دول السوق التسع لم تنجح في التوصل الى اصدار بيان يعبر عن ارتياحها لزيارة الرئيس المصري لاسرائيل ، وذلك بسبب معارضة فرنسا . وقالت الوكالة - نقلا عن مصدر اوروبي - ان وزارة الخارجية الاميركية كانت قد بذلت مساع بهذا الشأن لدى بلجيكا التي ترأس السوق الأوروبية المشتركة في الوقت الحاضر .

رغم هذا فان الترحيبات الفردية توالى من دول اوروبا الغربية : بلجيكا وهولندا وايطاليا ، وكذلك الفاتيكان .

● في ٢٣-١١ اتجه الموقف الفرنسي نحو التأييد بصورة لا تختلف عن مواقف دول اوروبا الغربية الاخرى . فأعلن الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان ان مبادرة السادات تخلق مسؤولية تاريخية تحتم علينا الان نخيب الامل التي فجرتها .

وفي اليوم نفسه اعلنت الحكومة الفرنسية عن استعدادها للمساهمة في الجهود السلمية في الشرق الاوسط ، وقالت ان زيارة السادات الى اسرائيل وضعت حدا نهائيا للعداء وانعدام الثقة بين البلدين . وقد اعلن هذا في بيان صدر عقب الاجتماع الاسبوعي العادي لمجلس الوزراء الفرنسي .

من جهة اخرى قال رئيس وزراء فرنسا الاسبغ منديس فرانس - الذي كان عائدا من تل ابيب ، وكان موجودا فيها وقت زيارة السادات « ان بدء حوار اسرائيلي - مصري مباشر ، وتعهده كل من الدولتين بعدم شن حروب بعد الان هما تطوران من الدرجة الاولى ، ويجب ان يؤدي الى السلام الحقيقي » .

● في ٢٤-١١ اعلن وزير الخارجية الفرنسي دو غيرنغو - قبيل بدء زيارته لدمشق - انه سيجاول اقناع القادة السوريين بان السادات ، لم يتخل عن شيء في زيارته لاسرائيل ، بل انه هدم حائط الحذر وحقق تقدما في مجال السلام .

الا ان الوزير الفرنسي لاحظ ان «مبادرة الرئيس السادات لم تحظ بتأييد كل الدول العربية ، وانها ادت الى شق العالم العربي » . واكد ان الاهتمام الاول يجب ان يتركز على اعادة الوحدة الى المعسكر العربي من اجل التفاوض مع الاسرائيليين .

وقال دو غيرنغو ان سبب صمت الحكومة الفرنسية حيال زيارة السادات لاسرائيل هو رغبتها في عدم احراج السادات خلال محادثاته مع الزعماء الاسرائيليين .

يلاحظ ان فرنسا تحاول ان تتلمس لها دورا ، اولا بمعارضة اتخاذ موقف اوروبي غربي جماعي مؤيد « للزيارة » ، لان ذلك قد يسفر عن نتائج عكسية من جانب الدول العربية الراضة التي تحرص فرنسا او اوروبا الغربية عموما ، على علاقاتها الاقتصادية معها (وخاصة العراق وليبيا) ، وبعد ذلك من خلال محاولة الاشتراك في جهود اقناع العرب بقبول الراقع الذي تم واعادة لم شملهم حول هذا الراقع ، ونحو الهدف نفسه الذي ترمي اليه « مبادرة » السادات . وينطوي هذا على محاولة من الدبلوماسية الفرنسية للتوفيق بين المصالح الفرنسية واتجاهات الدبلوماسية الاميركية في الشرق الاوسط .

● في ٢٩-١١ قالت وكالات الانباء الغربية من بون ان المانيا الغربية ابلغت وزير الخارجية الاسرائيلي دايان - اثناء زيارته لها - انها تعتبر مستقبل الفلسطينيين القضية الرئيسية في الشرق الاوسط ، واكدت له ان المجموعة الاقتصادية الاوروبية متفقة على ضرورة اشراك الفلسطينيين في اي تسوية شاملة في الشرق الاوسط .

في باريس قالت صحيفة « لوموند » - في مقال بعنوان « مخاطر السلام المنفصل » ان المفاوضات حول جوهر قضية الشرق الاوسط يمكن ان تأخذ اتجاهين : « الاول ان تؤدي الى خطوة بين مصر واسرائيل توصلهما الى سلام منفصل . والثاني ان يتوسم الحوار

المصري - الاسرائيلي ليصبح حوارا عربيا - اسرائيليا .

وقالت « لوموند » انه « من الواضح ان بيغن يريد السلام المنفصل الذي يسهل تحقيقه نسبيا مع مصر ، ذلك ان سيناء ليست حيوية بالنسبة الى اسرائيل التي تستطيع ان تحصل في مقابل التخلي عنها على تحييد اكبر قوة عسكرية عربية » . واعربت عن اعتقادها بأن « مثل هذا السلام لن يحل القضية الاساسية . فالشعب الفلسطيني سيبقى مستعمرا او منفيا ، وستحرق الاحقاد العالم العربي . وبعد فترة من اليأس والهدوء سيصبح الشرق الاوسط ما هو حاليا : برميل بارود جاهز للانفجار . وهذا على الاقل هو رأي الحكومة الفرنسية ٠٠٠ » .

واكدت « لوموند » ان « الحكومة الفرنسية غير مقتنعة بأن الرئيس المصري اتخذ قرارا نهائيا » .

● في ١١/٣٠ قال وزير الخارجية الفرنسي انه « اذا لم تحقق الحكومة الاسرائيلية توقعات الرئيس السادات فان بادرته سوف تتعرض للادانة من الدول العربية ، وسيصبح الرئيس المصري معزولا اكثر من اي وقت مضى . ولكن اذا كان بالامكان بدء مفاوضات صادقة حول المشكلات الاساسية في الاسابيع المقبلة سواء في القاهرة او في غيرها ، فانهي اعتقد ان الدول العربية التي تصغي لصوت العقل ستنضم الى مصر في المفاوضات .

في الوقت نفسه واصلت الصحافة الفرنسية مسانبتها لخطوات السادات . وقالت صحيفة « كوتيديان باري » (المستقلة) ان مبادرة الرئيس المصري كانت بمثابة صفقة قوية لجميع العادات التقليدية ، ولكن هناك خطر من ان نجد مصر واسرائيل تسيران في طريق الحوار المنفرد واجراء المفاوضات » .

● في ١٢-٣ قال الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان ان زيارة السادات لاسرائيل كانت بادرة شجاعة ، ولكنه اضاف « لن يمكن ايجاد حل عادل لازمة الشرق الاوسط الا عن طريق احترام ثلاثة عناصر اساسية هي : جلاء اسرائيل عن الاراضي المحتلة ، وقيام وطن فلسطيني مستقل ، وحدود آمنة معترف بها لجميع دول المنطقة » .

● في ١٢/٧ كان الوضع في الشرق الاوسط موضوعا رئيسيا في جلسة عقدها رؤساء حكومات دول السوق الاوروبية المشتركة في بروكسل . وقالت مصادر اوروبية ان هؤلاء الزعماء اعرّبوا عن تأييدهم لتسوية شاملة لنزاع الشرق الاوسط ، كما اعرّبوا عن معارضتهم لتسوية جزئية بين اسرائيل ومصر .

وقد قرر زعماء السوق المشتركة عدم اصدار اي بيان عن النزاع العربي - الاسرائيلي ، وذلك تلبية لنداء وجهه اليهم - من لندن - مناخيم بيغن .

● في ١٢/٩ - على العكس من موقف « الامتناع » الذي اتخذ من جانب المجموعة الاقتصادية الاوروبية - اصدر وزراء خارجية دول الحلف الاطلسي بيانا اعلنوا فيه تأييدهم « للتطورات الاخيرة في الشرق الاوسط » واملهم في ان يتؤدي الى اقامة سلام عادل ودائم تقبله كل الاطراف المعنية مباشرة بالنزاع العربي الاسرائيلي .

وقالت مصادر في بروكسل (مقر الحلف) ان وزراء خارجية حلف الاطلسي اتفقوا على ضرورة حل مشكلة الشرق الاوسط باقامة سلام شامل ، لان اي سلام منفرد لن يعتبر حلا للنزاع القائم في المنطقة .

ويبقى الموقف الفرنسي متميزا بصفة خاصة عن باقي المواقف الأوروبية بسبب تفسور فرنسا - رغم كل شيء - من محاولات الولايات المتحدة فرض مواقف معينة على أوروبا الغربية . ومع ذلك فان فرنسا التي اوقفت بغضب محاولة اميركية لامتلاء « رسالة اوروبية مشتركة » الى السادات لتأييده ، عادت فتبنت بيان تأييد للسادات - دون ضغط اميركي هذه المرة ، ولكنها وضعت فيه تأكيدا على ان مسؤولية الخطوة التالية تقع على عاتق اسرائيل .

رومانيا

برز اسم رومانيا - ربما اكثر من اية دولة اخرى من الدول التي لا تعتبر اطرافا مباشرة في الصراع العربي - الاسرائيلي او اطرافا مباشرة في محاولات تسوية هذا الصراع - وراء زيارة السادات لاسرائيل .

بعد نفي غير متحمس ، ثم امتناع عن الافصاح ، خرجت من اكثر من مصدر ، بينهم الرئيس السادات نفسه ، معلومات تفيد ان الرئيس الروماني تشاوشيسكو قام بدور هام في نقل اقتراح اميركي للسادات بان يقوم بزيارة اسرائيل ، وقام بدور اهم في اقناعه بقيمة الاقتراح .

وتفيد محصلة ما نشر في هذا الصدد في الصحافة العربية والعالمية ، وما صرح به السادات نفسه في احاديث صحفية جرت معه بعد الزيارة ، ان رئيس رومانيا تحمس لاقتراح عرضه الرئيس الاميركي كارتر بترتيب زيارة يقوم بها السادات لاسرائيل . ووجد تشاوشيسكو ببذل الجهود لانجاح هذا الاقتراح اثناء زيارتي بيغن والسادات لرومانيا (وكانتا زيارتين متعاقبتين ، وان لم يلفت ذلك وقتها نظر الكثيرين) .

وروت مصادر مختلفة ان تشاوشيسكو قال للسادات ان الرئيس الاميركي يريد ان يظهر العرب كصانعي سلام وكطلاب سلام . وان يظهر الاسرائيليون كصانعي حرب وكطلاب حرب . لان هذه الصورة ستساعد الادارة الاميركية في معالجة الرأي العام داخل الولايات المتحدة ، وتسهل عليها اتخاذ بعض القرارات التي يصعب اتخاذها في الوضع الداخلي الراهن في اميركا ، حيث يسود تأييد شبه كامل لاسرائيل .

ونكرت المصادر نفسها ان الرئيس السادات تردد في البداية ، ولكنه عاد فاقتنع بعد مناقشات مستفيضة مع رئيس رومانيا ، ووافق على القيام بالزيارة بشرطين : ضمانات اميركية في صورة وعد من الرئيس كارتر بأنه سينجز تسوية سياسية ثمنا للزيارة ، وضمانات اسرائيلية يتعهد فيها بيغن بأن يكون ايجابيا مع السادات . واتفق على ان يسلم الرد الايجابي على هاتين الضمانتين الى الرئيس الروماني نفسه ليصبح شاهدا عليها . وقد اجري تشاوشيسكو اتصالات مع واشنطن وتل ابيب وحصل على الضمانتين وابلغهما للسادات ، مع اتفاق بين جميع الاطراف على ابقاء الامر كله سرا .

وقد اعترف بيغن بدور تشاوشيسكو في الترتيب للقاءه بالسادات ، في حديث ادلى به للاذاعة الاسرائيلية يوم ١٨/١١ ، وقال انه ارسل برقية شكر الى تشاوشيسكو على قيامه بهذا الدور . وقال « لقد زرت رومانيا (في ايلول الماضي) وجرت بيننا محادثات طويلة ، واثرتنا احتمال ان اجتمع شخصيا مع السادات ، واطلعتني الرئيس تشاوشيسكو على معلومات معينة حول هذا الاحتمال . وبعد ذلك قام السادات بزيارة رومانيا (فسي

اوائل تشرين الثاني) واني اعلن ان شاشيسكو اطلع السادات على مضمون محادثاتنا « .
 وختم بيغن حديثه بقوله : « لقد قوبلت الامور بارتياح من جانب الرئيس السادات ، وقدم
 شاوشيسكو خدمة كبرى لعقد هذا اللقاء » .

في اليوم نفسه (١١/١٨) اعلنت مصادر دبلوماسية في بوخارست ان الرئيس
 شاوشيسكو « كان يعمل منذ شهرين على الاقل في حث اسرائيل ومصر على حوار
 مباشر » .

وفي ١١/٢٥ خرجت رومانيا عن صمتها الرسمي بشأن « الزيارة » ورحبت بها صحيفة
 الحزب الشيوعي الروماني « سينتينا » باعتبارها « خطوة كبرى نحو تحقيق السلام في
 الشرق الاوسط » .

ولوحظ ان الصحف الرومانية لم تورد شيئا عن الانتقادات الموجهة للزيارة سواء من
 جانب الدول العربية « الرافضة » او من جانب دول اوربا الشرقية الاخرى التي تماثل
 موقفها مع موقف الاتحاد السوفياتي . انما قالت « سينتينا » ان « التوصل الى تسوية
 سلمية عن طريق المفاوضات هو الاختيار الوحيد بالنسبة الى الدول المنغمسة في
 النزاعات » .

وكانت مناسبة زيارة شاوشيسكو لبلغراد ومحادثاته مع الرئيس اليوغوسلافي تيتو
 بمثابة تذكير بموقف رومانيا الاساسي من حل ازمة الشرق الاوسط بصرف النظر عن
 ما يدخل عليها من تطور نتيجة لزيارة السادات لاسرائيل . فقد قال بيان مشترك عن تلك
 المحادثات ان تيتو و شاوشيسكو طالبا باستئناف عقد مؤتمر جنيف بشأن الشرق الاوسط
 مع اشتراك جميع الاطراف المعنية ، بما فيها منظمة التحرير الفلسطينية . واتفق
 الرئيسان على ضرورة انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي العربية المحتلة في عام ١٩٦٧ ،
 وعلى الاعتراف بالحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني ، بما فيها حقه في تكوين
 دولته المستقلة ، وحق كل دولة من دول المنطقة في التطور الامن والمستقل .

واعلن الرئيس شاوشيسكو - في بيان استعرض فيه السياسة الخارجية في خلال مؤتمر
 للحزب الشيوعي الروماني (١١/٨) - رأيه مباشرة في زيارة السادات لاسرائيل اذ
 قال : « ان المفاوضات المباشرة تقدم ضمانا يركن اليه بأن التسوية التي يتم التوصل اليها
 في الشرق الاوسط قابلة للتطبيق وتؤدي الى احلال سلام دائم » . و اضاف « ان رومانيا
 تحبذ دائما تسوية القضايا المتنازع عليها عن طريق المفاوضات المباشرة » . وقال « ان
 زيارة الرئيس السادات لاسرائيل كانت عملا له اهمية خاصة في تاريخ تلك المنطقة
 المضطربة » .

ويمكن القول ان رومانيا لا تجد تناقضا بين اعلانها الالتزام بضرورة جلاء اسرائيل
 عن الاراضي المحتلة ، وضرورة الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني - من ناحية -
 وممارسة دبلوماسية نشطة لا تتطوي على اي ادانة للطرف الذي يحتل اراضي الغير
 والذي يسلب الحقوق الوطنية الشرعية لشعب فلسطين . ولا يختلف موقف رومانيا من
 زيارة السادات لاسرائيل ، ودور رئيسها في التمهيد لها ، عن الموقف نفسه الذي اتخذته
 منذ البداية حينما احتفظت بعلاقاتها الدبلوماسية والقنصلية والتجارية والثقافية والفنية ،
 بعد العدوان الاسرائيلي في عام ١٩٦٧ خارجة بذلك عن اجماع القوى الاشتراكية ،
 بينما اعلنت انها ضد انتزاع المكاسب الإقليمية بالقوة ، وصوتت باستمرار في صف

القرارات الدولية ضد استمرار الاحتلال الاسرائيلي ومع تأكيد حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني .

ومن الواضح ان الدافع الرئيسي لرومانيا على استيعاب - او احتمال - هذا التناقض هو رغبتها القديمة والمستمرة في القيام بدور دولي يتجاوز حدود الكتلة الاشتراكية ويجعلها في موقع تتخاطب فيه مع العالم الغربي ، وخاصة مع الولايات المتحدة . وقد وجدت رومانيا في ازمة الشرق الاوسط البؤرة النموذجية لممارسة هذا الدور ، اكثر مما وجدته في اي مشكلة دولية اخرى .

وربما يثير ذلك تساؤلا عما اذا كانت رومانيا بذلك تعمل « حياديا » بين الكتلتين ، أو رأسي الكتلتين - الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة - او انها تعمل لحساب او بميل نحو احد هذين الطرفين ؟ .

وبالنسبة لزيارة السادات لاسرائيل ، فان دور رومانيا ورأيها فيها يثير تساؤلا عما اذا كانت رومانيا قد نسقت دورها مع الطرفين الدوليين الكبارين ، ام مع طرف واحد فقط ، وهو ما اكده الانباء المتسربة علنا عن هذا الدور السري ؟ .

ونعود فنؤكد ان الدور الروماني يتميز بالتفرد والاختلاف عن موقف دول المجموعة الاشتراكية ، وليس هناك ما يوحي بتنسيق بين رومانيا وبين هذه الدول فيما يتعلق بأزمة الشرق الاوسط بالذات . وليس من المتصور ان تضحي هذه الدول بوحدة مواقفها لحساب وجود دولة تلعب دور ضابط اتصال مع الغرب . وقد سبق لرومانيا عدة مرات - وبسبب الصراع العربي - الاسرائيلي - ان شقت وحدة الموقف الاشتراكي ازاء العدوان الاسرائيلي وازاء استمرار احتلال الارض العربية . ففي ٤ حزيران (يونيو) ١٩٦٧ رفض شاوشيسكو التوقيع على البيان المشترك للاجتماع الطارئ لزعماء دول اوربا الشرقية في موسكو والذي تعهد فيه هؤلاء الزعماء بأن « يبذلوا كل ما بوسعهم لمساعدة البلدان العربية على رد المعتدي وحماية حقوق العرب المشروعة » .

وبدلا من هذا اصدر شاوشيسكو بيانا منفصلا (١٩٦٧/٦/١٠) طالب فيه « بالوقف الفوري للاعمال العدوانية في الشرق الاوسط » ، ودعا الى « مفاوضات بين الاطراف المشتركة في الصراع » . ودعا ايضا الى « انسحاب القوات الاسرائيلية من الاراضي العربية المحتلة ، وانسحاب كل القوات الى حدود ما قبل القتال » .

كذلك امتنعت رومانيا (١٩٦٧/٦/١١) عن حضور اجتماع في بودابست عقده زعماء احزاب وحكومات اوربا الشرقية لاجراء مزيد من المفاوضات حول تطورات الموقف في الشرق الاوسط . وعندما صدر بيان هذا الاجتماع حذفت منه اجهزة الاعلام الرومانية الجزء الذي يتحدث عن « سياسية الغزو التي تنتهجها اسرائيل متحديا القوى المحبة للسلام في العالم كله » .

وفي شهر تموز ١٩٦٧ عاد شاوشيسكو للدعوة الى « مفاوضات بين الاطراف المتحاربة » .

وفي العام التالي (١٩٦٨) انسحب وفد رومانيا من اجتماع بودابست الاستثنائي للأعداد لمؤتمر الاحزاب الشيوعية العالمية بعد ان رفض المجتمعون التنديد بما وجهه مندوب الحزب الشيوعي السوري من انتقادات للسياسة الخارجية الرومانية .

هذه نماذج من الماضي ٠٠٠ ولكنها شواهد على سياسة رومانيا الخاصة في هذا الموضوع . وهي سياسة تفرضها على رومانيا مصلحة وطنية خاصة بها ، ولم تفرضها جالية يهودية محلية قادرة على ان تفرض قرارا على الدولة او الحزب الشيوعي الروماني ، انما تفرضها فقط اعتبارات سياسة خارجية او دبلوماسية « متميزة » سعت رومانيا دائما الى انتهاجها ، مما لا يبدو معه موقف رومانيا من اسرائيل ، وآخره دورها في ترتيب زيارة السادات ، متسقا مع ملامح اخرى في السياسة الخارجية لرومانيا ، بل الواقع ان موقف رومانيا من اسرائيل هو نموذج مكثف لهذه السياسة .

ماذا تكسب رومانيا ؟ هذا سؤال ذو طبيعة اقتصادية خالصة ، وكذلك الاجابة عليه .

يوغوسلافيا

على انه يكفي للحكم على « ميل » الدبلوماسية الرومانية فيما يتعلق بالصراع العربي - الاسرائيلي ، مقارنتها باتجاه الدبلوماسية اليوغوسلافية فيما يتعلق بهذا الصراع نفسه ، على الرغم من اوجه الشبه الكثيرة بين موقع رومانيا وموقع يوغوسلافيا على الخريطة السياسية للكنتينين .

فقد ابدت يوغوسلافيا قلقا واضحا على مصائر الموقف العربي نتيجة لرحلة السادات . وقالت صحيفة « بوربا » الناطقة باسم حزب « رابطة الشيوعيين اليوغوسلاف » - بعد اجتماع عقده المجلس الرياسي اليوغوسلافي يوم ٢٣-١١ - انه « ربما كانت اهم خصائص الرحلة انها لم تكن تتمشى مع الحقائق السياسية » . وازافت قائلة : « لا شك ان زيارة القدس كانت خطوة كبيرة للرئيس السادات ، لكنها تبدو وكأنها كانت ايماء معبرة عن حسن النيات اكثر منها خطوة في اتجاه عملية تفاوض بين جميع الاطراف المعنية وهو امر لا يزال بعيدا حتى الان » .

وقالت صحيفة « نوفوستي » اليوغوسلافية في اليوم نفسه : « ان المخاطرة تكمن الان في السؤال عما اذا كان الحوار المصري - الاسرائيلي او لم يكن هو البداية لعملية ينبغي ان يكون الحل في نهايتها هو الاعتراف بحق الفلسطينيين في دولة مستقلة والانسحاب الاسرائيلي من جميع الاراضي العربية المحتلة » .

بالاضافة الى هذا فان الدبلوماسية اليوغوسلافية تصرف منذ اعلان السادات عزمه على زيارة اسرائيل على نحو ينطوي على حرص واضح على الا يربط بينها وبين مساعي اتمام تلك الزيارة ، حتى انها اعتذرت عن اتمام زيارة كان من المقرر ان يقوم بها السادات لبلغراد في ذلك الوقت .

الصين

التزمت الصين صمتا تاما ازاء زيارة السادات لاسرائيل ، حتى انها لم تدع شيئا عنها على الاطلاق حتى يوم ١١/٢٦ حينما اذاعت النبا وكالة انباء الصين الجديدة . واكدت الوكالة في الوقت نفسه « حق جميع دول الشرق الاوسط في العيش في سلام داخل حدود امنة ومضمونة » . وهي صيغة استخدمتها الصين لأول مرة فيما يتعلق بالصراع العربي - الاسرائيلي ، لانها تنطوي على اعتراف باسرائيل . وهذا ما دفع المراقبين

المتابعين للشؤون الصينية إلى تفسير التعليق الصيني بأنه « يعني ان بكين تتبع خط مصر ضد الدول العربية المتشددة » .

ويكاد يكون من البديهي ان بكين انتظرت لمعرفة تطورات الموقف بعد الزيارة ولتحديد اين يقف الاتحاد السوفياتي من هذه التطورات ، ثم بادرت - بطريقة مباشرة - التي الوقوف مع التيار المعادي للسوفيات . وهذا الموقف ، وان لم يكن جديدا بالنسبة للدبلوماسية الصينية ، التي توجه جهودها في الشرق الاوسط - كما في مناطق العالم الاخرى - لمحاربة النفوذ السوفياتي كهدف اول بين اهدافها الخارجية - الا ان زيارة السادات وضعت بكين لاول مرة في تاريخ دبلوماسيتها في الشرق الاوسط وضعا علميا في صف معارض لتوجه الثورة الفلسطينية . وهو تطور له خطورته الاكيدة وتداعياته لا بد آتية في الفترة التالية .

فيتنام

وعلى النقيض من الموقف الصيني فان فيتنام اتخذت موقفا في صف القسوى « الرفضية » بوضوح . وقالت صحيفة « نهان دان » - وهي الصحيفة الرسمية للحزب الشيوعي الفيتنامي - (١١/٢٠) ان المبادرات الاخيرة للرئيس السادات تمثل « تعقيدا » للموقف في الشرق الاوسط .

وكان التحليل الفيتنامي لمبادرة السادات واضحا في قول الصحيفة « ان الولايات المتحدة وعملاءها المحليين (ولم تذكر اسماءهم) يشتركون في النوايا الخطرة للامبرياليين » .

واكدت « نهان دان » تأييد فيتنام للثورة الفلسطينية ، وحذرت من ان الولايات المتحدة واسرائيل تأملان من الدول العربية الاخرى ان تحذو حذو مصر وعزل المقاومة الفلسطينية وحرمان منظمة التحرير الفلسطينية من انصارها .

يصدر قريبا عن مركز الأبحاث

Zionist Relation with Nazi Germany

تأليف : فارس يحيى

شعبياً

حين ابوالنمل

تنوعت ردود الفعل الشعبية على رحلة انور السادات للقدس ، بعد ان افاقت الجماهير من الدهول الذي اصابها .

عبرت الجماهير عن غضبتها ، بالمظاهرة السلمية احيانا وبالمواقف العنيفة احيانا اخرى ، ضد المؤسسات المصرية في الخارج . وفي كثير من الاماكن ، لم تتمكن من التعبير عن نفسها سوى من خلال الصمت والوجود ، حيث لم تسمح الانظمة الحاكمة . واتخذت من الاجراءات الوقائية ، ما يمنع الجماهير من قول كلمتها .

خطوة السادات ، لم تكن خطوة مفاجئة « ولم يعلم بها احد . حتى كارتر ! » كما حاولت أجهزة الاعلام ان تروج ، بل سبقها اعداد دقيق جدا ، بهدف ضبط ردود فعل الشارع المصري خصوصا والشارع العربي عموما . ولأجهزة القمع خبرة ممتازة على هذا الصعيد . خبرة تعود الى ١٩٤٨ . ويوم اتخذت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في ١٣ أيار ١٩٤٨ قرارا بـ « اعلان الاحكام العرفية وقمع الحركات الهدامة وفرض الرقابة على الصحف (!) » والذين ارخوا للحياة السياسية المصرية يقولون « وفرضت الاحكام العرفية لتفرض حكمة الحديد والصمت على الاحرار جميعا من كافة الاتجاهات السياسية . وفي اليوم السابق لدخول الحرب كان اكبر اجهزة السلطة وهو وزارة الداخلية تستعد لحملة اعتقالات واسعة . (٢) »

موقف الحكومة المصرية هذا ، الخائف من تحرك الجماهير ، كان لانها تعرف حقيقة الموقف ، فممنذ ١٩٤٥ كانت قد بدأت حوادث عنف ضد المنشآت الاجنبية وبالذات الصهيونية في مصر ، ورغم ان جماهير مصر كان لها قضاياها المحلية ، [الاستقلال والسودان ، والديمقراطية] . « ولكن الذي حصل انحراف الانتباه الشعبي العام ، فجأة وبسرعة بالغة الى ما يجري في الجمعية العامة للأمم المتحدة بالنسبة لتقسيم فلسطين ، وما ان تصاعدت الازمة الى هذا المدى في اواخر عام ١٩٤٧ حتى اجتاحت الجماهير سخط عارم . . . (٣) » الامر الذي يؤكد ان علاقة جماهير مصر بالقضية ، ليست مفتعلة او طارئة ، او مرتبطة فقط بالحقبة التالية لبناء ثورة يوليو !!

ما حدث في ١٩٤٨ ، حدث في ١٩٧٧ ، وما حدث في مصر ، حدث في اكثر من قطر في هذا الوطن . والاحكام العرفية التي انتظرت سنة ١٩٤٨ قرارا من اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية ، لكي تعلن . يعيشها هذا الوطن منذ زمن طويل . لماذا ؟

لاكثر من سبب ، سياسي واجتماعي ولكي يعد الرأي العام العربي لقبول التسوية ، فمنذ زمن ليس بقصير ، واجهت الاعلام موظفة بشكل كامل لانجاز اكبر عملية غسيل دماغ ، وتزوير للتاريخ والسياسة والمفاهيم والقيم ، ولكن يسود اللون الرمادي ، ويضيع المواطن وحين تطالب الجماهير بموقف ، برده فعل ، لا بد لنا من ان نسأل كثيرا من هؤلاء

المطالبين ، ماذا فعلتم بهم !؟

ان الموقف من زيارة السادات للقدس ، هو موقف من الناس ، من حق هؤلاء ففي التنظيم والديمقراطية ، وفي ردود الفعل الضيقة لجماهيرنا على زيارة السادات بارقة امل ٠٠ ولكن الامل كل الامل هو عندما يقول كلمتهم ، اولئك الذين لم يسمح لهم سوى بالصمت !

وفيما يلي ابرز الاحداث التي اعلن عنها ، مرتبة حسب تسلسلها التاريخي :

دمشق :

بعد ٦ ساعات من مغادرة الرئيس انور السادات دمشق ، هز الانفجار عنيف مبنى السفارة المصرية في العاصمة السورية .

وتبين ان كمية كبيرة من المتفجرات وضعت في مرآب للسفارة . (٤)

بيروت :

في تاريخ ١٨-١١-١٩٧٧ ، وعند الساعة التاسعة والربع مساء ، تعرضت سفارة جمهورية مصر العربية لقذيفة صاروخية اطلقت عليها من مسافة بعيدة .

نتج عن ذلك مقتل احد حراس السفارة المصريين وجرح اربعة عناصر من قوة الردع العربية المكلفة حراسة السفارة . كذلك اصيب البناء بأضراراً مادية (٥) . وذلك حسب ما جاء في بيان لقوات الردع العربية .

وكان مكتب الطيران المصري في بيروت قد تعرض لحادث القاء متفجرة على مبناه احدثت اضرارا مادية .

اثينا :

احتل عدد من الرجال المسلحين السفارة المصرية في العاصمة اليونانية ، واصيب عدد من موظفي السفارة بجروح ، فيما قتل حارس السفارة بعد ان جرى تبادل لاطلاق النار ، وبلغ مجموع الجرحى ثمانية اشخاص .

وقال ناطق بلسان الشرطة اليونانية ان السلطات استدعت العربات المصفحة ووضعت قوات مدربة تدريباً خاصاً على اهبة الاستعداد لاقتحام السفارة .

واعلنت مصادر الشرطة التي طوقت المنطقة ان احد الرعايا الاردنيين الذين قبض عليهم صرح بأنه ذهب مع مجموعة من المواطنين الاردنيين (حوالي ثلاثين شخصا) الى مبنى السفارة للاحتجاج على زيارة السادات لاسرائيل ، وان النار اطلقت عليهم من داخل مبنى السفارة لحظة وصولهم اليها .

لندن :

احتل ثلاثون طالبا فلسطينيا بعد ظهر اليوم مكتب جامعة الدول العربية في العاصمة البريطانية احتجاجا على زيارة السادات لاسرائيل . وقال متحدث باسم الاتحاد العام للطلبة الفلسطينيين ان المتظاهرين يعتزمون مواصلة اعتصامهم في المكتب حتى ظهر السبت على الاقل . (٦)

وفي ١٩-١١-١٩٧٧ اتسعت موجة الاحتجاجات :

في الجزائر : استمرت التظاهرات ضد الزيارة لليوم الثالث على التوالي وحاول المتظاهرون احتلال مبنى السفارة المصرية الا انهم فشلوا بعد تصدي الحراس لهم . ولم يشر الى وقوع اصابات واعتقالات .

طرابلس :

اضرم المتظاهرون النار في مكتب العلاقات المصرية ، وحالوا دون وصول رجال الاطفاء اليه واصيب بعض المتظاهرين بجروح خلال دخولهم المبنى بسبب تحطم الابواب والنوافذ .

تونس :

قالت مصادر قريبة من السفارة المصرية ان ٧٠ متظاهرا هاجموا مبنى السفارة بالقنابل اليدوية ولكن لم تقع اصابات . واطلق الحراس النار على المتظاهرين لمنعهم من الدخول مما ادى الى اصابة شخص في معدته فنقل الى المستشفى .

طهران :

هاجم ما يزيد على ١٠٠ متظاهر مكاتب شركة « العال » الاسرائيلية للطيران . ويذكر ان السلطات الايرانية اتخذت تدابير امنية مشددة حول السفارة المصرية بناء على طلب الاخيرة .

باريس :

دخل متظاهرون مكاتب جامعة الدول العربية وسلموا مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية السيد عز الدين قلق بيانا يستنكرون فيه الزيارة . وتسبب حريق امام مدخل المركز الثقافي التابع للسفارة المصرية في اضرار مادية .

اثينا :

نتج عن عملية اخلاء السفارة المصرية مقتل طالب فلسطيني وجرح ١٨ بينهم ٣ يونانيين . وقال ناطق رسمي ان الجرحى اصيبوا خلال اقتحامهم السفارة مساء الجمعة . ووقف ٣٦ طالبا للتحقيق معهم اثر اكتشاف قنابل مولوتوف ادخلها المتظاهرون الى المبنى .

وذكرت مصادر ان ١٣ طالبا اردنا من بين الموقعين سيطردون من اليونان على طائرة خاصة في حين سيطلق الآخرون .

روما :

احتل طلاب عرب مكتب جامعة الدول العربية وعلنوا الاعتصام فيه .

لندن :

دعا اتحاد طلبة فلسطين الى تظاهرة سلمية امام مبنى السفارة المصرية كما استمر ٦٠ طالبا في احتلالهم مكاتب جامعة الدول العربية . ولم تجر اعمال عنف او اعتقالات .

يون :

قالت الشرطة ان اكثر من ١٠٠ طالب عربي تظاهروا امام السفارة المصرية ولم تشر الى وقوع اعمال عنف .

استوكهولم :

تظاهر المئات امام السفارة المصرية بدعوة من اتحاد الطلاب المغريين واتحاد الطلاب العرب ولجنة التضامن الاسوي - الفلسطيني ، وسلموا السفارة المصرية بياناً يستنكرون فيه الزيارة .

مدريد :

تظاهر طلاب عرب ومؤيدون لمنظمة التحرير الفلسطينية امام مبنى السفارة المصرية ومكاتب جامعة الدول العربية .

بوخارست :

اقتحم المتظاهرون مبنى السفارة المصرية وحطموا الزجاج وتولت قوى الامن الرومانية تفريقهم واعتقلت عددا منهم .

نيودلهي :

احتل نحو ٧٠ طالبا عربيا مكاتب جامعة الدول العربية . وصرح ناطق باسم اتحاد طلبة فلسطين في الهند ان الاحتلال تم من دون اعمال عنف وان الاعتصام سيستمر الى اجل غير مسمى .

كراشسي :

ذكرت الشرطة ان متظاهرين عربا اضرموا النار في مكاتب السفارة المصرية . وتولى رجال الامن في السفارة اطفاء الحريق . ولم تشر الى اعتقالات بين المتظاهرين .

ناكسا :

احتل ١٥ فلسطينيا السفارة المصرية لمدة ٤ ساعات واحتجزوا السفير السيد وفا حجازي داخل غرفته ، وقال حراس المبنى انهم لم يمنعوا الطلاب من الدخول لان القانون يسمح لاي عربي بدخول السفارة . ولم يعتقل احد من الطلاب ، وامتنع السفير عن الادلاء بأي تصريح الى الصحافيين .

سسينديني :

دعت « الاحزاب التقدمية والقوى الوطنية العربية الموحدة » الى تظاهرة امام السفارة المصرية . وقدم وفد من المتظاهرين رسالة الى السفير المصري السيد عثمان حسين نوري تتضمن استنكارا للزيارة . (٧)

في دمشق وفي التاريخ نفسه اصدرت القيادة المركزية للجبهة الوطنية التقدمية قرارا بأن يكون يوم السبت الذي يصادف بدء زيارة السادات الى اسرائيل « يوم حداد وطني في الجمهورية العربية السورية وتعبيرا عن غضب شعبنا العارم ضد هذه الزيارة التي تعتبر خروجا على ارادة الامة العربية واساءة الى كرامتها وشرفها ومستقبلها » حسب ما جاء في البيان .

وقالت وكالة (و.س.١٠) ان حركة السير في جميع ارجاء سوريا ستتوقف الساعة الثانية عشرة من ظهر اليوم ولمدة خمس دقائق وسيتوقف العمل والنشاط والحركة في الوقت نفسه .

كما ستقرع اجراس الكنائس وتعالى اصوات المؤننين في سوريا « تعبيرا عن الحزن والالام » لقرار السادات بزيارة اسرائيل وتعبيرا عن الغضب العربي الشديد ضد هذه الزيارة .

وستنكس الاعلام في كل انحاء سوريا طيلة هذا اليوم . (٨)

وفي مصر جرت مظاهرة في جامعة عين شمس واصدر الطلاب مجلة حائط نددوا فيها بالزيارة وكان رد السلطة حملة اعتقالات شملت مجموعات من الطلاب .

أما حزب التجمع الوطني التقدمي فقد وصف زيارة السادات بأنها تقوض التضامن العربي وتضفي الشرعية على الاحتلال الاسرائيلي للقدس القديمة وتزيد الغرور والصلف الاسرائيليين .

جاء ذلك في بيان اصدره امس الحزب الذي يحتل مقعدين في مجلس الشعب ويرئسه

خالد محي الدين احد « الضباط الاحرار » الذين قادوا الثورة المصرية .

وحت البيان الذي صدر صباحا السادات على الغاء الزيارة « التي تشكل تنازلا لاسرائيل » .

وقال : « ان هذه الزيارة لن تؤدي الا الى تقويض وحدة الموقف العربي وتقوية الغرور والصلف الاسرائيليين » .

واشار البيان الى تصريحات رئيس وزراء اسرائيل مناحيم بيغن حول رفضه الانسحاب من الضفة الغربية المحتلة واقامة دولة فلسطينية . وقال : ان هذه التصريحات هي « سبب كاف لجعل لرئيس الجمهورية يلغي خطته » .

وقال : « ان كون الزيارة تتم في القدس القديمة المحتلة يعطي طابعا من الشرعية لهذا الاحتلال في وقت ترفض كل الدول بما فيها اميركا ، الاعتراف بهذا الاحتلال » .

وفي معرض رفضه حجج السادات بأن الزيارة تهدف الى تجاوز الحواجز النفسية قال البيان « ان صراعنا مع الصهيونية ذو ابعاد قومية واقتصادية وثقافية وان مجموعة من التضليلات النفسية لا يمكن تجاوزها بزيارة تقارب » .

من جهة اخرى ذكرت وكالة الانباء الالمانية الغربية (د.ب.ا) ان الطلبة اليساريين المصريين والاتحاد العام لطلبة فلسطين قاموا بزيادة نشاطهم امس في توزيع المنشورات المعادية لرحلة السادات .

وقالت الوكالة « وتصف هذه المنشورات مبادرة السادات بأنها خطوة غادرة تتضمن اعترافا عربيا بالعدو الصهيوني وانها ضربة قوية للشعب المصري » .

واضافت الوكالة : وقد طالبت هذه المنشورات بموقف موحد لجميع القوى التقدمية والعربية لوقف هذه المؤامرة واحتباطها وحذرت من ان السكوت والتردد يخدمان هذه المؤامرة .

وتابعت : « واقام اتحاد طلاب فلسطين مؤتمرا شعبيا خاصا في القاهرة بعد ظهر امس في مقر الاتحاد لمناقشة الموقف » . (٩)

وفي الارض المحتلة ، عقد رؤساء البلديات والمؤسسات والجمعيات الوطنية فسي الاراضي المحتلة اجتماعا في بلدية بيرزيت واتخذ فيه المجتمعون قرارا بأن تكون صلاة عيد الاضحى اليوم مسيحيين ومسلمين في جامع جمال عبد الناصر في مدينة البيرة .

واصدر المجتمعون بيانا الى الرأي العام العربي والدولي نددوا فيه بزيارة السادات الى اسرائيل واعتبروها نتيجة حتمية للنهج التراجعي الذي بدأ منذ التوقيع على اتفاق الكيلومتر ١٠١ .

وقال البيان « في ظل الظروف الراهنة التي تمر بها قضية الصراع العربي الاسرائيلي على المستوى الدولي وتفهما لحقيقة الصراع بين حركة التحرر العربي والحركة الصهيونية التي ادانها المجتمع الدولي كحركة عنصرية . . . جاءت زيارة السادات لاسرائيل نتيجة حتمية للتنازلات التي بدأها النهج الساداتي بالارتقاء في احضان الامبريالية » .

وذكر البيان ان هذا النهج بدأ بضرب الحركة الوطنية وتصفية كافة المكتسبات

الاشتراكية داخل المنطقة العربية والمشاركة في محاولات تصفية حركات التحرر العربية والافريقية وفي مقدمتها الثورة الفلسطينية كما بدأ هذا النهج عندما اخذ السادات يقطع جسوره مع المعسكر الاشتراكي وعلى رأسه الاتحاد السوفياتي الحليف الطبيعي لحركة التحرر العربية » .

وقال البيان ان زيارة السادات تأتي « لتبارك الاجراءات الاسرائيلية القمعية ضد ابناء شعبنا ولتبادل المزيد من الاستيطان والقمع والضغط على المؤسسات الوطنية ومحاوله السلطات العسكرية الصهيونية والقوى الانعزالية ضد الحركة الوطنية والثورة الفلسطينية في جنوب لبنان » .

واكد البيان « ان جماهيرنا في المناطق المحتلة تتطلع الى اقامة سلام دائم وعادل مبني على الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره وقيام دولته الوطنية المستقلة بقيادة ممثله الشرعي الوحيد منظمة التحرير الفلسطينية » .

واضاف البيان « ان تحقيق هذه الاهداف يتطلب حشدا كفاحيا لطاقت الامة العربية لمواجهة التعنت الاسرائيلي وتجاهله لحقوق شعبنا الوطنية واعتباره المناطق المحتلة مناطق محررة » .

وخلص البيان الى القول ان الجماهير العربية ستبقى « هي صاحبة الكلمة الاولى والاخيرة في مثل هذا الصراع وهي قادرة على التصدي لكل من يقف ضد امانيتها وتطلعاتها » .

ووقع البيان رؤساء كل من بلدية نابلس ، بلدية رام الله ، بلدية قلقيلية ، بلدية البيرة ، بلدية جنين ، بلدية طولكرم ، بلدية اريحا ، بلدية حلحول ، بلدية بيتونيا ، بلدية بيرزيت ، بلدية دورا ، نائب رئيس بلدية بيت لحم وعدد من المؤسسات والجمعيات الوطنية . (١٠)

هذا وقد القي القبض على عشرات المواطنين كاجراء احترازي بينما كانت طائرات المهليكوبتر تقوم بدوريات متواصلة على كل الجبال المحيطة بالمدينة خاصة في مواجهة المسجد الاقصى وفندق الملك داوود .

وقد البلدة القديمة من القدس قامت قوات الامن باخلاء المنازل السكنية المحيطة بالمسجد الاقصى بعد ان وجهت الى ساكنيها انذارات باخلائها .

كما بدأت سلطات الاحتلال منذ صباح أمس الباكر (السبت ، ١٩-١١) بفرض طوق على الحرم الشريف وقامت بتفتيش الاقصى وساحة الحرم شبرا شبرا .

وقد ترددت انباء مفادها ان قوات الامن الصهيونية ستمنع المسلمين من اداء الصلاة يوم العيد ولن تسمح الا لمن يحمل تصريحاً خاصاً من سلطات الاحتلال .

وفي غضون ذلك اغلقت البلدة القديمة كلها رغم مصادفة ذلك في اليوم الذي يسبق حلول عيد الاضحى الا انه ارتفعت الاعلام السوداء على عديد من المنازل فيها .

وقامت سلطات الاحتلال بمطاردة اصحاب المحلات التجارية الذين اضرَبوا صباحا واغلقوا احتجاجا على زيارة السادات وكانت المخابرات الاسرائيلية قد قامت باعتقال عدد من اصحاب المحلات في شارع صلاح الدين في القدس عرف منهم خالد الدندشي .

كما وجهت المخابرات تحذيرات لاصحاب المحلات بمصادرتها اذا لم يبادروا بفتحها صباح السبت الا ان كثيرا منهم لم يستجب للتحذيرات .

وقد ظهرت على جدران المنازل والشوارع في القدس وغيرها شعارات تندد بالاحتلال وبالزيارة الساداتية .

هذا وفرضت الرقابة لليوم الرابع على صحيفة « الفجر » المقدسية حيث خرجت امس بعناوين فقط من دون تفاصيل .

وفي مدينة الخليل ظلت الدوريات المسلحة تجوب الشوارع منذ الصباح . وكال حال الخليل هو حال رام الله والبيرة وغيرها من مدن الضفة الغربية . وقد خرجت مظاهرات في قرية « ترقوميا » قرب مدينة الخليل فهرعت قوات الامن وطوقت القرية . (١١)

في مدينة بيروت : افاقت بيروت الغربية وضاحيتها الجنوبية على اضراب وحركة عمل فائرة . فمعظم الطرق الرئيسية والفرعية قطعت بالحجار ودواليب المطاط المشتعلة ، وطافت فرق حزبية على المحلات التجارية تدعو اصحابها الى الاقفال فاقفلت ولم تستثن سوى الاقران . قرابة الحادية عشرة بدأ التجمع للتظاهرة التي دعت اليها « الحركة الوطنية » في ساحة ٢٣ نيسان ، وكانت تظاهرات فرعية صغيرة تطل من متفرعات كورنيش المزرعة وتأخذ مكانها . وفي الحادية عشرة والربع انطلقت التظاهرة تواكبها عناصر من « قوة الردع » تتقدمها سيارتان لـ « المرابطون » مجهزتان بمكبرات للصوت وصورتان للرئيس جمال عبد الناصر ولافتة كبيرة كتب عليها : « عبد الناصر : لا صلح لا اعتراف لا مفاوضة . السادات : نعم للصلح نعم للاعتراف نعم للخيانة » ، تتبعها اخرى : « تاريخ امتنا المجيد لا يكتبه المتآمرون بل تصنعه بنادق الثوار » .

وفي محلة ابي شاكرا توقفت التظاهرة لتنضم اليها صفوف طويلة من الكشافة والمتظاهرين من مختلف فصائل المقاومة ، خصوصا « جبهة الرفض » و « الصاعقة » و « الاتحادات الشعبية الفلسطينية » و « اللجان الشعبية » ، فضلا عن عشرات اللافتات الجديدة ابرزها : « نطالب منظمة التحرير بموقف واضح وصريح من خيانة السادات » و « عبد الله دفع الثمن . . . السادات لن يهرب » و « الله اكبر يا عرب ، السادات في اسرائيل » . (١٢) .

وتابع قسم من التظاهرة سيره نحو مستديرة الكولا فالملاعب البلدي ، واحتلت التظاهرة معظم الملعب وعلت لهتافات . وبعد ذلك القى ممثلو المقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية وعدد من الخطباء كلمات تندد بالزيارة وبصاحبها .

وقامت اضرابات وتظاهرات مماثلة في مدن طرابلس وصيدا وصور وبعبك وعدد من قرى الشمال والجنوب والباق ورافق ذلك حملة بيانات تدين « الخطوة الاستسلامية » وتدعو الى الرد عليها بتعزيز التضامن العربي ودعم الكفاح من اجل تحرير الارض المحتلة . (١٣)

وفي دمشق : توقفت كل مظاهر العيد ليسود الغضب . واذا كان الغضب « المانشيت » العريض الذي يعبر عن رأي الناس بزيارة السادات الى اسرائيل فان الصمود هو

الشعار الذي فرض نفسه كرد فعل فوري لذلك القرار الخطير . (١٤)

هذا وقد توقف العمل كلياً في جميع مرافق الدولة والمصانع واصاب التوقف حركة الملاحة الجوية والبحرية والسير في الشوارع مدة خمس دقائق ، وذلك في الساعة الثانية عشر ظهر امس ، تعبيراً عن الاستنكار الشديد لزيارة السادات لاسرائيل .

وقد نكست الاعلام السورية فوق دور الحكومة والدوائر الرسمية طوال يوم امس ، فيما كانت اصوات المؤذنين في المساجد تتعالى واجراس الكنائس تدق استنكاراً للزيارة .

ووصف يوم امس رسمياً في سوريا بأنه يوم « حداد وطني اسود للتعبير عن ذروة الغضب والانفعال ضد زيارة السادات لاسرائيل » .

وقد غضون ذلك جرت تظاهرات ضخمة في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين القريبة من دمشق كما انطلقت مسيرات طلابية وعمالية في شوارع دمشق تستنكر الزيارة وتندد بها .

وقام ممثلون عن الاتحادات النقابية والمنظمات الشعبية في سوريا بتسليم مذكرة الى جمال منصور رئيس مكتب العلاقات المصري في دمشق كما سلموا صوراً عن هذه المذكرة الى رؤساء البعثات الدبلوماسية المعتمدين لدى العاصمة السورية . (١٥)

وفي بغداد ، اعتصم الطلبة المصريون في مقر شركة مصر للطيران في بغداد في حين انطلقت مظاهرات الاحتجاج على الزيارة في جميع انحاء العراق .

وفي الجزائر ، طافت مظاهرات جماهيرية واسعة في العاصمة الجزائرية تستنكر زيارة السادات وتندد بها وتحذر من نتائجها الخطيرة . واتجهت المظاهرات الى السفارة المصرية في الجزائر . الا ان حراس السفارة المصريين اطلقوا النار على المتظاهرين ومنعواهم من اقتحام السفارة .

وفي عدن ، قامت مسيرة حافلة انطلقت من مقر منظمة التحرير الفلسطينية وتوجهت الى السفارة المصرية ، وقد شارك فيها مئات المواطنين من الجالية الفلسطينية .

وعند باب السفارة المصرية القى ممثل المنظمة كلمة وتم تلاوة بيان صادر عن الجبهة الشعبية لتحرير عمان ، كما القى شابان مصريان كلمة ادانا فيها تصرف السادات ووصفاه بالخيانة ، وقالوا ان شعب يومي ١٩/١٨ يناير قادر كما حى مصر ان يلقي بحكم السادات الى الجحيم ، وكانت الهتافات بسقوط السادات متواصلة . (١٦)

وفي مدينة عاليه في لبنان ، شلت الحركة التجارية تماماً واقفل وسط المدينة والاحياء باستثناء بعض المحال الصغيرة وتوقفت المدارس بينما طافت الشوارع منذ الصباح الباكر سيارات تحمل مكبرات للصوت وملصقات للشهيد كمال جنبلاط والحركة الوطنية والقاومة الفلسطينية وتدعو الى الاضراب الشامل والتعبير بمختلف الوسائل عن غضبتهم واستنكارهم ضد زيارة السادات .

وفي الحادية عشرة والنصف عقد مهرجان طالبى في ثانوية عاليه الرسمية شارك فيه طلاب من مدرسة الجامعة الوطنية والمدارس الاخرى في عاليه .

في بشامون وعين عنوب شارك الاهلون في الاضراب واقفلت المدارس والمحال العامة .

وفي الشويفات وخلده كان الاضراب شبه شامل على الصعيد العمالي والطلابي .
فقد اقفلت معظم المؤسسات الصناعية في المنطقة وكذلك الثانويات والمدارس الابتدائية
والتكميلية .

وفي منطقة كفرشيما الحدث انخفضت انتاجية المصانع في حدود الـ ٥٠ في المئة بسبب
مشاركة اعداد كبيرة من عمالها في الاضراب .

وفي المتن الاعلى اعلنت كل القرى الاضراب باستثناء حمانا . (١٧)

وحين كان السادات يصلي في الاقصى بحراسة الجنود الصهاينة كانت صلاة العيد
في العواصم العربية مناسبة لتعبر الجماهير عن غضبها على خطوة السادات .

ففي دمشق خرجت الجماهير من الجامع الاموي الكبير وهي تهتف بأصوات حانقة :
« خائن يا سادات » . (١٨)

واتسعت موجة الاستنكار لتشمل عواصم غير عربية ، ففي موسكو قام ٢٠٠ طالب من
الدول العربية بينها مصر قاموا باحتجاج استمر ساعة في السفارة وسلموا السفير
بيانا يندد بزيارة السادات .

وفي نيودلهي جرح نحو ٢٠ طالبا فلسطينيا واصيب ١٥ شرطيا بجروح خلال تظاهرة
نظمها الطلاب العرب امام السفارة المصرية احتجاجا على زيارة السادات لاسرائيل .
وقد اشتبكت الشرطة الهندية مع المتظاهرين اثر اقتحامهم السفارة وتحطيمهم اثائها .
واعتقل ٧ متظاهرين . (١٩)

في نواكشوط عاصمة موريتانيا تظاهر نحو مئة شخص في شوارع العاصمة
الموريتانية احتجاجا على زيارة السادات وهتفوا بسقوط الرئيس المصري الا ان الشرطة
تدخلت في سرعة لتفريق التظاهرة واعتقلت عددا من المتظاهرين . (٢٠)

واستمرت عمليات الاستنكار في المدن اللبناية ، وكانت صيدا قد عبرت عن رفضها
الشامل للزيارة بتظاهرات شعبية جابت شوارع صيدا صبيحة اليوم الاول للعيد بعد
تأدية الصلاة التقليدية في جامع البحر . وكان ممثلو الاحزاب والقوى الوطنية التقدمية
قد شاركوا في الصلاة التي خطب فيها الشيخ احمد الزين قاضي شرع صيدا مهاجما
زيارة السادات الذي اعترف بهيمة الصهاينة على المسجد الاقصى .

واجمع خطباء المساجد في الجنوب ، صبيحة العيد ، على ادانة خطوة السادات
وارتفعت في صيدا ملصقات وبافطات على الجدران وفي الشوارع مؤكدة رفضها للزيارة
الخائنة . (٢١)

وفي هذا الوقت كان عرب الارض المحتلة ١٩٦٧ يعبرون عن غضبتهم بتفجير مزيد من
القنابل اذ انفجرت في القدس القديمة عبوة صغيرة عند بوابة دمشق . وقد وقع الحادث
في الوقت الذي كان الرئيس السادات ورئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن يعقدان
مؤتمرا صطافيا مشتركا في مسرح القدس الذي يقع على مسافة كيلومترين من بوابة
دمشق . (٢٢)

في هذا الوقت كان قد وصل من مصر بيان حزب التجمع التقدمي في مصر ، والذي

يدين زيارة السادات ، والذي كان قد اصدره في ١٦-١١-١٩٧٧ يقول البيان :

اولا : ان موقف حزينا من الحل السلمي - كما هو مبين في مشروع برنامجه - ليس ضد الحل السلمي من حيث المبدأ ، ولكنه يرى لمثل هذا الحل شروطا تتلخص فـي استرداد الاراضي العربية المحتلة والحقوق الوطنية المشروعة للشعب الفلسطيني .

ثانيا : ان تحقق مثل هذا الحل السلمي رهن اساسا ببناء القوة الذاتية العربية التي تستطيع ارغام اسرائيل على قبول شروطه .

ثالثا : ان زيارة السيد رئيس الجمهورية لاسرائيل ، والتي جاء طلبها مفاجأة تامة لشعب مصر والشعب العربي بأسره ، لا تضيف الى عناصر القوة العربية ، بل على العكس تضعف من الموقف العربي ، وتتهيء لاسرائيل فرصة الاستفادة منها في تعزيز موقفها المتشدد وذلك للاسباب الاتية :

١ - ان اسرائيل بما تلقتة منذ حرب اكتوبر من دعم عسكري اميركي لم يسبق ليه مثيل ، وبعد ان تولت مقاليد السلطة فيها كتلة ليكود التي تمثل اكثر العناصر الصهيونية تعصبا وعدوانية وتطرفا في التمسك بأهداف الصهيونية التوسعية ، والتي يتزعمها مناخم بيغن جزار مذبحه دير ياسين المعروفة ، لم تكن في يوم من الايام اكثر تشددا وانكارا للحق العربي مما هي الان .

٢ - ان هذه الزيارة تتم في وقت لم تكتف اسرائيل فيه بتصريحات زعمائها المتشددة ورفضهم لاية مقترحات تقرب من حدود الحل السلمي ، بما فيها المقترحات الاميركية والسوفياتية - الاميركية المشتركة ، وانما تؤكد موقفها هذا عمليا من خلال عدوانها المتكرر وقصفها المستمر لجنوب لبنان ، واستمرارها المتبجح في تهويد الضفة الغربية والقدس .

٣ - ان رد بيغن على رغبة السيد رئيس الجمهورية غير المشروطة في الزيارة باعلان شروط اسرائيلية مسبقة لقبول الزيارة تتضمن رفضا صريحا للجلاء عن الضفة الغربية ولقيام دولة فلسطينية ، كان في حد ذاته كافيا لان يعدل السيد رئيس الجمهورية عن هذه الزيارة .

٤ - ان اتمام هذه الزيارة للكنيست في مدينة القدس المحتلة يضيف شرعية على اعتبار اسرائيل مدينة القدس عاصمة لها في الوقت الذي ترفض فيه جميع الدول ، بما فيها اميركا حامية اسرائيل ، الاعتراف لها بهذا الحق .

٥ - ان هذه الزيارة التي تعزز ما تحاول اسرائيل فرضه من قيام ما تسميه بعلاقات طبيعية مع الدول العربية قبل اقرار السلام تعتبر تنازلا من مصر بلا مقابل او وعد بمقابل .

٦ - ان مصر ليست في حاجة لان تضيف بمثل هذه الزيارة دليلا جديدا على رغبتها الصادقة في السلام بعد ان ادرك المجتمع الدولي كله صدق هذه الرغبة التي لم تقابل من جانب اسرائيل الا بمزيد من التعتن ادى الى تعثر كل الجهود المبذولة من اجل انعقاد مؤتمر جنيف ، ولن تزيد هذه الزيارة اسرائيل الا صلفا وغرورا وبالتالي تعنتا اكثر .

٧ - ان صراعنا مع الصهيونية هو صراع مصيري ذو ابعاد قومية واقتصادية وحضارية دام اكثر من نصف قرن وسقط فيه عشرات الالوف من الشهداء العرب وتشرد

فيه الملايين وليس مجرد اوهام سيكولوجية يمكن ان تتبدد من خلال زيارة ودية .

٨ - لقد ظلت اسرائيل منذ انشائها تسعى الى اية صورة من صور الاعتراف بها وكان الموقف العربي صامدا في رفض ذلك حتى في احلك النكسات وتأتي هذه الزيارة على اعلى مستوى لتقدم لاسرائيل نوعا من الاعتراف الكامل على المستوى الدولي دون مقابل او وعد بمقابل .

رابعا : ويرى حزبنا ايضا ان اتمام هذه الزيارة سيؤدي الى اخراج اسرائيل مهن عزلتها الدبلوماسية ، اذ سيؤدي الى الايجاد عدد من الدول التي قطعت علاقاتها مع اسرائيل مبررا لاستمرار قطع هذه العلاقات بعد قيام رئيس اكبر دولة عربية هي في نفس الوقت دولة المواجهة الرئيسية مع اسرائيل بزيارة لاسرائيل . وايضا فان انفراد مصر بهذه الخطوة - حسب تصريح السيد رئيس الجمهورية لوفد الكونجرس الاميركي - دون تشاور مع دول حلف اكتوبر وبقيّة الدول العربية ، ربما سيؤدي الى تصدع الصنف العربي وسيدفع اسرائيل الى مزيد من التشدد .

لهذا ،

فان حزبنا يسجل بهذا البيان اعتراضه على اتمام هذه الزيارة التي يرى انها لن تؤدي الا الى اضعاف وحدة الموقف العربي وانكفاء تناقضاته ، وبالمقابل الى تعزيز صلف اسرائيل وتعنتها . ويهيب بالسيد رئيس الجمهورية ان يعدل عنها . (٢٣)

في بودابست بالمر عقد الطلبة العرب الذين يتلقون علومهم في هنغاريا اجتماعا هنا يوم امس لمناقشة الآثار المترتبة على الزيارة التي نفذها انور السادات لفلسطين المحتلة .

وشجب المجتمعون في برقية بعثوها الى الامين العام للجامعة العربية الزيارة الاستسلامية التي تعتبر تحديا لعواطف جماهير الامة العربية وقضيتها العادلة وتأمرا فاضحا على حقوق الشعب العربي الفلسطيني . واكدوا ان هذه الزيارة تأتي استكمالا لتمرير المخطط الامبريالي الصهيوني الرجعي على المنطقة العربية ودعوا الاقطار التقدمية الى تشديد النضال من اجل تحرير فلسطين . (٢٤)

في الرباط قالت مصادر الطلبة في جامعة محمد الخامس ان الطلبة هناك دعوا الى اضراب مدته ٤٨ ساعة احتجاجا على زيارة الرئيس المصري لاسرائيل . (٢٥)

وقالت الحركة النقابية العربية كلمتها ، فقد قرر قادة الحركة النقابية العربية عقد اجتماع طارئ للمجلس المركزي للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب في طرابلس بالجماهيرية العربية الليبية في ٢٩ تشرين الثاني الحالي لمناقشة خطوة السادات الاخيرة .

وكانت قيادة الاتحاد العام لنقابات العمال في مصر قد قررت امس الاول قطع علاقاتها بالنقابات العمالية في سوريا والعراق والجماهيرية بسبب تنديدها بزيارة السادات .

وقد عقد عدد من قادة الحركة النقابية العربية لقاء عاجلا في بيروت بحضور الامين العام للاتحاد الدولي لنقابات العمال العرب ومنظمات العراق وسوريا وفلسطين والجماهيرية والاردن ولبنان اصدروا على اثره البيان التالي :

تم في اللقاء بحث الخطوة الخيانية التي اقدم عليها انور السادات والنتائج الخطيرة التي ستنتج عنها ، من تهديد لمستقبل القضية الفلسطينية وتثبيت الوجود الصهيوني التوسعي على ارضنا العربية وتمكين القبضة الاستعمارية الامبريالية من احكام سيطرتها على وطننا ومقدراته وما يشكله ذلك من خطر محقق على مستقبل شعبنا العربي وتطلعاته نحو الوحدة واستكمال تحرره وامتلاك مقدراته . بالاضافة الى البلبلنة والارتباك الذي ستحدثه هذه الخطوة لدى الرأي العام والمجتمع الدولي الذي بدأ يتفهم طبيعة الصراع العربي الصهيوني .

وتأكيدا لضرورة التصدي الحاسم لهذه المؤامرة الشرسة وتوفير سبل افشالها من خلال دفع النضال الشعبي العربي الى مستوى مجابهتها وخلق جبهة صمود منيعة انطلاقا من الاقطار الراضة وتدعيم المسيرة الكفاحية للشعب الفلسطيني وتوفير مستلزمات الصمود للقطر العربي السوري بلد المواجهة الاول مع العدو الصهيوني ، فان المجتمعين اذ ينظرون بالتقدير والدعم للخطوة السورية الفلسطينية التي عبر عنها البيان المشترك وانهم يؤكدون ان التلاحم الاستراتيجي بينها وبين القوى التقدمية العربية الراضة للمؤامرة خصوصا العراق وليبيا والجزائر واليمن الديموقراطي ، هو القاعدة الصلبة لتحطيم افسال المخطط الامبريالي الصهيوني الرجعي ، ووضع برنامج التحرير موضع الممارسة العملية الفعالة .

والحركة النقابية العربية ستجد كل امكانياتها لتصليب وتعميق هذه المواقف واكسابها المحتوى الشعبي الشامل . (٢٦)

في هذا الوقت ، وفي حين كانت اجهزة الاعلام الرسمية المصرية تركز على « التأييد الشعبي لبطل السلام ، المؤمن بالديمقراطية » كانت وكالات الانباء العالمية تتناقل من القاهرة الخبر التالي :

تابعت السلطات المصرية اليوم عمليات الاعتقال والابعاد ضد العناصر الوطنية المعادية لزيارة السادات الى القدس المحتلة .

وقالت مصادر الشرطة في القاهرة ان « عددا من الشيوعيين قد اعتقل بينما كان يعد منشورات تهاجم انور السادات ، وهم اعضاء منظمة سرية ، لم يتم الكشف عن اسمها » . (٢٧)

ورغم التعتيم الاعلامي على نشاط المعارضة المصرية لزيارة السادات ، فقد كان واضحا ان المعارضة لزيارة السادات لم تقتصر على نائبين في مجلس الشعب ، بل هنالك نواب يصنفون انفسهم مستقلين اتخذوا موقفا معارضا ، ولم تشر لموقفهم هذا وكالات الانباء ، والاشارة الى موقفهم المعارض والمؤثر في الوقت نفسه ، ورد عرضا من خلال موقف اجهزة الاعلام المصرية التي هاجمتهم ، الامر الذي يشير الى حجم وتأثير موقفهم ؛ والا لما اضطرت وسائل الاعلام للتدخل .

وفي هذا المناخ فان الشيء الطبيعي هو ان تزدهر الحركات السرية ، والتي امتدت الى الجيش المصري ، فقد اشارت الانباء الى قيام السلطات المصرية باعتقال ضابط طيار و ٤٠ ضابطا من قوات الصاعقة اضافة الى ضابطين برتبة لواء . واوضحت نقلا عن مصادر مطلعة في القاهرة ان السادات لجأ الى هذه الخطوة قبل ذهابه الى اسرائيل تحسبا لموقف هؤلاء الضباط بعدما هاجمت صحيفة « الجرس » السرية التي تصدرها

القوات المصرية زيارة الرئيس المصري للقدس .

ونقلت وكالات الانباء عن مصادر مصرية ان عمال مصانع حلوان اعلنوا الاضراب اعتبارا من الخميس الماضي احتجاجا على زيارة السادات وقرر المجلس التنفيذي لعمال مصر قطع العلاقات مع الاتحادات النقابية في العراق وليبيا .

وفي الكويت احتل أكثر من ٣ الاف طالب حرم جامعة الكويت احتجاجا على زيارة السادات لاسرائيل .

ونظمت هذا الاعتصام الامانة الدائمة لاتحاد الطلاب الجامعيين التي استنكرت الزيارة في شدة . وقال ممثل عن الجمعية الوطنية للطلاب انه جرى اعتقال طلاب في جامعة عين شمس في القاهرة لمعارضتهم سياسات السادات . واعرب عن تضامن الطلاب الكويتيين مع زملائهم المصريين . ورفع الطلاب لافتات تدين الزيارة وتدعو الى اقامة جبهة عربية معارضة للرئيس المصري . (٢٨)

وقد شهدت العاصمة السورية مسيرة كبرى انطلقت من مخيم اليرموك - في الوقت الذي كان فيه السادات يلقي خطابه في مجلس الشعب المصري . (٢٩)

وقال الشعب العربي في السودان كلمته بلسان المعارضة السودانية ، اذ وجه شريف الهندي رئيس الحزب الديمقراطي ونائب رئيس الجبهة الوطنية السودانية النقد مساء اليوم الى الزيارة التي قام بها الرئيس السادات لاسرائيل والتي « حطمت الوحدة العربية » .

وقال شريف الهندي خلال مؤتمر صحفي عقده في اثينا ان « السادات لا يستطيع ان يزعم انه يمثل الشعب العربي في مجموعه وان زيارته للقدس تشكل هزيمة سياسية » واضاف قائلاً : « انه يتعين تطبيق قرار منظمة الامم المتحدة ويتعين ان تذهب جميع الاطراف المعنية بتسوية المشكلة الفلسطينية المؤلة الى جنيف ، فلا سلام بدون الفلسطينيين » .

وذكر شريف الهندي فيما يتعلق بالسودان باسم الجبهة السودانية الوطنية التي تناضل منذ اكثر من ثماني سنوات من اجل اقرار الديمقراطية في البلاد انه يتعين قبل اي شيء ان تصدر الحكومة الحالية عفوا عاما قبل استئناف المفاوضات مع حركات المعارضة لنظام الحكم . (٣٠)

في المخيمات الفلسطينية في لبنان استمرت حركات الاحتجاج والاستنكار لزيارة السادات ، واقام مهرجان حاشد في مخيم شاتيلا تحدث به الدكتور جورج حبش الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين حيث دعا الى وحدة وطنية فلسطينية على اساس رفض التفاوض والصلح والاعتراف ومؤتمر جنيف والقرار ٢٤٢ ومهادنة الرجعية . وقال ان جبهة القوى الرفضة مستعدة لضرب تحية انضباط لمنظمة التحرير الفلسطينية على هذا الاساس .

كما دعا لاقامة اوثق التحالفات مع سوريا خارج اطار التسوية ، وقال ذلك سيعني فعلا وعمليا بناء قلعة صمود عربية في وجه الامبريالية والصهيونية والرجعية . (٣١)

في غمرة هذه الاحداث ، ولان السادات الحاكم لا يفرق بين معارضة اليمين او اليسار ، كما هو حال حكومة فاروق قبل قيام الثورة ، فقد اصدرت محكمة عسكرية

احكاما بالاعدام على ٥ اعضاء في جماعة « التكفير والهجرة » الاسلامية المتطرفة بعدما ادينوا بالاشتراك في خطف وزير الاوقاف المصري السابق الشيخ محمد حسين الذهبي وقتله وبالاتصال بليبيا للقيام بأعمال تخريبية في مصر .

وفور اعلان الاحكام صرح احد المحكوم عليهم الاعدام وهو ماهر بكري الذي يعتبر منظر الجماعة : « انكم جميعا حلفاء الشيطان . انكم اصدقاء دايان » . ووجه كلامه الى هيئة المحكمة قائلاً : « اذهبوا الى اسرائيل يا خدم بيغن وعملاءه . اذهبوا الى الاسرائيليين وقبلوا اقدمهم » . (٣٢)

في هذا الوقت كانت الارض المحتلة تعارض على طريققتها ، فقد ادى انفجار قنبلة في القدس المحتلة يوم ٣-١٢-٧٧ الى اصابة ستة اشخاص بجروح ، بينهم المانيان ، في الوقت الذي اندلعت فيه التظاهرات في نابلس ضد السادات والاحتلال الاسرائيلي .

وقالت الشرطة الاسرائيلية ان قنبلة انفجرت على بعد امتار قليلة داخل بوابة يافا في القدس وقت الظهيرة حيث يكون المكان عادة مكتظا بالزوار والسياح .

واضافت ان قوى الامن قامت بتفتيش المنطقة خشية وجود قنابل اخرى فيها ، الا انه لم يتم العثور على شيء .

وفي مدينة نابلس ، هتف مئات الطلاب بسقوط السادات واحرقوا الدواليب وسدوا الطرقات بالحجارة احتجاجا على خطوات السادات .

وقد تصدى حرس الحدود الاسرائيليون الذين تعززهم السيارات المدرعة للمتظاهرين وفرقوهم بالقوة . ولكن لم تذكر السلطات الاسرائيلية شيئاً عن نتائج المواجهة بين المتظاهرين وحرس الحدود .

وقال شهود عيان (ي . ب . ، و . ص . ف) ان مظاهرة نابلس كانت « عنيفة للغاية » . (٣٣)

في لندن ، حيث كان يقوم مناخيم بيغن بزيارة لها ، بعد ان كان قد اجلها بسبب « استضافته » للسادات قام حوالي ٥٠٠ شخص بينهم كثير من الطلبة الفلسطينيين بمسيرة في قلب لندن اليوم احتجاجا على الزيارة التي يقوم بها لبريطانيا مناخيم بيغن رئيس الوزراء الاسرائيلي

ومرت المسيرة على مقربة من مبنى السفارة المصرية والمقر الرئيسي لرئيس الوزراء البريطاني (١٠ دواينغ ستريت) حيث قام زعماء الطلبة العرب بتسليم رسائل احتجاجية .

ووصف الطلبة الفلسطينيون بيغن في بيان لهم بأنه « ذلك الارهابي الذي لعبت جرائمه ضد الفلسطينيين بعدا بارزا في طردهم القسري الذي بلغ حد الابادة عام ١٩٤٨ من ديارهم الموروثة عن الجدود في فلسطين » . وكان عشرات من رجال البوليس يرافقون المسيرة غير انه لم تقع اية حوادث .

وابلغ حسن العلياوي رئيس اتحاد الطلبة الفلسطينيين وكالة « رويتر » الرسالة المرسلة الى جيمس كالاهاون رئيس الوزراء البريطاني والتي تطالب بالغاء اسرائيل واقامة دولة علمانية فلسطينية مكانها .

وكان المتظاهرون يحملون شعارات تهاجم زيارة بيغن والزيارة التي قام بها السادات

لاسرائيل . وكان بعض الشعارات يعيد الى الازهان زعامة بيغن للمنظمة اليهودية المتطرفة « ارغون تسفائي ليومي » التي قامت بأعمال ارهابية ضد الانتداب البريطاني على فلسطين .

وقبل ان يبدأ المتظاهرون مسيرتهم عقدوا اجتماعا حاشدا في هايد بارك بالقرب من فندق تشرشل حيث يقيم بيغن واستمع المتظاهرون الى متحدثين عرب ويهود من غير الصهاينة وهم يتهدون بزيارة بيغن ومباحثاته مع السادات في القدس المحتلة . (٣٤)

وأما في الشارقة فقد انفجرت في ساعة مبكرة من صباح اليوم قنبلة في مكتب شركة مصر للطيران ولم يسفر الحادث عن أية اصابات في الارواح حيث كان المكتب مغلقا وقت وقوع الانفجار .

وقد حطم الانفجار واجهات المكتب الزجاجية وقسما من اثاثه كما نتج عنه تحطيم واجهة بنك الشارقة المجاور للمكتب . (٣٥)

واستمرت المظاهرات في الأرض المحتلة ، ورد العدو باعتقال ١٨ من طلبة المدارس في نابلس على اثر مظاهرات معادية لمبادرة الرئيس السادات اخذت طابع العنف بعد ظهر اليوم .

وقد جرت مظاهرات مماثلة في رام الله .

وفي المدينتين اشعل الطلبة النار في اطارات سيارات وتحرشوا ببعض السيارات المارة رافضين الامتثال لقوات الامن التي كانت تحاول تفريقهم . (٣٦)

في الكويت منعت الشرطة مهرجانا خطايا طلابيا اقيم في جامعة الكويت الاسبوع الماضي ردا على زيارة السادات للقدس المحتلة ، واعتقلت ثلاثين طالبا تم الافراج عنهم في وقت لاحق باستثناء طالب واحد .

وقد اعتصم الطلاب في مكتب منظمة التحرير الفلسطينية في الكويت احتجاجا على الزيارة الا ان الشرطة ألقت قنابل مسيلة للدموع بهدف وقف الاعتصام الا ان الطلاب العُرب والكويتيين تمكنوا من عقد مهرجان لهم امام مكتب المنظمة واصدروا بيانا مشتركا نددوا فيه بزيارة السادات . (٣٧)

وفي كراكاس ذكر البوليس اليوم ان قنبلة انفجرت خارج السفارة المصرية هنا الليلة الماضية غير انه لم تقع اي اصابات ، ووردت انباء عن حدوث اضرار بسيطة فقط . (٣٨)

وفي برلين الشرقية قالت مصادر مطلعة اليوم ان السفارة المصرية في برلين الديمقراطية تلقت تهديدا بوجود قنبلة فيها يوم الاثنين الماضي من متحدث مجهول بالهاتف ، يعتقد انه يحتاج على زيارة السادات لاسرائيل .

وقالت المصادر ان المتحدث كان يتكلم بلغة المانية متقنة و اضاف ان القنبلة ستنفجر بعد خمس دقائق . وقد تم اخلاء السفارة الا ان الوقت مضى من دون وقوع اي حادث .

وجاء هذا التهديد في أعقاب مظاهرة جرت قبل ثلاثة اسابيع خارج السفارة احتجاجا على زيارة السادات . (٣٩)

وفي باريس كانت مناسبة اخرى لكي تقول مصر الشعب كلمتها ، حيث عقدت الاحزاب والمنظمات السياسية والطلابية العربية في العاصمة الفرنسية مهرجانا حاشدا ظهر ٨-١٢-

٧٧ في باريس نددت فيه بخطوات السادات الاستسلامية ودعت الى توحيد الطاقات الثورية العربية في اطار برنامج تصد واضح .

وتحت بافظة كتب عليها « في مصر تحسم الامة العربية معركتها مع اعدائها » ، تحدث الشاعر المصري المعروف احمد عبد المعطي حجازي ، فقال ان « زيارة السادات للقدس المحتلة تشكل بكل بساطة اعترافا كاملا بالكيان الصهيوني واعترافا بالتالي بسيطرة المصالح الاستعمارية والامبريالية التي يحميها هذا الكيان » .

اضاف « ان خطوة السادات هي جزء من مسلسل خطوات الرجعية في مصر » ، واعاد الى الازهان زيارة احمد صبحي السيد الذي ذهب الى اسرائيل في عهد حكومة صدقي باشا ، وقال « ان المعركة الان في مصر . واذا اردتم ان تكسبوا مصر فعليكم ان تقفوا الى جانب جماهير مصر » .

وتحدث بعد الشاعر حجازي مندوب الحزب الشيوعي المصري الذي ادان بشدة الخطوة التي اقدم عليها السادات وقال « انها حلقة من حلقات الردة . وكما سبقتها خطوات فستليها اخرى وعلينا الان نقف عند حدود الادانة ، فالاسلوب الصحيح لمواجهة الموقف هو ان نتحد القوى الثورية حول اساليب واضحة للنضال » .

وتابع يقول « ان هذه المرحلة تتطلب العمل بأعصاب هادئة وان نتجاوز الانفعال الى العمل المحدد ، وفي رأينا ان البرنامج المرحلي للعمل المشترك ينبغي ان يكون مرنا وملائما » .

واضاف « فلنعمل بدأب من أجل تصفية نظام السادات (٠٠٠) ودعم نضال الشعب الفلسطيني البطل » .

كما تحدث في المهرجان ممثلو منظمات سياسية وطلابية عربية اخرى بينها ، منظمة ٢٣ مارس المغربية ومنظمة الاختيار الثوري المغربية ايضا ، ومنظمة العمل الشيوعي في لبنان ومنظمة الطلبة العربية التونسية وجبهة التحرير العربية وجمعية طلبة شمال افريقيا في فرنسا والاتحاد الوطني لطلبة العراق في فرنسا . (٤٠)

وردا على سياسة السادات القائمة على خلق زعامات عميلة ، او بديلة ، تدين له بالولاء وتدافع عن سياسته ، وللمشاركة في مؤتمر القاهرة اعلن رؤساء الضفة الغربية رفضهم الاشتراك في مؤتمر القاهرة والحادثات المصرية الاسرائيلية الجارية .
جاء هذا الاعلان عقب اجتماع عقده رؤساء واعضاء بلديات نابلس ، رام الله ، والبيرة واريحا ، وحلحول ، وبيير زيت ، وطولكرم ، في جامعة بير زيت .

ويأتي هذا الاجتماع في اعقاب الحديث عن دعوات وجهها وسيوجهها النظامان الاردني والمصري اضافة الى اسرائيل لعدد من الشخصيات ورؤساء البلديات في الضفة الغربية لحضور مؤتمر القاهرة وتمثيل الشعب الفلسطيني .

ويذكر ان اجتماعا مماثلا عقده رؤساء البلديات المذكورة في بير زيت رفضوا خلاله زيارة السادات الى الكيان الصهيوني بل ادانوها . (٤١)

وقد عبرت تلك القيادات عن موقفها من خلال المذكرة التالية والتي تقول : « في الوقت الذي تواجه فيه قضيتنا الفلسطينية بأبعادها الثلاثة الوطنية والقومية والانسانية مرحلة حاسمة لا يقصر اثرها على حياة شعبنا الفلسطيني ووحدته الوطنية بل على الامة العربية

عامة ، وبعد ان اكتسبت قضيتنا اهتمام العالم نتيجة نضال الشعب الفلسطيني وصموده في مخيماته وفي المناطق المحتلة وفي اماكن تواجد ، وتشرده في مختلف انحاء العالم ونتيجة نضالات الشعوب العربية ضد التحدي الصهيوني والامبريالي فوجئنا بزيارة الرئيس السادات لاسرائيل بتاريخ ١٩-١١-١٩٧٧ بما تنطوي عليه هذه الزيارة من محاذير .

اننا نعلن عدم ارتياحنا لهذه الخطوة التي قام بها الرئيس السادات للنتائج والمخاطر المحتملة والمرتبة عليها . كذلك لاغفاله منظمة التحرير في خطابه امام الكنيست كمثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني . ونعلن كذلك ان لمنظمة التحرير كامل الحق والواجب في اتخاذ الموقف الذي اتخذته من هذه الزيارة وانها في موقفها هذا تعبر بوضوح عن رأي وموقف الشعب الفلسطيني ولكننا ومن منطلق المسؤولية نسجل على الرئيس السادات التزامه بعزم اللجوء الى حل منفرد مع اسرائيل وأعلانه عن تمسكه بعروبة القدس وضرورة انسحاب اسرائيل من جميع الاراضي المحتلة وعودة اللاجئين الى ديارهم واعطاء الشعب الفلسطيني حقه في تقرير مصير وانشاء دولته المستقلة .

واذ نعيد الى الذاكرة التزام العالم بقرارات الامم المتحدة وخاصة قرار الجمعية العامة رقم ٢٢٣٦ الصادر بتاريخ ٢٢-١١-١٩٧٤ وقراري مؤتمري القمة في الجزائر والرباط اللذين اعتبرا منظمة التحرير الفلسطينية ممثلا شرعيا ووحيدا للشعب الفلسطيني اينما كان ، فاننا نعلن تمسكنا بهذه القرارات ونؤكد التزامنا بقرارات المؤتمر الوطني الفلسطيني الثالث عشر المنعقد بالقاهرة ونطالب جميع الجهات احترام التزام شعوب العالم ومن ضمنها شعبنا الفلسطيني ونشجب اي محاولة للمس بحقوق شعبنا الشرعية وفي مقدمتها حقه في تقرير مصيره .

وعليه فاننا من جميع هذه المنطلقات نؤكد المبادئ التالية :

اولا : اننا في الوقت الذي نعلن فيه موقفنا هذا من زيارة الرئيس السادات لاسرائيل نؤكد ايماننا بدور مصر وتضحياتها من أجل القضية الفلسطينية وقضايا النضال العربي ونؤكد على عمق التحالف بين شعبنا والشعب المصري وايماننا الذي لا يتزعزع بالدور المركزي الذي تحتله مصر في معركة التحرير العربي ونحيي نضال شعبنا وتضحياته الكبيرة .

ثانيا : ان شراسة المعركة في ظل الهجمة الامبريالية الحالية على مكتسبات شعبنا والشعب العربي تستدعي اقامة جبهة عربية عريضة تضم جميع الدول العربية الراضية لكل اشكال الهجمة الامبريالية على المنطقة وتضم كذلك المنظمات الشعبية العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية وتجنيد جميع الطاقات الاقتصادية والسياسية والعسكرية للموقف امام هذه الهجمة ووضع حد للتآمر على جميع المكتسبات الوطنية في الارض العربية وتعميق تحالف هذه الجبهة مع جميع القوى المناهضة للامبريالية والصهيونية .

ثالثا : ان شعبنا الفلسطيني في الاراضي المحتلة يؤكد بوضوح تام ايمانه بوحدة الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج ويؤكد كذلك وحدة التمثيل الفلسطيني ممثلا بمنظمة التحرير الفلسطينية وهي الجبهة الوحيدة المخولة بالتكلم باسم هذا الشعب وتشجب اي محاولة لاقامة قيادة بديلة او موازية .

رابعا : ان حقوق شعبنا الفلسطيني والتي اكدتها قرارات الامم المتحدة المختلفة هي حقوق غير قابلة للمساومة . وفي مقدمة هذه الحقوق حقه المشروع في تقرير مصيره على ارضه

بحرية تامة وعليه فنحن نرفض اي صورة واي شكل من أشكال الحلول التي تنتقص من استقلالية هذا الشعب واستقلالية ارادته ونرفض بالتالي اي ربط قسري للدولة الفلسطينية مع اي جهة اخرى ما دام هذا الاتجاه يتعارض مع حرية شعبنا في تقرير مصيره .

خامسا : اننا من الاراضي المحتلة نحبي نضال جميع شعوبنا العربية ونحبي كذلك جميع القوى التي قدمت التأييد لنضالنا العادل ونحبي قبل كل هذا وذاك نضال شعبنا في الخارج بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية وندعو الى الوقوف بحزم ضد كل محاولات زعزعة التضامن العربي القائم على ارادة الامة العربية في التخلص من الهجمة الامبريالية والعدوان الصهيوني » (٤٢)

- ٢٠ - النهار ٢٢-١١-١٩٧٧
- ٢١ - السفير ٢٢-١١-١٩٧٧ .
- ٢٢ - النهار ٢٢-١١-١٩٧٧ .
- ٢٣ - السفير ٢٥-١١-١٩٧٧ .
- ٢٤ - السفير ٢٥-١١-١٩٧٧ .
- ٢٥ - النهار ٢٦-١١-١٩٧٧ .
- ٢٦ - السفير ٢٦-١١-١٩٧٧ .
- ٢٧ - السفير ٢٦-١١-١٩٧٧ .
- ٢٨ - النهار ٢٧-١١-١٩٧٧ .
- ٢٩ - السفير ٢٧-١١-١٩٧٧ .
- ٣٠ - السفير ٢٧-١١-١٩٧٧ .
- ٣١ - السفير ٢٨-١١-١٩٧٧ .
- ٣٢ - النهار ١-١٢-١٩٧٧ .
- ٣٣ - السفير ٤-١٢-١٩٧٧ .
- ٣٤ - السفير ٥-١٢-١٩٧٧ .
- ٣٥ - السفير ٥-١٢-١٩٧٧ .
- ٣٦ - السفير ٥-١٢-١٩٧٧ .
- ٣٧ - السفير ٦-١٢-١٩٧٧ .
- ٣٨ - السفير ٧-١٢-١٩٧٧ .
- ٣٩ - السفير ٨-١٢-١٩٧٧ .
- ٤٠ - السفير ٩-١٢-١٩٧٧ .
- ٤١ - السفير ٩-١٢-١٩٧٧ .
- ٤٢ - السفير ١٠-١٢-١٩٧٧ .

- ١ - اوراق الهيئة العربية العليا ، محفوظات مركز الابحاث .
- ٢ - طارق بشري ، الحركة السياسية في مصر ، ١٩٤٥ - ١٩٥٢ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٢٦٩ .
- ٣ - المصدر نفسه ص ٢٥٩ .
- ٤ - النهار ، يوم ٧-١١-١٩٧٧
- ٥ - النهار ١٩-١١-١٩٧٧ .
- ٦ - السفير ١٩-١١-١٩٧٧ .
- ٧ - النهار ١٩-١١-١٩٧٧ .
- ٨ - السفير ١٩-١١-١٩٧٧ .
- ٩ - السفير ٢٠-١١-١٩٧٧ .
- ١٠ - السفير ٢٠-١١-١٩٧٧ .
- ١١ - السفير ٢٠-١١-١٩٧٧ .
- ١٢ - النهار ٢٠-١١-١٩٧٧ .
- ١٣ - النهار ٢٠-١١-١٩٧٧ .
- ١٤ - السفير ٢٠-١١-١٩٧٧ .
- ١٥ - السفير ٢٠-١١-١٩٧٧ .
- ١٦ - السفير ٢٠-١١-١٩٧٧ .
- ١٧ - السفير ٢٠-١١-١٩٧٧ .
- ١٨ - السفير ٢١-١١-١٩٧٧ .
- ١٩ - النهار ٢١-١١-١٩٧٧ .

اليَمِين اللبناني

جوزيف سماحه

صحيح ان « الجبهة اللبنانية » لم تصدر بياناً علنياً بتأييد خطوات انور السادات ، لكن الاصح ان اركانها واحزابها اتخذوا مواقف ايجابية حيال هذه الخطوات متفاوتة في وضوحها وان كانت تلتقي عند حد ادنى لا تهبط دونه .

هذا التأييد الواضح لخطوات انور السادات تبدى في عدد من المواقف والخطوات والتصريحات كانت تدور كلها حول القضايا التالية :

١ - امتداح شجاعة انور السادات والتمني « بأن ينجح في رهانه الجديد على السلام » (١) وفي « خطوته الجريئة والشجاعة » (٢) وفي « الثورة البسيكولوجية التي احدثها .. » (٣) . واذا كان حزب الكتائب قد ارسل الى القاهرة عضو مكتبه السياسي ورئيس تحرير صحيفة « العمل » (جوزيف ابو خليل) ليدافع من هناك عن مبادرات السادات مؤكداً على « حماس الشعب المصري لها » .. فان حزب الوطنيين الاحرار وضع على لسان امينه العام ، وابن رئيسه ، دوري شمعون كلاماً في منتهى الصراحة : « خطوة انور السادات منطقية وقد حققت نصراً سياسياً للعرب ونحن نؤيد مؤتمراً القاهرة الذي دعا اليه الرئيس المصري .. » (٤) .. هذا في حين اكتفى كميل شمعون نفسه بموقف التريث وترقب التطورات وعدم تحديد موقف صريح الا في ما يتعلق بالتهجم على الذين انتقدوا انور السادات .

٢ - مع هذا التأييد العلني وجه اركان الجبهة الانعزالية ضغوطهم لدفع الدولة نحو اتخاذ موقف وسطي ، حيادي . والتصريحات هنا تكاد لا تحصى لعل ابرزها على الاطلاق ذلك الذي دعا فيه بيار الجميل الى « جبهة عربية معتدلة تقوم بدور الوسيط الموفق وتكون مؤلفة من السعودية والكويت والاردن ولبنان .. » (٥) وذلك الذي نبش فيه المشروع القديم حول « ضرورة تكريس حياد لبنان رسمياً » (٦) .

وطبيعي ان يرافق هذه الدعوة الى الوسطية كلام كثير حول اخطار الانقسام العربي على لبنان واحتمالات تطور الوضع فيه بعد ما جرى عربياً .

لكن الاهم من ذلك هو اندراج هذه الدعوة في سياق المشروع العربي الذي تقوده السعودية تحت شعار التضامن العربي والذي يقصد منه تجديد هذا التضامن على قاعدة « ان ما حدث قد حدث » (كما يقول الملك حسين) وانه لا بد من بدء التعاطي مع خطوات السادات كأمر واقع والتكيف معها .

٣ - اعتبار ان الحل الذي يطرحه السادات على الدولة الصهيونية هو الحل المثالي لمشكلة الاقليات كلها في المنطقة كما جاء في واحدة من افتتاحيات العمل : « لنقل بصراحة ان الرئيس المصري وهو يحاول تبديد مخاوف اليهود التي هي سبب تشبثهم بالقوة والعنف كان في الوقت نفسه يقدم حلاً لما يسمى « المسألة الشرقية » والذي لا حل سواه . فمنذ

سنوات والمسيحيون ينتظرون هذا الحل . واذا كان من عتب على الزعيم المصري فلانه تاخر في تقديمه الى ما بعد مأساتهم . . « وفي هذا الكلام كل النظرية الانعزالية (التي تضع نفسها موضع الصهيونية .) حول كيفية توفير الطمأنينة للاقليات : تسليطها على الاكثرية وتحكمها بها واخضاعها !

• ولذلك كان لا بد ان يكون الوجه الاخر لهذا الاستقواء بالخطوة الساداتية هو هذا التمجد الفاقع للاقليمية المصرية . . « تظل مصر مهما قيل ، ومهما فعلت ، مصرية ، وفرعونية ربما ، قبل ان تكون عربية . انها مثل لبنان « انعزالية » (٧) . اي ان افضل حل للصهيونية وللانعزالية . . هو الانعزالية العربية !

عند الحديث عن التأييد الذي أبدته « الجبهة اللبنانية » لزيارة السادات لا يجب ان يغيب عن بالنا ان مستوى هذا التأييد استمر محكوما بعدد من العوامل حددت له سقفه .

لقد استمر الانعزاليون مضطرين لمراعاة الموقف اللبناني الرسمي للمزيد من المساهمة في تشكيله وصياغته ، كما انهم راعوا الحليف العربي الرئيسي للبنان الرسمي ولم يذهبوا في تأييد السادات الى حد تهديد علاقاتهم الراهنة بأطراف عربية اخرى .

فضلا عن ذلك لم يكن بود الانعزاليين اختراق سقف الخطة الاميركية حيال المنطقة في هذا الطور الراهن ، حيث ما زالت الادارة الاميركية عاكفة على محاولة تطويع المواقع العربية المتمردة بالحسنى ، وعبر التلويح بالتسوية الشاملة وسراب مؤتمر جنيف (من غير ان تتخلى ولو للحظة عن دعم لقاء القاهرة وخطوات السادات - بيغن) .

فضلا عن هذه العوامل السياسية يمكننا ملاحظة ان التأييد الانعزالي للسادات كان مشوبا بمزيج من المرارة والحذر . . .

المرارة لان الصلح العربي - الاسرائيلي (على يد السادات) جاء متأخرا بعض الشيء وبعد ان دفع « لبنان » (اي المشروع الانعزالي للبنان) ثمننا فادحا لانه استبق الوقت وتكفل بأن يدفع من جيبه ثمن انصاج ظروف هكذا لقاء .

والحذر - وهو التماعه تطل حيننا ولكنها سرعان ما تختفي - من ان يكون هكذا صلح على حساب لبنان سياسيا واقتصاديا .

فعلى الصعيد السياسي تحدثت جريدة « العمل » مرات متعددة عن « اهتزاز اساس المعادلة التي قام عليها الكيان اللبناني منذ الخمسينات حتى اليوم . . » وذهبت الى التأكيد على ان « ما يحدث في محيطنا خطير وخطير جدا . . انها صفحة جديدة في تاريخ هذه المنطقة مهما قيل ومهما حاول بعضهم التقليل من شأنها . . وسط هذا الانقلاب

في العلائق العربية - الاسرائيلية لا بد وان يتأثر دور لبنان ورسالته ومركزه في المنطقة » (٨) . . ويعكس هذا الكلام الخوف من ان يؤدي مشروع الصلح هذا الى صفة يكون المشروع الانعزالي في لبنان ضحيتها بفعل تفضيل اسرائيل التعاطي مع حلفاء جدد اعظم وزنا . كما انه يعكس الخوف من ان يفقد لبنان « ميزته » في المنطقة : صلة الوصل بين الشرق والغرب . ومن ان تفقد المارونية السياسية هامش المناورة التقليدي الذي تتمتع به بين « الداخل » و « الخارج » .

بالاضافة الى ذلك ثمة تخوف سياسي من ان تنعكس هذه التطورات سلبيًا على المشروع

الانعزالي اذا انهار التضامن العربي ، بمعناه الرجعي ، واذا اندفعت بعض القوى نحو تجذر حقيقي وملمس في وقت لا زال الصراخ مفتوحا في لبنان ، ولا زالت قضية الجنوب معلقة .

أما على الصعيد الاقتصادي فان خير معبر عن الحذر الانعزالي مما يجري هو تصريح كميل شمعون الشهير ردا على ملك المغرب الحسن الثاني الداعي الى الدمج بين « الثروة العربية والعبرية اليهودية » . فلقد أثار هذا التصريح حفيظة رئيس « الجبهة اللبنانية » ودفعه للتساؤل عن المبررات التي دفعت « بالعرب » للتخلي عن فوائد « العبرية اللبنانية » !

غير ان هذا الحذر لا يغير شيئا في الموقف الانعزالي من خطوات السادات وان كان يغطيه لونا سياسيا ذا معنى : « الجبهة اللبنانية » توضح تأييدها وموقفها على وقع تطور حركة الصراع في المنطقة ، وعلى وقع تصعيد الموقف الاميركي - الاسرائيلي ، وبانتظار الضوء الاخضر الخارجي الذي يمكنها من الايفال في موقفها ومن الاستناد الى دعم فعال في أية معركة تخوضها تحت لواء تأييد مبادرات انور السادات .

ولا يحتاج المرء لكبير عناء ليكتشف كم ان صورة الوضع اليوم ، في لبنان ، تشبه صورة الوضع غداة اتفاقية سيناء ١٩٧٥ ، مع حفظ الفارق والنسبة بين الخطوتين وفي ما يتعلق بميزان القوى اللبناني والعربي عام ١٩٧٥ والان .

تدرك الجبهة الانعزالية تماما ان الضوء الاخضر سيأتيها حتما اذا استمر لبنان ساحة فعل للقوى المعترضة ، الى هذا الحد او ذلك ، على خطوة الرئيس المصري .

وهي على ثقة تامة بأن عدم انهيار هذه القوى الاعتراضية ، على تفاوت اعتراضاتها ، يؤدي الى اعطاء الانعزاليين ضوءا اخضر للتوتير ، في الجنوب وغيره وبكسل الوسائل السياسية والعسكرية ، لاصابة قوى متعددة بحجر واحد .

وهي انما تضبط تأييدها لخطوات السادات بانتظار نضوج الظروف العربية والدولية للانتقال الى طور جديد هو طور الهجوم على القوى المعترضة ومواجهتها بحسم الضغط عليها سعيا وراء تمرير الحلقة الثانية في المؤامرة : ضرب المقاومة ، انهاك سوريا وابطال اعتراضها على سلوك السادات ، والقفز بالوضع اللبناني من الموقع الحالي الى موقع التحالف مع الدولة الصهيونية وتعميم سياسة « الجدار الطيب » . وحوالا الى تسليط اقلية طائفية على البلد بأكمله .

أمام هذا كله يبقى ان السؤال المطروح هو : هل في الموقف الانعزالي الحالي تخل عن الموقف التاريخي للانعزالية اللبنانية حيال الصراع العربي - الصهيوني ؟ نبادر الى الجواب : نعم . ان في الموقف الحالي للجبهة اللبنانية تخليا عما اتفق على اعتباره موقف

الانعزالية اللبنانية حيال الصراع بين اسرائيل والعرب .

ما هو الموقف التاريخي للانعزالية اللبنانية ؟

سنحاول تحديد هذا الموقف بالرجوع الى ميشال شيحا وكتابه « فلسطين » من غير اضطرار الى شرح هذا الرجوع المنطقي جدا (وان بدا للبعض تعسفيا) لان ميشال شيحا هو هنا ، كما في مجال اخر تقريبا ، وحتى اشعار اخر ، مؤسس وواضع « الايديولوجيا اللبنانية » (١٠) .

ينظر شيحا (١١) الى اسرائيل بصفتها خطرا اقتصاديا على لبنان معتبرا ان تطورات القضية الفلسطينية قد تقود اللبنانيين الى اعادة النظر في الكثير من قيمهم الاقتصادية ويعتبر انها دولة تنعم بخصائص الدول الكبرى وان مطامعها غير محدودة ولا بد من خشيتها . ويبدى اعجابا غير محدود بالتجربة الاسرائيلية وبالمركز المالي لليهود معبرا عما يثيره هذا الشيء من هموم لدى اللبنانيين (ميشال شيحا احد اصحاب مصرف « فرعون وشيحا ») وهو يدعو الى اعتماد الصيغة اللبنانية حلا للمشكلة الفلسطينية لان الدولة الصهيونية مستحيلة وكذلك التقسيم مستحيل .

ورغم اعترافه بدور الغرب في قيام اسرائيل فانه يلح على الصلة العضوية بين الماركسية والصهيونية ليخلص الى استنتاج مؤداه ان الاتحاد السوفياتي مسؤول اكثر من غيره وان الغرب سيؤيد العرب يوما ما لان مصالحه معهم . كما انه يدعو الى عدم تصديق اي موقف سوفياتي معاد لاسرائيل ، لان ذلك هو مجرد افتهازية تهدف الى استمالة العرب .

وكان ميشال شيحا يصر على نقيضين في ان معا : فهو من جهة مع المقاطعة العربية لاسرائيل ومع ضرورة مقاومتها ومع تسليح لبنان ، لكنه يدعو في المقابل باستمرار الى تدويل القدس والى ضمانات تعاقدية للحدود ، اي عمليا للاقرار بوجود اسرائيل ولاستمرار « ارادة مقاومتها » معبرا عنها بالمقاطعة الشاملة لها على الا تطل هذه المقاطعة الولايات المتحدة والغرب ، وعلى الا تقترن بنمو اليسار او بنمو اي شكل من اشكال التحالف مع الاتحاد السوفياتي .

ولعل افضل من اعاد تلخيص وجهة النظر هذه هو جان سالم (١٢) في الكتاب الوحيد الذي صدر حول فكر شيحا . يقول جان سالم ما تلخيصه :

- ١ - ان شيحا كان يعتبر ان قيام اسرائيل حدث في غاية الاهمية والخطورة .
- ٢ - ان اسرائيل هي ظاهرة سيطرة واقتلاع وهي تشبه النظام الشيوعي باعتبار ان « للماركسية والصهيونية دينامية النضال ورفض السلم لحين تحقيق برنامجهما » .
- ٣ - تهدف اسرائيل الى السيطرة على الشرق الاوسط وهي ارهاصات قوة عظمى .
- ٤ - لا مهرب من الاحترام الشديد - والخوف الشديد ، من التقدم التقني والثقافي الاسرائيلي .
- ٥ - سيؤدي قيام اسرائيل بالضرورة الى تغييرات هائلة في منطقة الشرق الاوسط .
- ٦ - اسرائيل هي وليدة تفاهم سوفياتي - اميركي والسوفيات مسؤولون اكثر عنها لانها بؤرة توتر تفيدهم .

قلنا ان الفكر الانعزالي اللبناني لم يخرج اطلاقا عن دائرة هذه النظرة الى اسرائيل (والفكر اليميني العربي يحمل سمات وافكارا مماثلة . .) ونضيف ان المطلوب هو بعض التجريد لما كان ميشال شيحا يريد قوله .

استشعر ميشال شيحا الخطر الاسرائيلي اقتصاديا على لبنان وادرك ان هذا الخطر لن يتحقق الا اذا اصبحت اسرائيل جزءا من المنطقة ، مقبولا من دولها وشعوبها ولذلك فانه دعا بحماس الى استمرار المقاطعة العربية لها ورفض الاعتراف الرسمي بوجودها .

لكنه شعر في المقابل بخطرورة اي نصر يحققه العرب على اسرائيل - والغرب الداعم لها - كما في ذلك من خطر على التركيبة اللبنانية نفسها سياسيا واقتصاديا ، باعتبار ان هكذا نصر لن يكون الا في سياق مد قومي عربي يطيح بأسس الانعزال اللبناني ويهدد الدور الاقتصادي المعروف : محطة النهب لصالح الاستعمار . ولذلك دعا شيحا العرب التي الاكتفاء « بالرفض » الرسمي على ان يقبلوا بتدويل القدس « وبضمانات تعاقدية للحدود » لان ذلك انما يعبر عن حدود الهزيمة العربية وعن استمرار الوضع العربي عاجزا عن ضرب اسرائيل ولكنه غير عاجز عن استمرار مقاطعتها . اي ان المطلوب هو ان يكون الوضع العربي فوق الهزيمة الكاملة (حتى لا تصبح اسرائيل جزءا من المنطقة وتلغى الدور اللبناني) وتحت القدرة على النصر الفعلي (حتى لا تلغى الحركة القومية العربية الكيان اللبناني واسسه السياسية والاقتصادية ..) .

بكلام اخر كان شيحا يطالب بعزل اسرائيل اقتصاديا عن العرب ليستمر الدور اللبناني ويعزل لبنان سياسيا عن العرب ، حتى لا يؤدي الانخراط الكامل في الصراع مع اسرائيل الى تغيير في البنية الاقتصادية يحرم نظام الخدمات من الاستفادة من الصراع العربي - الصهيوني ، ومن كونه نافذة على الغرب ومحطة له !

ما من شك في ان هذا الموقف الذي صاغه ميشال شيحا استمر يشكل الموقف التاريخي للمارونية السياسية وللميمن اللبناني حتى الفترة الاخيرة حيث بدأ القطع على المستويين الداخلي والعربي بين سياستين لهذا الطرف .

وليس اسهل بعد هذا العرض السريع من اكتشاف ان التغيير في الموقف الانعزالي حيال الصلح مع اسرائيل حاصل فعلا وان له اسبابه العميقة .

نبادر الى القول ، قبل محاولة اكتشاف اسباب هذا التغيير ، ان ثمة ارتباطا عميقا لدى ميشال شيحا بين هذا التوازن المطلوب من لبنان في الصراع العربي - الاسرائيلي وبين التوازن الذي يفترض ان يحكم لبنان داخليا وهو توازن يلعب فيه الموارنة الدور الاقوى من غير قطع مع الطوائف الاخرى ، كما انه توازن لا يطغى فيه « السياسي » على « الاقتصادي » بل يجري العزل بينهما وينظم تعايشهما بشكل مستمر للاول منطلقه « الطائفي ، شبه الانعزالي » وللثاني منطلقه « النفعي ، المنفتح جدا على العرب وبلدان المنطقة » ..

لا بد من توضيح ذلك كمقدمة لتفسير اسباب التغيير في الموقف الانعزالي من الصلح مع اسرائيل . وبشيء من التفصيل نقول ان الموقف الانعزالي الذي صاغه ميشال شيحا واستمر ، حتى شارل حلو ربما ، وصولا الى رحلة سليمان فرنجية الى الامم المتحدة ، ان هذا الموقف كان محكوما بالاعتبارات التالية :

١ - الرغبة في الحفاظ على توازن داخلي بين المسلمين والمسيحيين ، تكون فيه الغلبة المارونية ، السياسية والاقتصادية والثقافية ، مقنعة وخاضعة لمنطق « التسوية الطائفية » .

٢ - الرغبة في كطف ثمار « ازدهار » اقتصادي (ألم تنتعش البورجوازية اللبنانية بعد نكبة فلسطين ..) طالما انه ازدهار يتم توزيعه عبر قنوات طائفية - طبقية تجعل المجموعة المسيحية في لبنان اكثر استفادة منه من المجموعة الاسلامية (مع التشديد على التفاوت في الامتيازات والحرمان لدى المجموعتين ..) . وهذا الازدهار مستحيل بالاستمرار

في علاقة معينة مع الداخل العربي .

٣- النجاح في التهرب من مواجهة تحديات ملموسة تضع التوازنين المحكي عنهما على المحك . وتجسد هذا التهرب في الامتناع عن خوض المعارك العربية ضد اسرائيل والاحتفاظ بالعلاقات الجيدة مع العرب . وفي حين كان يصر الى تغطية هذا التهرب بالحديث الممجوج حول المعارك الاعلامية التي يخوضها لبنان كانت الظروف تهيء للبلد واحدا من اصعب الاختبارات : تحول القضية القومية الى قضية داخلية (بعد ١٩٦٩) تهز التوازنات اللبنانية من اساسها وتضعها على المحك .

هذه الظروف السابقة هي التي امتلت على الانعزاليين الاحتفاظ بموقفهم التقليدي . ونحن مطالبين اذا رغبتنا في استقراء اسباب الانقلاب في الموقف العودة الى هذه الجذور لدراستها . وسنكتشف عند ذلك ان سبب الانقلاب في الموقف هو بالضبط السعي الانعزالي لكسر التوازنين المذكورين والاطاحة بهما بالكامل .

فالمشروع الانعزالي في طوره الراهن (كجزء من الهجوم الجذري الامبريالي - الصهيونية على الامة العربية) هو مشروع راغب في تفجير التوازن اللبناني الداخلي ، وكسر التسوية التي كانت تحكمه (الارجحية المنقعة للموارنة) وصولا الى الهيمنة على كل لبنان واقامة لون من ألوان الكيان القومي المسيحي الذي لا يخضع لسياسيا ولا ثقافيا ولا « قومية » لمنطق التسوية مع المسلمين ، بل الذي يتحول فيه هؤلاء الى مجرد سكان لا دور سياسيا لهم (كالعرب في اسرائيل ، او اقل) ولا تتعطل امكانية شل ارادتهم والحاquem « بالموارنة » سوى بفعل التمرد اليساري - الفلسطيني .

ومن أجل تحقيق ذلك دفع « باللحظة الاقتصادية » الى الخلف ودمر البلد بالكامل تقريبا (الاكثر اسهاما في التدمير هم شبه المحرومين من الطوائف صاحبة الامتيازات) واحتلت « اللحظة السياسية » مقدمة المسرح بما هي لحظة « شبه قومية » تضع على رأس مهامها اقامة هذا اللون من الكيان القومي المسيحي المعادي للعرب .

هذا هو ما نعنيه بانكسار التوازنات اللبنانية : انكسار التوازن بين المسيحيين والمسلمين ، انكسار التوازن بين « السياسي » و « الاقتصادي » ، انكسار التوازن بين « لبنان » (الصيغة المعروفة ايها) وبين العرب . . . مما يؤدي عمليا الى سحب البساط من تحت ارجل « الحيادة اللبنانية » المزعوم في الصراع العربي - الصهيوني .

لقد وصل المشروع الانعزالي في لبنان الى حد بات يتطلب تدخل اسرائيل المباشر او على الاقل هيمنتها القوية على المنطقة وذلك في اطار الهجمة الامبريالية - الاسرائيلية التي باتت تتطلب اعوانا مثل الانعزاليين ومثل انور السادات .

ولذلك لم يكن غريبا ان يؤيد الانعزاليون زيارة السادات لاسرائيل ، ومؤتمر القاهرة . ولم يكن غريبا ان يبدأوا الاستعدادات لتنفيذ الطور الجديد من المؤامرة التي « تنبأ » بها انور السادات والتي تستهدف انهاك واخضاع القوى المعارضة على الحل الاستسلامي للصراع العربي - الصهيوني .

ان صلح السادات - اسرائيل يصب مباشرة في خدمة المشروع الانعزالي في لبنان (كما يصب هذا الاخير طبعا في خطة السيطرة الامبريالية - الصهيونية على المنطقة) بالقدر الذي تخلص هذا المشروع من الاحمال التي كانت تثقل كاهله : ضرورة التوازن الداخلي ، الهم

الاقتصادي المباشر ، مراعاة العرب ٠٠ أما الذين يتوهمون بأن الانعزاليين قد يكونون ضحية اي « وفاق » عربي - اسرائيلي فواهمون للأسباب التالية :

- ١ - ان للانعزاليين مهاما فعلية يؤدونها في لبنان خلال الفترة المقبلة .
 - ٢ - ان الوضع العربي ، في ظل « وفاق » مع اسرائيل ، سيكون اضعف من ان يطالب بأي ثمن او ضحية !
 - ٣ - ان الصلة العميقة بين المشروع الصهيوني وبين المشروع الانعزالي المنفلت من عقاله تجعل من الصعب على اسرائيل ان تقبل التضحية بحليف باذر ، قبل غيره ، ليس الى الاعتراف بها فقط بل والقتال الى جانبها ضد العرب .
- ان العلاقات بين السادات واسرائيل ، والتي تهدد بالانتقال الى طور تحالفي تحمل اشد الاخطار علينا في لبنان وفي منطقة المشرق العربي ٠٠ هذه المنطقة التي يبدو ان الامبريالية لا تعترف لها بحدود نهائية وثابتة !

مراجع

- ١ - حصاد الايام . العمل ، ٧٧-١١-١٨ .
- ٢ - حصاد الايام . العمل ، ٧٧-١١-١٩ .
- ٣ - بيار الجميل . العمل ، ٧٧-١١-١٨ .
- ٤ - « الاحرار » . ٧٧-١١-٢٨ .
- ٥ - بيار الجميل . العمل ، ٧٧-١١-٣٠ .
- ٦ - بيار الجميل . العمل ، ٧٧-١٢-٢ .
- ٧ - حصاد الايام . العمل ، ٧٧-١١-١٩ .
- ٨ - حصاد الايام . العمل ، ٧٧-١٢-٣ .
- ٩ - « فلسطين » . ميشال شيحا . صادر ١٩٦٠ عن مؤسسة ميشال شيحا . نقله الى العربية انطوان غطاس كرم وهو يتضمن مقالات شيحا حول القضية الفلسطينية والصهيونية .
- ١٠ - ليس في كل ما يقوله حزب الكتائب حاليا ، او ما يدعيه اليمين اللبناني ، حول القضية الفلسطينية ودور لبنان فيها اية اضافة الى ما قاله ميشال شيحا . ويمكن المقارنة بين كتابات شارل مالك عن فلسطين وكتابات كمال يوسف الحاج عن الصهيونية من جهة وكتابات شيحا في المواضيع نفسها وستكون النتيجة ان شيحا ليس جذع الايديولوجيا اللبنانية فقط ، بل انه جذع يابس لم تنبت له فروع حتى الان !
- ١١ - ننقل بصورة حرفية عن كتاب « فلسطين » لميشال شيحا .
- ١٢ - مدخل الى الفكر السياسي لميشال شيحا . . جان سالم . ص ١٢٨ - ١٤٢ .

الصحافة البريطانية والأميركية ناشي ط

نادرا ما اعطت الصحف وكل وسائل الاعلام الغربية قيمة ، على مستوى الحدث التاريخي ، كما اعطت لزيارة السادات لمدينة القدس . حتى ان دور محطات التلفزيون الاميركية كان المشاركة في صنع قرار الرئيس السادات وتحقيقه . منفذة بذلك سياسات القوى النافذة التي تهيمن على وسائل الاعلام ومحطات التلفزيون ذات الجاذبية التي لا يمكن مقاومتها . وفي هذا المجال لعب ولتر كرونكايت ، كبير شركة سي . بي . اس . الذي اجرى حديثا مع الرئيس السادات نقلته الاقمار الاصطناعية دورا واضحا ، وقد كرر الرئيس السادات في هذه المقابلة قوله انه على استعداد للذهاب الى اسرائيل والقاء خطاب في الكنيسة . وقال انه هذه المرة على استعداد للذهاب بدون اية شروط وخلال اسبوع . ولكنه قال انه لم يتلق دعوة من اسرائيل حتى الآن . ورأى كرونكايت انه امام فرصة لن تتكرر في حياته المهنية . فطلب من مدير مكتب السي . بي . اس في تل ابيب جويل برونشتاين اجراء مقابلة حية مع مناحم بيجن تنقلها الاقمار الاصطناعية ايضا . ولسم يتمكن بيجن من مقاومة اغراء قوة شبكة السي . بي . اس . وفي مساء ذلك اليوم وعد بيجن مشاهدي التلفزيون في الولايات المتحدة بان يرسل دعوة رسمية الى السادات لزيارة القدس عن طريق السفارة الاميركية في اسرائيل . (١) وبانغماس كرونكايت ومراسلين آخرين اصبح من غير الممكن العودة ، اذ اصبح العالم شريكا في الامر . (٢)

وبدبلوماسية التلفزيون « الاميركي » السياسية جعلت بعض المراقبين يتخوفون من ان التلفزيون جعل من نفسه الطرف الرابع في حكومة الولايات المتحدة الاميركية . (٣) ومع ان التطور الجنون للسياسة في الشرق الاوسط يقلل من دور الولايات المتحدة في المنطقة، فان ادارة الرئيس كارتر تسعى للمشاركة من جديد في اللعبة ، كما ينقل جوزف كرافت عن احد الدبلوماسيين الاميركيين في اسرائيل . (٤)

ويضيف كرافت « ان المتطلبات التكتيكية تستلزم البقاء خارج اللعبة لفترة قصيرة . ذلك ان الولايات المتحدة بسياساتها الجانبية تساعد اسرائيل ومصر واقطار عربية أخرى من اجل تحقيق اتفاقية مناسبة . وستكون نوعا من السلام بالشروط الغربية » . وفي مطلق الاحوال فان دبلوماسية التلفزيون الاميركي السياسية ، اكانت لدوافع مهنية او سياسية

حقا ، شاركت في دفع السادات للقيام بمغامرته ، حتى ولو بشروط الوهم النفسي ، الذي يحب كثيرا استخدامه . على أمل ان يتبين العالم رغبة العرب في تحقيق السلام . واطهار حضارتهم ايضا .

حقيقة ما حدث

تروي صحيفة صندى تايمز البريطانية (٥) الوقائع على الوجه التالي . يبدو ان هناك حلقة غامضة حدثت خلال الاربع وعشرين ساعة التالية (بعد خطاب السادات يوم ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) أمام مجلس الشعب المصري) دفعت بالحوار الى مستويات اعلى . ويبدو ان ما حدث هو : بعد ظهر يوم الخميس ١٠ تشرين الثاني (نوفمبر) وفي اجتماع ترأسه مناحم بيجن اصر وزير خارجيته موشي ديان ووزير دفاعه عازر وايزمن والسفير الاميركي في اسرائيل سام لويس على عدم السماح للسادات بتحقيق انتصار دعائي على اسرائيل . وبالطبع كان الهدف الاساسي من الاجتماع هو اقناع مناحم بيجن بالاعتذار عن اية اصابات وقعت في اوساط المدنيين في لبنان . ولكن بعد الاجتماع تغيرت ردود فعل بيجن في اليوم التالي . الجمعة ١١ تشرين الثاني* (نوفمبر) اذاع راديو اسرائيل خطبا مهما للبيجن باللغة الانكليزية بدا انه موجه الى مصر . وربما كان السادات بانتظار هذا الخطاب لان اذاعة القاهرة التقطت الخطاب واذاعته بموجب ترتيب مسبق . والغريب ان السادات رد على خطاب بيجن وباكثر الوسائل علنية . فبعد ٢٤ ساعة فقط ويوم ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) اعلن امام ١٤ عضوا من اعضاء الكونجرس الاميركي يزورون القاهرة انه على استعداد للجلوس مع بيجن واطباء الكنيسة الاسرائيلي . وحانت اللحظة التي يمكن ان يضيع فيها الزخم . وكان يمكن للزخم ان يضيع لولا ان التلفزيون تحرك بسرعة ، وتروي الصندى تايمز بعد ذلك دور والتر كرونكايت ، وعن المقابلتين اللتين اجراهما مع الرئيس السادات ومناحم بيجن . ولا يقلل من مضمون رواية الصحيفة البريطانية قول كرونكايت : التكنولوجيا تدخلت كثيرا . وانا لا اعتبر ان ما قمت به هو انجاز غيرعادي . فانت لا تستطيع ان تحصل على شيء من الزعماء السياسيين اذا كانوا هم لا يرغبون في الافصاح عنه . وتتابع الصندى تايمز روايتها لما حدث وتقول : واذا كان بيجن والسادات يرغبان في الافصاح فلقد واجهنا مشاكلمهما الخاصة ايضا . فقد صدرت الدعوة الاسرائيلية في اليوم التالي . في ١٥ تشرين الثاني (نوفمبر) . وصادف ان السادات كان سيزور سوريا في ذلك الحين . ورأى انه ليس من المستحسن ان يزور سوريا ، بعد ان يحصل على دعوة لزيارة اسرائيل ، ولذلك فقد تأخر وصول الدعوة اليه وكانت عملية التأخير للتغطية فقط . فالحقيقة ان الدعوة وصلت للسادات وانه رد عليها وان بيجن تسلم الرد خلال ٢٤ ساعة فقط . وقد جاء في الرد ان السادات سيصل الى اسرائيل يوم السبت على ان يبقى كل شيء سريرا الى حين عودة السادات من سوريا .

وتضيف صحيفة الجارديان البريطانية (٦) بعض الوقائع المعروفة لما حدث . وتنقل النص الحرفي لما قاله بيجن أمام الفريق اليهودي الفرنسي « انني ادعو الرئيس السادات باسم حكومة اسرائيل للمجيء الى القدس لبدء مباحثات من أجل اقامة سلام دائم بين مصر واسرائيل » وتعقب الصحيفة على هذه الدعوة بالقول ان امكانية قدوم الرئيس السادات الى القدس كان يحيطها بعض الشك في الاوساط الاسرائيلية . والشعور الغالب عند الاسرائيليين انه لم يكن في الامر غير الرغبة في العمل الاستعراضي . وفجأة بدأ العالم

يتحقق من جدية الامر . أما جيم هوجلاند (٧) فيعود بحقيقة ما حدث الى اواسط ايلول (سبتمبر) . ففي زيارة موشي ديان لباريس في ذلك الوقت كان قد قطع زيارته وعاد الى اسرائيل . وعندما تابع زيارته ووصل الى واشنطن قدم تقريرا مفصلا للمسؤولين

الاميركيين الكبار عن اجتماع سري كان قد عقده مع مبعوث عربي للرئيس السادات . ولقد بقيت طبيعة المباحثات وشخصية المبعوث سرية . وفي تقرير نشر ذكر ان المبعوث كان سعوديا . وبعتماد السادات على وسيط سعودي يكون قد حصل على موافقة السعودية في خطوته هذه . يضاف الى ذلك ان هناك فريقا سعوديا بزعامة رجل المخابرات كمال ادهم ينال ثقة من الرئيس السادات . كما اورد هوجلاند .

اسباب خُطوة السادات

بقدر ما كانت الاسباب التي أوردتها الصحف البريطانية والاميركية لزيارة السادات الى القدس كثيرة ، بقدر ما كانت هذه الاسباب متداخلة ومعقدة . منها المحلي الاقتصادي والاجتماعي ومنها الشخصي المرتبط بشخصية السادات وسيكولوجيته . ومنها موازين القوى العسكرية بين مصر والعرب من جهة واسرائيل من جهة اخرى . وعلى أهمية هذه الاسباب ، فان إشارات كثيرة حول خيبة الامل المصرية والاسرائيلية من ادارة الرئيس كارتر (كل حسب وجهة نظره) تبدو واضحة الدلالات والخطورة .

صباح اليوم التالي لوصول السادات الى القدس نشرت صحيفة الاوبزرفر البريطانية (٨) دراسة وافية عن العوامل التي جعلت السادات يصعد عاليا ووحيدا . اليوم يمثل السادات فوق رؤوس العرب الذين ينظرون اليه مشدوهين وهو يحيك شبكة الامان . ان ابن دلتا النيل يحقق الان عملا عجز عن تجاوزه مثله عبد الناصر وهو في اوج عظمته . والمصريون لا يصرحون ان كان ذلك ناتج عن شجاعة او عن تهور . وهم ينظرون متسائلين : اي شيء دفع زعيمهم ان يصعد الى هذا العلوا وحيدا ؟ . وفي محاولة للمقارنة يتذكر الناس في القاهرة كيف قام صلاح الدين بزيارة قلب الاسد خلال الحروب الصليبية . وتصف الصحيفة طبع السادات خلال القاء خطابه أمام مجلس الشعب المصري يوم ٩ تشرين الثاني (نوفمبر) وكيف كان يبدو في وضع معنوي سيء لدرجة انه كان يتعثر بين الكلمات . وكيف انه التزم بالنص أمامه حتى الربع الساعة الاخيرة . حيث اضاف كلمته المشهورة بأنه على استعداد للذهاب حتى الى الكنيسة لبحث عن السلام . وتروي الصحيفة انه صباح ذلك اليوم اتصل السادات بالاسد وطلب منه المجيء الى القاهرة لاسباب ملحة . غير ان الاسد ذكر له بأنه هو الذي قام ياخر زيارة للقاهرة وان الدور هو للسادات للمجيء الى دمشق . ووافق السادات بعد تردد . وتعثرت الزيارة لدمشق . وكانت استقالة اسماعيل فهمي ، وزير الخارجية المصري ، وخلقه بذلك سببا واضحا لصعوبة تأجيل الزيارة الى الاسبوع القادم كما كان مقررا لها . ان وضع السياسة المصرية والاقتصاد المصري الصعب هي من بين الاسباب التي حملت السادات على القيام برحلته . وخبية الامل الثانية التي دفعت السادات لاتخاذ قراره هو وضع الجيش « ذلك ان الجيش المصري لا يبدو في وضع يمكن منه القيام بحرب كبيرة . ان النقص في قطع الغيار ملح » . أما خيبة الامل الثالثة فهي تعثر التقدم في محادثات جنيف . وكذلك سمعته التي بدأت تنحدر في العالم العربي . ورغم انه يتمتع بصبر الفلاحين وحبه للبقاء . وكما يروي احد المقربين منه فان السادات من صنف الرجال الذين يتحرون عن المخرج وقت يدخلون غرفة ما . وهو دائما مقامر ومنفرد . ان الشعور العام هنا في القاهرة ان السادات لم يتأكد تماما من ابواب النجاة هذه المرة . مجلة نيوزويك (٩) تذكر مجمل هذه الاسباب خصوصا تدهور اوضاع مصر الداخلية . فالرئيس السادات يعاني من اوضاع اقتصادية

ضاغطة واسباب سياسية تدفعه للبحث عن السلام . وتنشر المجلة تقريرا من مكتبها في القاهرة يصف الشعور بالخيبة عند المصريين من الاوضاع المتدهورة على الصعيدين الاجتماعي والاقتصادي . وتعالج اسبوعية الجارديان واللموند (١٠) الاسباب من زاوية مختلفة ، يغلب عليها رغبة الرئيس السادات في القيام بمسؤولياته القومية . « ان سوريا تجد نفسها ملزمة تجاه اي اجراءات عسكرية تقوم بها اسرائيل والتي تضع الموقف السوري أمام معضلة حقيقية . ان اي رد سوري على الاجراءات الاسرائيلية سينتهي الى هزيمة مشينة للسوريين كما ان اي احجام منهم سينتهي بخسارة سوريا سمعتها عند العرب . وفي الحالتين فان حكومة الاسد ستكون في موقف حرج . وحتى لو تم تنفيذ قرار وقف اطلاق النار في جنوبي لبنان فان الهجمات الاسرائيلية ستصل الى مستوى تكون فيه اندارا للفلسطينيين وللدول العربية التي تدعم الفلسطينيين . ان هذا سبب من الاسباب التي دفعت الرئيس السادات لكي يقوم بمبادرته العلنية التي لا سابق لها في تاريخ الصراع في الشرق الاوسط . وتضيف الصحيفة انه في الوقت الذي تعاني فيه اوضاعا اقتصادية واجتماعية دقيقة جدا ، فلن يكون بمقدور مصر حل مشاكلها الكثيرة من غير تخفيض مهم في نفقاتها العسكرية . ورات صحيفة الواشنطن بوست الاميركية (١١) الاسباب ذاتها وقالت « لكن الاندفاع نحو جنيف ليس بحاجة لمن يضع العصي بين عجلاته . فقد اعطاه الرئيس السادات دفعا جديدا عندما أعلن بعد الغارات الاسرائيلية على جنوبي لبنان انه على استعداد لان يذهب الى الكنيست بنفسه لاجراء مفاوضات » .

وفي وسط هذه الاسباب المحلية كانت الصحافة البريطانية والاميركية تترك دلالات واشارات خطيرة حول خيبة الامل من طريقة معالجة ادارة كارتر لازمة الشرق الاوسط . واذا ما احتفظنا في مجرى هذه الدلالات والاشارات بكلام جيم هوجلاند (١٢) الذي اشار فيه الى الثقة الكاملة التي تربط الرئيس السادات برجل المخابرات كمال ادهم ، امكنا تمييز الفريق الاميركي الذي املى خيبة الامل على السادات . وهي في مطلق الاحوال ليست خدمة لمصر او دورها القومي . واذا كانت صحيفة « الاوبزرفر » (١٣) تعتقد ان قرار الذهاب الى الاسرائيليين مباشرة يعكس الى حد خيبة الامل في الاعتماد على الاميركيين ، وهو شعور يشاركه به الاسرائيليون فان صحيفة « انترناشونال هيرالد تريبيون » الصادرة في باريس بالتعاون مع صحيفة « نيويورك تايمز » و « واشنطن بوست » توضح خيبة الامل الاسرائيلية بمقاييس مختلفة تماما (١٤) « ان السادات وبيجن أقاما الان طريق محادثات جديدة تسير بموازاة خطط ادارة الرئيس كارتر لاستئناف محادثات السلام في جنيف . غير ان هذا الطريق ليس خاضعا لهيمنة الادارة الاميركية او للرفض من حلفاء الرئيس المصري مثل السوريين والفلسطينيين . لقد اوضح السادات انه ما زال يفضل الذهاب الى جنيف والى جانبه السوريون والفلسطينيون وان المحادثات التي يجريها ليست لاكثر من طرح قضيته . غير ان قراره في الذهاب الى القدس يوضح ايضا للعرب الاخرين ان الذهاب الى جنيف ليس خياره الوحيد » . هذا عن الرئيس السادات . أما عن بيجن فان الصحيفة ترى انه في صراع علني مع ادارة كارتر حول المسألة الفلسطينية . منذ عدة اشهر وحكومة بيجن تسعى جهدها للاستقلال بقراراتها السياسية والعسكرية عن واشنطن . ان دعوة السيد بيجن للرئيس السادات تدخل ضمن رغبة اسرائيل هذه واضرار اسرائيل التاريخي في ان لا يكون سلام الا عندما يكون العرب على استعداد للاعتراف بنق اسرائيل الشرعي في المنطقة . وتكشف الصحيفة النوايا الحقيقية للرئيس السادات

من خطوته وتقول « تحت سطح هذه العاصفة هناك سلسلة من الحوادث والظواهر التي تعود الى شهر اب (اغسطس) حسب دلائل علنية صرح بها السادات واخرى سرية صرحت بها مصادر دبلوماسية في واشنطن . ان النقاط الاساسية تبدو في رغبة السادات في استيعاب ومصادرة النوايا السورية وعدم رضاه عن طريقة الادارة الاميركية في معالجة ملف ازمة الشرق الاوسط الذي ورثته من السيد كيسنجر . وتفضي في مقالة اخرى النصيحة للدبلوماسية الاميركية لكي تبحث عن كل مساعدة تقدمها للمجتمعين وكذلك العمل لاقتناع العرب الاخرين للالتقاء حول طاولة المفاوضات » . والصحيفة تقر في الوقت نفسه ان مشروع المباحثات في جنيف الذي ترعاه الدبلوماسية الاميركية قد ازيج من الضوء مؤقتا . ذلك ان السلام لا يمكن تحقيقه في صباح يوم أحد في القدس . بل ان السلام يحتاج وقتا طويلا في القدس والقاهرة ودمشق وعمان وبنين . وتشارك صحيفة « تايمز » البريطانية (١٥) الرأي من ان خطوات من هذا النوع تعيد صنع القرار الى اصحابه . الى الاطراف الحقيقيين في النزاع . وتضع دور الامم المتحدة وحتى دور الذول الكبرى في الظل . وتعتقد الصحيفة انه من الضروري الابقاء على الحوار في الوقت الذي يبدو من الصعب توقع تبدل اساسي .

« خطوة بارزة ، شجاعة و ... تحذير من ماضي بيجن »

حتى لحظة وصول الرئيس السادات الى القدس واللقاءات المباشرة التي اجراها مع القادة الاسرائيليين ، كان واضحا ان اتجاه التعليقات في أعمدة الصحف البريطانية والاميركية يعطي اسرائيل الفوائد كلها من خطوة الرئيس السادات . رغم ان هذه الاعمدة حاولت ان تكبح من الاوهام التي كانت معقودة على خطوة السادات لجهة « المكافأة » التي سيعود بها من القدس . حتى ان صحيفة « انترناشونال هيرالد تريبيون » (١٦) قدمت العزاء للرئيس السادات بأنه اكتفى من زيارته باثبات انه قوي « ليس السؤال الان هو ما حصل عليه السادات من زيارته للقدس بل ما كان يريد من هذه الزيارة ؟ يمكن القول الان انه اراد عملية مثمرة من الحادثات اكثر من طريق جنيف المملوءة بالعقبات الاجرائية . كما أراد ان يثبت انه قوي لدرجة انه قادر على القيام بخطوة من أجل السلام وبأن الارواح المصرية لن تدفع ثمن حرب جديدة » . اما « الجارديان » (١٧) فقدت عزاء عن مهارة السادات التي تشبه مهارة ترومان « ان في تاريخ الشعب المصري ترومان اخر ، فالسادات وترومان بدءا حياتهما العامة كرجلي سياسة من الدرجة الثانية . بعد ذلك وبعد عدة سنوات في الظل ، امسكا بالسلطة واستغلاها بمهارة وتركا اثرا في التاريخ » .

اما الفوائد التي جنتها اسرائيل ، حسب الصحف البريطانية والاميركية ، فهي فهي جوهرها « انك لا تستطيع مخاطبة اعضاء برلمان لبلد لا تعترف بوجوده اساسا » (١٨) و « ان الرئيس السادات قدسلم بالمبدأ القائل ان لاسرائيل الحق بالبقاء » (١٩) كما ان صحيفة « انترناشونال هيرالد تريبيون » (٢٠) اختصرت الامر كما يلي : « ان الاممة الاسرائيلية ، وحقها في الوجود ، قد حصلت على اعتراف دراماتيكي لا سابق له » . وفي اليوم التالي كتبت الصحيفة ايضا تحت عنوان « السادات في ارض الميعاد » تقول : ان آمال اسرائيل التي نسجت يوم اقامة الدولة من أجل سلام حقيقي مع جيرانها قد تحققت الآن » . وتضيف الصحيفة الى هذه الدلالات السيكولوجية حقيقة « ان القيادة لأكبر دولة عربية تعترف الان بشرعية الدولة الاسرائيلية » . غير ان صحيفة « الفايننشال تايمز »

البريطانية (٢١) ، عالجت الأمر من زاوية الايجابية العربية وأهمية هذه الايجابية « لا شيء يوازى هذه الخطوة ، التي ربما تكون اول ثغرة في العداء العربي الاسرائيلي . ان زيارة السادات تدل على ان هناك تبديلا في الموقف العربي ، لقد اصبح العرب اكبر ثقة بانفسهم تماما مثلما اصبحوا اكثر غنى . وعلى الجانب العربي اصبح هناك اعتراف من ان كيانا صهيونيا وجد هنا ليبقى » . وتلتقي صحيفة « تايمز » (٢٢) ، مع زميلتها « فايننشال تايمز » بملاحظة الدلالات الايجابية لخطوة السادات « بقدر ما تشير ردود الفعل الى اي مدى وصلت المواقف المتصلبة على مدى الثلاثين سنة الماضية ، فان زيارة السادات تكس جانبيا كل هذه المواقف القديمة وتكسر الحظر الذي كان قائما على الاتصالات المباشرة بين العرب والاسرائيليين » . وتضيف الصحيفة بان السادات يقوم بشيء بسيط وواضح . انه « يحرم اسرائيل من احدى حججها التي ترفض بموجبها تقديم اية تنازلات اقليمية الا وهي ان وجودها لا زال غير مقبول عند العرب » .

ولقد رافق هذه الدلالات التي رمزت اليها خطوة السادات « البارزة والشجاعة » مواقف تدعو الحكومة الاسرائيلية لاتخاذ خطوات تلتقي مع خطوة السادات . وتجيء هذه الدعوات في الصحف البريطانية تحديدا . وتدعو « تايمز » (٢٣) ، مناحم بيجن للقيام بثلاث خطوات في الحال : « الاعتراف باجراء ما من أجل تمثيل الفلسطينيين والتخلي عن اقامة مستعمرات اخرى . كما ان افضل خطوة لتحقيق نتائج باهرة ستكون عن طريق التصريح عن الرغبة بالانسحاب التدريجي على مدى بضع سنوات ، وتأجيل البحث عن اي حل لمشكلة القدس واقامة كيان مستقل للفلسطينيين عن طريق الخطوة خطوة يرافقه اعتراف رسمي ودايم للسيادة وسلطة دولة اسرائيل وحققها في البقاء » ، وتحذر الصحيفة بصراحة اعظم من انه اذا عاد السادات فارغ اليدين فسيعرض وضعه للخطر . ذلك ان هزيمته او موته سيضعان الشرق الاوسط امام مخاطر من الصعب الخروج منها . اذ ليس من الممكن للسادات اتمام درجة ما من الموقف العربي الموحد من غير تحقيق الرغبات الفلسطينية وستكون الحادثات بين الرجلين فاشلة حتما في حال تعذر الوصول الى تسوية لمسألة الضفة الغربية . وتعتقد الصحيفة انه في حال فشل مهمة السادات فسيكون امامه خياران : فاما ان يجعل من نفسه زعيم الفريق المقاتل كما فعل في حرب ١٩٧٢ ، وهو الشيء الذي سيضع فرص التسوية على طريق جنيف في وضع صعب جدا واما ان السيد بيجن سيجد نفسه امام ثورة حقيقية من وزير خارجيته ونائب رئيس الوزراء ياديبن . خصوصا ان دايان اكد عشية تسلمه حقيبة وزارته ان الموقف الاسرائيلي من الضفة الغربية سيكون ثابتا ما دام اي زعيم عربي لا يظهر اي رغبة في السير لحل وسط . واما الآن وقد قام السادات بمبادرته السلمية فان السيد بيجن سيجد نفسه في حكومة اقلية . ان رد الفعل الاسرائيلي سيقدر والى مدى طويل مستقبل علاقاتهم بالعالم العربي . « الصحيفة « تايمز » نفسها كانت قد ذكرت (٢٤) ، من انه ليس من الممكن لاسرائيل التنازل عن شرم الشيخ او رفع باقل من سلام كامل . وتتساءل الصحيفة في معرض قولها ذلك ما اذا كانت اسرائيل ستقبل بسلام كامل مع مصر في حال رفض العرب الاخرين المشاركة فيه ؟

وربما كانت هذه الاسباب هي التي جعلت كل الصحافة البريطانية والاميركية تحذر من الحلول المنفردة مع مصر . فلقد وصفت « انترناشونال هيرالد تريبيون » (٢٥) ، محاولة تحقيق سلام منفرد مع مصر بأنه جنون خطير ، فليس سهلا على الرئيس السادات التخلي عن مبدأ الانسحاب الاسرائيلي من المناطق المحتلة كذلك تحقيق خطوة ما نحو حل للمسألة الفلسطينية : في ادنى حد لها « معادلة تنهي بالتدريج سيطرة اسرائيل على الضفة

الغربية . « وتحاول الصحيفة ان تشبه مناخم بيجن بالجنرال دييجول على « انه سياسي يصل الى مركزه على اساس رفض تقديم اي تنازلات وبعدها يقدم هذه التنازلات من اجل اهداف السلام الاعلى » . كما تستنتج « انترناشونال هيرالد تريبيون » (٢٦) ، من ان الامور التي بحثها الفريقان في الزيارة الفريدة توضح عقم محاولة تحقيق اتفاق منفرد مع مصر . صحيح ان السادات لم يضع اطارا زمنيا لمطالب العرب . لكنه كان واضحا بان قبوله باسرائيل كجار صالح يقوم على التسوية الشاملة . اي على قبول اسرائيل بالمبدأ القائل بالانسحاب من الاراضي المحتلة .

في الوقت الذي نبهت فيه الصحافة البريطانية والاميركية من الجنون الخطر للحلول المنفردة مع مصر كانت أعمدة أخرى في هذه الصحف تتكلم عن تحولات داخلية خطيرة تصل في بعض الحالات الى حرائق تلتهم بعض الدول العربية : « فإلسادات الذي كان يبدو في بداية الرحلة وكأنه مغامر متهور لا يأبه لآراء زعماء وإجماع العالم العربي خرج بعد الرحلة وكأنه موضع الثقة وخصومه هم الذين يفتقرون الى الثقة » (٢٧) وتضيف الصحيفة « يبدو ان الدول العربية مقبلة على فترة طويلة من الرفض والشرق الاوسط سيكون محظوظا جدا اذا اقتصر الرفض على التملل ولم يتحول الى حرائق . فجبهة الرفض في اوساط المقاومة الفلسطينية التي كانت تدعي دائما انه من غير المجدي ان تحاول الدول العربية الحصول على تنازلات من اسرائيل ليس لديها ما تربحه من وراء الاستماع الى نداءات الاعتدال » . وتوضح « فايننشال تايمز » (٢٨) ، اتجاهات العمل العربي المنقسم على نفسه كما يلي « ان عبد السلام جلود اقترح اقامة اتحاد عسكري يضم ليبيا والعراق وسوريا يكون هدفه اسقاط نظام السادات وتكوين جبهة أقوى ضد اسرائيل » . وتعتقد الصحيفة ان تكوين جبهة تدعمها الولايات المتحدة من مصر والسعودية والاردن والسودان سوف يجعلها شبيهة بالجبهة التي كانت تتزعمها العراق ايام الحكم الملكي عام ١٩٥٨ . وتنقل صحيفة « نيويورك تايمز » (٢٩) عن نائب وزير الخارجية الاميركي السابق للشؤون السياسية جوزف سيسكو ان « الملكة السعودية لا مصلحة لها اطلاقا بهدم الزعامة المعتدلة التي يمثلها السادات » . وتنقل الصحيفة عن بعض المسؤولين اعتقادهم من انه رغم التشديد على جنيف ما زال هناك احتمال قوي بأنه اذا استمر السوريون وموت . ف في مهاجمة السادات لزيارته لاسرائيل فان المصريين والاسرائيليين قد يقررون عقد اتفاق فيما بينهما .

غير ان اخطر الكلام جاء من المعلق المعروف سولز برجر (٣٠) ، « لا شك في ان مصر تريد السلام . صحيح ان بنودالسلام غير متفق عليها ، رغم انها قابلة للتفاوض ، الا ان السادات خلق وضعا نفسيا عندما أعلن امام الاسرائيليين بأنه يريد ان يتفق معهم حول شعارين : لا حرب بعد اليوم ثم لنتفق حول الامن . لقد قدم اعتراف الامر الواقع لاسرائيل وعاصمتها القدس بمجرد حضوره . ولقد شقت هذه الخطوة العرب أكثر من اي وقت سابق . فلقد زادت المنافسة بين القاهرة ودمشق حتى بلغت ببعض الزعماء العرب التحريض على اغتيال السادات ، ما الذي سيحصل اذا نال احد القتلة من الرئيس السادات او ان بيجن واجه الموت بسبب سكتة قلبية ؟ ستعيد عندها اسرائيل خطوها على اساس العودة الى الصراع ، ومن المنطق الاعتقاد ان هذه الخطط لن تقوم على اساس هجوم مصري محتمل بل على اساس توجيه ضربات بعيدة المدى لشمل قوى الرفض العربية . واذا ما أراد المتطرفون امثال جورج حبش زعيم الجبهة الشعبية لتحريض فلسطين او العقيد معمر القذافي الاسراع في اشعال حرب اخرى سيكون من الحماقة لاسرائيل ان تقوم بأعمال وقائية ضد دول معتدلة مثل مصر او الاردن . بل من الممكن

حشد قوات ضاربة لتوجيه ضربة الى سوريا اذا ما حاولت الاخيرة القيام بتحركات مثيرة للريبة . وهو الشيء الغير محتمل . كما انه لا ضرورة لمنع اسرائيل من توجيه ضربات لتحطيم قيادة وتنظيمات المراكز الرئيسية لقوى الرفض وتحطيم الجزء الاكبر من الاسلحة السوفياتية المكسدة خصوصا في ليبيا والعراق .

عند عودة الرئيس السادات : محور مصري - اسرائيلي ؟

ربما كان هذا الاعتقاد الذي اتت به « الاوبزرفر » (٣١) ، في غير اوانه ، رغم اهمية ما اضافته . فالصحيفة تعتقد ان الكراهية العربية عززت موقف السادات في داخل بلاده وذلك عبر تنشيط الشوفينية المصرية التي كانت تتفاعل . ويعتقد السادات انه يستطيع مواجهة عاصفة الغضب العربية . كما فعل عبد الناصر عندما اعلن موافقته على مبادرة روجرز عام ١٩٦٩ . واقتوى ورقة في يد السادات (وهي التنازلات الفعلية من اسرائيل) لم يلعبها السادات حتى الآن ولا أحد يدري اذا كان سيلعبها على الاطلاق . كما انه في نفس الوقت يعتمد على الولايات المتحدة لتهدئة غضب السعودية . ويبدو ان السادات استفاد من بعض اراء كيسينجر في الدبلوماسية الشخصية . ولا يشك المصريون على الاطلاق بأن السادات يرغب في أن يخوض مفاوضات جدية ومثمرة مع بيجن وحكومة اسرائيل . ويبدو ان الاوان حان للتحدث عن محور مصري اسرائيلي يقوم فيه الآخرون بادوار المؤيدين او الحكوميين برود الفعل ومن بين هؤلاء الولايات المتحدة ايضا . ومع ان ديفيد هيرست ، الصحفي المعروف ، ينقل في « الجارديان » (٣٢) كلاما مماثلا على لسان بطرس غالي ، وزير الخارجية المصري بالنيابة ، بقوله « بعد زيارة الرئيس السادات الى القدس تغيرت المعادلة . الآن اصبحت اسرائيل ومصر تملكان كل الاوراق » . فان هيرست يضيف على مسؤوليته ان الدعوة المصرية لمثلي الضفة الغربية وجهها حزب مصر مما يجعل الدعوة غير رسيمة تماما وبذلك تترك مصر الباب مفتوحا لقيادة منظمة التحرير لكي تعيد بناء علاقاتها مع الرئيس السادات .

وحدها صحيفة « صندي تايمز » (٣٣) تكتب عن الآثار المعقدة والمتغيرات الخطرة التي خلفتها مغامرة السادات . « حتى الآن ما زال نجاح السادات ظاهريا وليس حقيقيا . وحتى المكاسب التي ذكرها السادات في خطابه امام مجلس الشعب كانت مكاسب غير ملموسة . وهي تتعلق ببيكولوجية اسرائيل وردود الفعل العالمية . وليست تنازلات معينة حول حقوق الفلسطينيين أو الاراضي . لكن هناك جانبا قاتما في الصورة : هو ان السادات في اندفاعه وحماسه لكسب ثقة اسرائيل خسر ثقة العرب . وحتى افضل انصار السادات من العرب شعروا بالخجل وهم يشاهدونه يكرم نصب الجندي الاسرائيلي المجهول في وقت ما زالت دولته فيه في حالة حرب مع اسرائيل ، وحتى أمس الاول كان وضع السادات افضل مما كان يتوقع . فبعد الصدمة الاولى والفوضى التي خلفها قراره كان السادات يحاول ان يدفع اسرائيل والدول للوقوف الى جانبه . كانت الانتقادات التي توجهها موسكو خافتة نوعا ما . وتقول المصادر الاميركية ان يهود الولايات المتحدة تأثروا بمغامرة السادات وهم يحاولون اقناع الحكومة الاسرائيلية بمواجهة مبادرته . لكن السادات غامر الآن باغضاب السوفييت بانتقادهم علنا في خطابه الى درجة ان السوفييت قد يرفضون مبادرته . وهذا الامر قد يثير حفيظة الاميركيين الذين عانوا ما عانوا لكي يدخلوا السوفييت في عملية المفاوضات . وسوف يغري الدول العربية بمحاولة عزل السادات وسوف تكون النتيجة عودة الشرق الاوسط الى مرحلة صراع الدول الكبرى

حيث يدعم الاتحاد السوفياتي الدول العربية المتطرفة التي تتزعمها دمشق والولايات المتحدة تدعم نظام مصر « ويرى جوزف كرافت في « انترناشونال هيرالد تريبيون » (٢٤) التعقيدات نفسها ، اذ لا احد يعرف عن النتائج وزيارة السادات الى القدس غيرت الثوابت في السياسة والدبلوماسية . وبينما من الممكن ان تكون القفزة في الظلام ذات نهاية سعيدة لكن من المحتمل ان تجعل الاحداث من غير ضابط . بالنسبة لصحيفة « تايمز » (٣٥) لم تكن النهاية الا وثيقة غريبة جدا وكلمات البيان المتفق عليه تبلغ ١٠٦ كلمات تتألف من جملة واحدة ، المتبدأ فيها هو « حكومة اسرائيل » والفعل « تقترح » . ولقد برر الاسرائيليون ان البيان لم يكن مشتركاً بقولهم : انه من غير اللائق ان نطلب من السادات ان يوقع رسمياً على وثيقة صدرت استجابة لبادرة مخصصة وشجاعة من جانبه . وهذا التفسير لا يقنع احداً . فلو أن السادات وقع بياناً مشتركاً هل كانت كلمات البيان تتغير ؟

وحدها « صندي تايمز » (٣٦) تضع الاصبع على الحقيقة . فليس في الامر المصيري ارهاق أو تفكير رغائبي . « ان دراسة ماضي السيد بيجن لامر مخيب . ذلك ان كل حقيقة تجعل من قضية السلام أمراً بعيداً . والسؤال هو هل ان السيد بيجن يريد ان يتحول الى الرجل الذي اعطى السلام للعرب و اليهود ؟ ام انه يريد ان يظل متمسكاً بمبادئه مهما كان الثمن ؟ ان معتقدات بيجن ثابتة . ولقد لوحظ الاسبوع الماضي كيف ان بعض اصدقاء بيجن اكادوا أن بيجن لن يتراجع عن مبادئه عندما حاولت بعض الجهات ان ترسم صورة واقعية وبرغماتية لبيجن ، ان اعماله خلال فترة وجوده في حكومة سنة ١٩٦٧ لا تعطي اي مجال للتفاؤل . كان احد اعضاء الحكومة يصف دور بيجن كدور كلب الحراسة الذي يمنع اي رغبة في التخلي عن اي قطعة ارض في الضفة الغربية . وفي العام ١٩٧٠ عندما وافقت الحكومة الاسرائيلية على اجراء مفاوضات سلام مع الاردن على اساس الانسحاب دفع بيجن للاستقالة والقول ان الحكومة توافق على مبدأ الانسحاب من ارض الوطن .

براندت مصر : له جائزة نوبل او القتل .

القلق الذي يطبع اعمدة « صندي تايمز » والى حد ما « تايمز » ليس له مكان في مجلة « الايكونومست » البريطانية (٣٧) ، فالكلام الذي كان يتردد بأن مصافحة السادات للزعماء الاسرائيليين يدا بيد يعني الانتحار السياسي بالنسبة له ، انقلب الى نكتة ، فقد سار موكب الرئيس السادات الى منزلة وسط الجماهير الكثيفة في سيارة مكشوفة ، وكنت تسمع عبارة واحدة تتردد على كل لسان في المقاهي « اننا نحارب منذ ثلاثين عاماً ونحن نشعر بالسعادة لانتهاه الحرب . وكان السلام قد عاد بالفعل . وفي اوساط الفئات المتوسطة ، التي تعتبر قاعدة السادات العريضة ، كان البعض يقول اما ان ينال السادات جائزة نوبل او يقتل . وتنقل المجلة ان ردود فعل المصريين على الزيارة تشير الى الحقيقة السياسية الاولى في مصر وهي انه اذا قام الشعب باسقاط السادات فلن يكون ذلك بسبب ما حدث للفلسطينيين وانما لان الحياة في مصر لم تعد تحتل .

وتتوج مجلة « نيوزويك » (٣٨) الاميركية الالقاب التي اعطيت للرئيس السادات بتشبيه ذي دلالات سياسية ومستقبلية واضحة . « بعد الحوادث التي لا تصدق والتي تمت في القدس اصبح الرئيس السادات من غير شك من صنف الرجال الغير عاديين . وخلال السنوات الماضية كانت هيئة جائزة نوبل للسلام تجد صعوبة في اختيار مرشح مناسب .

وسنة ١٩٨٧ لن تكون هناك صعوبة من هذا النوع . ان حق السادات لا ينازع ، وهو شبيه بحق ويلي برانندت سنة ١٩٧١ . صحيح انه نادرا ما يكون هناك وضعان سياسيان متشابهان . غير ان التاريخ يعطي دروسا وحتى انه يعلم عن طريق حالات مشابهة كما يذكر هنري كيسنجر . وفي هذا المعنى ان المبادئ والخطوات الاجرائية في سياسة الاوستوبولتيك التي اعتمدها برانندت هي من غير شك اكثر من الهمية العابرة كما هي حال السياسة الدرامية في الشرق الاوسط » . وتورد المجلة مبادئ برانندت كما يلي :

المبدأ الاول : الاعتراف بواقع موجود . وفي حالة السادات فانه مرتبط بأن اسرائيل اصبحت امرا واقعا لا نزاع بخصوصه بعد الآن . وكما ذهب برانندت الى ارفروت فسي المانية الشرقية في ربيع عام ١٩٧٠ هكذا ذهب السادات الى القدس .

المبدأ الثاني : الاتفاق على عدم استخدام القوة . وهو جوهر المعاهدات التي وقعها برانندت مع دول اوروبه الشرقية وهي تماما مثل لب عمل السادات .

المبدأ الثالث : التخلي عن سياسة المطالبة بالحد الاعلى . وكانت مهمة السادات ستنتهي الى الفشل ما لم يوافق الاثرائليون في النهاية على التحدث عن قضية الضفة الغربية . وهي منطقة مساوية الهمية لبرلين الغربية بالنسبة لحكومة بون .

المبدأ الرابع : يجب ان يكون الوفاق اكثر من علاقات دولة مع دولة . يجب ان يكون علاقات عادية بين الشعوب . وفي الشرق الاوسط سيتحول الوفاق الى صدفة فارغة اذا بقي الفلسطينيون في الامهم واكواهم . لا بد ان يكون الفلسطينيون اول المستفيدين من الروح الجديدة التي ستعم المنطقة .

وكما سمت « النيوزويك » السادات ببرانندت مصر سنة ١٩٧٢ فانه يبدو جديرا في ذلك . ان افضل شيء يمكن ان يتحقق عندما يحين شهر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٨ هو ان يشارك السيد بيجن الرئيس السادات في جائزة نوبل » .

لكن كان على « نيوزويك » ان تكمل الحكاية . وان تقدم عرضا موضوعيا اكثر عدالة .

المصادر

- ١ - صحيفة « صندي تايمز » البريطانية يوم ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٢ - مجلة « تايم » الاميركية يوم ٥ كانون الاول (ديسمبر) .
- ٣ - المصدر نفسه .
- ٤ - صحيفة « انترناشونال هيرالد تريبيون » الصادرة في باريس يوم ٢٩ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٥ - صحيفة « صندي تايمز » الصادرة يوم ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٦ - صحيفة « جارديان » البريطانية الصادرة يوم ١٤ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٧ - « انترناشونال هيرالد تريبيون » الصادرة يوم ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٨ - صحيفة « الاوبزرفر » البريطانية الصادرة يوم ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٩ - مجلة « نيوز ويك » الاميركية الصادرة يوم ٢ تشرين الثاني (نوفمبر) .

- ١٠ - اسبوعية « جارديان لوموند » الصادرة يوم ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ١١ - صحيفة « واشنطن بوست » الاميركية الصادرة يوم ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر).
- ١٢ - «انترناشونال هيرالد تريبيون » الصادرة يوم ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ١٣ - « الاوبزرفر » الصادرة يوم ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ١٤ - « انترناشونال هيرالد تريبيون » الصادرة يوم ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ١٥ - صحيفة « التايمز » البريطانية الصادرة يوم ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ١٦ - « انترناشونال هيرالد تريبيون » الصادرة يوم ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ١٧ - « الجارديان » الصادرة يوم ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ١٨ - « الجارديان » الصادرة يوم ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر)
- ١٩ - المصدر نفسه .
- ٢٠ - « انترناشونال هيرالد تريبيون » الصادرة يوم ١٧ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٢١ - صحيفة « الفايينشال تايمز » البريطانية الصادرة يوم ٨١ تشرين الثاني (نوفمبر)
- ٢٢ - « التايمز » الصادرة يوم ١٩ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٢٣ - « التايمز » الصادرة يوم ٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٢٤ - « التايمز » الصادرة يوم ١٦ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٢٥ - « انترناشونال هيرالد تريبيون » الصادرة يوم ٨١ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٢٦ - « انترناشونال هيرالد تريبيون » الصادرة يوم ٢٢ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٢٧ - « الجارديان » الصادرة يوم ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٢٨ - « الفايينشال تايمز » الصادرة يوم ٢٣ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٢٩ - صحيفة « نيويورك تايمز » الاميركية الصادرة يوم ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر).
- ٣٠ - « انترناشونال هيرالد تريبيون » الصادرة يوم ٢٨ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٣١ - « الاوبزرفر » الصادرة يوم ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٣٢ - « الجارديان » الصادرة يوم ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٣٣ - « صندي تايمز » الصادرة يوم ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٣٤ - « انترناشونال هيرالد تريبيون » الصادرة يوم ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٣٥ - « التايمز » الصادرة يوم ٢٤ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٣٦ - « صندي تايمز » الصادرة يوم ٢٧ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٣٧ - مجلة « الايكونومست » البريطانية الصادرة يوم ٢٦ تشرين الثاني (نوفمبر) .
- ٣٨ - « نيوزويك » الصادرة يوم ٥ كانون الاول (ديسمبر) .

الصحافة الفرنسية

جاكلين فرهود

نادرا ما احتل خبر في السياسة الخارجية ، الحيز التي احتلته زيارة السادات لاسرائيل في الصحف الفرنسية فهي « الحدث التاريخي » ، « المعجزة التي نراها امام اعياننا » ، « اللامعقول » . الخ . وتتابع الصحف الفرنسية تطور الاستعراض الساداتي فضلا فضلا ومشهدا مشهدا . اما المجلات الاسبوعية فلم « تقصر » . مجلة الاكسپرس التي كانت قد اعدت ملفا عن الجيش الفرنسي استغرق شهرا كاملا ، تريد ان تكون « في مستوى الحدث » فتخصه بغلاف عدد ١١-٢١ . النوفيل اوبسرفاتور تخصصه بأغلفة ثلاثة اعداد متتالية .

جميع الصحف والمجلات ، تدخل في حلقة مزايده معلوماتية . فتبعث بمراسلين خاصين الى القاهرة والقدس وبيروت ودمشق وطرابلس وواشنطن . وفتتح اعمدة الصحف صفحاتها امام الافتتاحيات والتحليلات ، وشخصيات مختلفة تقوم بتغطية هذا الحدث غير الطبيعي كما تقول ياري ماتش (١١-٢) « والذي له شبيهه تاريخي واحد : اللحظة التي وطئت فيها قدما ارمسترنغ سطح القمر » .

التنافس كان شديدا من أجل تغطية هذا السبق الصحفي ! تبرز اخبار الكواليس « ٠٠ هذا ما أكده لي احد اعضاء حاشية الرئيس » . وبعضهم لا يرى ضرورة لتأكيد معلوماته : « همس موشي دايان في اذن بطرس غالي وهما في السيارة التي نقلهما من المطار الى القدس ، رسالة موجهة الى رئيسه . « من الافضل ان لا يذكر السادات منظمة ياسر عرفات في خطابه في الكنيست . وصلت الرسالة » . (لو پوان ١١-٢٨) . اما فرانس سوار (١٢-٢) فتؤكد ان السادات وبيغن كانا قد التقيا قبل ايام من الزيارة . وتعلمنا جون افريك (١٢-٢) « ان السادات اتصل بالاسد قبل خطابه يوم السبت ٩-١١ ، طالبا منه عدم اتخاذ موقف قبل وصوله الى دمشق . ويعلم بيغن من دمشق انه قادم الى اسرائيل في ١١-١٩ » . أما الاكسپرس (١١-٢٨) فتشير الى ان « النتيجة الرئيسية لمادثات السادات - بيغن المنفردة ، كانت الاتفاق على تركيبة الوفد الفلسطيني الى جنيف » كما تؤكد في العدد نفسه ، « ان مبدأ اجتماع بيغن بحسين في لندن قد اعتمد بشكل نهائي . لكن يبقى الشك حول الطبيعة السرية او العلنية لهذا اللقاء » .

ثم تأتي التفاصيل . « قبل السيدة المسنة على خدها » ، لو فيغارو (١١-٢١) .

و « رأينا الرئيس السادات ينحني باحترام امام سيدة كبيرة في السن ومليئة بالتجاعيد ، من أجل ان يقبل يدها » . ياري ماتش (١٢-٢) . « كارتر يرسل للسادات بعض افضل عملاء الاستخبارات المركزية الاميركية من أجل حمايته » . جون افريك (١٢-٢) . « يظهر الرئيس السادات على شاشة التلفزيون وهو يتصبب عرقا ، نتيجة ارتدائه سترة واقية للرصا ص » . لو موند (١١-٢٢) . الاكسپرس (١١-٢٨) « الانزعاج الذي اصيب به السادات في الطائرة التي كانت تنقله الى تل ابيب » لو پوان (١١-٢٨) « السكنات التي تناولها الرئيس قبل خطابه » لو فيغارو - لو موند (١١-٢٢) . والكلمات التي التقطت

في حديثهما الاخير على المطار « هكذا سمعنا السادات يريد مرارا : Please Please بينما يجيب بيغن بقوة وانفعال واضح Everything .. Everything وقال بيغن فيما بعد ان الكلمات الاخيرة بينهما كانت ، سنصنع السلام ، واجاب السادات : بكل تأكيد » . لو موند (١١-٢٣) ونشرت الصحف حتى تفاصيل قائمة الطعام التي قدمت في صحن مذهب في فندق الملك داوود . حيث كانت الحلوى المقدمة تحمل شكل الهرم . لو فيغارو (١١-٢٢) .

يبقى الامر طبيعيا ومفهوما ضمن هذه الحدود . فالصحيفة تبين المعلومات . وأهمية تغطية الحدث تعود الى جانب أهمية الحدث الدولية ، الى الظروف الخاصة بفرنسا : موقفها من البيان المقترح لدول السوق المشتركة ، زيارة رئيس الوزراء ريمون بار المرتقبة الى دمشق . التيارات السياسية المختلفة في فرنسا وارتباطها بإسرائيل ، والنظف . . والاصوات اليهودية في الانتخابات . .

لكن ما هو غير طبيعي هو هذا السيل من الدموع الذي يكاد يغطي حبر الصحف . الاكثريه الساحقة من الصحفيين والمراسلين ، استهلوا مقالاتهم وتحليلاتهم . كما فعل دفيد بودوك مراسل لو فيغارو الخاص : « اعترف دون خجل بأن عيناى مليتان بالدموع وانا اكتب هذه الاسطر . حتى في حزيران ١٩٦٧ ، عندما شاهدت دخول الجنود الاسرائيليين اسوار الهيكل لم انفعل كما الان » . ونشهد التنافس في استخدام صيغة أفعال التفضيل ، مهندس فرانس يصرح ان انفعاله « اكبر من ذلك الذي انتابه في شوارع باريس عند نهاية الحرب العالمية الثانية » . نوفيل اويسرفاتور (١١-٢٨) ويبدو ان اثر الحدث النفسي على رجال الصحافة الفرنسية يتطلب تحليلا نفسيا وليس سياسيا . انها مزيج من نفسية تشعر بالذنب . نتيجة مشاركتها بشكل مباشر او غير مباشر ، في اضطهاد اليهود ، وفي الوقت نفسه عنصرية معادية للعرب . لذلك « يصلي للحد » ، السادات في ياد فاشيم ، يتحمل وحده نتائج بربرية الرأسمالية الاوروبية . هذه هي الفرصة . لقد اصبح ممكنا التحرر من الماضي عبر الصاقه بالدور الذي يمثله السادات . تكتب صحيفة لو ماتان « الاشتراكية » (١١-٢١) : « العلاقات الصينية الاميركية ، تعبر عن مصالح كونية ، أما العلاقات الاسرائيلية العربية فهي تعبر عن عواطف اجيال بكاملها . ولها كثافة لا مثيل لها » . اما مجلة باري ماتش (١٢-٢) فانها تضع لتحقيقها الصحفي هذا العنوان : « ٢٤ ساعة من أجل القضاء على ٤٠٠٠ سنة من التاريخ » .

لم تتمكن الصحافة في أية بقعة من العالم من اقناعنا بموضوعيتها الكاملة . ولكن في هذه المناسبة ، فقد جرى تجاهل كامل لديكارت واوغوست كونت ، ولو اقتصر هذا النقص في الموضوعية على عبارات من نوع « التعبير النبوي في وجه السادات » او « عيناه مغرورتان بالدموع » او « تبشير الانشراح التام على وجهي بيغن والسادات » . لما كان للامر أية أهمية تذكر . لكنه شمل حجبا كاملا لاجبار المنطقة - لو موند هي الصحيفة

الوحيدة التي أشارت الى ادانة الجمعية العامة لاسرائيل - وتركيزا على مواد معينة مراجعات كتب حول اليهود واليهودية ، ومقالات عن النازية وتحقيقات عن الجيش الاسرائيلي « ان الدكاترة في العلوم السياسية ، هم على ثقة كاملة بأن تساهل (الجيش الاسرائيلي) قادر على تفجير الشرق الاوسط بأسره » . لو فيغارو (١١-٢٩) .

الخطير في الامر ، ان هذه الصدمة السيكولوجية التي ارادها السادات ، اخذت معها

ثمرة ثلاثة عشر عاما من العمل المتواصل ، من أجل توضيح جذور الصراع وحقيقته أمام الرأي العام العالمي . فأصبح الصراع « عاطفياً في جوهره » (الاكسبريس ٢١-١١) ، لذلك « فقومية بيغن اليهودية ، اكثر قبولاً من قومي مسلم مثل السادات ، عما كانت عليه الاشتراكية العلمانية في الحكومات الاسرائيلية السابقة » . (لو فيغارو ١٩-١١/٢٠) .

خصصت جميع الصحف مقالات تتناول تاريخ الصراع . وباستثناء مقال ٠٩ كيبليوك في صحيفة لو موند (٢٢-١١) تحت عنوان « حرب السنوات الثلاثين » . فقد جرت اعادة كتابة التاريخ بطريقة انفعالية وبشكل فنتازي . وتحمل اخطاء تاريخية لا تحتمل : « فتح هي الجبهة الشعبية التابعة لجورج حبش » (لو يوان ٢٨-١١) هذا الى جانب تمجيد « الامة - اليهودية » ، والتذكير الدائم « ألفين سنة من التشرد » و « المحرقة الكبرى » و « النضال البطولي لهذا الشعب في ظل الانتداب البريطاني ، من أجل امة يهودية حرة ومستقلة » . « ١٩٤٨ كانت خطأ من ؟ العرب الذين دفعوا اخوانهم الى الهجرة ؟ ام الاسرائيليين الذين لم يعرفوا كيفية استبقاء الفلسطينيين » (ب . واسجمان . لو فيغارو ١٨-١١) . بينما تؤكد مجلة لو يوان (٢٨-١١) انه لم يتم رحيل حقيقي للفلسطينيين الا بعد نشوء دولة اسرائيل عام ١٩٤٨ . أما الاب ريكيه فيندد « بالعدوان العربي عام ١٩٦٧ » ، ويذكر انه لم يكن هناك عام ١٩٤٨ الا ٣٢٥ الف فلسطيني في فلسطين . (لو فيغارو) (١٤-١١) .

٠٩ فابر لوس (سنعود اليه فيما بعد) يكتب في لو فيغارو (٢٢-١١) حول مدينة القدس : « في لحظة صوفية ، كنا نتذكر السنوات التسع عشرة للاحتلال العربي ونفكر : اسلاك شائكة بعد اليوم في قلب المدينة المقدسة » . أما مجلة الاكسبريس (٢٨-١٢) فانها عوض ان تستخدم عبارة الضفة الغربية ، يجرفها تيار الغبطة الى عبارة « اليهودية والسامرة » .

هكذا يعود الصراع الى حجم اثني ديني . نقرأ على غلاف مجلة لو نوفل اوبسرفاتور (٢٨-١١) بالاحرف العريضة : « الذي تغير بين اليهود والعرب » . بالنسبة لها كما بالنسبة لبقية الصحف . الامة اليهودية = الدولة العربية = اسرائيل . وباعترافهم هذا بان كل يهودي هو اسرائيلي ، فانهم يتبنون جوهر الصهيونية وجميع طروحاتها التوسعية والاستيطانية جميع التفسيرات تصب في هذا التفسير ، وجميع السقطات ايضا . فالميثاق الفلسطيني عام ١٩٦٨ ، لا يشار اليه الا في مقاطعه التي تؤكد على حق الشعب الفلسطيني في ارضه بأسرها . حتى صحيفة لو موند المحترمة ، لا تشير الى الدولة الفلسطينية الديمقراطية العلمانية . لا يتذكر احد مجزرة دير ياسين والارغون والهاغانا والغارات الاسرائيلية على جنوب لبنان . لكنهم يؤكدون : « م . ت . ف . تريد ان ترمي اليهود في البحر » (لو فيغارو ١٤-١١) . ويقتكرون : « كان الحاج امين الحسيني يستعرض ضباط الاس . اس ، النازيين » (لو موند ٢٢-١١) ويتمنون : « الصالحة ستتم بين اليهودي البولوني الذي قتل اقرباؤه على أيدي الهتلريين ، والمصري الذي اوقف في السنة

نفسها بسبب التعاون مع الالمان » (لو موند ١٩-١١) . ويحذرون : « في حزيران ٦٧ ، كانت الفزاعات ذات الانوف المعقوفة وعليها نجمة داوود ملقطة على جميع المصاييح في وسط المدينة » الاكسبريس ٢١-١١) . ويستنتجون : جوزيت عاليه تتذكر (في لو نوفل اوبسرفاتور ٢٨-١١) حين « قدمت الى مطار القاهرة في نيسان ١٩٦٧ ورأت جسرانه

مغطاة بعبارات : الموت لليهود ، يرافقتها رسوم كاريكاتورية لليهود بانوفهم المعقوفة » .
ونستنتج : « الجدران نظيفة اليوم . كم هو طويل هذا الطريق الذي اجتازته مصر خلال
عشر سنوات ! كم تغيرت مصر ! »

ضمن هذا المنطق للتفسير وتحليل الحدث سيكولوجيا ، تعطي هذه الصحافة اهمية
خاصة للناحية الدينية . فالعنى الديني يظهر حتى في المقالات التي تحمل تواقيع محترمة .
« لا اسلاك شائكة بعد اليوم في قلب المدينة المقدسة » . أما مجلة الاكسپرس (٢٨-١٢)
هكذا نرى اندره فونتين (لو موند ٢٠-٢١/١١) يبين « تاريخ الزيارة المقدر حيث يحتفل
« لرجلين في الكتب المقدسة يقلبان التاريخ : القس الحديث لامة تورانية ، والفلاح
المنشرب بالقرآن » . اما ريمون ارون فيتكلم في الاكسپرس (٢٨-١١) « عن المبادرة التي
تأخذ حجما تاريخيا وحتى دينيا » .

وتمتد الظاهرة الايمانية . أني كريفل (لو فيغارو ١٧-١١) « تدين الغطرسة الثقافية التي
تظهر في حكم الغرب على قوميات الشرق بأنها يجب ان تكون ملحدة ، مثل قومياته ،
وتعتبر انه « بامكان هذا الحدث الخارق ان يصل الى الفشل ولكن هناك استجارة اخيرة
يمكنها ان تنفذه : الايمان المشترك بالله وبانبيائه ومحبة القدس » . و مورييس دروون
« من الاكاديمية الفرنسية » يبشر : « لقد كان السلام بين ايدي البشر في حالة سيئة جدا ،
غير ان استدعاء الله وتعاليمه المقدسة ، ليست بالتأكيد ، دون اهمية » . (لو فيغارو
٢٢-١١) .

وبالتوازي مع هذه الاسلوبية الايديولوجية التي يصعب استخدامها على الصعيد التقني
وتحليل مختلف مراحل الحدث ، فقد اعتمد المراسلون والحررون ، وقبل ان تشير غولدا
مثير الى ذلك ، الاسلوب الخاص بالمرسح : « الاستعراض » . « الممثلون الموهوبون » ،
« اللعبة المسرحية العامة » . ويبرق اريك رولو ، المبعوث الخاص لصحيفة لو موند (١٩
١١) تحقيقا عنوانه : « بانتظار دقائق المسرح الثالث » .

كان لا بد من هذه المقدمة ، لانها تمكنا من تقييم المعلومات الخاصة « بلعبة البوكر
الساداتية » من حيث طريقة عرضها ، والتي ستؤثر بشكل مباشر على تحليلات الوضع ،
تكهنات المستقبل ، النصائح واحيانا التهديدات .

ما الذي دفع السادات الى القيام بهذه الخطوة ؟

أشارت الصحف بشكل عام الى اقتراح السادات بالذهاب « الى الكنيست او الى اخر
العالم » ضمن الاخبار المتعلقة بالغارات الاسرائيلية على جنوبي لبنان ، واكتفت بالتعبير
عن الرأي الاسرائيلي الذي اشار اليه بيغن عندما قال انه يأمل ان يكون التصريح ليس
« مجرد مزحة » . لو موند (١١-١١) تشير الى « ان القادة الاسرائيليين يعتبرون الاقتراح
مجرد تحد » ولكن ، ما ان تاكدت امكانية الزيارة حتى اخذت الافتتاحيات تعبر عن قلقها

من امكانية نجاح اللقاء . وتتساءل عن الاسباب التي دفعت السادات الى قراره هذا ؟
ما هي اهدافه ؟

الاسباب

انفردت الأكسيروس (١١-٢٨) بالتلميح الى ان السادات ، الذي سينشر مذكراته الان في دار هاربر اندرو النيويوركية الشهيرة ، كان قد عرض مخطوطته على العديد من دور النشر لكنها رفضت . « فالزيارة التاريخية هي بمثابة اعلانات مجانية تقدر بملايين الدولارات » . يعتبر محلل الأكسيروس (١١-٢١) ان السبب الرئيسي للزيارة هو سبب اقتصادي داخلي : « الوضع المفعج للاقتصاد المصري وفشل المساعدات السوفياتية ، في احداث الانطلاقة الاقتصادية » . لو فيغارو (١١-١٥) تشدد على الناحية الاقتصادية لكنها تدفع بالتحليل الى مدى ابعد . « في ظل التوازن الداخلي المتزعزع للسلطة (حركات المتطرفين المتعصبين وردة فعل الاقباط) ، هل كان يملك خيارا اخر ؟ » . أما بالنسبة ل لو نوفل اوبسرفاتور (١١-٢١) فالخيار هو بين « السقوط برصاص احد قتلة حبش او السقوط تحت قضبان جياح القاهرة » . فالحرب لا مفر منها ، جنيف يبتعد ، خيار الحرب اصبح مستحيلا بعد ان قطع علاقاته مع السوفيات . « الاسرائيليون يريدون شن حرب وقائية في ربيع ٧٨ » . لذلك « قرر السادات ان يقوم بضربة كبرى على الصعيد الدبلوماسي » . صحيفة لو هوند تشدد منذ اليوم الاول على كون السادات يخشى من امتداد الحرب الى جميع الجبهات : « لقد اتخذ القرار من أجل ان يتجنب حربا خاطفة . » وقد انذر السادات من قبل وسطاء غربيين علموا بقرار الحرب الاسرائيلي عن طريق الحماثم في اسرائيل « (١١-١٧) » . ويدعم الصحفي المصري محمد سيد احمد في لوموند ١١-١٧ هذا التفسير ، حين يشير الى مختلف المخططات الممكنة لحرب وشيكة الوقوع . فالخطوة « لا يمكن ان تفسر فقط بكونها اعدادا لمؤتمر جنيف » .

ما هي اهداف السادات

تشير مجلة لو بوان (١١-٢٥) الى الهدف الرئيسي التي تتبناه جميع الصحف الفرنسية : « الزيارة هي مناورة علاقات عامة هدفها جذب الرأي العام الاميركي ، وشل معارضة اللوبي الصهيوني في واشنطن الذي نجح في فرض شروط مهينة » . والهدف ايضا هو في « الخروج من المأزق » و « كسر الباب المؤدي الى جنيف » والحصول على بعض التنازلات الاسرائيلية « ولو مجرد القبول بمؤتمر جنيف » (جون افريك ١٢-٢) .

« تقويض دعائم العدو التقليدية وخاصة الاجماع الوطني في اسرائيل نفسها » (لو نوفل اوبسرفاتور ١٢-٢٨) . و « ستؤدي السياسة العربية الجديدة الى اقناع جزء هام من الرأي العام الاسرائيلي بضرورة القبول بالانسحاب » (لو فيغارو ١١-١٧) . تشير لوموند في افتتاحية عنوانها : الغير معقول (١١-١٧) : « سوف يصعب التمسك بجزء كبير من الاعتراضات الاسرائيلية ، التي اساسها ان العالم العربي يحلم بالغاء اسرائيل » . الى جانب هذا تشدد الصحافة الفرنسية على دور مصر في العالم العربي : « اراد المصريون استعادة المبادرة » (لو نوفل اوبسرفاتور ١٢-٥) . « اظهر استقلالية امام الدول العربية الاخرى » (لو فيغارو ١١-١٤) .

كيف استقبلت الخطوة :

تعتبر الصحف عن شكها وقلقها ، واحيانا عن حماستها لهذه الخطوة . صحيفة ليبراسيون (١١-١١) تفسر « بان هذه المناورة التي تهدف الى تعطيل التصعيد العسكري لا تحظى بأمل كبير في النجاح . ولكنها ضربة معلم دبلوماسية » .

تعليقات لو مؤند و لو فيغارو هي بصورة عامة متشككة.وتعتبر عن قلقها ازاء النتائج الممكنة : لو مؤند (١١-١١) تبدي شكها في نتائج « الرهان الجريء » فالسادات « أكد امام الوفد البرلماني الاميركي انه سيتكلم باسم جميع المحتربين العرب » (١٥-١١) . لو فيغارو اكثر حدة في موقفها . « بيغن هو متصلب معلن والاعتراف مكتسب منذ زمن طويل » (١١-١١) . وقلقة : « لا يمكن للسادات الا ان يتكلم في الكنيست ، اللغة المقبولة في العالم العربي . ومن هنا ستكون النتائج الوحيدة هي ابراز المسافة الدراماتيكية بين موقف اسرائيل وشروط السلام العربية » (١٤-١١) . وتشير الى ان « مصير الفلسطينيين والضفة الغربية هو الحاجز . هل سيقام سلام منفصل . عندنا اي حل لن يعني سوى سحق الحركة الفلسطينية ؟ » (١٧-١١) .

مجلة لو نوفال اويسرفاتور (١٢-٥) تواجه هذه التساؤلات المعلقة بأبوة عكسية ، ففي مقابلة طويلة مع منديس فرانس (الذي ابرزته الصحافة الفرنسية كأحد اهم صانعي هذا اللقاء) يصرح : « يلتقي الاسرائيليون والمصريون على رفض اعادة ادخال السوفيات في حل مشكلة الشرق الاوسط . نشاهد صعود الدول الصغيرة والمتوسطة ضد الدول الكبر . لقد شبعوا من استخدامهم من قبل الدول الكبرى . ويدركون انه من الافضل معالجة مصالحهم بأنفسهم » .

أما الاكسبريس فهي اكثر صراحة : « لقد ادركت مصر والعربية السعودية انه يجب عليهما دخول المعسكر الرأسمالي ، في سبيل الوصول الى التقدم والازدهار » .

وكانت الزيارة

لن نعود الى الشغف العاطفي الذي قدمت به « مهمة السادات المقدسة » ، لكن يبدو من الضروري الإشارة الى عنصرين اساسيين :

١ - اللطف الذي ميز الصحف الفرنسية في سكوتها على الاهانات المتعددة التي وجهت الى السادات . فعبارة ملك المغرب حول « العبقرية اليهودية ، والامكانيات العربية » تحولت في خطاب بيغن امام الكنيست الى « العبقرية اليهودية والمال العربي » الى ان اصبحت في صفحات جميع الصحف الفرنسية « العبقرية اليهودية والعبقرية العربية » . تخصص لو فيغارو (٢٢-١١) زاوية للهدايا الرمزية المتبادلة ، لكنها لا تأتي على ذكر المكابيين : « هذا الشعب القليل العدد الذي انتصر على شعب كثير العدد » . مبعوث صحيفة لو مؤند اريك رولو ، هو الوحيد الذي يكتب عن « الاهانة » الكبيرة التي وجهت للسادات وهو يصل الى القدس في ظل حماية اسرائيلية قوية . « بينما تعلن الاذاعة عن قيام اسرائيل بحملة اعتقالات وقائية في صفوف الفلسطينيين » (٢٢-١١) .

٢ - الكتمان الذي ووجهت به تدابير الامن الاسرائيلية المتروية . وبين جميع التحقيقات التي عادت بنا الى اجداد الابطال وغرامياتهم وعائلاتهم ، لا يوجد اي تحقيق يقدم صورة

شاملة لهذه التدابير . لذلك يجب علينا التقاط هذه التفاصيل من داخل المواضيع المختلفة، اذا اردنا ان نكتشف جانبا من « الامل والقلق » لسكان الضفة الغربية . « منذ صباح السبت والقدس تأخذ معالم مدينة في حالة حصار . حوالي ١٠ الاف (٢٠ الف حسب لو فيغارو) رجل من الشرطة والقوات المسلحة تحتل المدينة وتقوم بدوريات في شوارعها الرئيسية وتفتش السائقين والمارة » (لو موند ٢٠-٢١/١١) . « جميع الطرق المؤدية الى القدس من اسرائيل او الضفة الغربية مغلقة » . (لو فيغارو ١٩-٢٠/١١) . « تلقى تجار الضفة تهديدا شديدا للهجة يقضي باقفال متاجرهم الى أجل غير مسمى في حال لجوئهم الى الاضراب » (لو موند ٢٠-٢١/١١) . والتدابير هي في الحدود الدنيا كما تقول مجلة الاكسپرس (٢٨-١١) . « عدد الموقوفين في القدس عشية وصول الرئيس هو ٤٤٣ شخصا . وهذا العدد ليس اكبر بكثير من عدد الذين تعتقلهم السلطات الفرنسية في حال زيارة ملك اسبانيا لباريس » .

لهذين العنصرين دلالة خاصة . لانهما يصبان في ترسيمة مسبقة لوصف الإستعراض الساداتي حيث :

- أ - اكثرية الفلسطينيين الساحقة ، بقيت هادئة ومسمرة في رغبتها العظيمة في السلام .
- ب - حماسة الاسرائيليين لا توصف .
- ج - الاستقبال الشعبي الحماسي الذي لقيه السادات في القاهرة .

١ - الفلسطينيون يؤيدون الزيارة !

حتى لحظة وصول طائرة السادات الى مطار اللد ، بقي الشك في احتمال الزيارة غالبا على الفلسطينيين . ثم اصبحوا « قلقين اكثر مما هم غاضبين » ، « حائرين » ، « مرتبكين » و « منقسمين » . . هذا اذا لم « يتمنوا مثل الاكثرية الساحقة من فلسطيني الضفة وغزة انضمام عرفات الى السادات » كما يؤكد غي سيبوتون في لو نوفيل اوبسرفاتور (٥-١٢) . لو فيغارو (٣٠-١١) تبرز ان « الاوساط الاسرائيلية المطلعة ترى ان اكثرية الفلسطينيين في المناطق المحتلة تؤيد السادات ، وتتهجه نحو فك تضامنها مع م.ت.ف. فالدعوة الى الاضراب لم تنفذ » . ومن معلومات لو فيغارو ايضا ان « عاملا من الخليل اعلن للاذاعة : بامكاني البقاء هنا حتى الغد وانا اصرخ سلام سلام » (١٩-٢٠/١١) . وفي تقديرها عن المظاهرة التي جرت امام الجامع الاقصى تقول ان « الجماهير لم تكن كلها معادية فالبعض يهتف : بالروح بالدم ، نفديك يا سادات !! والوضع كان هادئا امام كنيسة القيامة » . كما تشدد على مأزق رؤساء البلديات في الضفة عبر تضخيمها لاهمية وجهاء المنطقة . (٢١-١١) .

ولكن صحيفة لوموند هي الوحيدة التي تشير الى هجسوم البوليس على جماهير المتظاهرين امام كنيسة القيامة حيث جرت اعتقالات عديدة (٢٢-١١) . وتبين استحالة قيام تظاهرات اكثر تعبيراً ، نظرا لتدابير الامن المتخذة . ولكن حتى لوموند لم تشر الى الى احداث مجد الكروم وتظاهرة قلندية قرب القدس حيث قتل شاب برصاص احد المستوطنين الصهاينة .

ب - حماسة اليهود لا توصف .

ان وصف « الحماسة » و « الابتهاج » و « الانفعال » الذي لا مثيل له في صفوف اليهود في فلسطين ، لم يتطلب جهدا في المبالغة . يكفي وصف الرقص والزغاريد والبكاء والزينة . ولقد وصل الفرح والبهجة الى درجة دفعت بغولدا مثير الى التصريح الغاضب « لا السادات ليس مسيا » (لوفوفل اوبسرفاتور ٢٨-١١) . ولكن اذا لم يبالغ بالوصف ، فقد بقيت المعلومات ناقصة والاستنتاجات غائبة . فهذه المرة وفي جميع الصحف الفرنسية دون استثناء ، اشير الى ان انفجار الفرح هذا جرى في صفوف السفارديم الفقراء ، اليهود القادمين من البلاد العربية . « التصفيق في مداخل القدس : هم . الاعلام على زجاج السيارات : هم » (لوفوفل اوبسرفاتور ٢٨-١١) . « البعض يلقي ابياتا من الشعر ، والبعض الاخر يطلق الاغاني الشعبية باللغة العربية » . (باري ماتش ٢٢-١٢) . اما لوفيفارو (١٩-٢٠-١١) فتذهب بعيدا : « هناك تحرير جماعي لعقود مكبوتة منذ فترة طويلة دفعة واحدة ، اخذ البلد بأسره يتكلم العربية . هـذا ليس فولكلورا . هذه هي اسرائيل الشرق . نعم تقول جون افريك (٢-١٢) » ٦٥٪ من اليهود الاسرائيليين قدموا من البلاد العربية . ولهم ارتباطات عميقة بالثقافة العربية التي اصبحت ثقافة العدو .

والآخرون ؟ ماذا عن هؤلاء الذين يشكلون ٣٥٪ من « الشعب الاسرائيلي » . تشير لوفيفارو (١٩-٢٠-١١) الى « هذا اليهودي الفرنسي الذي قدم من مدينة ليون عام ١٩٤٦ من اجل اسرائيل والذي يصرخ يعيش مناخيم بيغن رئيس الارغون . وتبين لوفوفل اوبسرفاتور (٥-١٢) ان « اوساط المؤسسة هي اكثر تحفظا . فالذي تحرك هو الشعب ، الفقراء والسفارديم » .

ايس هؤلاء اليهود الفقراء ، الذين قدموا من البلاد العربية والتي اضطرت غولدا مثير الى تذكيرهم بان « مسيا لن يأتي من مصر » . هم عرب وينتمون الى الطائفة اليهودية . الم يكن بإمكانهم ان يعودوا الى انفسهم سيكولوجيا ويعودوا الى ثقافتهم العربية في فلسطين مستقلة ديموقراطية وعلمانية ؟

ج - الاستقبال الحماسي في القاهرة .

تبدي صحيفة لوموند (١٩-١١) قلقها من نتائج زيارة السادات « التي قام بها دون اي اعداد نفسي للجماهير . فنتائج العملية مرتبطة في نهاية المطاف بالوضع السياسي في مصر نفسها » . لكن يبدو ان الصحيفة على خطأ . فالجماهير المصرية معدة نفسيا ومعنويا وماديا لهذا الحدث ! وكذلك المرسلون الذين تدفقوا الى القاهرة ! الا اذا جرى نوع من اسقاط حماسة العرب ، اليهود على عرب القاهرة في اللحظة الاخيرة ، تأتي العناوين بالاحرف العريضة فوق صورة « بطل السلام » . « العودة المظفرة الى القاهرة » او « الخاتمة المتألقة للمهرجان » . مجلة الاكسپرس (٢٨-١١) تبدأ تقريرها بالعبارة التالية: « مليون ، مليونان ؟ لا يهم » . وفي العدد نفسه نقراً : « لقد ضمن السادات جميع وسائل النجاح ذهب الى اسرائيل يوم العيد . الادارات والمتاجر مغلقة ، وكذلك الجامعات والمدارس التي هي مكان التحريض التقليدي في العاصمة المصرية . اما في الجيش ، فقد تم ابعاد بعض العناصر المشاغبة » . وكانت الاكسپرس قد اشارت منذ اشهر قليلة ماضية ، الى ان القاهرة طلبت بعض الاخصائيين الاميركيين من اجل اعادة تنظيم وسائل

الاعلام . وفي عدد ١٢٥-١٢٤ تكتب : « لقد تعلم الصحفيون المصريون منذ امد بعيد . ممارسة الرقابة الذاتية ، برامج اذاعة دمشق مشوشة . اما اذاعة صوت فلسطين فقد الغيت » .

مجلة **الوئوفل اويسرفاتور** تقدم معلومات اكثر اهمية . لكنها من أجل البرهنة على « حدة التوق الشعبي الى السلام » ، فانها لا تمانع في القيام بعملية ايقاف الهرم على رأسه . تتساءل جوزيت عاليا (١١-٢٨) : « متى بدأ السادات يتحسس الملل من الحرب ؟ او الرغبة في التخلص منها ؟ عشية الفتن الدموية في يناير ، بعث بلجان الى جميع انحاء البلاد كي تشرح للقرويين بان سبب ارتفاع الاسعار يعود الى المجهود الحربي الذي لا يمكن الاستغناء عنه . وكان جواب الفلاحين ، فلنقلع عن الحرب اذن ، وقد وصلت ردة الفعل هذه الى السادات الذي التزم الصمت . . . » « صحيح انها لم تتكلم الا عن مئات الالوف من المتظاهرين ، لكنها مهدت لذلك بقولها : « ان المصريين قد سبق لها وتلقوا الصدمة النفسية عام ١٩٧٢ » . اما هذا التوق الى السلام فيصبح عند محمود حسين : « طالما يرقص الناس فرحا ويكون في القاهرة . . . فالمظاهرة السوسيدولوجية تتجاوز الزائرين ومستقبلهم وتضم سكان البلد الشعبيين » ! مجلة **لويوان** (١١-٢٨) تصف امل السلام لدى السكان ، كما تصف الاوتوبيسات والشاحنات التي تنقل الناس مجانا الى مسيرة النصر . « لكنها تعتبر ان مظاهرة السادات لم تكن « منظمة كما كان الحال في عهد عبد الناصر » .

لم تكن صحيفة **لوموند** ، وحيدة في تركيزها على أهمية الوضع السياسي الداخلي في مصر . فهذا العامل كان اساسيا في معظم التحليلات التي حاولت ان ترسم امكانيات تطور الموقف وخاصة في حالة التوصل الى اتفاق منفرد . ويمكننا ان نستخلص من هذه التحليلات الخطوط الاعلامية العريضة التي هيمنت على الاعلام المصري . يقول مراسل **لوموند** (١١-٢٩) ان « السائقين واصحاب الدكاكين وصغار الموظفين والبرجوازية الكبرى يستخدمون الحجة نفسها ، وكأنها درس اتقن بشكل جيد » . وترتكز حجتهم على محورين رئيسيين :

١ - ان اسباب الازمة الاقتصادية تقتصر على حالة الحرب . وقريبا مع السلام ، سوف يقوم اليهود المصريون والاسرائيليون باستثمار اموالهم في البلاد .

٢ - الفلسطينيون انانيون ولا يفكرون الا بانفسهم . ثم يظهر الاشمئزاز من نكبة الفلسطينيين التي دامت اكثر من اللازم تشير **الاكسبرس** (١٢-٥) الى ان عددا ممن الفلسطينيين ضربوا في شوارع القاهرة امام رجال الامن المصريين الذين لم يبدوا اكتراثا بالموضوع . موجة من العداوة للعروبة تجتاح البلاد . و « ديماجوجية السادات الذي « ينحني امام الشعب المصري » مضيفا عليه جميع الصفات الحسنة » (**لوموند** ١١-٢٩) تغذي هذه النزعة الاقليمية الضيقة . مراسل **لويغارو** (١١-٢٦) يردد المثل المتداول في القاهرة : « لا احد يمكنه منع مصر من صنع السلام » .

لا تشير الصحف الفرنسية الا الى معارضة بعض المثقفين ، وبعض الاسماء المرتبطة بالماضي الناصري : هيكل ، خالد محي الدين ، لا احد يتكلم عن قواعد حزب التجمع . الفلاحون ؟ لا يرد ذكرهم . وحلوان ؟ والضواحي العمالية ؟ هل جرى فيها كما جرى في القدس ، حالة حصار ، مناطق محرمة ام ماذا ؟

لا تظهر الصحافة الا ردات فعل القطاع الثالث : « ان الفرد المتوسط هو اكثر ميلا لقبول اي حل يتفادى به الحرب » (**لوموند** ١١-٢٠-٢١) .

حين تقصر الصحافة الفرنسية ، المعارضة ، على بعض رفاق ناصر القدامى ، وبعض المثقفين والجامعيين المسؤولين عن كتابات الحائط في مصر : « السادات خائن » . فانها تبدو اكثر تفاؤلا من السلطات الرسمية نفسها .

جميع وسائل الاعلام الفرنسية تشير الى الوجود المكثف للشرطة الرسمية والسرية . وهذا في النهاية هو في صميم التراث العربي ولا يمثل موقفا لا ديموقراطيا ! تشير الصحف المصرية الى « الغاء الاجازات في صفوف رجال الشرطة بمناسبة الاعياد لمراقبة الاسعار » . وتشير ايضا الى اعتقالات تقوم بها الشرطة ، شبكة دعاة ، حشيش ، ادت الى اعتقال الف شخص في احد احياء القاهرة ، كما ان عصابة سرقة قادت ٤٥٠ شخصا الى المعتقل .

مجلة شارمي - ايدو (يسارية ومعارضة للسادات) تذكر في افتتاحية عدد ٢٨-١١ بعودة رئيس وزراء فرنسا دالادين بعد انتهاء مؤتمر ميونيخ (الذي اكد السلام والاستسلام امام هتلر قبل ايام معدودة من نشوب الحرب العالمية الثانية) . استقبلته جماهير غفيرة لم يكن ينتظرها . الى درجة انه قال بدهشة : « يا لهم من اغبياء ! »

اما بالنسبة لردات فعل الجماهير العربية . فهناك بشكل عام اتجاه واضح للتشكيك بها ان لم يكن لتقليصها . لوموند تغطي المسيرات والاحتجاجات ، لكن التغطية تكتب باحرف صغيرة جدا . وتصرح النوفل اويسرفاتور (٥-١٢) . « الذين يصرخون عاليا يملكون جميع امكانيات التعبير من اذاعة وصحافة ! اما الذين يفكرون بشكل اخر فهم محرومون منها » . اما لوفيفارو (١٤-١١) فتؤكد : « بامكان السادات ان يرتاح . فالخطوة المصرية لم تعلن الفضيحة المنتظرة » .

اما بالنسبة لموقف الحكومات العربية ، فان قمة طرابلس ليست اكثر من « فانتازيا عربية » . لها طابع فولكلوري غير فعال (لوفيفارو ٢٩-١١) . طبعا هذا لا يمنح المحليين في الصحف اليمينية من اعتبار الرفض « هو العامل الاساسي الذي يقف حاجزا امام اي تنازل اسرائيلي بالنسبة للحقوق الفلسطينية التي يمكنها اعادة طرح السؤال التالي على المدى البعيد : هل يمكن لليهود البقاء في الشرق الاوسط ؟ » (لوفيفارو ٢٢-١١) .

« سوريا ترفض اجتياز العتبة خوفا من ضياع طابعها العربي البعثي الثوري » (لوفيفارو ٢٩-١١) و « سوريا تعلم ايضا انها لن تستعيد الا جزءا صغيرا من الجولان . فهل تستحق اللعبة حرق هذه الورقة بينما لا يزال في حوزة سوريا ، بوجود وضع جنوب لبنان ووجود الفدائيين ، ورقة ضغط دبلوماسية لا تكلفها شيئا » . (لوفيفارو ١١-١١) والاسد يعلم ان « سوريا لا يمكنها ان تبش الحرب وحيدة حتى ولو ايدها الآخرون بحرارة » (لوموند ٦-١٢) . كما ان القاهرة لن تأخذ بعين الاعتبار وضع دمشق « من اجل توكيد دورها القيادي وتفوق مصر الطبيعي في العالم العربي . . . كما يمكن استعادة سوريا رغم كل شيء » (لوموند ٧-١٢) . و بانتظار تطور الوضع ، تكتب الاكسبريس (٢٠-١١) « لقد اصبحت الدبلوماسية السعودية من اكبر الدبلوماسيات في العالم . وهي تعي بعمق مدى مأساة التخلف في المنطقة ! ! »

وبالنسبة لمنظمة التحرير الفلسطينية . فبالاضافة الى التقارير حول مشاكلها وتأرجحها ومواقفها ، يتصاعد في الصحف الفرنسية تيار يشكك بصفاتها التمثيلية التي كانت مكتسبة قبل « الزيارة » . لذلك كان يمكن ان تنعت كما كتب روجيه اسكو (لوموند ٢٣-١١) انها : « مجموعة اليأس المنظم والمؤيدون المتحمسون لنهاية العالم » . لكن ، وبعد ان

« اسقط » اسم م٠ت٠ف٠ من خطاب السادات ، بدأت اسرائيل تركز على انخفاض نفوذ م٠ت٠ف٠ (لوموند ٢٦-١١) . او كما يشير غي سيبتون ، المبعوث الخاص لمجلة لوموند اويسرفاتور (١٢-٥) « اذا قلنا للاسرائيليين ان الحكومات العربية تعتبر م٠ت٠ف٠ الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، يجيبون بعدم اكتراث ، هل تظن ذلك حقا ؟ نحن نعرف الكثيرين من اهالي الضفة الذين لا يحبون عرفات كثيرا » .

في العدد نفسه نقراً هذا التحليل العميق : « نتج عن تطور الامور منذ سنوات ان اخذت م٠ت٠ف٠ تبرز اكثر فأكثر كالناطق باسم الفلسطينيين . لا أقول ان لها صفة « تمثيلية » . لانه لم يتم التصويت على اختيار قادتها . لا اعتقد ان م٠ت٠ف٠ تمثل وحدها مجموع السكان الفلسطينيين . هناك اناس لا يؤيدونها . يقول الملك حسين . ولا نشك ان لديه اتصالات - انه اذا تمت انتخابات شعبية حرة تماما ، سيحصل على اكثرية مؤيدة له٠٠ »

طبعا ، الديموقراطية تعبر عن نفسها عن طريق اوراق الاقتراع ، ولا يمكن ان نعتبر شهادة النضال والسجون والاستشهاد جوابا للاختيار الشعبي .

مجلة الاكسپرس تصب في نفس التيار . فتكتب في عدد ١٨١-٢٠ : « انها اي م٠ت٠ف٠ تمثل بشكل خاص فلسطيني المهجر : الفقراء في مخيمات لبنان . هؤلاء الذين يعيشون بصعوبة في سوريا او التلعين الشباب الذين وجدوا عملا في امارات الخليج الفارسي ، اي حوالي ٣٥٠ الف شخصا . المليونان الباقيان هم في الضفة والاردن وقطاع غزة وهم على اتصال دائم مع الاسرائيليين . حتى فلسطيني الاردن - نتيجة سياسة الجسور المفتوحة الجريئة التي اصر عليها دايان - تعلموا على معرفة الاسرائيليين » .

ولكن حين يبتهج تيار في الصحافة « بان الخاسر الكبير الان هو السيد عرفات » بأسف تيار آخر لان اعادة توحيد اجنحة المقاومة تم على اساس المبادئ المتطرفة في الحركة .

ومفاوضو السادات المباشرون ؟ في بادئ الامر ، وداخل فرح المعجزة شددت الصحف على « حلم بيغن بدخول التاريخ مثل بن غوريون » . ولكن ينكر اريك رولو (لوموند ١٩-١١) : « يؤكد الكثيرون ان قائد حزب ليكود لن يتخلى ابدا عن منطقة يعتبرها جزءا لا يتجزأ من ارض اسرائيل » . اطلق بيغن دعوته للسادات « بعد استشارة موشي دايان فقط (عربي الحكومة) » (الاكسپرس ٢١-١١) . ولكن التناقض سينجلي باكرا بين الحماسة الشعبية ، حتى التيار المتدين المتطرف . يعترف الان بالوجود الفلسطيني ويريد حل مشكلته يعون الله » (الاكسپرس ٢٨-١) . وتصلب زعيم ليكود : صحيفة لوموند تقول في تقييمها لنتائج الزيارة انها « اضعفت على الحزب العمالي شبابا جديدا » (٢٢-١١) . نقراً احد عناوينها : « خلافات قد تظهر في ائتلاف بيغن » (٢٦-١١) . مندوب حزب مايمام فسي فرنسا يعتبر انه « كان على بيغن ان يقوم ولو بانفتاح على مشكلة الفلسطينيين المركزية » (٣٠-١١) . هل يتمكن بيغن من عدم اخذ شعبية السادات في اسرائيل بعين الاعتبار « روح ٢٠ نوفمبر » كما يدعي كاتب افتتاحية لوفيفارو (٢١-١١) « التيار الذي امتد بيبين السادات ورجل الشارع في اسرائيل . . . هل يمكن ان تبقى هذه الكلمات ، هذه الافعال . . . دون نتيجة ؟ » (لوماتان ٢٢-١١) . هل يمكن القول بعد الان للاسرائيليين : هذا الرجل هو عدونا . يجب محاربته بجميع الوسائل ؟ » (لوفيفارو ١٩-٢٠-١١) . تبين لوفيفارو في افتتاحية يوم ٢٥-١١ ، التناقضات في المواقف الاسرائيلية تصلب السيد بن اليسار وموقف دايان من الاراضي المحتلة . ولكن بن اليسار هو الذي اختير مبعوثا لمؤتمر القاهرة . « لا شك ان الاسرائيليين يتهاون للذهاب الى القاهرة ليس بوصفهم ملائكة

السلام بل كدبلوماسيين دهاء « وشيئا فشيئا تستعيد الصحافة نفسها : » ان الاجماع الاسرائيلي لن يتزعزع : لا دولة فلسطينية ، لا اعتراف بمنظمة التحرير « لا انسحاب شامل » (لوفيفارو ١٢-٧) والامل يضعف . لذلك يضطرون للبحث عن « مؤشرات » ، المراهنة على « اتفاقات سرية » . الامل في « وعود اميركية » تبرز لوموند يوم ٣٠-١١ ان نقاط استيطان جديدة تركز في بيت خورون وغيفون بينما تستأنف المحادثات المصرية - الاسرائيلية .

و « روح ٢٠ نوفمبر » ، النصر الوحيد - النفسي صحيح - الذي سجله السادات . يبدو ان الانتصارات من هذا النوع تستوعب بسرعة وبيغن هو الذي يقطف ثمارها : يقول مراسل لوفيفارو ان « الشعب الاسرائيلي وهو الاكثر انقساماً على الصعيد السياسي في العالم ، هو اليوم كرجل واحد وراء رئيس حكومته » ويضيف مراسل لوموند : « بيغن هو الرابع الاكبر ٠٠٠ صحيح ان خطاب السادات زعزع جزءاً من الرأي العام الاسرائيلي ٠٠٠ ولكن زعيم ليكود عبر بعثه لعواقب جروح الماضي ، يمكنه الآن تبرير تصلبه الحاضر بسهولة » .

وبدا الممثلون الرسميون او غير الرسميين لاسرائيل ، يقدمون في الصحافة الفرنسية الحجج التي تهدف الى دعم الموقف المتصلب الاسرائيلي ، يفسر الاستاذ في القانون الدولي العام ، دافيد روزين ، قرار ٢٤٢ في صحيفة لوفيفارو (١٢-٢) فيؤكد « ان هذا القرار لا يتضمن اولوية انسحاب القوات الاسرائيلية بالنسبة لتاريخ الاعتراف بدولة اسرائيل وحققها في الحدود الامنة ٠٠٠ كما ان منطلق هذا القرار يمنعنا من اعتبار حدود ٦٧-٦٤ بمثابة حدود آمنة .

ترتكز هذه الحملة على النقاط الآتية :

- تنازل السادات لا اهمية له اذا لم نقل انه عديم الجدوى .
 - اعادة طرح مشكلة الصراع العربي الاسرائيلي في مقولات جديدة .
 - ومن ثم عرض جدول تنازلات للعرب بصورة عامة ولمصر بصورة خاصة .
- ففي عدد لوفيفارو بتاريخ ٢١-١١ ، ترفض آني كريغل معطيات الصراع كما اعتمدتها المنظمات الدولية والقوى العظمى فالصراع لا يدور حول شرعية قوميتين بل بين امتين : الامة اليهودية والامة العربية . بالتالي ، ليس هناك مشكلة فلسطينية ولا نحتاج الا الى اعتراف متبادل بين «الاسلام العربي واسرائيل اليهودية» .
- وتعيد الكرة في ٣٠-١١ . « المنطق الصحيح هو في تعايش امتين يهودية وعربية » . ستاتي التنازلات ولكن يجب الا نخطيء في موعد هذه التنازلات لان مرحلة الاعتراف بالشرعية لن تنتهي » .

وايضا في صحيفة لوفيفارو يكتب الفرد فابر - لوس مقالا (وقد يكون هو نفسه الذي كتب تحت امضاء « قول جنيفسكي » . بتاريخ ١٨-٨-٧٧ في نفس الصحيفة مقالا يتنبأ بحرب خامسة في الشرق الاوسط يشنها العرب انطلاقاً من العربية السعودية بصواريخ اميركية ، وقيل في حينه انه عميل رسمي اسرائيلي في فرنسا) . يكتب حرفياً :

« لقد كتبت الصحافة العالمية عن الحدث وكأن الرئيس السادات اتى الى القدس بتنازلات . لكنه لم يقدم اي تنازل الا في وجوده حتى انه بإمكاننا ان نذكر انه جاء الى

العاصمة الاسرائيلية وطالب الاسرائيليين بجزء من هذه العاصمة « (١٢-٦) . البيرر ستارا ، المبعوث العام لحزب ليكود في فرنسا يتناول الموضوع نفسه في « المنبر الدولي » لصحيفة لوموند (١١-٢٤) : « ويهدد ضمنا : » . قيل الكثير في موضوع الفائدة التي حققها اسرائيل ، ولكن اغفل كون هذه الخاتمة تحرر القاهرة من فرضية قاتلة ومدمرة » .

إذا ، ماذا يجب ان يفعل العرب حتى يصبح السلام ممكنا ؟

١ - يجب ان نتكلم دول الرفض كما تكلم السادات . (والا شكل اي اعتراف بالفلسطينيين خطرا اكيدا وليس فقط احتمالا على الدولة العبرية . فابر ، لوس ، لوفيفارو (١١-٢٢) . وهذا يعني ان على الاتحاد السوفياتي ان يبقى خارج الاتفاق ، والا « ما الذي يضمن ان تصبح الدولة الفلسطينية قاعدة للكرملين » (ب . واجسمان . لوفيفارو (١١-١٨) .

٢ - يجب ان يتكلم عرفات كما تكلم السادات .

اي ان عليه ، كما يقول ممثل المابام في فرنسا عبر « منبر » لوموند (١١-١٩) ، « ان يخطو خطوات بسيطة ، كتعديل الميثاق الوطني الفلسطيني . كما يطالب بهذا التعديل روجيه اسكو عضو امانة سر مجموعة الدراسات والابحاث الصهيونية الاشتراكية في فرنسا (« آراء حرة » لوموند ١١-٢٣) ينصح رئيس تحرير مجلة لوفونفل اوبسرفاتور في افتتاحية عدد ١١-٢٨ : « فتح الرئيس السادات الطريق . وعلى الفلسطينيين ان يستغلوا الفرصة المتاحة امامهم بدلا من ان يسخطوا ويستقروا في رفاهية جمودهم المتطرفة » (!) عندها فقط يقول ريمون آرون في عدد الاكسپرس (١١-٨٢) « يتمكن بيغن من التحدث الى الفلسطينيين » اي فلسطينيين ؟ يضيف هذا المفكر الفرنسي الشهير :

« ليس مع ممثلي منظمة مسؤولة عن ارض غير محددة الحدود ، وليس مع ممثلي شعب موزع في عدد كبير من الدول العربية والذي لن يتجمع في الضفة الغربية » .

اضافة الى ذلك يذكر فابر - لوس ان الفلسطينيين غير موحدين في تطلعاتهم الى دولة . ومن ناحية اخرى فهم يتواجدون في عدة دول عربية لكل منها اتجاهاتها السياسية اذا هناك استحالة تطبيق مبدأ تقرير المصير .

فما هو اذا الحل بعد الخضوع للشرطين السابقين ؟ يأتي الجواب مبهما : « . . . ليست اهانة للشعب الفلسطيني اذا بحثنا عن وطن لهم يكفي ليكون قابلا للحياة ومتوازنا حتى لا يصبح محبا للحرب . في اردتنا باعادة تنظيم العالم الى وحدات اكثر فاكثر سلامة ، سوف ننتهي الى التحسر على النمسا وتركيا العصور الماضية حيث كانت شعوب ذات اعراق مختلفة تعيش بنوع من التسامح المتبادل . هذا الماضي قد ولى . ولكن ليس علينا ان نكون مصريين اكثر من مصر وعربا اكثر من العربية السعودية » .

اي بتعبير آخر ، لا يبقى امام الفلسطينيين بعد ان تحقق التنازلات العربية المطلوبة ، الا الاندماج في العالم العربي الفسيح .

واذا لم يتحقق هذان الشرطان ؟ هناك المجابهة . المخرج الوحيد هو في الحل المنفرد الذي يكون « مؤسفا » بالنسبة لاسرائيل ، ولكن هذه الحالة ايضا بحثت في جدول التنازلات : « يجب ان تعطي الضمانات أو تؤخذ ، ضد اي امكانية تخريب للاتفاق . » (لوفيفارو

١١-٢٢) ومن هذا المنظور ، وفي مقال له في تاريخ ٦-١٢ يجيب فابر - لوس على السؤال : « ما هي السياسة التي يجب ان تتبعها فرنسا اذا ارادت ان تلعب دورا في السلام » ، ينصحها « الاتقف امام امكانية حل منفصل لان هذا يعني اعتبار موافقة جميع الدول العربية لا بد منها وبالتالي تعرض اتفاق ممكن الى « فيتو » اي متطرف كان » .

ولكن ربما كان لوقف فرنسا من الاتفاق المنفرد دوافع اخرى : فالاستقلالية التي اظهرتها تجاه الولايات المتحدة اثر اصدار تصريح السوق الاوروبية المشتركة ، ستسمح لها بان تلعب دورا فيما بعد دون ان تتهم بالتحيز او الانتزاع بطرف واحد . (لو فيغارو ٢٦-٢٧-١١) .

ما هو دور القوتين العظميين ؟ وما هو هدف التحركات الحالية ؟

في بادئ الامر ، جرى التشديد على شجاعة السادات ليس فقط في مواجهة رصاص « القنلة » العرب بل ايضا في تحرره من وصاية القوى العظمى . « كلاهما غير راض عن وجوده خارج اللعبة » . « الاتحاد السوفياتي سيفعل كل ما في وسعه لتعطيل قنبلة السلام » . « ان مواقف سوريا و م . ت . ف . تأمر بها الكرملين » وهكذا يصبح تأجيل مؤتمر القاهرة « عملية نسف سياسة السادات التي تجاوزت الحد المسموح به في الاستقلالية » . « ان غيظ كارتر هو الذي دفعه الى كسر ديناميكية السادات » . او اذا كانت هذه الخطوة في سبيل مساعدته فذلك « لانه رأى انها ستكون مخرجا من مشاكله الداخلية » .

ولكن يبدو ان هذا الفرع في ان « يستلم الصغار مشاكلهم بانفسهم » جاء قبل اوانه . فسرعان ما اعترفوا : « لن يحل السلام في المنطقة دون مباركة القوتين العظميين » . وانطلاقا من هنا حاولت الصحافة الفرنسية فك الخيوط المعقدة في اطار التوازن الصعب للوفاق الدولي ، وتقديم الاحتمالات .

في افتتاحية لوثول اوبسرفاتور (٢٨-١١) يحدد جان دانيال خط كارتر السياسي في المنطقة ، معتمدا على كتابات صدرت سابقا لبعض معاونيه الحاليين ، بنقاط اربع : ١ - لا اتفاق ولا محادثات جانبية قبل مؤتمر جنيف ٢٠ - لا سلام منفرد يغيظ الاتحاد السوفياتي وحلفاءه العرب في المنطقة ٣٠ - لا استبعاد للفلسطينيين حتى لو اضطر الى التخلي مؤقتا عن ذكر م . ت . ف . ، ٤ - البحث عن صيغة للتمثيل الفلسطيني في جنيف ترضى سوريا والاردن و م . ت . ف .

ولكن مع تصلب الاسرائيليين ، اصبح افق جنيف مسدودا . فكانت مبادرة السادات يقدم ب . م . دولاغورس في افتتاحية لوفيفارو يوم ٥-١٢ التحليل التالي : « لا شك ان الزيارة اعدت ونوقشت بين المسؤولين الاميركيين والمصريين ، ولكن البيت الابيض تردد بين امكانيتين :

- ١ - ستقدم اسرائيل تنازلات ، حينئذ يسهل اسكات الراضين العرب .
 - ٢ - لا شيء يشير الى ان اسرائيل مستعدة لتقديم اي تنازل ، فينتج عن الخطوة هذه ، اعادة ادخال الاتحاد السوفياتي بقوة في المنطقة ، وتفاقم خطر الصراع المفتوح .
- وتردد واشنطن هذا قد يفسر استقالة فهمي ورياض وتحفظات الملكة العربية السعودية

اما خطوة السادات الثانية والتي كان كارتر على علم بتفاصيلها هذه المرة ، فكانت تقديم تنازلات « لا يعقل » ان تقدم لاسرائيل ، لذلك ظهر كارتر بنفسه على شاشة التلفزيون ليعلن التأخير معطيا بذلك حجما لدور الولايات المتحدة الاساسي .

كيف نفسر هذا التحفظ الاميركي على مؤتمر القاهرة ؟

هل هو في سبيل « ضم الدول العربية التي لا تزال متأرجحة اليه ؟ » او « لاقناع بعض الفلسطينيين بالتوجه الى القاهرة ؟ » او « لتتمكن من ممارسة الضغوط على اسرائيل ؟ »

مجلة لوبوان ٥-١٢ تعطي التحليل الاتي : « سبب التأجيل الاميركي هو خوف اميركا على سقوط مشروع السادات فاميركا لا تستطيع ازاحة الاتحاد السوفياتي . كارتر يواجه ضغوطا متناقضة :

- فانس وزبيج يريدان تأجيل مؤتمر القاهرة .

- موندال وهاملتون يطالبان بالوقوف الصريح الى جانب السادات حفاظا على تأييد الطائفة اليهودية الاميركية .

ويبدو ان كارتر اختار الحل الوسط : اقناع الاتحاد السوفياتي بالرجوع عن قرار المقاطعة ، ضم العربية السعودية ، التأثير على سوريا .

صحيفة لوموند ترى الامور بصورة مختلفة نوعا ما فنقرأ في عدد ٣٠-١١ . يوضح السادات الولايات المتحدة امام تواتر سريع . وتأتي حيرة البيت الابيض من الاهتمامات المتناقضة التي تحدد موقفه :

١ - السادات هو افضل صديق للولايات المتحدة في العالم العربي ، لا يمكن التخلي عنه في هذا الوضع الصعب ، يجب الا يفشل (تعلق لوموند على هذه النقطة قائلة « من المفروض ان ينتج عن هذا الموقف تنازلات اسرائيلية ، ولكن واشنطن على ما يبدو ، هي اما غير قادرة او غير راغبة في الضغط بهذا الاتجاه ») .

٢ - لا تستطيع الولايات المتحدة اهمال الشركاء الاخرين المهتمين في مؤتمر جنيف : الاتحاد السوفياتي ، سوريا ، الاردن وقد يترتب عن انقسام الجبهة العربية بشكل مأساوي نتائج سيئة جدا ليس فقط بالنسبة لجنيف بل ايضا بالنسبة للسادات .

ومؤتمر القاهرة يطرح هذا المأزق بوضوح ، هناك تيار يقول بان كارتر في الموقف الذي اتخذه للخروج من هذا المأزق ، اختار الخط المتصلب . كان بإمكانه ان يبعث « بمراقب » الى القاهرة وان يخفف من التصريحات المشجعة . ولكنه يعلم ان « الرفض » العربي لا يمكنه ان يقوم بأي شيء على الصعيد العسكري وهذه الجبهة مفككة . ومن ناحية اخرى يعتبر ان الاتحاد السوفياتي الذي يشجع هذه الجبهة لم يكن على مستوى مسؤولياته بوصفه رئيسا مشاركا لمؤتمر جنيف . لذلك رفع مستوى مثله الى القاهرة .

صحيفة لوفيفارو (٢٨-١١) كانت قد انذرت بخطورة هذا الخيار الغامر ، بالنسبة لها ، التيار الاخر هو الذي ينتصر . فسياسة كارتر في الاشهر الاخيرة لم ينتج عنها شيئا . واميركا صبت جهودها كلها من اجل اعادة انخال الاتحاد السوفياتي فسي المباحثات . فاذا فشل مؤتمر القاهرة ، يكون قد عاد كارتر الى الوراء الى نقطة ابعد

من تلك التي كان فيها . لذلك بعض المؤشرات تلمح الى ان الولايات المتحدة تعمل فسي الكواليس لمساعدة مصر من اجل الخروج من العزلة . « يتساءل البعض اذا لم يكن تصريح السادات لشركة سي . بي . اس الاميركية ، حيث يؤكد ان م . ت . ف . ستدعى هي ايضا الى القاهرة ، هو مقدمة اتفاق صلح منفرد اذا وجدت مصر وحدها مع اسرائيل في جنيف . نتيجة لضغوط واشنطن » .

سياسة الاتحاد السوفياتي اكثر بطءا وسرية .

صحيفة لو فيغارو (٢٨-١١) تعلن عن وجود اوساط تتكلم عن اتفاق سري اميركي - سوفياتي . « هناك غموض في موقف الاتحاد السوفياتي تجاه جبهة الرفض الجديدة » . « على كل ، يبدو ان الاتحاد السوفياتي لا يريد اتخاذ موقف سلبي يسد امكانيات الذهاب الى جنيف » . صحيفة لوموند (٢١-١١) لا تبتعد عن الاحتمال الذي يقول ان الاتحاد السوفياتي هو في صدد مراجعة عامة لسياسته في الشرق الاوسط . فموقفه دقيق جدا : اذا فشلت جنيف لم يعد للاتحاد السوفياتي في المنطقة الام . ت . ف (ولا يستطيع اعتبارها حليفا كاملا) وسوريا (وهي شريك صعب) . ولكن موسكو غير متأكدة من فشل السادات والا لكانت ادانتها له اكثر عنفا . فهي اذا « مضطرة الى ابداء حزم في مواقفها كي تكتل من حولها الدول المناهضة للسادات فيما لا تقوم بشيء يمكن ان يعرض فرصة مشاركتها في التسوية للخطر » .

بصورة عامة ، يبدو ان الرأي السائد في الصحافة الفرنسية اكثر تشاؤما من رأي الاتحاد السوفياتي ، والرسوم الكاريكاتورية تعبر عن هذا الاتجاه . والى جانب نداء سارتر (لوموند ١٢-٥) ، تدعو كل الصحافة ، في مختلف تحليلاتها وزواياها ، اسرائيل الى « اغتنام الفرصة التاريخية » . « لماذا لا يحقق السلام دون التوقيع عليه . . لماذا لا تنسحب اسرائيل مثلا ٥٠ كم من سيناء » (اندريه فروسار . لوفيفارو ٢٣-١١) . « ان شرف اسرائيل هو في قبول تحدي السلام بعد ان قبلت منتصرة ، تحدي اربع حروب » (الاكسبرس ٢١-١١) . « يجب ان يفهم الاسرائيليون ضرورة التنازلات » (لوموند ٣-١٢) . « فالكرة في ملعب الفريق الاسرائيلي » و « خط الانقسام لم يتحدد بعد عند الفريق العربي . . . فالامر يتعلق بالاجوبة الاسرائيلية » . « فهل يتصرف بيغن بحيث يصبح اللقاء ليس فقط اندفاعا عاطفيا بل بداية العقل » ؟

في زاوية « آراء حرة » (لوموند ٢٥-١١) يجيب مدير شركة : « رفض بيغن ان يتعامل مع العقلاء . جيد جدا : سيتعامل مع المجانين » . افتتاحية مجلة لويوان (٢٨-١١) تدعو اسرائيل الى « الاختيار الممزق » : فحظره الاعتراف بحقوق « الشعب العربي في فلسطين » بوطن له ان لم يكن بدولة سيده ، ليس جسيما » . « لا يرغب اي بلد عربي في اقامة « دولة م . ت . ف . » يسارية ومحاربة . فالرهان ممزق حقا ولكن الرهان الاخر يشبه اختيار السجن الى مدى الحياة » .

رأينا ان افتتاحيات الصحف عبرت منذ البداية عن تحفظها وحتى شكوكها في امكانية التخفيف او التأثير على التصلب الاسرائيلي ، ولكن الامل كان في جنيف . حتى ان بعضهم تكلم عن تاريخ الجلسة الافتتاحية . ولكن جنيف يبتعد اكثر ، او على الاقل يفرغ من مضمونه . ومراسم الصلح المنفرد تتأكد .

مراسل لوفونفل اويسرفانور في اسرائيل كان قد ارتقب امكانية الحل المنفرد كساحد

المخططات الممكنة في عدد ٢١-١١ الذي صدر قبل الزيارة . وفي ٢٨-١١ يلاحظ المبعوث الخاص لصحيفة لوفيفارو ان تصريح بيغن حيث يؤكد ان الحادثات ستجري في القاهرة حتى لو لم يأت احد القاهرة غيرهما ، ينسخ بتواز مقلق حديث السادات الى الاي . بي . سي ، « اي بتعبير اخر تدخل اسرائيل ومصر بعزم على طريق التسوية المنفردة » .

يصل اريك رولو (لوموند ٢٩-١١) الى الاستنتاجات نفسها : « مصر تهجم نحو الصلح المنفرد » « فكرة الصلح المنفرد تشق طريقها في الرأي العام » . هل تحت الولايات المتحدة مصر على توقيع حل منفرد ؟ في تحليل احديث كارتر تستنتج لوموند (٣-١٢) ان كارتر يرتضي بسلام منفرد » . صحيفة لورور (٦-١٢) تكتب نقلا عن اوساط دايان : « تحتفظ مصر بخيارات بديلة بما فيها الاتفاق المنفرد » .

ولكن الاتفاق المنفرد لا يتم بهذه السهولة . تذكر افتتاحية لوفيفارو (٢٨-١١) ان في هذه الحالة ايضا : « على اسرائيل ان تختار ، لان السادات يتخلى عن م . ت . ف . ولكن لا يتخلى عن وجود حل للمشكلة الفلسطينية » . وتذكر الاكسبريس (٥-١٢) ان « حوالي ٨٠٠ الف مصري يعملون في العالم العربي وينقلون يوميا ٢٥ مليون دولار اي اكثر من المدخول اليومي لقناة السويس ومن الصعب ان تواجه مصر مقاطعة عربية » . في مقابلة في لوفوفل اويسرفاتور (٢١-١١) يقول ناحوم غولدمان (الرئيس السابق للمؤتمر اليهودي العالمي) : « لن تذهب مصر وحيدة الى جنيف ولن تقبل توقيع السلام المنفرد . فالسادات اذا فعل ذلك اما يقتل او يقرب . ويبغى لن يقبل باعطاء وطن للفلسطينيين » . فيستنتج ضرورة تدخل القوى العظمى .

وترتفع اللهجة من القلق الى الخوف :

في بادئ الامر ومع « الزيارة » كان من الممكن التحدث عن « لعبة البوكر » ، عن « مناورة سياسية لاجتذاب الرأي العام العالمي » ، عن « تكبيد اسرائيل هزيمة دبلوماسية لا مثيل لها » . ولكن بعد « الدعوة » . « الوفاق الدولي في خطر ان يتزعزع اذ اقرر الاتحاد السوفياتي تصعيد تأييده لجبهة الرفض ، سيجابة قريبا جدا الولايات المتحدة » . (ر . لاكونتر - لوفيفارو ٢٨-١١) .

لوموند (٦-١٢) « ان امكانية المناوشات المرتقبة في جنوبي لبنان ستضع النظام السوري وتحالف طرابلس الغرب في خطر ولكنها ايضا تهدد باشعال الحريق في كل المنطقة » .

لويوان (٢٨-١١) تضعنا امام ثلاثة احتمالات : ١ - هناك تنازلات اسرائيلية ، تبدأ عملية الصلح ، ٢ - السادات لا يحصل على شيء : نحن امام امكانية نشوب حرب اما بمبادرة السادات البائس او بمبادرة اسرائيل . للتخفيف عن السادات من الحاجز السوري- الفلسطيني ، ٣ - اهتراء الوضع - عمليات فدائية - غارات تأديبية اسرائيلية على لبنان مجابهة بين القوى الكبرى .

ولكن الى جانب سيناريوهات الحرب ، ترسم مخططات التسوية . قبل « الزيارة » ، كانت التصورات على هذا النحو :

- الاتفاق على وفد فلسطيني الى جنيف يرأسه استاذ اميركي اصله فلسطيني تؤيده

- اعادة السيادة المصرية على شرم الشيخ ومن ثم « تأجيله لمدة ٢٠ - ٢٥ سنة »
والانسحاب الكامل من سيناء .

- الاتفاق حول حدود الانسحاب من الجولان (لونوفل اويسرفاتور ٢١-١١) .

بعد الزيارة ، وفي اطار جدول التنازلات المطروح على الامة العربية « بعضهم يستبشر خيرا بعدم قدوم الفلسطينيين الى القاهرة حتى لا « ينزعج » الاسرائيليون » (لوموند - ٢٠-١٢) ، وتلتقي الصفة التمثيلية « للمهاجرين » الفلسطينيين ، « فربما تلجأ مصر الى الوجهاء في الاراضي المحتلة » .

تقدم لوفيفارو (٢٦-٢٧-١١) تصورا لمساومة ممكنة حيث ينسحب الاسرائيليون من سيناء وشرم الشيخ وجزء كبير من الجولان ، أما بما يخص الضفة الغربية ، فهي لا تستبعد القبول باقتراح دايان : « التوزيع الوظيفي للسلطات » وهذا يعني تسيير ذاتي واسع للاهالي المحليين ، وادارة مشتركة مع الاردن مع الاحتفاظ بالمراقبة العسكرية ، وتضيف الصحيفة ان هذا الاقتراح قد يحظى بقبول السادات لانه يعطي دورا مهما للاردن ، تحييد منظمة التحرير وتأمين امن اسرائيل .

وتعتبر الاكسبريس (٢٨-١١) ان احد المنتصرين نتيجة الزيارة هو الملك حسين الذي عاد الى الساحة « بعد ان سلمت الدول العربية باجمعها صفة التمثيل الفلسطيني لياسر عرفات » . وترى ان المساومة المطروحة تشبه الى حد كبير مشروع فدرالية الملك حسين التي كانت مطروحة .

وتشير لوفيفارو ٧-١٢ الى الدور المركزي الذي يمكن ان يلعبه حسين ، فاحدى اهم مهمات جولة فانس في الشرق الاوسط هي اقناع حسين بالانضمام الى السادات . هكذا يصبح جنيف ممكنا حتى دون سوريا ويكون الى جانب مصر والاردن وقد من وجهاء الضفة والقطاع يرضى عنه كلاهما .

ولكن ايا يكن المشروع المعتمد ، فان « المفاوضات الشاملة سوف تتم بشكل مفاوضات منفردة » او بعبارة ادق : مفاوضات منفصلة تبدو وكأنها شاملة » (لوفيفارو ٢٨-١١) يذكر كلود بورديه في زاوية « منبر حر » (لوموند ١-٢١-١٢) بمؤتمر ميونيخ ويتساءل : « هل يجوز الرهان على ديناميكية الرأي العام ؟ ان منطق الالية التاريخية هو اكثر قوة من جراءة السادات الشخصية ، حتى ولو اكد مرارا على عدم ارادته توقيع صلح منفرد » .

امام هذه المساومات ترتفع اصوات بيتيمة محذرة : يكتب اندره فونتين في لوموند : « يجب الا يعتقد السادات وبيغن ان بإمكانهما انجاز مصالحتها على حساب الفلسطينيين لان الفلسطينيين قادرون على اجبارهما على الندم » .

وينصح ب.م. دولاغورس ، على اعمدة لوفيفارو ، المتفاوضين ، انه في حال التوصل الى حل للمشكلة الفلسطينية عبر الشخصيات المنتخبة او الوجهاء ، فانه من الضروري دعم موقف هؤلاء ، واعطاء سلطتهم السياسية والمعنوية دعائم حقيقية » .



لقد اقتضت قراءتنا للصحف الفرنسية على صحف اليمين و « اليسار » الاشتراكي الى جانب صحيفة لوموند .

ومن المجلات والصحف اليمينية ، قرأنا الاكسبريس و لوبوان . وصحيفة لوفيفارو ، ومن الجدير بالملاحظة ، ان صاحب هذه الصحيفة روبرت هرسان هو نازي سابق . وتنطق

هذه الصحيفة بلسان الاكثرية الحاكمة الى جانب وجود تيار شبه « مستقل » داخلها ، يعبر عن الرأي الصهيوني اليميني الذي هو في بعض اللحظات اشد تطرفا من ليكود !
 اما صحف « اليسار » ، فقد قرأنا صحيفة لوماتان الناطقة بلسان الحزب الاشتراكي الفرنسي ومجلة لئونوفل اوبسرفاتور المقربة من الحزب الاشتراكي - كتلة ميتران - باتجاهاتها المختلفة .

صحيفة لوموند محدودة الانتشار نسبيا (٥٠٠ الف نسخة) « مستقلة » و « ليبرالية » وتتوجه اساسا الى المثقفين والجامعيين .
 ولم نتناول صحف الحزب الشيوعي الفرنسي ، جريدة لوماتيئة لسبب بسيط ، فهي لا تصل الى بيروت بانتظام . كما ان موقفها المؤيد للحق العربي بشكل ثابت يتبنى بشكل عام مجموعة من التحليلات القريبة من تحليلات القوى التقدمية في العالم .



الانطباع العام الذي نخرج به من قراءتنا لهذه الصحف ، هو ان هناك امل في حلول السلام ، الجميع يصلي من اجل السلام ، ينصحون ، يخوفون ويذكرون بالفلسطينيين ، خوفا من الفشل ، او خوفا على السلام ، او خوفا من العودة الى انقطاع ضخ النفط في شتاء اوروبا البارد ، ومصانعها التي يسيرها النفط العربي !

في هذه المرحلة ، حيث يرتفع في اوروبا صوت قضايا حقوق الانسان الاوروبي لم ترتفع الا اصوات قليلة تطرح المشكلة من جذورها : حقوق الشعب الفلسطيني كشعب ، وحقوق الانسان الفلسطيني كإنسان . يعترفون بمشكلة وجود الفلسطينيين ، ويدعون حرصا على سلامهم ، الى حلها ضمن شروط الغرب .

وهناك صوتان ارتفعا من العالم الثالث ، وكتبا عن السلام في مرحلته المقبلة . احد رؤساء تحرير جون افريك يقول : « نعلم تماما ان الغرب لن يترك اسرائيل ابدا ، لذلك يجب ان نسعى الى حل يراعي ادنى شروط الاهانة الممكنة » . الاهانة اياها تتحول في كلمات محمود حسين (لوموند ١٣-١٢) الى أمل بان حل الصراع على هذا النحو ، ربما يمكنهما من بدء النضال في سبيل تقدم الجماهير !!

يصدر قريبا

دفاتر فلسطينية

معين بيسو

دار العودة

الصحافة المصرية

فيصل دراج

عندما تصل طبقة الى مأزقها التاريخي ، ترفض الموت الطبيعي وتحاول النجاة . تعمل لانقاذ نفسها من الغرق فتشد شعرها بيديها ، لكنها تغرق من جديد . فحياتها مأساة وموتها كوميديا .

كل طبقة تبدأ ايجابية المسار ، ينتجها التاريخ كنفيس ، تسير ثم تسقط ، فيعيد التاريخ انتاجها كطبقة سلبية المسار . وبداية الطبقة الحاكمة في مصر لا تشذ عن ذلك ، نهضت لتلغي مأساة ، فعاشت زمانها كمأساة اكبر ، عاشت المأساة وفرخت مآسي اخرى .

وصحافة السادات تعيش تاريخها الان ككوميديا سوداء . كوميديا عندما تمزج اللاهوت واللاعقلانية والاضلامية معا باسم قضية مقدسة ، كوميديا لانها تعامل التاريخ كأكذوبة كبرى . كوميديا سوداء لان ممارستها للتاريخ كأكذوبة تمسنا جميعا ، تمس الماضي والحاضر والمستقبل .

صحافة السادات تعبر عن طبقة تعيش هزيمتها كانتصار وكبداية انتصارات اخرى ، وتمهد لهذه الانتصارات بفكر جديد ، بفكر جديد - قديم .

مقالها ليس محض اكاذيب فهو واقعها ايضا . تقول حقيقة وضعها التاريخي وتضلل كي تجر الجميع وراءها . ترفض الموت وحيدة . مقالها يضلل ويقول الحقيقة ، وعندما يضلل يشير الى حقائق اخرى . لكن واقع الطبقة هو ممارساتها ، اما مقالها الصحفي فيشير الى آفاقها وتطلعاتها السياسية .

البطولة في الوهم وآلية العجز :

نقطة الانطلاق وكل انطلاق في مقال الصحافة الساداتية هي الجيل الاكثوري . فما هي خصائص هذا الجيل العجيب ، وما هي ميزاته التي تمنحه بعدا اسطوريا وممارسة اسطورية وتجعله ظاهرة عصره ؟ اذا نظرنا الى هذا الجيل عبر صحافته ، ووجوده في التاريخ شيء وفي صحافته شيء آخر ، لوجدناه جيلا اكتوبري الملامح ، لوجدناه واثقا

من نفسه ، متحضرا ، جريئا ، جسورا ، انه الكمال بعينه ، كمال القمة وقمة الكمال ، انه جسم بلوري لا تشويه شائبة ولا يعتوره نقص . انه المطلق والكامل . ولما كان الكامل لا يخاف الناقص ولا يخشاه ، فلماذا لا يذهب الى الناقص ، ويحاوره « حضاريا » ويحرجه ويعريه امام ملايين العيون . والناقص (اسرائيل) سيقبل الحوار بلا شك ، جعلته حرب اكتوبر يستسلم ، ويلقي السلاح ، وينتظر السلام ليل نهار . الناقص سعيد لان الكامل قبله ، زار السادات اسرائيل ، « رأى العيون المتعطشة الى السلام » . يقول يوسف السباعي الذي رافق الرئيس في رحلته « التاريخية » :

« وعلى الطريق كانت الوجوه تهتف في تشنح متلهفة على السلام ، لان ذلك بات الطريق الوحيد للنجاة ٠٠٠ والحياة الآمنة ، بعد ان اذقتهم حرب اكتوبر وجيعة الحرب والامها ٠٠٠ ، كان في دمة الجندي وابتسامة الطفل اقتناع حقيقي بخطوة السادات في طريق السلام العادل » (١)

السادات لا يحاور معتمدا على الفراغ ، بل على حرب اكتوبر التي ابدع كينسجر في استثمارها واجهاضها واستخدامها ، بطل اكتوبر لا ينطلق الا من الانتصار والقوة والحضارة . واذا اعوزنا اليقين فهناك توفيق الحكيم « اما الان وقد اثبتنا قدراتنا العسكرية ، وتخطينا مرحلة الخوف من الجهول ، وحطمنا اسطورة جيش اسرائيل الذي لا يهزم ، واستوعبنا احدث الاسلحة ، وتفوقنا في نوع الاداء على ترسانة السلاح في اسرائيل . اليوم صرنا نتحدث بلغة اخرى تتفق وما حققناه من مكانة عالمية » (٢) .

وهذه المكانة العالمية - وخاصة لدى البيت الابيض وموبوتو وشاه ايران - تسمح بكسر « الحاجز النفسي » وتمهد لزيارة محمودة العواقب . كل هذا بعد حرب اكتوبر التي حطمت الخرافة العسكرية الاسرائيلية ، وردت للعرب كرامتهم بعد هوان ، وحطمت جدار الشك والخوف وعدم الثقة . لهذا فان زيارة السادات حازت على اعجاب العالم كله « الا من كان في قلوبهم مرض » اما الحاج انيس منصور فيذهب ابعد من اقرانه « ان حرب اكتوبر اعظم انتصارات مصر في كل العصور » (٣)

لسنا هنا بصدد تحليل حرب اكتوبر التي بذل فيها الشعب المصري والشعب السوري والفلسطيني وغيرها من الشعوب العربية جهدا وعرقا وتضحية وشجاعة . ان ما نعالجه هو استثمار الطبقة العاجزة في مصر لحرب اكتوبر بعد ان اجهضتها . استثمارتها في البدء للانفتاح على البيت الابيض وكل ما هو اظلامي ، والان تستثمرها للانفتاح على الكنيست الاسرائيلي . وهذا الاستثمار يدفع الى معالجة جديدة لحرب اكتوبر . فالصحافة الساداتية تؤرخ الان للبشرية بدءا من حرب اكتوبر ، وكذلك للعلاقات الدولية ولتاريخ الشرق الاوسط ، بل يشتط بعضها ويؤرخ ليقظة « العالم الثالث » بدءا من هذه الحرب . لكن منطق التاريخ لا يساوي منطق الصحافة ، فالحرب التي تمهد للاستسلام بطولية في الوهم ، بطولية طبقة لم تعش عمرها الا هزيمة .

منطق صحافة تبشر للاستسلام لا ينطلق من الواقع ، بل من واقع كلمة مضللة ، يستحيل لديها الواقع الى كلمات والكلمات وقائع . لذلك بطولتها وهم وهزيمتها حقيقة . فلكل طبقة مقالها ، يقول المقال الساداتي « غزو السلام الناجح » ويقول المقال التاريخي « رحلة الاستسلام وتثبيت الهزيمة » ، ويقول المقال الاول « حاجز العقد النفسية » بينما يقول الثاني « الصراع بين الصهيونية وحركة التحرر » ويعود الاول فيكرر « اصحاب العقول المتخلفة » فيرد عليه الثاني « القوى الراضية للاستسلام » كما يقول الاول « عملاء موسكو » فيصحح الثاني « القوى الوطنية العربية » ، ويتابع المقال الاول بطولته الوهمية فيقول « انجزت الزيارة مهماتها وكانت نجاحا كاملا » فيجيئه التصحيح « انجزت طبقة دورها والتحمت بالعدو » .

ينطلق المقال الاول من بطولية وهمية ، ومن زعيم خارق . فما صفات هذا الزعيم الذي تحبه البشرية جمعاء ما عدا « اصحاب القلوب المريضة » ؟

مهمة خارقة لرجل خارق :

عندما يعبر السادات معروفا الى اسرائيل ، يلغي نضال ثلاثين عاما ، يعيد كتابة التاريخ ، يغير دلالاته ، يضع الماضي في غرفة مظلمة ، ويدين هذا الماضي . يتنكر للحق ويمنح بركته الهشة لنظام جعل من الظلم قانونا . يخرج السادات من معسكر الى معسكر ويزيف كل شيء . مهمة خارقة ومنطق جديد ، وحجم الخيانة اكبر من عباءة الرئيس . لهذا يصنع له الاعلام عباءة مناسبة ويرفعه الى مستوى « مهمته » التاريخية ، يرمسه ويعطيه الغطاء ، يمنحه ظلا كبيرا ويجعله مركزا للعالم . تنعكس لامعقولية المهمة على لامعقولية كيان الرئيس ، ويصبح الرئيس ظاهرة تاريخية ، رجل الخوارق . لنستمع الى صحافته :

- « ان العالم كله سعيد الحظ لوجود رجل جريء مثل السادات يتمتع بأكبر مكانة في القلوب من المحبة والثقة والنفوذ على المستوى العربي والافريقي والدولي ، لنشره الرخاء والعدالة والسلام بقيادته الرشيدة في جميع انحاء العالم » (٤)

- « أثر السادات في رؤيته وفي حركته ان يصنع التاريخ لا ان يكون هو من صنعه وان يؤثر في تطور الاحداث لا ان يتأثر بها » (٥)

- « عرف العالم كثيرا من القواد المنتصرين ، وعرف فيهم حبيهم للحرب . لكن العالم لم يعرف قائدا منتصرا وداعية سلام عالميا يجتمعان في شخص واحد . وقد جمعهما السادات في شخصه » (٦)

السادات اذن ظاهرة تاريخية ، معجزة بلا زمان او مكان او انه فوق الزمان والمكان . انه العقل الكلي ، يساوي مهمته ويوازنها اخلاقيا ووجدانيا وعقليا .

الانسان الخارق ليس احادي الجانب ، تجتمع الخوارق فيه ويجتمع في الخوارق ، فهو تكثيف العقل والضمير والبطولة . فالرجل اذن على مستوى مهمته وعلى شعبه « ان يظل مطمئنا » :

- « لقد اثبت بطلنا انه بطل للحرب وبطل للسلام . فما اروع البطل بطلنا في اممة الابطال » (٧)

انه بطل عبور وبطل ايمان وبطل سلام .

عاشق السلام : له كلماته ولصحافته كلماتها . يستلهم كل منهما الاخر ، يبحث له عن لفظية جديدة ، ثم تلتحم الكلمات في مقال واحد يعبر عن فكره ويضلل ، يعيش في فكر التضليل ونضليل الفكر . لتتابع رحلة التضليل في صحافة الرئيس :

- « ولما قرأ الرجل (اي الرئيس السادات) تقريرا عن اصداء « قنبلة النتروجين » في

هجوم سلامه اخفى ابتسامه حزينة وابتلع غصة في حلقه وكأنه يقول احمدك يا رب هذا ما اردته بالضبط ان اذهب الى المواجهة لتنفذ بالاسباب عبادك من انهار الدم والدمار التي سوف تفرقهم » (٨)

- « اراد الرئيس ان يختصر من عمر الامة العربية اجيالا اخرى كان من المحتم ان

تلتهمها نيران الصراعات والعداوات والحروب والدمار « (٩)

- « كان صاحب القلب الكبير وهو يعلن في افتتاح دورة مجلس الشعب انه اشد ما يكون حرصا على نقطة دم تراق من جندي مصري او ضابط مصري » (١٠)

مقال اخلاقي ، والرجل روح خالصة تهيم في سماء الانسانية المعذبة ، يبحث عن سعادة الانسان وخالص روحه ، يجتر احزان شعبه ، يخاف الدم ويرقب احوال العالم . يعيش الرئيس زمانه كمبشر . لكن ذاكرة التاريخ تهتك جوهر الابتسامة الحزينة ، قدم الجندي المصري عزيز على الجبهة الشرقية ، رخيص على الحدود الليبية ، بل يرسل هذا السدم الى السودان وزئير واثيوبيا ، فمقال الرئيس الاخلاقي وهم ، والتاريخ يبسدد هذه الرومانسية الزائفة ف « بطلنا » « ذو اظافر » على جميع الجبهات ما عدا الجبهة الشرقية .

الايمان اولا : يطير الرئيس من سماء الى سماء ، يجوس في ملكوت الاخلاق ويعرج الى ملكوت المحبة . يتملى العالم زاهدا ، ويحاصر المادية المتذلة مسبحا ، يصبو الى ملكوت بلا تناقض ، فيتجلى له العالم مملكة للشر ويتجلى لنفسه نيبا . انه رجل ايمان اولا ، يعيش عالمه كقسمة سرمدية : المؤمن/ اللامؤمن ، فينطلق كمؤمن الى رحاب الايمان ليستقبله مؤمن آخر .

- « لم تكن مصادفة ان يبدأ ابن مصر الجسور اقتحامه المذهل في نفس الساعة التي بدأ فيها فيض بشري هائل من الحجاج يتجه الى عرفات وبيت الله الحرام لزيارة المصطفى صلى الله عليه وسلم » (١١)

- « انسان جسور احيا سنة الانبياء . فماذا يضيرنا ، ان اطعنا الله عز وجل الذي يأمرنا في كتابه : وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله » (١٢)

- « يتوجه السادات فور وصوله الى المسجد الاقصى ليؤدي هناك صلاة عيد الاضحى المبارك وسط جموع ابناء المدينة المقدسة ، ثم يتجه الى مسجد قبة الصخرة حيث يؤدي ركعتين ، حمدا لله على وصوله الى المدينة المقدسة ، ثم يذهب بعد ذلك الى كنيسة القيامة حيث قبر السيد المسيح ، قبل ان يبدأ اجتماعه مع اعضاء الكنيست » (١٣)

الرئيس لا يقوم بزيارة « سياسية » الا في النهاية . يعيش دورة الايمان وينتقل من مكان مقدس الى آخر ، ويطير من صلاة الى صلاة ، يمارس سياسة الايمان لا ايمان السياسة ، فهو مؤمن اولا . الرئيس لا يتاجر بالوطن فقط بل ويتاجر بالدين اولا كي تمهد له هذه التجارة الرائعة المرود للاتجار بالوطن . يستحيل كل شيء لديه الى تجارة . الدين تجارة والوطن تجارة والكلمات تجارة . لكنه شديد الحذر عند التعامل مع المرود : ارضاء الامبريالية اولا .

بطل الجديد : الرئيس جديد في زيارته ، في مساوماته ، في تنازلاته ، جديد قسي « حوار الحضاري » مع « عدوه » الحضاري . مولع بالجديد ، لكنها جدة مفاجئة وفجيرة جديدة . يقول الفقراء الجديد هو الخيانة وحجم الخيانة ، الجديد هو الاقتراب من العدو حتى الالتحام . لكن التخليل صناعة ، وللطبقة فكرها ، وطارو الفكر لا يمارسون البطالة ، فلننظر الى دلالة الجديد عندهم :

- « ان هذا يعني ان زعيما في العالم العربي قد ترك مرحلة الشعارات الزائفة واللافات الكاذبة والصراخ الفارغ المجنون والهدير اللفظي الابله والتهديد الكلامي الاحمق الى مرحلة السياسة العليا الرزينة الرفيعة » (١٤)

- « رحلة السادات ليست مجرد فتح ايجابي فحسب بل هي لغة سلام ليس لها مثيل في التاريخ المعاصر » (١٥)

- « يعيش الرئيس الاحداث ويتفهم العصر ، ويتابع المتغيرات ، ويفكر تفكيراً حضارياً » (١٦)

- « ان الرجل متحضر عفا اللسان مهذب ويتبع اسلوباً حضارياً في التعبير ، وعندما ذكر العجوز جولدا في خطابه قال « مسز مائير » (١٧)

- « ان دبلوماسية السادات تجاوزت كل دبلوماسية تقليدية وطرحت ادق مواضيع الساعة بأوضح اساليب العصر » .

ان كل ذلك يعني ان زعيماً عربياً قد غير تحالفاته ، ووقف في وجه امته ، فالحضارة لديه تعني الاستسلام ، ولغة العصر تعني اخذ مكانه الكامل في الاستراتيجية الاميركية . اما فيما يتعلق بالتهذيب فهذا موضوع شائك اذا عرفنا ان اكبر دعاة التهذيب في الصحافة الساداتية هو محمد حلاوة .

الانقطاع بين السلف والخلف : تهدف الصحافة الساداتية الى تصوير عمل السادات كاستمرار للتراث في انصع صفحاته . نجح فيما فشل به الآخرون او لم يتجرأ على فعله لنقص في الشجاعة . اما الرئيس فمقتدر يستلهم التراث في اوضح صورته وانصع جوانبه :

- « من وراء اربعة عشر قرناً ينتفض التاريخ اليوم . واليوم نعبّر الى السلام ونفتحم القدس وشعارنا يدؤي تحت قبة المسجد الاقصى : الله اكبر .. الله اكبر » (١٨)

- « هذه المحاولة من اجل السلام لها سوابق تاريخية في تاريخنا الاسلامي ونستطيع ان نرجع الى عهد النبي عليه السلام فنقف عند صلح الحديبية . . . كما ان صلاح الدين لم يتردد وهو في قمة انتصاره ان يمد يد السلام الى ريتشارد قلب الاسد » (١٩)

- « يا ابن مصر الخالدة ، لقد بعثت القيم العربية : التسامح والعفو عند المقدرة والترفع عن الاحقاد والتعصب » (٢٠)

ينتفض التاريخ اليوم فعلاً . ينتفض الماضي والحاضر ضد من جاء الى القدس متواطئاً ليبارك الاقتحام ويمنحه شرعية ، فالزائر لا يتابع التراث بل يقطع معه او يتابعه في اكثر صفحاته حزناً .

تستعيد الصحافة الساداتية الماضي لترمم به ممارسة هجينة فتزيف الماضي وتحوله الى كيان هجين . فزيف الحاضر يزيف الماضي ايضاً . وتتابع قراءتها الخاصة بها للتاريخ ، وتطلق العنان لذاكرتها القصصية ، تصل بين زيارة اسرائيل وصلح الحديبية . وتصل بين عبد الناصر وانور السادات حسب منطقها . تقول ان الاول حاول الاتصال باسرائيل ولكن اعوزته الشجاعة وكان مهزوماً ، والمهزوم عاجز عن ممارسة « الحوار

الحضاري» . وتعود هذه الصحافة فتقول ان زيارة السادات مكتوبة في قلب القسرن العشريين ، تنسجم مع روح العصر ولا تشذ عنه : « قارنت الصحف العالمية بين رحلة السادات وبين رحلة نيكسون التي انفتحت بها امريكا على الصين عام ١٩٧٢ ومن قبلها رحلة خروتشوف التي انفتحت بها روسيا على امريكا عام ١٩٥٩ ، ثم اجمعت على ان رحلة السادات هي الارجح في توجيه الاحداث الدولية » (٢١) .

ايدولوجيا جديدة لسياسة جديدة :

يتم اللقاء ابان الزيارة ، وما بعد الزيارة ، بين طرفين متكافئين ، عرفا الحرب ولسم يعرفا السلام ، فهما الان في علاقة « تكافئية » نحو سلام « متكافئ » . واذا كانت الزيارة تنتج ما بعد الزيارة ، واذا كان الخطاب في الكنيست يؤدي الى ترميم المسجد الاقصى بأيد « متكافئة » ، واذا كانت القاهرة كعبة للسواح وتل اييب كذلك ، فهل ما يجمع الطرفين ينضوي فقط تحت رداء الحرب والسلام ؟ . ملامح الجواب نعثر عليها في الصحافة الساداتية ايضا ، فهي تطرح الاسئلة وتشير الى الاجابات . لذلك لا تتكلم فقط عن الزيارة ، بل عن اطراف الزيارة ، عن الرفض والقابل ، عن الشرير والطيب ، عن الامريكي والسوفييتي . اي تشير الى آفاق الزيارة بصراحة تارة وحياء تارة اخرى .

تحدث الصحافة عن الاشرار اعداء السلام ، وعن ملائكة السلام ، عن مصرية الشعب المصري « الذي اذا ربح قال العرب ربحنا واذا خسر قال العرب هزم الجيش المصري » . تحدثت عن المؤمنين واتباع الديانات السماوية ، وعن الملحدين والكفرة والحرر واعداء السلام . تحدثت عن تلاحق الحضارات وعن آفاق الشرق الرائعة . بمعنى آخر تنطلق من مقولات ايدولوجية مختلفة لتمهد كلها لتيار سياسي في طريق التكون .

العدو : ليس العدو اسرائيل ولا من يقف وراءها . العدو هو كل من يرفض الزيارة ويشكك في مقاصدها او يفضح نواياها . وهذا العدو واضح محدد : التخلف او موسكو او كلاهما معا . عدو الزيارة اما متخلف او عميل لموسكو او مريض في قلبه وعقله :

« لا يهم موسكو الا الثأر والتوسع وهي التي اعطت لقوى الرفض العربية والاسرائيلية الغطاء السري اللامسؤول » (٢٢)

« لم يكن السادات يجهل ، ولم يجهل احد ان الشيوعيين انصار السلام الكاذب سيرفضون هذا القرار » (٢٣)

« لقد انتهت المرحلة التي كان فيها الجاهل اذا اختلف مع احد اقرانه في الرأي ، هب عليه بسيفه وقطع له رقبتة » (٢٤)

فالسادات يعمل في حقل سياسي مفعم بروح السلام ومكلم بأخر الابتكارات العلمية ، يكره « التخلف » ويرفضه ، لذلك فهو ضد الفلسطينيين وسوريا والعراق والجزائر واليمن ، ولانه يحب السلام يحب البيت الابيض وبيغن وموبوتو في زائير وبينوشه في شيلي . يريد الرئيس ان يعمل لوحده مع بيغن في حقل الحضارة الامريكية والسلام الاسرائيلي .

خصوصية مصر : يقول البعض خصوصية مصر ، والبعض الاخر مصرية مصر ،

ويستطرد المقال فيقول تاريخ مصر ، وجيش مصر ، ونضال مصر ٠٠٠ اي يختزل العالم في مصر والشعب المصري في مصر .

يريد النظام الساداتي ان يخرج نهائيا من معركة التحرر العربية ليتفرغ لمهام اخرى ، لذلك يود الانطواء على ذاته ، الانغلاق على نفسه لينفتح على عوالم اخرى . من هنا يكثر الحديث عن مصرية مصر :

« يعبر ابن مصر الجسور » - « يا ابن مصر الخالدة » - « انت في مصر ومصر انت » - « وينسى البعض ان الحضارة الفرعونية هي اصل الحضارات » - « هناك من يريدو ان يحاربوا لآخر جندي وآخر جنيه مصري » .

وهكذا تطلق صحافة السادات النزعة الاقليمية من عقالها لتبرر لسيدها تحالفاته الجديدة ، صحافة تدعو للاقليمية المصرية وللتعصب المصري . ويذهب انيس منصور الى ابعد من ذلك عندما يجعل البلاد العربية قاطبة عاجزة بدون مصر « ماذا يستطيع العرب ان يفعلوا لاسرائيل بدون مصر !!

ان منطق هذه الصحافة يمكن تلخيصه بما يلي : السادات هو مصر ، ومصر فوق الجميع ، ومصر هي العالم العربي . فالنتيجة « منطقيا » ان السادات هو العالم العربي وفوق العالم العربي . وهذا يعني ضرورة الادعان لسياسته وقبولها فهو « ابن مصر الخالدة » . لكن هذا المنطق لا يعبر عن شعب بل عن طبقة تزور كل شيء لتبرير تحالفاتها الجديدة .

الدين والحضارة : تطرد معادلة السلام السابقة اعداء السلام ، ويبقى في المعادلة ثلاثة اطراف : اسرائيل ومصر وامريكا . فاذا ادخل الى المعادلة عنصر جديد : مصرية مصر ، تراجع العامل القومي في المعركة او خف اثره ، لكن توازن المعادلة يستدعي تسعير الفكر الديني ، فيكثر الكلام عن الملحدين والمؤمنين ، عن المسلمين والذميين ، عن دور الاديان السماوية في سلام العالم وحمانيته ، عن الجوار الطيب بين المسلمين واليهود في تاريخ الاسلام ، عن اليهودي « مخيريقي » الذي قاتل الرسول عليه السلام في غزوة احد . وكما يرى فالحديث حديث بين مؤمنين فالسادات مؤمن لا يشق له غبار وكارتر يرتاد الكنيسة كل يوم احد ، اما بيغن فتعصبه « الديني » لا يحتاج الى برهان .

نصل اذن الى قسمة مؤمنين/ملحدين . لكن هذه القسمة جافة ، ربما لا ترضي الجميع ، ماضوية ، رنينها في الاذن لا يرضي دائما ، فالعصر لا يكتفي بالمقال الديني ، سمته هي « الثورة التكنولوجية » لا الثورة الدينية ، اصف الى ذلك ان المقال الديني لا يقارب جميع العقول خاصة وان القرآن الكريم يشير الى اليهود قائلا « لعنوا في كل كتاب » ، لذلك فان استثمار « وان جنحوا للمسلم فاجنح لها » يتطلب دعائم اخرى ومقولات اخرى . هنا تلعب ثنائية الحضارة/التخلف دورها ، ف « الحضارة سمة العصر » ، انها الجسر الذي يربط بين الشعوب « المتحضرة » والجسر اللازم لعبور الرئيس السى الكنيست . فالحرب تخلف والزياره حضارة ، الكفاح المسلح سمة حركات التحرر الوطني تخلف والحوار المباشر حضارة ، البنديقية تخلف والهدايا التذكارية حضارة ، الفلسطيني في مطار القاهرة تخلف والصحفي الاسرائيلي فيه حضارة . ما يثير النظر هنا ان ثنائية الحضارة/التخلف هي ذاتها الشرق/الغرب ، الشرق تخلف والغرب

حضارة ، والسادات يخرج من « الشرق » ليدخل الى « الغرب » ، يخرج من نضال « امته » ليدخل في « حضارة » عدوها .

ترسانة التضليل تحرك كل قواعدها ، لكن اللغة هي سياسة ايضا ، فوحدة المؤمنين تعني سياسيا وحدة الثورة المضادة ، ووحدة الحضارة ، تعني الانعاز لشروط العدو الاسرائيلي وقبول طموحاته .

نحو صهيونية جديدة : عندما نقرأ الصحافة الساداتية نتذكر اطروحات قديمة وشهيرة .
وإذا تذكرنا جيدا نعرف ان مكان هذه الاطروحات لم يكن في الصحافة المصرية بل في الادبيات الصهيونية . هناك اذن مشترك جديد في الموقف الايديولوجي وربما في الآفاق السياسية :

أ - صراع اسرائيل مع العرب هو صراع الحضارة مع الصحراء ، صراع الفكر الاوروبي مع الاستبداد الشرقي وذهنية الصحراء ، صراع الحضارة مع التخلف . والان يدخل النظام الساداتي رحاب الحضارة ، فينضوي تحت الجناح « الاوروبي » ، ويحارب ، التخلف « و » البذاءة « و » السفاهة « . اي يستعيد المقولات الصهيونية ليحارب بها حركة التحرر العربية . فالصراع مستمر بين « الحضارة » و « التخلف » ، اي بين الاستعمار وحركة التحرر . لهذا فان السادات عندما يغير لفظيته وكلماته فانه يغير ايضا موقعه في حقل الصراع .

ب : الصراع بين اسرائيل والبلاد العربية يعود الى الحواجز النفسية ، الى انعدام الثقة ، الى ترسبات الماضي . هذا ما كانت تردده لنا مجلة آرش الصهيونية ، وكانت تقول ايضا ان اسرائيل قائمة والفلسطينيين باعوا ارضهم وهم مندمجون في الاقطار العربية . فالمشكلة الحقيقية ، المادية ، غائبة ، المشكلة وهمية وسرعان ما تجد طريقها الى الحل عندما يتداعى الحاجز النفسي ، عندما يتم التخلص من ارث الماضي . هذا الكلام الصهيوني الصريح تجتره اليوم بلا تعب او ملل الصحافة الساداتية .

ج - دور اسرائيل « التاريخي » في تحديث وتمدين الشرق الاوسط ، حلم زهبي صهيوني قديم ، حلم الشرق - المزرعة ، حلم الصناعة الاسرائيلية والاسواق العربية . هذا الحلم ينتعش الان واهما . الملك الحسن يتكلم عن رأس المال العربي والعبقريّة الاسرائيلية ، عن القطيع والراعي ، اما مصطفى امين فيقر المبدأ ويقول الصيغة متحصنا ب « مصريته » : « اذا تحقق السلام العادل واجتمع المال اليهودي في انحاء العالم مع العبقريّة المصرية والذكاء العربي فاننا نستطيع ان نحول الشرق الاوسط الى جنة » (٢٥)

يتحدثون عن التعاون العربي - اليهودي او العربي - الاسرائيلي . وعندما نخلع رداء اللفظية الانسانية جانبا فلن نرى الا تحالف الرجعية العربية والصهيونية بغية استمرار الوجود الامبريالي وكبح حركة التحرر العربية .

د - انتقل اليهودي من جيتو فارصوفيا الى جيتو اكبر هو اسرائيل ، فالرفض العربي والحصار العربي لاسرائيل اجهض حلم الصهيونية في التخلص من الاضطهاد واستعادة طمأنينته وراحته النفسية . اطروحة شهيرة تحدثت عن الصهاينة : البير ميمي وروبر - مزراحي وغيرهما اما بطلها الان فهو انيس منصور :

« اليهود عندهم عقدة تاريخية : انهم عاشوا في الحارات الضيقة منبوذين في كل بلاد العالم . لذلك فمشكلتهم الكبرى ان اسرائيل قد اصبحت احدى الحارات الكبرى المحاطة باناس يكرهونهم من كل الجهات . وقد ضاعف العرب من خوف اليهود ... »

نحن نريد السلام كما يريده اليهود تماما ، بل ان حاجتنا للسلام ، ماديا ومعنويا اكثر ، فمواردنا محدودة ... واليهود عواردهم غير محدودة ولكن حاجتهم النفسية اشد واعمق » (٢٦)

يمكن ان تقوم بقراءات مختلفة لما يقوله انيس منصور ، لكنه في جميع الاحوال لا يجاوز المنطق الصهيوني ، يضع في نزعته الانسانية الزرقاء ، فينسى التاريخ ، والشعب الفلسطيني ، ودور دولة اسرائيل في المنطقة ، والجنود المصريين في سيناء ، ينسى الفاشية الاسرائيلية . انه لا ينسى شيئا بل يعبر عن فكر طبقة ، يعبر عن فكر اظلامي لم يخف مرارا وتكرارا كرهه لكل ما هو ديمقراطي وانساني في هذا العالم . فالاعجاب بهتلر يوصل الى الاعجاب ببيغن .

تدور الايدولوجيا السابقة في مركبات الحضارة والتعاون والعبرية اليهودية والعبرية المصرية واليهودي المضطهد الباحث عن الامان .
ما الشاذ في هذه اللوحة ؟

الشاذ هو كل من يناضل ضد حلف جديد بين مصر واسرائيل .
الشاذ هو المناضل الفلسطيني والمناضل المصري ، والمناضل العربي في كل مكان .

١٤- الاهرام ١١-٢٠	١ - الاهرام ١١-٢٥
١٥- الاهرام ١١-٢٣	٢ - جريدة مصر ١١-١٥
١٦- الاهرام ١١-٢٤	٣ - الاهرام ١١-٢٢
١٧- مجلة اكتوبر ١١-٢٧	٤ - الاخبار ١١-١٧
١٨- جريدة مصر ١١-٢٢	٥ - الاهرام ١١-٢٧
١٩- الاهرام ١١-٢٠	٦ - الاهرام ١١-٢١
٢٠- الاهرام ١١-٢١	٧ - الاهرام ١١-٢٣
٢١- الاهرام ١١-٢٣	٨ - الاهرام ١١-٢٠
٢٢- الاهرام ١١-٢١	٩ - الاهرام ١١-٢٧
٢٣- الاهرام ١١-٢٠	١٠- الاخبار ١١-٢١
٢٤- الاهرام ١١-٢٤	١١- الاهرام ١١-٢٠
٢٥ - الاخبار ١١ - ٢٢	١٢- الاهرام ١١-٢٢
٢٦- مجلة اكتوبر ١١-٢٧	١٣- الاهرام ١١-٢٠

خطاب السادات امام مجلس الشعب

شعبنا وعلى مسمع من امتنا العربية .. سمعتموني اقول انني مستعد ان اسافر الى اخر هذا العالم اذا كان في هذا ما يحمي ان يجرح مش يقتل .. ان يجرح عسكري او ضابط من اولادي .. انسا اقول فعلا مستعد ان اذهب الى اخر هذا العالم وستدهش اسرائيل حينما تسمعي الان اقول لا نرفض .. انني مستعد ان اذهب الى بيتهم الى الكنيسة ذاته ومناقشتهم . احمد الله .. ايها الاخوة والاخوات اعضاء مجلس الشعب لا وقت ولا ضياع ابدا ونحن اصحاب القرار ولا قرار الا باذن الشعب والشعب يريدنا . ان نتجه الى الامام لكي نعوض ما فات وما فاتنا كثير .. الشعب يريدنا ان نعمل باكثر مما نتكلم .. الشعب يريدنا ان نعطي كل العرق لبناء الغد الجديد فلا فائدة من تناذب على ماض ذهب وولى او بكاء وتباكي على انقراض تراكمت وزحمت الطريق فان ارادة العمل قادرة دائما على تعبيد الطريق .. قادرة دائما وبعرق الانسان على تحويل الانقراض الى مساهمات بناء وعمران .

ننشر هنا مقطعا من خطاب السادات امام مجلس الشعب ، والذي اعلن فيه استعداداه للذهاب الى القدس .
.. لا .. ابدا .. انا امامكم وامام شعبنا وامام الامة العربية لا تهنسي العمليات الاجرائية على الاطلاق فلتكن الاجراءات وليكن انفعال وهستيرية اسرائيل ما تكون .. انا ذاهب الى جنيف وكما قلت لن تستطيع لا اسرائيل ولا قوى العالم مجتمعة ان تثني عما اريد .. الارض العربية في ٦٧ حقوق شعب فلسطين وحقه في قيام دولته .. ما دام هذا .. او ما دامت هذه هي قناعتني . الذي يخشى جنيف هي اسرائيل .. لا يجب ان يخشى جنيف اي عربي ابدا ليه؟ لانه احنا صدرنا زي ما قلت لكم .. كما قلت صدرنا التمزق .. صدرنا الخوف .. صدرنا الانهزامية .. صدرنا الشك والريبة .. كل اللي كنا بنعيشه صدرناه الى المجتمع الاسرائيلي .. ففيما نعیده لنفسنا تاني .. ليه ؟ .. ابدا .. انسا جاهز اذهب الى جنيف بل لا اخفيكم وانتم ممثلو الشعب وعلى مسمع من

بيان ييجن للمصريين ١١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧

معكم . لا نريد حربا اخرى ولا سفكا للدماء ، ولا تهديدات . فلنبدا ليس بالسلام فقط وانما بطريق التعاون أيضا وباستطاعتنا ان نساعد بعضنا بعضا .

نحن الاسرائيليين نمد لكم يدنا ، يدا ليست ضعيفة ، واننا كلما هوجمنا سوف ندافع عن انفسنا كما فعل اباؤنا المكابيون . ولكننا غير راغبين في الصراع

وقال رئيس الحكومة : لقد وقعت
اربعة حروب منذ انتهاء حكم فاروق ، وان
هذه الطريق لم تكن مجدية .

وختم رئيس الحكومة كلمته الموجهة
للشعب المصري بقوله « شالوم » بالعبرية
و « صلح » بالعربية .

وقال رئيس الحكومة ايضا انه على
استعداد للذهاب الى القاهرة من اجل
توضيح الموقف الاسرائيلي .

وباستطاعتنا ان نجعل حياة شعبينا افضل
وابهج وايسر . المراسل - وقرا رئيس
الحكومة في نهاية كلمته مقطعا من القران
(سورة هـ من الاية ٢٠ الى الاية ٢١) :
« واذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا
نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء
وجعلكم ملوكا واتاكم ما لم يؤت احدا من
العالمين . يا قوم ادخلوا الارض المقدسة
التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على
ادباركم فتنقلبوا خاسرين » .

دعوة يبجن للسادات ١٧ تشرين الثاني ١٩٧٧

انه من المقرر ان اغادر الى لندن يوم الاحد
٢٠ تشرين الثاني ، في زيارة رسمية
لبريطانية العظمى بناء لدعوة تلقيتها
من رئيس الوزراء كالاهان .

فاذا اخبرتموني ، يا سيادة الرئيس ،
ان باستطاعتكم المجيء الى القدس يوم
الاثنين ٢١ تشرين الثاني ، ساعتذر من
رئيس الوزراء كالاهان ، وارتب تأجيل
زيارتي الى بريطانيا ، بحيث يصبح
بامكاني استقبالكم شخصا وان نبدا معا
محادثات اقامة السلام الذي نعرف كلينا
ان شعوب الشرق الاوسط تتوق اليه
ونصلي من اجله .

في الحالة البديلة ارجو ان تقرروا
مجيئكم يوم الخميس ٢٤ تشرين الثاني ،
او بعد ذلك ، وسأعود من لندن يوم
الاربعاء لكون في استقبالكم عند
وصولكم .

اسمحوا لي ان اؤكد لكم ، يا سيادة
الرئيس ان البرلمان سيستقبلكم بكل
احترام ومودة .

المخلص - منحيم بيغن »

« صاحب الفخامة
السيد انور السادات
رئيس جمهورية مصر العربية - القاهرة
عزيزي سيادة الرئيس ،

باسم حكومة اسرائيل ، لي الشرف ان
اقدم لكم دعوتنا الودية للمجيء الى
القدس لزيارة بلدنا .

ان استعداد فخامتكم للقيام بمثل هذه
الزيارة ، كما قلتم امام مجلس الشعب
في مصر ، اخذ هنا باهتمام عميق وايجابي
وكذلك كان الامر بالنسبة للتصريح عن
رغبتكم بالتحدث الى اعضاء مجلسنا
النيابي ، الكنيست ، ومقابلتي .

امل ان تقبلوا دعوتنا ، وستتخذ
الاجراءات لتتحدثوا الى الكنيست من
على منبره ، واذا رغبتم سيكون بامكانكم
كذلك الاجتماع الى مختلف الكتل
البرلمانية ، سواء منها التي تدعم الحكومة
ام التي تعارضها .

فيما يتعلق بالتاريخ المقترح للزيارة ،
سيسرنا ان نتفق مع ما يلائمكم ، والواقع

قبول السادات للدعوة

بالاهوال ، وحقنا لدماء الضحايا والشهداء ووفقا لمنزيف التضحية والجهد والطاقة والرئيس السادات وهو المؤمن بعدالة القضية العربية يلبي الدعوة لزيارة القدس باسم المسؤولية القومية التي يتحملها متجاوزا اية حساسية في مواجهة خصومة ، ومؤمنا في نفس الوقت بان يطرح الحقائق بالشكل المباشر كما سيفعل الرئيس السادات في لقائه باعضاء الكنيسة بعد ظهر يوم الاحد القادم اقوى من طرقها باساليب طويلة وملتوية .

« وعندما تتم رحلة السلام في مناخ كالذي تتم فيه بعد ان استعاد العرب عزتهم بحرب اكتوبر فهي تتم اذن في ظروف لا تحكها روح الهزيمة ، ولا تقبدها خشية سوء تفسير ، خاصة وهي تستهدف الحل الشامل للقضية العربية .

« ان المسؤولية التاريخية التي يجب ان يتحملها قادة الامة العربية اليوم ، قد اصبحت تحتم عليهم ان يعملوا على اقرار السلام في المنطقة طالما انه سلام عادل يستهدف تحرير الارض العربية التي احتلت بعد هزيمة ١٩٦٧ وتقرير الحقوق المشروعة لعرب فلسطين .

« والرئيس السادات يتحمل اليوم مسؤوليته القومية ولا يدع فرصة تسنح وصولا الى هذا السلام العادل .

« والله يوفق الامة العربية الى تحقيق ما ترنو اليه من اهداف » .

الملى متحدث رسمي بالبيان التالي : وافق الرئيس محمد انور السادات على زيارة القدس . وسيؤدي سيادته صلاة عيد الاضحى المبارك في المسجد الاقصى وستبدأ الزيارة مساء بعد غد السبت التاسع من ذي الحجة عام ١٣٩٧ الموافق التاسع عشر من نوفمبر ١٩٧٧ ببناء على الرسالة التي تلقاها من الرئيس كارتر مرفقا بها دعوة حكومة اسرائيل .

« وفي صباح الاحد العاشر من ذي الحجة عام ١٣٩٧ الموافق العشرين من نوفمبر ١٩٧٧ يؤدي سيادته صلاة عيد الاضحى المبارك في المسجد الاقصى مع ابناء الشعب الفلسطيني .

« وكان السيد الرئيس قد اعتاد ان يؤدي صلاة العيد في شبه جزيرة سيناء بعد ان حررتها حرب اكتوبر الظافرة مع الجنود الابطال والضباط البواسل ومع اهالي شبه جزيرة سيناء لكن نداء السلام القائم على العدل قد دعا الرئيس السادات ليذهب هذا العام ليؤدي صلاة عيد الاضحى المبارك في المسجد الاقصى فلبى النداء .

« ورئيس جمهورية مصر العربية حينما يلبي نداء السلام ويقرر الذهاب ، الى القدس فانما يلبي باسم المطالب المشروعة والعادلة للشعب العربي كله ولشعب فلسطين درءا لاختار تهدد سكان المنطقة ، بل تهدد الانسانية كلها

خطاب السادات امام الكنيسة
٢٠ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧

السلام لنا جميعا .. باذن الله

السلام عليكم ورحمة الله

سأذهب الى اسرائيل لانني اريد ان اطرح الحقائق كاملة امام شعب اسرائيل .

انني التمس العذر لكل من اذله القرار . او تشكك في سلامة النوايا وراء اعلان القرار فلم يكن احد يتصور ان رئيس اكبر دولة عربية ، تتحمل العبء الاكبر والمسؤولية الاولى في قضية الحرب والسلام في منطقة الشرق الاوسط يمكن ان يعرض قراره بالاستعداد الى الذهاب الى أرض الخصم . ونحن لا نزال في حالة حرب . بل نحن جميعا لا نزال نعاني من اثار اربع حروب قاسية خلال ثلاثين عاما . بل ان اسر ضحايا حرب اكتوبر ١٩٧٣ لا تزال تعيش مآسي الترمل وفقد الابناء واستشهاد الاباء والاخوات .

كما انني - كما سبق ان اعلنت من قبل - لم اتداول في هذا القرار مع احد من زملائي واخوتي رؤساء الدول العربية . أو دول المواجهة . ولقد اعترض من اتصل بي منهم بعد اعلان القرار . لان حالة الشك الكاملة ، وفقدان الثقة الكاملة ، بين الدول العربية والشعب الفلسطيني من جهة وبين اسرائيل من جهة اخرى لا تزال قائمة في كل النفوس ويكفي ان اشهرا ضاعت سدى ، في خلافات ومناقشات لا طائل منها حول اجراءات عقد مؤتمرات جنيف ، وكلها تعبر عن الشك الكامل ، وفقدان الثقة الكاملة .

ولكنني - اصارحكم القول بكل الصدق - انني اتخذت هذا القرار بعد تفكير طويل . وانا اعلم انه مخاطرة كبيرة ، لانه اذا كان الله قد كتب لي قدرتي ان اتولى المسؤولية عن شعب مصر ، وان اشارك في مسؤولية المصير بالنسبة للشعب العربي وشعب فلسطين ، فان اول واجبات هذه المسؤولية ان استنفد كل السبل ، لكي اجنب شعبي المصري العربي ، وكل الشعب العربي ، ويلات حروب اخرى محطمة ، مدمرة ، لا

السلام لنا جميعا . . على الارض العربية وفي اسرائيل . . وفي كل مكان من أرض هذا العالم الكبير المعقد بصراعاته الدامية ، المضطرب بتناقضاته الحادة ، المهدد بين الحين والحين بالحروب المدمرة ، تلك التي يصنعها الانسان ليقضي بها على اخيه الانسان . وفي النهاية ، وبين انقراض ما بنى الانسان وبين أشلاء الضحايا من بني الانسان ، فلا غالب ولا مغلوب ، بل ان المغلوب الحقيقي دائما هو الانسان . . أرقى ما خلقه الله . . الانسان الذي خلقه الله - كما يقول غاندي قديس السلام - « لكي يسعى على قدميه ، يبني الحياة . . ويعبد الله » .

وقد جئت اليكم اليوم على قدمين نابنتين لكي نبني حياة جديدة لكي نقيم السلام وكلنا على هذه الارض ، ارض الله : كلنا مسلمون ومسيحيون ويهود . . نعبد الله ولا نشرك به احدا ، وتعاليم الله . . ووصاياه . . هي حب وصدق وطهارة وسلام .

وانني التمس العذر لكل من استغل قرارى عندما اعلنته للعالم كله ، أمام مجلس الشعب المصري ، بالدهشة ، بل الدهول بل ان البعض قد صورت له المفاجأة العنيفة ان قرارى ليس اكثر من مناورة كلامية للاستهلاك امام الرأي العام العالمي ، بل وصفه بعض اخر بأنه تكتيك سياسي لكي اخفي به نواياي في شن حرب جديدة .

ولا اخفي عليكم ان احد مساعدي في مكتب رئيس الجمهورية اتصل بي في ساعة متأخرة من الليل بعد عودتي الى بيتي من مجلس الشعب ، ليسألني في قلق : وماذا تفعل يا سيادة الرئيس لو وجهت اليك اسرائيل الدعوة فعلا ؟ فاجبته بكل هدوء : سأقبلها على الفور . .

لقد اعلنت انني سأذهب الى اخر العالم

ان الاطفال الابرياء الذين يفقدون رعاية الاباء وعطفهم هم اطفالنا جميعا ، على ارض العرب او في اسرائيل لهم علينا المسؤولية الكبرى في ان نوفر لهم الحاضر الهائى والغد الجميل .

من أجل كل هذا ، ومن أجل ان نحيا حياة ابنائنا واخواتنا جميعا .

من أجل ان تنتج مجتمعاتنا ، وهي امنة مطمئنة . من أجل تطور الانسان واسعاده واعطائه حقه في الحياة الكريمة .

من أجل مسؤوليتنا امام الاجيال المقبلة .

من أجل بسمه كل طفل يولد على ارضنا ..

من أجل كل هذا اتخذت قرارى ان احضر اليكم - رغم كل المحاذير - لكي اقول كلمتى ..

ولقد تحملت واتحمل متطلبات المسؤولية التاريخية ، ومن أجل ذلك اعلنت من قبل ومند اعوام وبالتحديد في ٤ فبراير ١٩٧١ اننى مستعد لتوقيع اتفاق سلام مع اسرائيل ، وكان هذا هو اول اعلان يصدر من مسؤول عربي منذ ان بدأ الصراع العربي الاسرائيلى .

وبكل هذه الدوافع ، التى تفرضها مسؤولية القيادات اعلنت فى السادس عشر من اكتوبر ١٩٧٢ وامام مجلس الشعب المصرى ، الدعوة الى مؤتمر دولي يتقرر فيه السلام العادل الدائم .

ولم اكن فى ذلك الوقت فى وضع من يستجدي السلام ، او يطلب وقف النار .

وبهذه الدوافع كلها ، التى يلزم بها الواجب التاريخي والقيادي . وقعنا اتفاق فك الاشتباك الاول ، ثم اتفاق فك الاشتباك الثاني فى سيناء . ثم سعينا لنترك الابواب المفتوحة والمغلقة لايجاد طريق معين نحو

يعلم مداها الا الله .

وقد اقتنعت بعد تفكير طويل ، ان امانة المسؤولية امام الله وامام الشعب ، تفرض على ان اذهب الى اخر مكان فى العالم . بل ان احضر الى بيت المقدس ، لاخاطب اعضاء الكنيست ممثلى شعب اسرائيل بكل الحقائق التى تعتملى فى نفسى ، واترككم بعد ذلك لكي تقرروا لانفسكم وليفعل الله بنا بعد ذلك ما يشاء .

أيها السيدات والسادة :

ان فى حياة الامم والشعوب لحظات يتعين فيها على هؤلاء الذين يتصفون بالحكمة والرؤية الثاقبة ان ينظروا الى ما وراء الماضي بتعقيداته ورواسبه من أجل انطلاقة جسورة نحو افاق جديدة .

وهؤلاء الذين يتحملون مثلنا تلك المسؤولية الملقاة على عاتقنا هم اول من يجب ان تتوفر لديهم الشجاعة لاتخاذ القرارات المصيرية التى تتناسب مع جلال الموقف ، ويجب ان ترتفع جميعا فوق جميع صور التعصب وفوق خداع النفس وفوق نظريات التفوق البالية فمن المهم الا ننسى ابدا ان العصمة لله وحده .

واذا قلت اننى اريد ان اجنب كل الشعب العربي ويلات حروب جديدة مفاجئة . فاننى اعلن امامكم ، بكل الصدق ، اننى احمل نفس المشاعر ، واحمل نفس المسؤولية ، لكل انسان فى العالم وبالتاكيد نحو الشعب الاسرائيلى .

ضحية الحرب : الانسان .

ان الروح التى تزهب فى الحرب هي روح انسان ، سواء كان عربيا او اسرائيلى .

ان الزوجة التى تترمل . هي انسانة من حقها ان تعيش فى اسرة سعيدة سواء كانت عربية او اسرائيلية .

المخلصة الى اذني ، املا في ان تتحقق في النهاية النتائج التي يريها الملايين من هذا الاجتماع التاريخي .

وقبل ان اعلن لكم جوابي ، ارجو ان اؤكد لكم ، انني اعتمد في هذا الجواب الواضح الصريح ، على عدة حقائق لا مهرب لاحد من الاعتراف بها .

● الحقيقة الاولى : انه لا سعادة لاحد على حساب شقاء الاخرين .

● الحقيقة الثانية : انني لم اتحدث ، ولن اتحدث بلغتين .

ولم اتعامل ولن اتعامل بسياستين ، ولست التقي بأحد ، الا بلغة واحدة ، وسياسة واحدة ، ، ووجه واحد .

● الحقيقة الثالثة : ان المواجهة المباشرة ، وان الخط المستقيم ، هما أقرب الطرق وانجحها للوصول الى الهدف الواضح .

● الحقيقة الرابعة : ان دعوة السلام الدائم العادل ، المبني على احترام قرارات الامم المتحدة ، أصبحت اليوم دعوة العالم كله ، واصبحت تعبيراً واضحاً عن ارادة المجتمع الدولي ، سواء في العواصم الرسمية التي تصنع السياسة والقرار ، او على مستوى الرأي العام العالمي الشعبي ، ذلك الرأي العام الذي يؤثر في صنع السياسة واتخاذ القرار .

● الحقيقة الخامسة : ولعلها ابرز الحقائق واوضحها ، ان الامة العربية لا تتحرك في سعيها من اجل السلام الدائم العادل ، من موقع ضعف او اهتزاز ، بل انها على العكس تماما تملك من مقومات القوة والاستقرار ، ما يجعل كلمتها نابعة من ارادة صادقة نحو السلام ، صادرة عن ادراك حضاري بأنه لكي نتجنب كارثة محققة ، علينا وعليكم وعلى العالم كله ، فانه لا بديل عن اقرار سلام دائم وعادل ،

سلام دائم عادل وفتحنا قلوبنا لشعوب العالم كله لكي تتفهم دوافعنا ، واهدافنا ، ولكي تقتنع فعلا ، اننا دعاة عدل ، وصناع سلام .

وبهذه الدوافع كلها ، قررت بأن احضر اليكم ، بعقل مفتوح وقلب مفتوح وارادة واعية ، لكي نقيم السلام الدائم القائم على العدل .

وشاءت المقادير ان تجيء رحلتي اليكم ، رحلة السلام ، في يوم العيد الاسلامي الكبير عيد الاضحى المبارك عيد التضحية والقداء ، حين اسلم ابراهيم عليه السلام ، جد العرب واليهود . اقول حين امره الله ، وتوجه اليه بكل جوارحه ، لا عن ضعف بل عن قوة روحية هائلة وعن اختيار حر للتضحية بفلذة كبده ، بدافع من ايمانه الراسخ الذي لا يتزعزع بمثل عليا تعطي الحياة مغزى عميقا .

ولعل هذه المصادفة تحمل معنى جديدا ، في نفوسنا جميعا ، لعله يصبح املا حقيقيا في تباشير الامن والامان والسلام .

أيها السيدات والسادة :

دعونا نتصارع ، بالكلمة المستقيمة ، والفكرة الواضحة التي لا تحمل اي التواء ، ودعونا نتصارع اليوم ، والعالم كله بغريه وشرقه يتابع هذه اللحظات الفريدة ، التي يمكن ان تكون نقطة تحول جذري في مسار التاريخ في هذه المنطقة من العالم ، ان لم يكن في العالم كله .

دعونا نتصارع ونحن نجيب على السؤال الكبير : كيف يمكن ان نحقق السلام الدائم العادل ؟

لقد جئت اليكم احمل جوابي الواضح الصريح على هذا السؤال الكبير ، لكي يسمعه الشعب في اسرائيل ، ولكي يسمعه العالم اجمع ، ولكي يسمعه ايضا كل اولئك الذين تصل اصوات دعوات اصواتهم

الدائم العادل ، حتى لا تراق نقطة دم واحدة من جسد عربي او اسرائيلي .

ومن أجل هذا اعلنت انني مستعد ان اذهب الى اخر العالم .

وهنا ، اعود الى الاجابة على السؤال الكبير : كيف نحقق السلام الدائم والعادل؟

في رأيي . . واعلنها من هذا المنبر للعالم كله ، ان الاجابة ليست مستحيلة ولا هي بالعسيرة على الرغم من مرور اعوام طويلة ، من ثأر الدم ، والاحقاد والكراهية ، وتنشئة اجيال على القطيعة الكاملة والعداء المستحکم .

الاجابة ليست عسيرة ولا هي مستحيلة اذا طرقنا سبيل الخط المستقيم ، بكل الصدق والايمان .

انتم تريدون العيش هنا في هذه المنطقة من العالم .

وانا اقول لكم بكل الاخلاص : اننا نرحب بكم بيننا . . بكل الامن والامان .

ان هذا في حد ذاته يشكل نقطة تحول هائلة . . من علامات تحول تاريخي حاسم .

لقد كنا نرفض الاجتماع بكم . . في اي مكان . . نعم .

لقد كنا نصفكم باسرائيل المزعومة . . نعم . .

لقد كانت تجمعا المؤتمرات او المنظمات الدولية ، وكان ممثلونا ، ولا يزالون ، لا يتبادلون التحية والسلام .

نعم .

حدث هذا ولا يزال يحدث .

لقد كنا نشترط لاي مباحثات ، وسيطا يلتقي بكل طرف على انفراد .

نعم .

لا تزعزعه الانواء ولا تمحبث به الشكوك ، ولا تهزه سوء المقاصد او التواء النوايا .

من واقع هذه الحقائق ، التي اردت ان اضعكم في صورتها ، كما اراها ، ارجو ايضا ان احذركم بكل الصدق ، احذركم من بعض الخواطر التي يمكن ان تطرأ على اذهانكم .

ان واجب المصارحة يقتضي ان اقول لكم ما يلي .

اولا : انني لم اجيء اليكم لكي اعقد اتفاقا منفردا بين مصر واسرائيل . ليس هذا واردا في سياسة مصر ، فليست المشكلة هي مصر واسرائيل ، واي سلام منفرد بين مصر واسرائيل او بين اية دولة من دول المواجهة واسرائيل فانه لن يقيم السلام الدائم العادل في المنطقة كلها . بل اكثر من ذلك ، فانه حتى لو تحقق السلام بين دول المواجهة كلها واسرائيل ، يغير حل عادل للمشكلة الفلسطينية ، فان ذلك لن يحقق ابداء السلام الدائم العادل الذي يلح العالم كله اليوم عليه .

ثانيا : انني لم اجيء اليكم داعيا الى سلام جزئي ، بمعنى ان ننهي حالة الحرب في هذه المرحلة . ثم نرجى المشكلة برمتها الى مرحلة تالية .

فليس هذا هو الحل الجذري الذي يصل بنا الى السلام الدائم .

ويرتبط بهذا انني لم اجيء اليكم ، لكي نتفق على فض اشتباك ثالث في سيناء ، او في سيناء والجولان والضفة الغربية ، فان هذا يعني اننا نؤجل فقط اشتعال الفتيل الى أي وقت مقبل .

بل هو يعني ، اننا نفتقد شجاعة مواجهة السلام ، واننا اضعف من ان نتحمل اعباء ومسؤوليات السلام الدائم العادل .

لقد جنئت اليكم ، لكي نبني معا ، السلام

كان جدارا يحذرنا من الابادة والفناء
اذا نحن حاولنا ان نستخدم حقنا المشروع
في تحرير ارضنا المحتلة .

وعلينا ان نعترف معا . بأن هذا الجدار
قد وقع وتحطم في عام ١٩٧٣ . ولكن بقي
جدار اخر .

هذا الجدار الاخر ، يشكل حاجزا
نفسيا معقدا بيننا وبينكم ، حاجزا من
الشكوك ، حاجزا من النفور ، حاجزا من
خشية الخداع ، حاجزا من الاوهام حول
اي تصرف او فعل او اقرار ، حاجزا من
التفسير الحذر الخاطيء لكل حدث او
حدث .

وهذا الحاجز النفسي هو الذي عبرت
عنه ، في تصريحات رسمية ، بأنه يشكل
سبعين في المائة من المشكلة .

وانني اسألکم اليوم - بزيارتي لكم -
لماذا لا نمد ايدينا ، بصدق وايمان
واخلاص ، لكي نحطم هذا الحاجز معا ؟

لماذا لا تتفق ارادتنا ، بصدق وايمان
واخلاص ، لكي نزيل معا كل شكوك الخوف
والغدر والتواء المقاصد واخفاء حقائق
النوايا ؟

لماذا لا نتصدى معا بشجاعة الرجال ،
وبجسارة الابطال الذين يهبون حياتهم
لهدف اسمى ؟

لماذا لا نتصدى معا بهذه الشجاعة
والجسارة لكي نقيم صرحا شامخا للسلام
يحمي ولا يهدد . . . يشع لاجيالنا القادمة
اضواء الرسالة الانسانية نحو البناء
والتطور ورفعة الانسان ؟

لماذا نورث هذه الاجيال نتائج سفك
الدماء ، وازهاق الارواح ، وتيتيم الاطفال
وترمل الزوجات ، وهدم الاسر ، وانين
الضحايا .

لماذا لا نؤمن بحكمة الخالق اوردها في

هكذا تمت مباحثات فض الاشتباك
الاول ، وهكذا ايضا تمت مباحثات فض
الاشتباك الثاني .

كما ان ممثلينا التقوا في مؤتمر جنيف
الاول : دون تبادل كلمة مباشرة .

نعم .

هذا حدث .

ولكنني اقول لكم اليوم . . . اعلن للعالم
كله . . . اننا نقبل بالعيش معكم في سلام
دائم وعادل . . . ولا نريد ان نحيطكم او
ان تحيطونا بالصواريخ المستعدة للتدمير
او بقذائف الاحقاد والكراهية .

ولقد اعلنت اكثر من مرة . ان اسرائيل
اصبحت حقيقة واقعة . اعترف بها العالم ،
وحملت القوتان العظميان مسؤولية أمنها
وحماية وجودها .

ولما كنا نريد السلام فعلا وحقا فاننا
نرحب بأن تعيشوا بيننا في أمن وسلام .
فعلا وحقا . . .

لقد كان بيننا وبينكم جدار ضخم مرتفع
حاولتم ان تبنيه على مدى ربع قرن من
الزمان . ولكنه تحطم في عام ١٩٧٣ .

كان جدارا من الحرب النفسية المستمرة
في التهابها وتصاعدها .

كان جدارا من التخويف بالقوة القادرة
على اكتساح الامة العربية من اقصاها
الى اقصاها .

كان جدارا من الترويج باننا امة تحولت
الى جثة بلا حراك . بل ان منكم من قال
انه حتى بعد مضي خمسين عاما مقبلة ،
فلن تقوم للعرب قائمة من جديد .

كان جدارا يهدد دائما بالزراع الطويلة
القادرة على الوصول الى اي موقع والى
أي بعد .

أمثال سليمان الحكيم .

والحق أقول لكم أيضا : ان أمامنا اليوم
الفرصة السانحة للسلام وهي فرصة لا
يمكن ان يوجد بمثلها الزمان اذا كنا
جادين حقا في النضال من أجل السلام .

وهي فرصة ، لو اضعناها او بدناها
فلسوف نحل بالمأمر عليها ، لعنة الانسانية
ولعنة التاريخ .

ما هو السلام بالنسبة لاسرائيل ؟ ان
تعيش في المنطقة مع جيرانها العرب . .
في أمن واطمئنان . .
هذا منطوق أقول له نعم .

ان تعيش اسرائيل في حدودها ، امنة
من اي عدوان .

هذا منطوق أقول له نعم .

ان تحصل اسرائيل على كل انواع
الضمانات التي تؤمن لها هاتين الحقيقتين
هذا مطلب أقول له نعم .

بل اننا نعلن اننا نقبل كل الضمانات
الدولية التي تصورونها وممن ترضونها
انتم .

نعلن اننا نقبل كل الضمانات التي
تريدونها من القوتين العظميين ، او من
احدهما ، او من الخمسة الكبار ، او من
بعضهم .

واعود فاعلن بكل الوضوح اننا قابلون
بأي ضمانات ترتضونها لاننا في المقابل ،
سنأخذ نفس الضمانات .

خلاصة القول اذن عندما نسال : ما هو
السلام بالنسبة لاسرائيل ؟

يكون الرد هو ان تعيش اسرائيل في
حدودها مع جيرانها العرب في أمن وامان
وفي اطار كل ما ترتضيه من ضمانات
يحصل عليها الطرف الاخر .

ولكن كيف يتحقق هذا ؟

« الغش في قلب الذين يفكرون في
الشر ، اما المبشرون بالسلام فلهم فرح » .

« لقمة يابسة ومعها سلامة ، خير من
بيت مليء بالذبائح مع الخصام » .

لماذا لا نردد معا من مزامير داود النبي
« اليك يا رب اصرخ . . اسمع صوت
تضرعي اذا استعنت بك ، وارفع يدي
الى محراب قدسك ، لا تجذبني مع الاشرار
ومع فعلة الاثم ، المخاطبين اصحابهم
بالسلام والشر في قلوبهم ، اعطهم حسب
فعلهم ، وحسب شر اعمالهم ، اطلب
السلامة واسعى وراءها » .

أيها السادة :

الحق أقول لكم ان السلام لن يكون
اسما على مسمى ما لم يكن قائما على
العدالة وليس على احتلال ارض الغير .
ولا يسوغ ان تطلبوا لانفسكم ما تنكرونه
على غيركم .

وبكل صراحة . وبالروح التي حدث بي
الى القدوم اليكم اليوم فاني أقول لكم :
ان عليكم ان تتخلوا نهائيا عن اخلام
الغزو وان تتخلوا ايضا عن الاعتقاد
بأن القوة هي خير وسيلة للتعامل مع
العرب .

ان عليكم ان تستوعبوا جيدا دروس
المواجهة بيننا وبينكم فلن يجديكم التوسع
شيئا .

ولكي نتكلم بوضوح فان ارضنا لا تقبل
المساومة . وليست عرضة للجدل .

ان التراب الوطني والقومي يعتبر لدينا
في منزلة الوادي المقدس طوى الذي كلم
فيه الله موسى عليه السلام « ولا يملك
اي منا ، ولا يقبل ، ان يتنازل عن شبر
واحد منه ، او ان يقبل مبدأ الجدل
والمساومة عليه » .

معا في هذه المنطقة من العالم في أمن وامان وانتم تحتلون ارضا عربية بالقوة المسلحة فليس هنالك سلام يستقيم او يبني مع احتلال ارض الغير .

نعم . . .

هذه بديهية لا تقبل الجدل والنقاش اذا خلصت النوايا وصدق النضال لاقرار السلام الدائم العادل ولكل الاجيال من بعدنا .

أما بالنسبة للقضية الفلسطينية فليس هنالك من ينكر انها جوهر المشكلة كلها وليس هناك من يقبل اليوم في العالم كله شعارات رفعت هنا في اسرائيل تتجاهل وجود شعب فلسطين بل وتتساءل أين هو هذا الشعب ؟

ان قضية شعب فلسطين وحقوق شعب فلسطين المشروعة لم تعد اليوم موضع تجاهل او انكار من أحد . بل لا يحتمل عقل يفكر ان تكون موضع تجاهل او انكار انها واقع استقبله المجتمع الدولي غربا وشرقا . بالتأييد والمساندة والاعتراف في مواثيق دولية وبيانات رسمية لن يجدي احد ان يصم اذانه عن دويها المسموع ليل نهار او ان يغمض عينيه عن حقيقتها التاريخية وحتى الولايات المتحدة قمة الالتزام لحماية وجود اسرائيل وامنها والتي قدمت - وتقدم الى اسرائيل - كل عون معنوي ومادي وعسكري .

أقول حتى الولايات المتحدة اختارت ان تواجه الحقيقة والواقع وان تعترف بان للشعب الفلسطيني حقوقا مشروعة وان المشكلة الفلسطينية هي قلب الصراع وجوهره وطالما بقيت معلقة دون حل فان النزاع سوف يتزايد ويتصاعد ليلبغ ابغادا جديدة وبكل الصدق اقول لكم ان السلام لا يمكن ان يتحقق بغير الفلسطينيين وانه لخطا جسيم لا يعلم مداه احد ان تغض الطرف عن تلك القضية او ان ننحيتها جانبا .

ولن استطرده في سرد احداث الماضي

كيف يمكن ان نصل الى هذه النتيجة لكي نصل بها الى السلام الدائم العادل ؟ هناك حقائق لا بد من مواجهتها بكل شجاعة ووضوح .

هناك ارض عربية احتلتها - ولا تزال تحتلها - اسرائيل بالقوة المسلحة ونحن نصر على تحقيق الانسحاب الكامل منها بما فيها القدس العربية . القدس التي حضرت اليها باعتبارها مدينة السلام . والتي كانت وسوف تظل على الدوام التجسيد الحي للتعايش بين المؤمنين بالديانات الثلاث .

وليس من المقبول ان يفكر احد في الوضع الخاص لمدينة القدس في اطار الضم او التوسع وانما يجب ان تكون مدينة حرة مفتوحة لجميع المؤمنين .

واهم من كل هذا فان تلك المدينة يجب الا تفصل عن هؤلاء الذين اختاروها مقرا ومقاما لعدة قرون . وبدلا من ايقاظ الحروب الصليبية فاننا يجب ان نحيي روح عمر بن الخطاب وصالح الدين . اي روح التسامح واحترام الحقوق .

ان دور العبادة الاسلامية والمسيحية ليست مجرد أماكن لاداء الفرائض والشعائر بل انها تقوم شاهد صدق على وجودنا الذي لم ينقطع في هذا المكان سياسيا وروحيا وفكريا .

وهنا . . . فانه يجب الا يخطيء احد تقدير الاهمية والاجلال اللذين نكتهما للقدس نحن معشر المسيحيين والمسلمين .

ودعوني اقول لكم بلا أدنى تردد انني لم اجيء اليكم تحت هذه القبة لكي اتقدم برجاء ان تجلوا قواتكم من الارض المحتلة ان الانسحاب الكامل من الارض العربية المحتلة عام ١٩٦٧ امر بديهي لا نقبل فيه الجدل ولا رجاء فيه لاحد او من احد . . .

ولا معنى لاي حديث عن السلام الدائم العادل ولا معنى لاي خطوة لضمان حياتنا

مع الحق الفلسطيني .. ولا جدوى من خلق العقبات .. الا ان تتأخر مسيرة السلام .. او ان يقتل السلام .

وكما قلت لكم .. فلا سعادة لاحد على حساب شقاء الاخرين .. كما ان المواجهة المباشرة والخط المستقيم هما أقرب الطرق وانجحها للوصول الى الهدف الواضح والمواجهة المباشرة للمشكلة الفلسطينية . واللغة الواحدة لعلاجها نحو سلام دائم عادل هي في ان تقوم دولته ..

ومع كل الضمانات الدولية التي تطلبونها فلا يجوز ان يكون هناك خوف من دولة وليدة تحتاج الى معونة كل دول العالم لقيامها .. وعندما تدق اجراس السلام فلن توجد يد لتدق طبول الصرب واذا وجدت فلن يسمع لها صوت .

وتصوروا معي اتفاق سلام في جنيف نزفه الى العالم المتعطش الى السلام ..

اتفاق سلام يقوم على :

اولا : انتهاء الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية التي احتلت في عام ١٩٦٧ .

ثانيا : تحقيق الحقوق الاساسية للشعب الفلسطيني وحقه في تقرير المصير بما في ذلك حقه في اقامة دولته .

ثالثا : حق كل دول المنطقة في العيش في سلام داخل حدودها الامنة والمضمونة عن طريق اجراءات يتفق عليها تحقق الامن المناسب للحدود الدولية ، بالاضافة الى الضمانات الدولية المناسبة .

رابعا : تلتزم كل دول المنطقة بادارة العلاقات فيما بينها طبقا لاهداف ومبادئ ميثاق الامم المتحدة ، وبصفة خاصة عدم اللجوء الى القوة . وحل الخلافات بينهم بالوسائل السلمية .

منذ صدر وعد بلفور لستين عاما خلت فانتم على بيعة من الحقائق جيدا .

واذا كنتم قد وجدتم المبرر القانوني والاخلاقي لاقامة وطن قومي على ارض لم تكن كلها ملكا لكم فأولى بكم ان تتفهموا اصرار شعب فلسطين على اقامة دولته من جديد في وطنه .

وحين يطالب بعض الغلاة والمتطرفين ان يتخلى الفلسطينيون عن هذا الهدف الاسمي .. فان معناه في الواقع حقيقة الامر مطالبة له بالتخلي عن هويتهم وعن كل أمل لهم في المستقبل .

انني احبي اصواتا اسرائيلية .. طالبت بالاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني وصولا الى السلام وضمانا له ولذلك .. فانني اقول لكم ايها السيدات والسادة انه لا طائل من وراء عدم الاعتراف بالشعب الفلسطيني وحقوقه في اقامة دولته وفي العودة .

لقد مررنا نحن العرب بهذه التجربة من قبل .. معكم .. ومع حقيقة الوجود الاسرائيلي وانتقل بنا الصراع .. من حرب الى حرب .. ومن ضحايا الى مزيد من الضحايا حتى وصلنا اليوم - نحن وانتم - الى حافة هاوية رهيبية وكارثة مروعة اذا نحن لم نغتنم اليوم معا فرصة السلام الدائم والعادل ..

عليكم ان تواجهوا الواقع مواجهة شجاعة كما واجهته انا ..

ولا حل لمشكلة ابدا بالهروب منها او التعالي عليها ..

لا يمكن ان يستقر سلام بمحاولة فرض اوضاع وهمية .. اذار لها العالم كله ظهره .. واعلن ندائه الاجماعي بوجوب احترام الحق والحقيقة ..

ولا داعي للدخول في الحلقة المفرغة

خامسا : انتهاء حالة الحرب القائمة
في المنطقة .

أيها السيدات والسادة :

ان السلام ليس توقيعا على سطور
مكتوبة ، انه كتابة جديدة للتاريخ .

ان السلام ليس مباراة في المناادة به
للدفاع عن أية شهوات او لستر اية اطماع
فالسلام في جوهره نضال جبار ضد كل
الاطماع والشهوات .

ولعل تجارب التاريخ القديم والحديث
تعلمنا جميعا ، ان الصواريخ والبوارج
والاسلحة النووية لا يمكن ان تقيم الامن
ولكنها على العكس تحطم كل ما يبينه
الامن .

وعليتنا ..

من أجل شعوبنا ..

من أجل حضارة صنعها الانسان ، ان
نحمي الانسان في كل مكان .. من سلطان
قوة السلاح .

علينا ان نعلن سلطان الانسانية بكل
قوة القيم والمبادئ التي تعلي مكانة
الانسان .

واذا سمحت لي ، ان اتوجه بندائي من
هذا المنبر الى شعب اسرائيل .. فانني
اتوجه بالكلمة الصادقة الخالصة الى كل
رجل وامرأة وطفل في اسرائيل .

انني احمل اليكم من شعب مصر الذي
يبارك هذه الرسالة المقدسة من أجل
السلام .

أحمل اليكم رسالة السلام رسالة شعب
مصر الذي لا يعرف التعصب ، والذي
يعيش ابناؤه من مسلمين ومسيحيين
ويهود بروح المودة والحب والتسامح .

وهذه هي مصر ، التي حملني شعبها

امانة الرسالة المقدسة .. رسالة الامن
والامان والسلام ..

فيا كل رجل وامرأة وطفل في اسرائيل
.. شجعوا قياداتكم على نضال السلام .

ولتتجه الجهود الى بناء صرح شامخ
للسلام ، بدلا من بناء القلاع والمخابيء
المحصنة بصواريخ الدمار .

قدموا للعالم كله ، صورة الانسان
الجديد ، في هذه المنطقة من العالم ، لكي
يكون قدوة لانسان العصر .. انسان
السلام في كل موقع ومكان .

بشروا ابناءكم .. ان ما مضى ، هو
اخر الحروب ونهاية الالام ، وان ما هو
قادم هو البداية الجديدة ، للحياة الجديدة
.. حياة الحب والخير والحرية والسلام

ويا ايتها الام التكلي

ويا أيتها الزوجة المترملة ..

ويا أيها الابن الذي فقد الاخ والاب .
يا كل ضحايا الحروب ..

املأوا الارض والفضاء ، بتراتيل السلام
املأوا الصدور والقلوب ، بامال .

اجعلوا الانشودة حقيقة تعيش وتثمر .
اجعلوا الامل دستور عمل ونضال ..

وارادة الشعوب هي من ارادة الله ..
أيها السيدات والسادة :

قبل ان اصل الى هذا المكان ، توجهت
بكل نبضة من قلبي ، وبكل خلجة في
ضميري ، الى الله سبحانه وتعالى ، وانا
أؤدي صلاة العيد في المسجد الأقصى وانا
ازور كنيسة القيامة ، توجهت الى الله
سبحانه وتعالى ، بالدعاء ان يلهمني
القوة : وان يؤكد يقين ايماني ، بأن
تحقق هذه الزيارة اهدافها ، التي ارجوها
من أجل حاضر سعيد ، ومستقبل اكثر
سعادة ..

كل مواطن على ارضنا جميعا ، من حقه ان يعيش في سلام .

انها التزام الضمير والمسؤولية في قلوب الملايين .

ولقد تساءل الكثيرون ، عندما طرحت هذه المبادرة ، عن تصوري لما يمكن انجازها في هذه الزيارة ، وتوقعاتي منها .

وكما اجبت السائلين ، فاني اعلن أمامكم انني لم افكر في القيام بهذه الزيارة، وانما جئت هنا لكي ابلغ رسالة . الا هل بلغت اللهم فاشهد .

اللهم انني اردد مع زكريا قوله « احبوا الحق والسلام » .

واستلهم آيات الله العزيز الحكيم حين قال : « قل امنا بالله وما انزل علينا وما انزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم ، لا نفرق بين أحد منهم، ونحن له مسلمون » .

« صدق الله العظيم ، والسلام عليكم .

لقد اخترت ان اخرج على كل السوابق والتقاليد التي عرفتها الدول المتحاربة ، ورغم ان احتلال الارض العربية لا زال قائما ، بل كان اعلاني عن استعدادي للحضور الى اسرائيل مفاجأة كبرى هزت كثيرا من المشاعر ، واذهلت كثيرا من العقول ، بل شككت في نواياها بعض الاراء ، برغم كل ذلك فاني استلهمت القرار بكل صفاء الايمان وطهارته ، وبكل التعبير الصادق عن ارادة شعبي ونواياه اخترت هذا الطريق الصعب ، بل انه في نظر الكثيرين اصعب طريق .

اخترت ان حضر اليكم . . بالقلب المفتوح والفكر المفتوح .

اخترت ان اعطي هذه الدفعة لكل الجهود العالمية المبذولة من أجل السلام . واخترت ان اقدم لكم - وفي بيتكم - الحقائق المجردة عن الاغراض والاهواء . لا لكي اناور .

بل لكي اكسب جولة ، اخطر الجولات والمعارك في التاريخ المعاصر .

معركة السلام العادل والدائم .

انها ليست معركتي فقط ، ولا هي معركة القيادات فقط في اسرائيل . ولكنها معركة

نص خطاب بيغن امام الكنيست

القربان . تلك التجربة التي امتحن الله بها ابانا ، ابانا المشترك بايماننا ، وقد صمد ابراهيم في هذه التجربة . الا انها كانت ، من الناحية الخلقية وارتقاء الانسانية ، تحريما للتقرب بالقرابين البشرية ، ولقد تعلم شعبانا ، وعلما ، تلك اللا الانسانية . والشعوب لا تزال ممن

سيدي رئيس الكنيست ، سيدي رئيس دولة اسرائيل ، سيدي رئيس جمهورية مصر العربية ، سيداتي وسادتي اعضاء الكنيست ، بركاتي للرئيس ، ولكل ابناء الدين الاسلامي في بلدنا ، وحيثما وجدوا بمناسبة عيد الاضحى الاسلامي . ان هذا العيد ليذكرنا بتجربة

جبهات ثلاث وصدنا دون سلاح تقريبا ،
 قلة ضد كثرة ، ضعفاء ضد اقوياء ، في
 محاولة لخنق استقلالنا في مهده ، وبعد
 يوم واحد من اعلانه فقط ، وللقضاء على
 الامل الاخير للشعب اليهودي في جيل
 الابداء والبعث .

كلا ، اننا لا نؤمن بالقوة ، ولم نبين
 علاقاتنا ، في يوم من الايام ، مع الشعب
 العربي على القوة ، وانما العكس هو
 الصحيح ، فقد كانت القوة تمارس ضدنا ،
 ولم ننقذ يوما ، عن ان نكون مهاجمين ،
 وعلى مدار سنوات هذا الجيل بأكمله ،
 بقوة الذراع لابداء شعبنا وتدمير
 استقلالنا ، واسقاط حقنا .

لقد دافعنا ، اجل ، لقد دافعنا عن
 حقنا ، وعن وجودنا ، وعن كرامتنا ، وعن
 نساتنا واطفالنا ، ضد المحاولات المستمرة
 والمتكررة ، في استعمال القوة ضدنا ،
 وليس على جبهة واحدة فقط . ولقيد
 انتصرنا بعون الله ، على قوى العدوان
 وامننا الوجود لشعبنا ، لا لهذا الجيل
 وحسب ، وانما للاجيال القادمة ايضا .
 اننا لا نؤمن بالقوة . اننا نؤمن بالحق ،
 وبالحق فقط ، ولهذا فان طموحنا المنبثق
 من اعماق قلوبنا ، كان دائما ، وحتى
 يومنا هذا ، هو السلام .

سيدي رئيس الكنيسة ، سيدي رئيس
 مصر ، في هذا البرلمان الديمقراطي ،
 يجلس قادة كل تنظيمات المقاومة السرية
 العبرية المقاتلة . لقد كانوا مضطربين
 لخوض معركة الاقلية ضد الاكثرية ، ضد
 قوة عالمية عظمى . هنا يجلس كبار
 قوادنا وجنرالنا ، والذين قوادوا
 فيالق كاملة للمعركة التي فرضت عليهم ،
 والى النصر الاكيد لانهم كانوا يدافعون
 عن حقنا . انهم ينتمون الى احزاب
 مختلفة ، ولهم آراء مختلفة . ولكنني
 متأكد سيدي الرئيس ، انني اعبر عن

حولنا تضحي بالقرايين الادمية لآلهتها -
 وهكذا ساهمنا ، شعب اسرائيل والشعب
 العربي ، في ارتقاء الانسان ، ولا نزال
 نساهم في الحضارة الانسانية حتى يومنا
 هذا .

وانني لارحب برئيس مصر في مجيئه
 الى بلادنا ، ولاشترآكه في جلسة الكنيسة .
 ان فترة الطيران بين القاهرة والقدس
 قصيرة ، ولكن المسافة بينهما كانت حتى
 الامس لانهاية . لقد قطع الرئيس
 السادات هذه المسافة بشجاعة ، ونحن
 اليهود نعرف كيف نقدر الشجاعة ،
 وسنعرف كيف نقدرها لدى ضيفنا ، اذ بها
 وجدنا ، وبها نحيا .

سيدي رئيس الكنيسة ، ان هذه الامة
 الصغيرة ، بقايا الهجرة للشعب اليهودي،
 التي عادت الى وطننا التاريخي كانت
 تريد السلام دائما . ومنذ ان اطل فجر
 استقلالنا في ١٤ ايار ١٩٤٨ ، في (د ايار
 ت ش ح) ، قال بن غوريون في اعلان
 الاستقلال ، في الميثاق الاساسي لتحررنا
 القومي : « اننا نمد يد السلام وحسن
 الجوار لكل الدول المجاورة وشعوبها ،
 وندعوهم للمساهمة في التعاون المشترك
 مع الشعب العبراني المستقل في بلادنا » .

وقبل عام ، واپان العمل السري، ونحن
 لا نزال نخوض معركتنا المصيرية لتحرير
 البلاد - الخلاص لشعبنا ، ناشدنا
 جيراننا بما يأتي : « في هذه البلاد نعيش
 معا ، وننقدم معا ، نحو حياة حرة
 سعيدة . يا جيراننا العرب لا ترفضوا
 اليد الممدودة اليكم للسلام » .

ولكن واجبي ، سيدي رئيس الكنيسة ،
 وليس حقي وحسب ، ان اؤكد اليوم
 استنادا للحقيقة ، بأن يدنا الممدودة
 للسلام لم تقبل ، بعد يوم واحد على
 تجديد استقلالنا ، بما يقتضيه حقنا - وهو
 ازلي وغير قابل للطعن - هوجمنا على

سلام ، وهذا ما نؤمن به ايمانا مطلقا ،
بأنه لا بد وان يأتي اليوم الذي سنوقعها
فيه باحترام متبادل ، وعندها سنؤمن بأن
مرحلة الحروب قد انتهت ، واننا مددنا
كل يده لصديقه ، وصافحنا كل صديقه ،
وان المستقبل سيكون زاهرا لكل شعوب
المنطقة ، وبداية الطريق الى معاهدة
سلام - الغاء حالة الحرب .

اوافق ، سيدي الرئيس ، انك لم تأت
الينا ، واننا لم ندعك الى بلدنا ، كي ندق
اسفينا بين الشعوب العربية ، كما يتردد
في الايام الاخيرة .

فان اسرائيل لا تريد الهيمنة كما لا
تريد التفرة . اننا نريد السلام مع
جيراننا ، مع مصر والاردن ، ومع سوريا
ولبنان . اننا نريد اجراء مفاوضات .
لا حاجة لنا الى الفصل بين معاهدة
سلام ، والغاء حالة الحرب . فاننا لا
نقترح ذلك ، ولا نطالب بذلك ، بل
العكس ، فان البند الاول في معاهدة سلام
هو الغاء حالة الحرب - والى الابد .

اننا نريد اقامة علاقات طبيعية بيننا ،
كما هي قائمة بين جميع الشعوب ، وبعد
كل تلك الحروب . فلقد تعلمنا من
التاريخ ، سيدي الرئيس ، بأن الحرب
يمكن منعها ، ولكن السلام لا يمكن
منعه .

كثيرة هي الشعوب التي خاضت حروبا
بينها ، وقد استعملت في كثير من الاحيان.
تلك العبارة ، العبارة الحمقاء « عدو
دائم » . لا اعداء دائمين ، فبعد كل
تلك الحروب جاء ما لا يمكن منعه -
السلام . ولهذا فاننا نطالب بالنص على
علاقات دبلوماسية في معاهدة سلام ، كما
هو العرف بين الشعوب المتحضرة .

اليوم يخفق في القدس علمان - العلم
المصري والعلم الاسرائيلي . ولقد رأينا
سوية ، سيدي الرئيس ، اطفالنا الصغار ،

ارائهم جميعا بدون استثناء - بأن لنا
تطلعا واحدا فقط ، رغبة واحدة فسي
النفس ، وكلنا موحدون في هذا التطلع
وهذه الرغبة : ان نحقق السلام لشعبنا ،
الذي لم يعرف السلام حتى ولو ليسوم
واحد منذ ان بدأنا في العودة الى صهيون ،
ولجيراننا الذين نتمنى لهم كل خير .
اننا نؤمن بأننا اذا ما حققنا السلام ،
سلام حقيقي ، نستطيع مد يد العون كل
للآخر في جميع مجالات الحياة ، وان عهدا
جديدا سيفتح في الشرق الاوسط ، عهد
ازدهار وانطلاق ، عهد تطوير وتطور
ونمو . كما كان في القديم .

وعليه ، فليسمح اليوم لي ، ان احدد
ماهية السلام وفقا لفهومنا نحن ، اننا
نطالب بسلام كامل وحقيقي ، من خلال
صلح نهائي بين الشعب اليهودي والشعب
العربي ، ودون الغوص في ذكريات
الماضي . لقد كانت حروب وارقة دماء ،
وابناء جيل فتي راعون سقطوا من كلا
الطرفين ، وسنحمل ما حيينا ذكر ابطالنا
الذين ضحوا بانفسهم من اجل الوصول
الى هذا اليوم ، ولا بد لهذا اليوم من ان
يأتي .

اننا لنحترم في خصمنا شجاعته ، كما
ونكن احترامنا لكل اولئك الذين سقطوا
هم الآخرون من ابناء الجيل الفتي للشعب
العربي . فلنكف عن الغوص في ذكريات
الماضي ، وان كانت عزيزة على قلوبنا ،
ولنتخطاها اذن ، ولنعمل من اجل
المستقبل ، من اجل شعبنا واولادنا ، من
اجل مستقبلنا المشترك ، ومن اجل ان
نعيش كلنا في هذه المنطقة معا الى الابد ،
الشعب العربي بدوله وبلادته ، والشعب
اليهودي في بلده - ارض اسرائيل . ولهذا
لا بد لنا ان نحدد ماهية السلام .

فلنجر ، سيدي الرئيس ، ويعون الله ،
مفاوضات كرجال احرار ، على معاهدة

حدودنا مفتوحة امامكم ولكن كذلك الحدود الاخرى - وما ذكرته ، نريده في الجنوب والشمال والشرق .

وعليه فانني اجدد دعوتي لرئيس سوريا بأن يقتفي اثرك ، يا سيدي الرئيس ، ويأتي الينا كي نبدأ مفاوضات من اجل احلال سلام بين اسرائيل وسوريا ، وللتوقيع على معاهدة سلام بينهما . ويؤسفني القول ، ان لا مبرر لذلك الحداد الذي اعلنه عبر حدودنا الشمالية ، وانما العكس ، فان زيارات كهذه ، وعلاقات كهذه ، ومحادثات كهذه ، يمكنها بل ولا بد ان تكون ايام فرح وبهجة لكل الشعوب .

وانني ادعو الملك حسين ان يأتي ، لندبحث معه كل المشاكل المعلقة بينه وبيننا ، كما وادعوا ناطقين حقيقيين باسم عرب اسرائيل ، لان يأتوا ويجروا محادثات توضيحية معنا بالنسبة لمستقبلنا المشترك ، عن حرية الانسان ، والعدالة الاجتماعية ، والسلام والاحترام المتبادل .

فاذا ما دعونا للمجيء الى عواصمهم ، فاننا سنلبي الدعوة . واذا ما دعونا لبدء مفاوضات في دمشق ، وعمان ، وبيروت ، فاننا سنذهب الى تلك العواصم ، كي تجري المفاوضات معها هناك . اننا لا نريد التفرقة . اننا نريد

سلاما حقيقيا مع كل جيراننا ، يترجم في معاهدات سلام بمضمونها كما اوضحت . سيدي رئيس الكنيسة ، انه لمن واجبي اليوم ان اقص على ضيوفنا ، وعلى مسامع كل الشعوب التي تشاهدونها وتستمع الى اقوالنا ، الصلة بين شعبنا وبين هذه البلاد . فلقد ذكر الرئيس تصريح بلفور . كلا ، يا سيدي ، اننا لم نستول على اية ارض اجنبية . لقد عدنا الى وطننا . فالصلة بين شعبنا وبين هذه البلاد هي صلة ازلية ، وقد قامت في

يلوحون بالعلمين . فلنوقع معاهدة سلام ونثبت حالة كهذه الى الابد ، وكما في القدس في القاهرة ايضا ، انني لامل ان يأتي اليوم الذي يلوح فيه الاطفال المصريون بالعلم الاسرائيلي والعلم المصري ، كما لوح اطفال اسرائيل بهذين العلمين في القدس . ان يكون لك ، سيدي الرئيس ، سفير معتمد في القدس وسفير لنا في القاهرة ، حتى وان ثارت خلافات بيننا ، فسوف نبحثها كشعوب متحضرة بواسطة مندوبينا المفاوضين .

اننا ندعو الى تعاون اقتصادي لتطوير بلدنا . ففي الشرق الاوسط بلاد رائحة - هكذا خلقه الله ، انه لواحة ، ولكن ثمة صحارى فيه ومن الممكن اخصابها .

فويا نتعاون في هذا المضمار . نظور بلادنا ، ونلغي الفقر والجوع وعدم المأوى ، ونرفع شعوبنا الى مستوى الدول المتطورة ولا نسمى بعد ذلك بالسدول النامية .

مع كل احترامي ، فانني مستعد للتصديق على كلام جلاله ملك المغرب ، الذي قال علانية ، بأنه اذا ما قام السلام

في الشرق الاوسط فان الدمج بين الثروة العربية والعبرية اليهودية معا ، سيحول هذه المنطقة لجنتا عدن على الارض .

فهيا بنا نفتح بلدينا لحركة حرة ، فلتأتوا انتم الينا ، ولنزركم نحن ، وانني مستعد للاعلان ، سيدي رئيس الكنيسة ، هذا اليوم ، ان بلدنا مفتوح امام مواطني مصر ، ولا اقرن اعلاني هذا بأية شروط من جانبنا ، واعتقد انه من الواجب والعدل ، ان يكون ثمة اعلان مقابل في هذا الشأن . ولكن ، فكما توجد اعلام مصرية في شوارعنا ، كذلك ثمة وفد محترم من مصر اليوم في عاصمتنا وبلدنا ، وليكثر الزائرون . فلتكن

اسرائيل . هذا هو حقنا . وجودها - انها الحقيقية .

ما الذي اصابنا عندما سلبننا وطننا ؟ لقد رافقتك هذا الصباح ، سيدي الرئيس ، الى « ياد فاشيم » ، ورأيت بأمر عينيك ما الذي حل بمصير شعبنا ، حين سلب وطنه هذا منه .

لقد وافقنا كلانا ، سيدي الرئيس ، انه من لم ير بأمر عينيه كل ما هو قائم في « ياد فاشيم » ، فانه لا يستطيع فهم ما الذي حدث لهذا الشعب ، حين كان مسلوبا وطنه - ملكه .

كلانا قرأنا وثيقة من ٣٠ كانون الثاني ١٩٣٩ ظهرت فيها كلمة « اباداة » - فاذا ما نشبت حرب فسيباد العرق اليهودي في اوروبا . وكذلك قالوا لنا في حينه : لا تعبروا هذه الاقوال اهمية . وقد سمع العالم كله ، ولم يأت رجل واحد لانقاذنا ، لا في التسعة اشهر المصيرية والحاسمة ، منذ ان القي ذلك البيان ، الذي لم يلق بمثله منذ ان خلق الله الانسان ، والانسان هو الذي خلق الشيطان . وفي السبت سنوات تلك ايضا ، عندما احرق ستة ملايين من ابناء شعبنا ، وبيئتهم مليون ونصف المليون من اطفال اسرائيل الصغار ، وبكل انواع الميتات المختلفة ، لم يأت رجل واحد لانقاذنا ، لا من الشرق ولا من الغرب . ولذلك اقسمننا نحن قسم الاخلاص ، كل هذا الجيل ، جيل الابادة والبعث اننا : لن نضع شعبنا في خطر الى ابد الأبدين ! والى الابد لن نضع نساءنا واطفالنا في خطر ، والذين من واجبنا الدفاع عنهم ، اذا ما استدعتنا الضرورة لذلك ، حتى وان كلفنا حياتنا وعلى مرمى الابادة لنيران العدو .

ومن ثم : فان واجبنا لاجيال واجيال ان نذكر اقوالا توجه الى شعبنا ، وعلينا

العصور المظلمة للتاريخ الانساني ، ولم تنقطع مطلقا . في هذه البلاد اقمنا حضارتنا ، وهنا تنبأ انبياؤنا نبوءاتهم التي رددتها انت هذا اليوم ، هنا سجد ملوك يهودا واسرائيل ، وهنا تحولنا الى شعب ، وهنا اقمنا مملكتنا ، وحيين هاجرنا من بلادنا بسبب القوة التي استعملت ضدنا ، وابتعدنا عن ارضنا - لم ننس ولو ليوم واحد هذه الارض . لقد صلينا من اجلها ، تقنا اليها ، وأمننا بالعودة اليها منذ ان قيل : « وحيين يعيدنا الرب الى صهيون ، وكنا كالحالمين ، عندها يملأ الضحك افواهنا والنشيد لساننا » . وهذا النشيد ينطبق على كل متافينا ، وعلى كل الامنا ، عزاء العودة الى صهيون ، والتي لا بد آتية .

ولقد اعترف في حقنا هذا . وكان تصريح بلفور ضمن الانتداب ، الذي اعترفت به امم العالم ، بالاضافة الى الولايات المتحدة الاميركية . وفي مقدمة تلك الوثيقة الدولية المعروفة جاء (والترجمة من الانجليزية) : « ونظرا لاثبات الصلة التاريخية بين الشعب اليهودي وبين فلسطين (او في العبرية ارض اسرائيل) ، والاسباب لاقامة وطن قومي من جديد في تلك البلاد . . . »

في عام ١٩١٩ حظينا بالاعتراف بهذا الحق من الناطق باسم الشعب العربي ،

وفي اتفاقية ٣ كانون الثاني ١٩١٩ التي وقعت بين الامير فيصل وحايم وايزمان ورد : « ونظرا للقرابة العرقية والعلاقات القديمة بين العرب والشعب اليهودي ، ومن خلال التقدير ، ان الطريقة الافضل لتجسيد طموحاتهما القومية هي التعاون المتين قدر المستطاع في تطوير الدولة العربية وفلسطين » . ثم تأتي جميع بنود التعاون بين الدولة العربية وبين ارض

ان نتوجه اليها بجدية كاملة . محظور علينا ، بل حاشى وكلا ، ومن اجل شعبنا ان نتقبل اية نصيحة بأن لا نغير هذه الاقوال جدية .

فالرئيس السادات يعرف ، وقد اطلع على ذلك منا قبل مجيئه الى القدس ، بأن لنا موقفا مغايرا لموقفه بالنسبة للحدود الثابتة بيننا وبين جيراننا ، ولكنني اناشد رئيس مصر ، وكل جيراننا : لا تقولوا - لا ولن تكون هناك مفاوضات على اي شيء . انني اقترح وباسم الاكثريية الحاسمة لهذا البرلمان ، بأن كل شيء قابل للتفاوض . انها لمسؤولية كبيرة تلك التي يأخذها على عاتقه من يقول : في العلاقات بين الشعب العربي او الشعوب العربية في المنطقة ، وبين دولة اسرائيل ، ثمة اشياء لا بد من اخراجها من دائرة المفاوضات ، فكل شيء قابل للتفاوض ، لا يحق لاي طرف ان يقول العكس ، ولا يحق لاي طرف ان يقدم شروطا مسبقة . وسنجري المفاوضات باحترام . فاذا كان بيننا خلافات في الرأي - وليس هذا بالامر الشاذ ، اذ كل من درس تاريخ الحروب ومعااهدات السلام ، يعرف بأن كسل مفاوضات على معاهدة سلام تبسدا بالخلافات في الرأي بين الاطراف ، ومن خلال المفاوضات توصلوا الى اتفاق ، مكنهم من التوقيع على اتفاقية او معاهدة سلام . هذه هي الطريق التي نقترحها . ان نجري مفاوضات كطرفين متساويين ، لا مهزومين ولا منتصرين . كل شعوب المنطقة متساوية وكل يتعامل مع الاخر باحترام ، وبمثل هذه الروح الانفتاحية ، والاستعداد للاصغاء كل الى صاحبه للحقائق ، والاسباب والشروح ، بكل تجربة الاقناع الانسانية المتداوله - تعالوا نجري مفاوضات كالتي اعرض واقترح المباشرة بها . وان نستمر بها بمثابرة الى ان نصل الى ساعة جيل صهيون في

التوقيع على معاهدة سلام بيننا .

اننا لسنا مستعدين للجلوس مع مندوبي مصر والاردن وسوريا ولبنان - اذا ارادت هذه الدول ذلك - في مؤتمر سلام في جنيف وحسب ، فقد اقترحنا استئناف مؤتمر جنيف على اساس قراري مجلس الامن ٢٤٢ و ٢٢٨ ، وانما مستعدون ايضا ، اذا ما كانت ثمة مشاكل بيننا والى ان يحين انعقاد مؤتمر جنيف ، ان نبثها اليوم وغدا ، واذا ما رغب رئيس مصر مواصلة البحث في القاهرة - او في مكان حيادي - بل وفي اي مكان ، فلنبحث اذن - وقبل انعقاد مؤتمر جنيف جميع المشاكل التي تتطلب البحث قبل انعقاد المؤتمر ، وستكون اعيننا مفتوحة واذاننا منصته لكل اقتراح واقتراح .

واسمح لنفسي ان اقول كلمة بشأن اورشليم « القدس » يا سيادة الرئيس . لقد صليت اليوم في المسجد المقدس للدين الاسلامي ، ومن هناك ذهبت الى كنيسة القيامة ، واستطعت ان تعرف ، كما يعرف كل رواد العالم ، ان هذه المدينة منذ ان تم توحيدها ، ممر مفتوح تماما ، لكل ابناء الديانات الى الاماكن المقدسة لهم ، دون اي ازعاج او عقبة . وهذه الظاهرة الايجابية لم تكن قائمة خلال تسعة عشر عاما ، وهي قائمة الان منذ ١١ سنة ، ونستطيع ان نؤكد للعالم الاسلامي والعالم المسيحي ، ولكل الشعوب ، انه ستكون ثمة طريق مفتوحة لكل ابناء الديانات الى الاماكن المقدسة والى الابد .

اننا سندافع عن الطريق الحرة هذه ، لاننا نؤمن بذلك - بالمساواة في حقوق الانسان والمواطن ، وبالاحترام لكل ايمان وايمان .

سيدي رئيس الكنيست ، انه ليوم فريد

التحريض والاذى ، وسوف نصل بعمون
الله الى ذلك اليوم المنشود ، والذي يصلي
شعبنا كله من اجله - السلام - وصدقت
مزامير اسرائيل قولها : « العدل والسلام ،
قبلوا » وذكريا النبي : « الحقيقة
والسلام ، احبوا » .

(يديعوت احرونوت ٧٧/١١/٢١)

لبرلماننا ، وسوف يذكر بالتأكيد ،
لسنوات طويلة ، في تاريخ شعبنا ، وفي
تاريخ الشعب المصري ايضا ، ولربما
في تاريخ الامم .
وهذا اليوم ، سيداتي وسادتي اعضاء
الكنيست ، سأصلي من اجل ان يمنحنا
اله ابائنا المشترك ، الحكمة الكافية ، لكي
نتغلب على الصعاب والعقبات ، على

البيان الاسرائيلي عن الزيارة ٢١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٧٧

اقترحها كلا الجانبين خلال تبادل وعرض
المواقف في الاجتماع التاريخي للقدس
وبعد تعزيز امكانية الاستكمال المتملهذه
الزيارة الهامة ، فان اسرائيل
التي تعبّر عن ارادة شعب
اسرائيل تقترح بان تستمر هذه الخطوة
التي تبعث على الامل من خلال الحوار
بين البلدين المعنيين من اجل تمهيد الطريق
الى اجراء مفاوضات ناجحة تؤدي الى
توقيع معاهدات سلام في جنيف مع جميع
الدول العربية المجاورة » .

ويلاحظ ان وكالة انباء الشرق
الاوسط اغفلت ان البيان متفق عليه بين
الفريقين وقالت انه اسرائيلي فقط . كما
انها تحدثت عن « الخطوط التي اقترحها
كلا الطرفين » بينما النص الانكليزي هو
« الخطوط التي اتفق عليها كلا الجانبين ،
كما يلاحظ ان النص المصري كان «ردا
على التحرك » بينما هو في النص
الانكليزي « تجاوبا مع التحرك » .

« تجاوبا مع الخطوة المخلصة
والشجاعة من قبل الرئيس السادات ،
وايماننا بالحاجة لمواصلة الحوار بما
يتوافق مع الخطوط التي اتفق عليها
كلا الجانبين في عرضهما للمواقف في
اجتماع القدس التاريخي ، ويهدف تعزيز
امكانية الاستكمال المتملهذه الزيارة
المهمة ،

« فان حكومة اسرائيل ، معبرة عن
ارادة شعب اسرائيل ، تقترح متابعة
هذه الخطوة التي تدعو للامل عبر
الحوار بين البلدين المعنيين وتمهيد
الطريق ، بالتالي ، في اتجاه مفاوضات
ناجحة تؤدي الى توقيع معاهدات
سلام في جنيف مع جميع الدول العربية
المجاورة » .

وفي ما يلي نص البيان كما اذاعته
وكالة الشرق الاوسط المصرية :
« ردا على التحرك المخلص الشجاع
للرئيس السادات واقتناعا بالحاجة
لمواصلة الحوار على هدي الخطوط التي

بيان اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية ١٨-١١-٧٧

ندعوهم الى اعلان غضبتهم العارمة ضد هذه الزيارة والى الاضراب والتحرك على اوسع نطاق . ومقاطعة كل النشاطات الصهيونية والعميلة التي تحاول ان تجعل من هذه الزيارة بداية لضرب القضية الفلسطينية ، وانتصارات ثورة شعبنا على امتداد ستين عاما ، وضرب جميع منجزات حركة التحرير العربي طيلة مراحل نضالها على كافة الاصعدة وفي مختلف المجالات .

ان المسجد الاقصى ، الذي كان رمزا لقوائل التحرير والشهداء لا يمكن ان يكون محررا للاستسلام .

اننا ندعو جماهير شعبنا الفلسطيني في سائر اماكن تواجدهم وفي هذا الظرف الخطير الى تأكيد التفافهم حول قيادتهم وممثلهم الشرعي الوحيد - منظمة التحرير الفلسطينية - والى التصدي بعزم لكل دعوات الاستسلام واجواء الانهزامية التي يحاول العدو الامريكى - الصهيونى ان يجعل من زيارة السادات بداية لفرضها على منطقتنا العربية .

ان البندقية الفلسطينية ودماء الالف الشهداء والسجناء المعتقلين وعشرات الالوف من المكافحين ضد الاحتلال الصهيونى هم السد المنيع الذي سيدحر الاستسلام ويمنع تكرار مؤامرة عام ١٩٤٨ ، ويقيم الطريق لتحرير القدس والاقصى حتى يرتفع العلم الفلسطيني على تراب وطننا المقدس وتحقيق اهدافنا الوطنية وحققنا في العودة وتقرير المصير وبناء دولتنا الفلسطينية المستقلة .

وانها لثورة حتى النصر

يا جماهير شعبنا الفلسطيني

يا جماهير امتنا العربية

ان القرار الذي أقدم عليه الرئيس السادات يشكل ارتدادا عن اقدس واغلى اهداف امتنا وشعبنا ، وتنكرا لدماء الالوف من الشهداء الذين سقطوا من اجل فلسطين والاراضي العربية .

ان خطوة الرئيس السادات تضرب عرض الحائط بكل مبادئ التضامن العربي وقرارات القمة العربية ومكاسب حرب رمضان التي حققتها بطولها وتضحيات المقاتلين العرب وعلى رأسهم جيش مصر العظيم .

والامة العربية لن تغفر لاي حاكم عربي مثل هذه الخطوة التي تشكل

انعطافا خطيرا وتنكرا لنضالاتها التاريخية التي كان محورها على الدوام قضية فلسطين وتحرير القدس .

ان القيادة الفلسطينية اذ تعلن رفضها لخطوة الرئيس السادات تؤكد على تمسكها بقرارات المجلس الوطني

الفلسطيني في دوراته المتعاقبة وبرامجه السياسية . وتدعو جماهير الامة العربية الى شجب وادانة هذا الموقف الخطير الذي يمس وجود امتنا ومستقبلها وشرفها

كما تدعو سائر الاقطار العربية وحكوماتها الى تحديد موقفها واسماع صوتها تجاه هذا الوضع .

اننا اذ نحیی صمود وتضحيات جماهير شعبنا الصامد في ارضنا المحتلة ،

البيان السوري - الفلسطيني

كما جرت عدة اجتماعات بين وفد منظمة التحرير الفلسطينية ووفد يمثل حزب البعث العربي الاشتراكي وحكومة الجمهورية العربية السورية مؤلف من الرفاق عبد الحليم خدام عضو القيادة القومية لحزب البعث العربي الاشتراكي نائب رئيس مجلس الوزراء ووزير الخارجية ، ناجي جميل عضو القيادة القومية وجميل شيا عضو القيادة القومية نائب ، رئيس مجلس الوزراء ، فاضل الانصاري عضو القيادة القومية ، عضام القاضي عضو القيادة القومية ، متعب شنان عضو القيادة القطرية ، يوسف الاسعد عضو القيادة القطرية ومحمود الزعبي عضو القيادة القطرية الاحتياط .

وخلال هذه الاجتماعات جرى بحث الزيارة الاستعلامية التي قام بها انور السادات الى الكيان الصهيوني والنتائج التي تترتب عليها بما يعرض الامة العربية وقضية فلسطين الى مخاطرة جسيمة تستدعي مواجهة قومية عربية شاملة .

ان الزيارة الخيانية في هذه المرحلة من تاريخ الامة العربية ونضالها الوطني التحريري ضد العدو الصهيوني وحليفته الامبريالية الاميركية تأتي في اطار مخطط شامل لفرض الاستسلام التام وفق الشروط الصهيونية الكاملة . بما فيها الاعتراف بشرعية الاحتلال والصلح مع الكيان الصهيوني . وتصفية حقوق الشعب العربي الفلسطيني في العودة وتقرير المصير واقامة دولته الوطنية المستقلة فوق ارضه .

قام وفد من منظمة التحرير الفلسطينية بزيارة الى دمشق في الفترة الواقعة بين ٢١ و ٢٢ تشرين الثاني لعام ١٩٧٧ برئاسة الاخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية .

وقد استقبل الرفيق حافظ الاسد الامين العام لحزب البعث العربي الاشتراكي رئيس الجمهورية العربية السورية الوفد الفلسطيني الذي يضم كلا من الاخوة : فاروق القدومي رئيس الدائرة السياسية لمنظمة التحرير الفلسطينية امين سر اللجنة المركزية لحركة فتح والاخ صلاح خلف عضو اللجنة المركزية لحركة فتح ، والاخ محمد زهدي النشاشيبي امين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والاخ طلال ناجي عضو اللجنة التنفيذية الامين العام المساعد للجبهة الشعبية - القيادة العامة ، والاخ ياسر عبد ربه رئيس دائرة الاعلام لمنظمة التحرير الفلسطينية الامين العام المساعد للجبهة الديمقراطية والاخ عبد المحسن

ابو ميزر عضو اللجنة التنفيذية رئيس دائرة العلاقات القومية والوطنية والاخ حبيب قهوجي عضو اللجنة التنفيذية والاخ فرحان ابو الهيجا عضو قيادة منظمة الصاعقة والاخ نمر صالح عضو اللجنة المركزية لحركة فتح والاخ محمد غنيم عضو اللجنة المركزية لحركة فتح والاخ صالح رأفت عضو المكتب السياسي للجبهة الديمقراطية والاخ عمر الشهابي عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية - القيادة العامة .

المتبادل والتضامن ووضع الخطط اللازمة لمواجهة واسقاط كل النتائج التي تترتب على المحنة الحالية .

٣ - يؤكد الطرفان على اهمية بذل الجهود المشتركة لقيام تضامن عربي حقيقي هادف في مواجهة مؤامرة السادات الامبريالية الصهيونية ودعم موقف القطر العربي السوري ومنظمة التحرير الفلسطينية باشكل متقدمة عسكريا وسياسيا واقتصاديا باعتبار ان ذلك هو المعيار الحقيقي لسلامة اي موقف عربي وقوميته .

٤ - واتفق الطرفان على بذل المساعي المشتركة والتحرك على الصعيد العالمي لفضح سياسة السادات واخطارها على الامن في منطقتنا والعالم .

ان خطة السادات - بيغن لا تستهدف سوى فرض الامر الواقع على امتنا وبالتالي تعطيل كل المساعي الحقيقية للوصول الى سلام عادل يقوم على اساس الانسحاب التام من جميع الاراضي العربية المحتلة وضمان حقوق الشعب العربي الفلسطيني في العودة وتقرير المصير واقامة الدولة المستقلة .

ان سورية العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية اكدتا باستمرار ان سعيهما من اجل السلام العادل بما يتجاوب مع الجهود العالمية ويتفق مع مصالح امتنا يجب ان لا يختلط على الاطلاق مع مفهوم القهر والاستسلام الذي جسده رحلة السادات الاخيرة ، وستظل سورية العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية حريصتين على توفير السبل الحقيقية من اجل السلام العادل وفق مقررات القمة العربية في الجزائر والرباط وما اكده المجتمع الدولي كما تجسد في قرارات الجمعية العمومية للامم المتحدة في

وقد دلت مجريات هذه الزيارة ولقاءات السادات مع المسؤولين الصهاينة على استعداده الكامل للاعتراف بالقدس عاصمة للكيان الصهيوني متذكرا لكل مقدسات العرب وتاريخهم النضالي مستهترا بارواح شهداء الامة العربية ومفطرا بالحقوق والارض والمصير العربي برمته . وقد كان من بين اهداف زيارة السادات فك طوق العزلة الدولية الشاملة عن اسرائيل . والغاء مبررات عدم الاعتراف من قبل دول العالم بها ، هذا كله في الوقت الذي لا زال العدو الصهيوني يغتصب الحقوق الفلسطينية ويحتل الاراضي العربية ويتنكر لكل المبادئ والقرارات الدولية ويصر بصلف وغرور على مطامعه وعدوانه .

وعلى ضوء هذه المعطيات التي اتفق عليها الجانبان تم التوصل الى ما يلي:

١ - يؤكد الجانبان الادانة التامة لهذه الزيارة والاستعداد لوضع كامل الطاقات في سبيل اسقاط كافة نتائجها ويوجه الطرفان النداء لشعب مصر العظيم وجيشها الباسل الذي قدم الالف الشهداء واغلى التضحيات دفاعا عن شرف مصر وفلسطين والعروبة من اجل التصدي لهذه الخيانة القومية التي يريد من خلالها نظام السادات افقاد مصر لدورها القومي تنفيذا للمخططات الامبريالية والصهيونية .

٢ - يدعو الجانبان سائر الدول العربية الى ادانة زيارة السادات ومقاومة النتائج التي تتمخض عنها ويعلن الطرفان ان موقفهما من كل دولة عربية يتحدد على ضوء موقف تلك الدولة من الزيارة وما يعقبها من تحركات واتصالات واذ نسجل بالتقدير مواقف سائر الدول العربية والصديقة التي وقفت لتشجب هذه الزيارة الخيانية ندعوها الى الحوار

ومدينة تحت الاحتلال زيارة العار التي قام بها السادات ، وتدعو الى مزيد من اليقظة والوحدة الوطنية لمجابهة كل التحركات المشبوهة التي ترمي الى المساس بالتفافها حول منظمة التحرير الفلسطينية ممثلها الشرعي الوحيد .

٨ - اتفق الجانبان على ابقاء جلسات الوفدين في حالة انعقاد دائمة لتابعة تطورات الموقف والاشراف على تنفيذ المقررات المتخذة .

اننا على ثقة من ان المؤامرة لن تمر اعتمادا على طاقة جماهير امتنا العربية العظيمة التي لا يمكن ان تسمح بتلويث تاريخها وشرفها وكرامتها القومية .

اننا نطالب جماهير امتنا العربية بان تحول ادراكها لخطورة المؤامرة الى عمل منظم تتصدى فيه بمسؤولية كاملة لاعداؤها الذين ينفذون ويروجون المخطط الامبريالي الصهيوني الذي يؤديه السادات .

وثيقة الوحدة الوطنية الفلسطينية طرابلس ٤ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٧

المؤتمرات الدولية القائمة على اساس هذين القرارين بما فيهما مؤتمر جنيف او غيره .

رابعا : نؤكد حقنا في العمل لاحقاق حقوق الشعب الفلسطيني المشروعة وحق العودة وتقرير المصير في وطنه بما فيه حقه في اقامة دولته الفلسطينية المستقلة على اي جزء يتم تحريره من الارض الفلسطينية في هذه المرحلة من دون صلح ولا تفاوض ولا اعتراف .

السنوات الاخيرة .

٥ - وسببنا الجانبان جهودا سريعة من اجل الاتصال بمؤيدي الحق العربي وقضية فلسطين وخاصة بلدان عدم الانحياز والدول الاسلامية ودول المنظومة الاشتراكية من اجل تطوير دعمهم وتنسيق المواقف على المستوى الدولي لردع هذا الهجوم الامبريالي الصهيوني واحباطه .

٦ - يدعو الطرفان الى عقد مؤتمر شعبي عام للأحزاب والمنظمات والاتحادات النقابية والمهنية العربية وتشكيل لجنة تحضيرية لهذا الغرض في اطار الجبهة العربية المشاركة ، وذلك لكي تتحمل الجماهير العربية مسؤولياتها وتصدد نضالها في معركة المصير ضد الخيانة القومية .

٧ - ان سورية العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية توجهان التحية الى الصمود البطولي والموقف الصلب الذي واجهت به جماهيرنا في القدس وكل قرية

« نحن في منظمة التحرير الفلسطينية ممثلة بجميع فصائلها نعلن ما يأتي :

اولا : نناضل من اجل اقامة جبهة تقدمية عربية مناهضة لجميع الحلول الاستسلامية الامبريالية الصهيونية الرجعية وادواتها العربية في المنطقة .

ثانيا : نؤكد رفضنا لقراري مجلس الامن الرقم ٢٤٢ و ٣٣٨ .

ثالثا : نؤكد رفضنا لكل

فيها : « نحن في منظمة التحرير الفلسطينية نعلن ما يأتي : نطالب ببناء جبهة الصمود والتصدي من الجماهيرية الليبية والجزائر والعراق وسوريا واليمن الديموقراطية ومنظمة التحرير الفلسطينية » .

ودعت البرقية المجتمعين الى اعتماد النقاط الخمس الواردة في الاتفاق الذي تم بين فصائل المقاومة بزيادة نقطة واحدة تدعو الى « اتخاذ اجراءات المقاطعة السياسية ضد نظام السادات » .

خامسا : ندين اي طرف يرفض او يعرقل قيام الجبهة العربية التقدمية » .

ووقع الوثيقة عن فتح ابو اياد ، وعن الجبهة الشعبية جورج حبش ، وعن الجبهة الديموقراطية نايف حواتمة ، وعن الجبهة الشعبية - القيادة العامة احمد جبريل ، وعن جبهة النضال الشعبي الفلسطيني سمير غوشة ، وعن جبهة التحرير الفلسطينية طلعت .

وبعد توقيع الوثيقة ارسلت الى رؤساء الوفود المجتمعين في ليبيا برقية جاء

البيان الختامي لقمة طرابلس

٥ - الاخ طه ياسين رمضان ممثلا عن الجمهورية العراقية .

٦ - الاخ ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية والقائد العام لقوات الثورة الفلسطينية .

وقد بحث المؤتمر بشعور من المسؤولية القومية الكاملة ابعاد المرحلة الراهنة التي تمر بها القضية العربية بصورة عامة وقضية فلسطين بوجه خاص والمخططات الاميركية الصهيونية التي تستهدف فرض التسويات الاستسلامية على الامة العربية والنيل من الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني

وتصفية المنجزات الوطنية العربية وضرب حركة التحرر العربي تهيدا لاخضاع المنطقة العربية والتحكم بمقدراتها وربطها بعجلة الامبريالية العالمية .

عقد في طرابلس عاصمة الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية وبدعوة من الاخ العقيد معمر القذافي في الفترة بين ٢٢ و ٢٥ ذو الحجة ١٣٩٧ هـ الموافق ٢ و ٥ ديسمبر ١٩٧٧ م مؤتمر قمة ضم اصحاب السيادة :

١ - الرئيس هواري بومدين رئيس الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

٢ - الرئيس حافظ الاسد رئيس الجمهورية العربية السورية .

٣ - العقيد معمر القذافي امين عام مؤتمر الشعب العام في الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية .

٤ - الاخ عبد الفتاح اسماعيل الامين العام للتنظيم السياسي الموحد - الجبهة القومية - ممثلا عن جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

٤ - الاساءة الى علاقات الصداقة والتعاون بين الدول العربية من جهة وبين الاتحاد السوفياتي ودول المعسكر الاشتراكي من جهة اخرى التي قدمت للامة العربية المساندة والدعم في صراعها التاريخي ضد العدو الامبريالي الصهيوني .

٥ - تمكين القوى المعادية للامة العربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الاميركية من تحقيق مكاسب من شأنها الاخلال بالتوازن الدولي لمصلحة القوى الامبريالية والصهيونية والمساس بالاستقلال الوطني لبلدان اسيا وافريقيا واميركا اللاتينية .

٦ - اقامة تحالف بين العدو الصهيوني والنظام المصري القائم بهدف تصفية القضية العربية وقضية فلسطين وتمزيق الامة العربية والتفريط بمصالحها القومية .

وادراكا من المؤتمر لطبيعة التحديات الصهيونية والامبريالية الرامية الى اضعاف ارادة التحرير العربية والنيل من الحقوق الوطنية الثابتة للشعب الفلسطيني التي اكدتها الشرعية الدولية وفسي مقدمتها حقه في العودة وتقرير المصير وبناء دولته المستقلة فوق كامل ترابه الوطني بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني ، وانطلاقا من واقع المسؤولية القومية والتاريخية فان مؤتمر القمة يقرر ما يلي :

١ - ادانة زيارة الرئيس السادات للكيان الصهيوني لانها تشكل خيانة عظيمة لتضحيات ونضال شعبنا العربي في مصر وقواته المسلحة ونضال وتضحيات ومبادئ الامة العربية ، والمؤتمر ان يقدر دور شعب مصر العظيم في النضال القومي للامة العربية ليؤكد ان مصر ليست هي البداية ولا هي النهاية واذا كانت الامة

كما بحث المؤتمر الزيارة التي قام بها الرئيس السادات للكيان الصهيوني باعتبارها حلقة في اطار تنفيذ المخططات المعادية واستعرض النتائج التي ترتبت على هذه الزيارة التي تشكل انتهاكا صارخا لمبادئ واهداف النضال القومي ضد العدو الصهيوني وتفريطا بحقوق الشعب العربي الفلسطيني وخروجا على وحدة الصف العربي وخرقا خطيرا لميثاق جامعة الدول العربية ومقررات مؤتمرات القمة العربية واخراجا لصر العربية من جبهة الصراع مع العدو الصهيوني الامر الذي يعتبره المؤتمر خدمة كبيرة قدمها الرئيس السادات للصهيونية وللامبريالية الاميركية ومخططاتهما وتكريسا للكيان الصهيوني قاعدتهما وادانتهما في النقطــة العربية .

وقد تدارس المؤتمر الوضع الراهن بكل ابعاده واستخلصوا ان اهداف المؤامرة ما يلي :

١ - تخريب امكانية اقامة سلام عادل ومشرف يحفظ للامة العربية حقوقها القومية ويضمن لها تحرير اراضيها المحتلة وفي مقدمتها القدس ولشعب فلسطين حقوقه الوطنية الثابتة .

٢ - عزل الامة العربية عن حلفائها واصدقائها في القارة الافريقية التي وقفت موقفا تاريخيا الى جانب القضية العربية وفضحت الترابط العضوي بين الكيان الصهيوني والانظمة العنصرية في جنوب القارة الافريقية .

٣ - عزل الامة العربية عن مجموعة دول عدم الانحياز والدول الاسلامية التي تبنت القضية العربية في جميع مراحلها والتزمت بالوقوف الى جانب الكفاح العادل للشعب الفلسطيني .

السياسي والمادي ، كما يدين المؤتمر
المواقف المشينة لكل اولئك الذين يشيدون
بهذه الزيارة او يؤازرونها ويحذرهم
من عواقب سياستهم التخاذلية الانهزامية .

٧ - يناشد المؤتمر الامة العربية على
المستويين الرسمي والشعبي تقديم الدعم
والمساندة الاقتصادية والمالية والسياسية
والعسكرية للقطر العربي السوري
باعتباره اصبح يشكل دولة المواجهة
الرئيسية وقاعدة الصمود والتصدي
لمواجهة العدو الصهيوني وكذلك للشعب
الفلسطيني ممثلا في منظمة التحرير
الفلسطينية .

٨ - يحيي المؤتمر شعبنا العربي في
مصر الشقيقة خاصة قواه الوطنية
والتقدمية التي ترفض السياسة
الاستسلامية التي ينفذها النظام المصري
باعتبارها تنكرا لتضحيات الشعب
وشهادته واهانة لكرامة قواته المسلحة .

٩ - وتأكيدا على اهمية العلاقات
النضالية والقومية السورية - الفلسطينية
فقد اعلنت كل من الجمهورية العربية
السورية ومنظمة التحرير الفلسطينية
تشكيل جبهة موحدة بينهما لمواجهة العدو
الصهيوني والتصدي للمؤامرة الامبريالية
بكل اطرافها واسقاط كل محاولة
للاستسلام . وقد قررت كل من الجمهورية
الجزائرية الديمقراطية الشعبية

والجمهورية العربية الليبية الشعبية
الاشتراكية وجمهورية اليمن الديمقراطية
الشعبية الانضمام لهذه الجبهة باعتبارها
نواة لجبهة قومية للصمود والتصدي
يتاح للدول العربية الاخرى الانضمام
اليها .

١٠ - ان اعضاء الجبهة القومية
يعتبرون العدوان على اي عضو فيها
اعتداء على جميع اعضائها .

العربية كبيرة بمصر فان مصر لا تكبر
الا بالامة العربية وهي تصغر بدونها .

٢ - العمل على اسقاط نتائج زيارة
الرئيس السادات للكيان الصهيوني
ومباحثاته مع قادة العدو الصهيوني
والاجراءات التالية لها بما في ذلك اجتماع
القاهرة المقترح ويحذر المؤتمر كل من
يحاول السير في نفس الطريق او التعامل
مع هذه النتائج تحت طائلة المسؤولية
الوطنية والقومية .

٣ - تجميد العلاقات السياسية
والدبلوماسية مع الحكومة المصرية ووقف
التعامل معها عربيا ودوليا وتطبيق
قوانين واحكام وقرارات المقاطعة العربية
على الافراد والشركات والمؤسسات
المصرية التي تتعامل مع العدو الصهيوني .

٤ - يقرر المؤتمر عدم المشاركة في
اجتماعات الجامعة العربية التي تعقد
في مصر ، كما يقرر اجراء اتصالات مع
دول الجامعة العربية لدراسة موضوع
مقرها والمنظمات التابعة لها وموضوع
عضوية النظام المصري .

٥ - يحيي المؤتمر الشعب العربي
الفلسطيني الصامد في الوطن المحتل
بجميع هيئاته الوطنية ومنظماته
الجماهيرية التي تناضل ضد الاحتلال
والتي رفضت زيارة السادات لفلسطين
المحتلة ، كما يحذر المؤتمر من اية محاولة
للطعن بشعبية تمثيل منظمة التحرير
الفلسطينية للشعب الفلسطيني .

٦ - يسجل المؤتمر بارتياح المواقف
الاولية للدول العربية التي اذنت الزيارة
ورفضت نتائجها ومن موقع المسؤولية
وعملا بالتزاماتها وبمقرراتها الجماعية
يدعو هذه الدول الى اتخاذ الاجراءات
العملية لمواجهة خطورة هذه السياسة
الاستسلامية بما في ذلك ايقاف الدعم

وهدروا حقوقها وطعنوا تضامنها
وخرجوا على مبادئ نضالها وهي على
يقين من امكاناتها في التحرير والتقدم
والنصر من عند الله . ويسجل المؤتمر
ارتياحه للوحدة الوطنية الفلسطينية في
اطار منظمة التحرير الفلسطينية .

حرر في طرابلس بتاريخ ٢٥ ذو
الحجة ١٣٩٧ هـ الموافق ٥ ديسمبر
١٩٧٧ م .

البيان السياسي الصادر عن المؤتمر الشعبي العربي ٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٧٧

والرامية الى تصفية القضية الفلسطينية
والى العودة بالوطن العربي الى دائرة
الهيمنة العسكرية والاقتصادية للامبريالية
والصهيونية ، كذلك تصفية الانظمة
التقدمية العربية وضرب مكتسبات
الجماهير الديمقراطية والاجتماعية
والاقتصادية .

وقد وجد مؤتمر الشعب العربي ان
الزيارة التي قام بها السادات لاسرائيل

والتصلة عضوية بالامبريالية
بزعامة الولايات المتحدة وامكاناته
الاقتصادية والاستراتيجية والبشرية
وتدعيما لوجود الكيان الصهيوني على
الارض العربية الفلسطينية وقدراته
الاقتصادية والبشرية وفقا لعزله الدولية
وتمكننا له من التوسع في اجزاء اخرى
من الارض العربية ، ويرى مؤتمر الشعب
العربي ان زيارة من شأنها ان تعزل مصر
عن دورها التاريخي في النضال العربي
وتطعن الشعب العربي الفلسطيني في ظهره

المؤتمر وهو يعاهد الامة العربية على
مواصلة مسيرة النضال والصمود
والتصدي والالتزام باهداف النضال
العربي يعبر عن ايمانه العميق وثقته
المطلقة بان الامة العربية التي فجرت
الثورات وقهرت الصعوبات وهزمت
المؤامرات خلال مسيرة تاريخها النضالي
الطويل والحافل بالبطولات لقادرة اليوم
على الرد بقوة على من اساءوا وكرامتها

كان المؤتمر قد اقر في جلسته
الختامية بيانا سياسيا ووثيقة سياسية .
ونشر فيما يلي نص البيان السياسي :

انعقد في مدينة طرابلس في الجماهيرية
العربية الليبية الشعبية الاشتراكية في
الفترة الواقعة من ٢٥ الى ٢٨ ذي الحجة
١٣٩٧ هـ الموافق ٥ الى ٨ ديسمبر
١٩٧٧ م ، مؤتمر الشعب العربي لجميع
التنظيمات السياسية والشعبية والمهنية
في جميع اقطار الوطن العربي وعددها :

١ - عدد الاقطار : ١٧

٢ - عدد التنظيمات السياسية : ٧٢

٣ - عدد التنظيمات الشعبية : ١٤٠ .
ودرس مؤتمر الشعب العربي بجديّة
ومسؤولية تاريخية الموقف الناشئ عن
الزيارة التي قام بها السادات الى الكيان
الصهيوني الاغتصابي، في ضوء التحركات
الامبريالية بقيادة الولايات المتحدة
الاميركية والصهيونية والرجعية ،

او عربي المساس او التفريط بالحقوق الوطنية التاريخية الثابتة وفي مقدمتها حقه في العودة وتقرير المصير وبناء دولته المستقلة على اي جزء من الارض الفلسطينية يتم تحريره بلا صلح ولا اعتراف ، ولا تفاوض كهدف مرحلي على طريق تحرير كامل التراب الوطني الفلسطيني .

ويحيي نضال القوى الوطنية التقدمية في مصر التي تواجه العسف والاضطهاد وتقديرا للانتفاضة الجيدة للجماهير المصرية المناضلة في ١٨ و ١٩ يناير (كانون الثاني) والتي اعلن فيها الشعب المصري كله رفضه للنظام وقدم مئات الشهداء الذين سقطوا برصاص النظام العميل . فان المؤتمر يقرر اعتبار يومي ١٨ و ١٩ يناير من كل عام يومي التضامن مع الشعب المصري تقام فيهما المهرجانات والمسيرات والاضرابات والاعتصامات في جميع ساحات الوطن العربي وفي كل موقع صديق لنضال امتنا .

ويهيب بكل القوى الاشتراكية والديمقراطية الصديقة في العالم بتكريس هذا التاريخ واعتباره يوما للتضامن مع الشعب المصري وقواه الوطنية والتقدمية المناضلة .

ويحيي نضال القوى الوطنية والتقدمية في مصر التي تواجه العسف والاضطهاد ويحيي نضالات الجماهير العربية في السودان كما يحيي ويؤكد دعم الجماهير العربية والقوى الشعبية المقاتلة في عمان والبحرين والساقية الحمراء ووادي الذهب وعربستان وغيرها من القوى المناضلة على ساحة الوطن .

كما يحيي الدول الاشتراكية والقوى التقدمية في العالم التي تناضل ضد الامبريالية والصهيونية وتدعم النضال

وهو ما يزال في جحيم المعركة داخل فلسطين المحتلة حيث يستمر الصمود وفي خارجها حيث يتصاعد نضاله في مواجهة مخططات الامبريالية والصهيونية ومؤامرات التصفية .

وان مؤتمر الشعب العربي ، وعيا منه لهذه الحقائق كلها ، واضطلاعا بمسؤوليته القومية والتاريخية واصراراً مصرياً ثورياً على تحقيق كامل اهداف حركة التحرر الثورية العربية القومية والاجتماعية ، يؤيد تأييداً تاماً بيان طرابلس الصادر عن مؤتمر القمة للدول العربية التقدمية التي تتحمل مسؤولية الصمود ودعم المقاومة الفلسطينية ويعتبر البيان وثيقة تاريخية تحدد مسيرة النضال العربي التقدمية الواحدة ، ويحيي مؤتمر الشعب العربي وحدة فصائل الثورة الفلسطينية في اطار منظمة التحرير الفلسطينية المثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني التي تاكدت خلال مؤتمر القمة : كما يحيي قيام الجبهة القومية الموحدة والتلاحم بين منظمة التحرير والجمهورية العربية السورية ويرى فيه تعبيراً اكيدا على التلاحم بين قوى الثورة العربية لمواجهة العدو الصهيوني والتصدي لمؤامرة الامبريالية واسقاط جميع صيغ الحلول الاستسلامية المطروحة ، تأكيذا لرفض التسويات السياسية واصراراً على التحرير ك مطلب وحيد للامة العربية تحقيقه بارادتها وقدراتها الذاتية .

ويحيي المؤتمر الشعب العربي الفلسطيني الصامد في فلسطين المحتلة بجميع هيئاته ومنظماته الجماهيرية التي تناضل ضد الاغتيصاب والاحتلال الصهيوني .

كما يحذر المؤتمر اي طرف فلسطيني

يقيمون علاقات مع العدو الصهيوني ومؤسساته وشركاته ، خاصة بعد ان حول هذا النظام ساحة مصر الى موقع للاحتكارات الصهيونية .

٥ - العمل على نقل كافة المؤسسات الجماهيرية من نقابات واتحادات وروابط عربية من عاصمة النظام المصري الى اقطار عربية مؤهلة بحكم منطلقاتها القومية الحقيقية والجادة والقادرة على دفع هذه المؤسسات القومية لتكون اداة نضال تحقق طموحات الجماهير العربية في التحرر والوحدة .

رابعا :

١ - قبول الطلاب الفلسطينيين والعرب في جامعات الدول العربية التقدمية الذين طردهم او يطردهم نظام الخائن السادات من الجامعات المصرية .

٢ - تكوين لجنة اعلامية تنبثق عن امانة المؤتمر تتولى الايضاح للرأي العام العالمي وبكل وسائل الاعلام اننا طلاب سلام عادل حقيقي وان السلم العادل الوحيد الممكن هو الذي يعيد الحقوق لاصحابها الشرعيين ، وان الصراع لا يدور بيننا وبين اليهود وانما بيننا وبين الصهيونية والحركة العنصرية العدوانية الاغتصابية .

٣ - ويقرر المؤتمر استجابة لمتطلبات المرحلة الراهنة وتحويل اللجنة التحضيرية لمؤتمر الشعب العربي الى امانة عامة دائمة يكون مقرها مدينة طرابلس وان تتألف الامانة بالتالي من :

١ - الجماهيرية العربية اللدبية الشعبية الاشتراكية .

٢ - الجمهورية العربية السورية .

٣ - الجمهورية الجزائرية الشعبية الديمقراطية .

العربي وحقوق الشعب العربي الفلسطيني .

وقد قرر مؤتمر الشعب العربي مواجهة السادات القيام باجراءات حاسمة ومحاسبة قومية تكون الرد العملي الزاخر على الامبريالية الاميركية وعمالها ومستهدفاتها والصهيونية والرجعية فاتخذ القرارات التالية :

اولا - اتخاذ اجراءات فورية ضد مصالح الامبريالية في الوطن العربي والمصالح الاميركية على الاخص خاصة وان تلك المصالح من خلال ما توفره من امكانات اقتصادية .

ثانيا - بلورة النضال التحرري الثوري على الساحات العربية والساحة العربية في مصر ودعم قواها الوطنية والتقدمية .

ثالثا - العمل على اتخاذ الاجراءات العملية لمواجهة السادات حتى تكون هذه المواجهة اداة لصد سياسات الاستسلام وايقافها ، وهذا يتطلب من الجماهير والانظمة العربية القومية والتقدمية ان تتخذ الاجراءات العملية حتى تبين للنظام المصري ولكافة الانظمة المستسلمة قدرة الجماهير والانظمة الثورية الحقيقية على اسقاط كافة الحلول الاستسلامية وتطبيقاتها وهذه الاجراءات هي :

١ - سحب الاعتراف بالنظام الساداتي .

٢ - طرد النظام الساداتي من جامعة الدول العربية .

٣ - نقل مقر الجامعة العربية من عاصمة النظام الساداتي الى قطر عربي اخر .

٤ - تطبيق قوانين المقاطعة المطبقة على العدو الصهيوني ، على المؤسسات والشركات والهيئات، والاشخاص الذين

- ٤ - الجمهورية العراقية .
 ٥ - جمهورية اليمن الديمقراطية .
 ٦ - منظمة التحرير الفلسطينية .
 ٧ - الحركة الوطنية اللبنانية .
 ٨ - القوى الوطنية العربية المصرية .

والخزي والعار
 للخونة والعملاء . .

● وتضمنت الوثيقة السياسية تحليلاً للمرحلة الراهنة التي يجتازها النضال العربي وللعوامل التي أدت الى زيارة السادات الاستسلامية ، وابعادها ومخاطرها على الصعيد المصري والعربي والفلسطيني . وشددت على ادانة مجمل النهج الاستسلامي القائم على الارتواء في مخططات الامبريالية والصهيونية .

واشارت الوثيقة الى ان المؤتمر قرر اقامة الجبهة القومية التقدمية والتي تضم الاحزاب والتنظيمات السياسية والوطنية والتقدمية والمنظمات الشعبية في مختلف الاقطار العربية .

وفي اطار مواجهة متطلبات المرحلة الراهنة شددت الوثيقة على تعبئة الجماهير العربية واطلاق الحريات الديمقراطية للجماهير العربية واطلاق سراح المعتقلين السياسيين .

كما شددت على دعم نضال المقاومة الفلسطينية .

ودعت الوثيقة الى توفير كل مقومات الصمود للحركة الوطنية اللبنانية بمختلف قواها الوطنية والقومية والتقدمية لمنع احتلال الجنوب اللبناني والمحافظة على وحدة لبنان وعروبه وقوى الثورة الفلسطينية المتواجدة على ارضه .

كما اكدت الوثيقة حرص المؤتمر « على دعم تحالفنا المبني مع كل قوى التقدم والتحرر في العالم ، منظومة الدول الاشتراكية وفي مقدمتها الاتحاد السوفياتي » .

ويخول المؤتمر الامانة العامة لصلاحيات اتخاذ الاجراءات التي ترى ضرورة اتخاذها لمواجهة التطورات والاحتمالات واعتبار جلساتها مفتوحة الى حين انعقاد المؤتمر الثاني .

ويعتبر وثيقة المؤتمر السياسية منطلق الجهد الفكري والسياسي من اجل بناء الجبهة الشعبية التقدمية الثورية للرد على الهجمة الامبريالية الامريكية الصهيونية الرجعية .

ويحيي المؤتمر في الختام ثورة الفاتح من سبتمبر العظيم التي حولت الارض العربية لليبية الى قاعدة صلبة للنضال الثوري العربي ومواقفها النضالية الصامدة دفاعا عن الثورة الفلسطينية ودعمها لها ، وللقضايا القومية والتحررية في الوطن العربي والعالم ، ويحيي العقيد معمر القذافي ورفاقه ، ويشيد بالديمقراطية الشعبية التي اطلقت طاقات الشعب الخلاقة .

يا جماهير امتنا :

ان الامة العربيين تجتاز فترة حرجة تمتحن فصائلها النضالية المادية والمعنوية وتواجه اشرس واعى هجمة تشنها الامبريالية الامريكية المتحالفة مع الصهيونية والمرتبطة بها الرجعية العربية، واننا على ثقة وبقين كاملين ان جماهير امتنا التي انتصرت عبر التاريخ على المحن وسحقت مؤامرات الخونة والعملاء لقادة اليوم ، على الوقوف في وجه التحدي الجديد واحباط مؤامرة تصفية القضية الفلسطينية والقومية ، وقادرة

عالم المعرفة

تأسست كتب ثقافية تهتم في مطلع كل شهر
للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب

- يشترك في تحريرها نخبة من رجال الفكر في الوطن العربي
- يتناول كل كتاب موضوعاً مستقلاً مؤلفاً أو مترجماً
- تهدف إلى مواكبة العصر وربط الماضي بالحاضر والمستقبل
- يصدر الكتاب الأول منها في مطلع يناير/كانون الثاني ١٩٧٨م
- الكتاب في حدود ٢٥٠ صفحة من القطع المتوسط

المراسلات باسم

الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب
ص.ب. ٢٣٩٩٦ الكويت

نشرة رصد اذاعة اسرائيل

اصدر مركز الابحاث في منظمة التحرير الفلسطينية اعتبارا من ١٩٧٢/٨/١
نشرة استماع يومية للاذاعة الاسرائيلية التي تبث برامجها باللغة العبرية ، وذلك
بغية تزويد الجهات المعنية والمسؤولة والمختصة في البلاد العربية (العسكريون ،
السياسيون ، الاعلاميون ، الصحفيون ، الاقتصاديون ، مكاتب المقاطعة ، الباحثون
الخ ٠٠٠) باخبار العدو ومواقف قادته واتجاهات سياسته والتطورات التي تطرأ
عليه في مختلف الميادين ، واخبار المناطق المحتلة حديثا بحيث يسهل على ذوي
الشان ، حين يطلعون على حقيقة ما يجري ويقال في اسرائيل ، اتخاذ الاجراءات
اللازمة .

تتميز نشرة مركز الابحاث بانها تتضمن تسجيلا كاملا ودقيقا للتعليقات السياسية
والندوات والمقابلات واقوال الصحف التي تبث من الاذاعة يوميا ، بالاضافة الى
تسجيل جميع نشرات الاخبار .

وتطبع النشرة على « الؤفست » لضمان اخراجها بشكل جيد ومريح للقارئ .
يقوم المركز بتوزيع النشرة يوميا على المشتركين في بيروت . اما المشتركين خارج
بيروت فترسل لهم النشرات بالبريد الجوي .

يتوجه مركز الابحاث اليكم على أمل ان تشتركوا بنسخة او اكثر من هذه النشرة .
وبالنظر الى التكاليف الباهظة نسبيا للنشرة (الاستماع ، الترجمة ، السحب ،
التوضيب ، التوزيع ، الورق وخلافه) فقد تقرر ان تكون قيمة الاشتراك خمسمائة
ليرة لبنانية للحكومات والمؤسسات العامة ، وثلاثمائة ليرة للمؤسسات الخاصة
والصحافة ، او ما يعادل ذلك بالعملة الاخرى ، يضاف اليها اجور البريد : في
البلاد العربية ١٥٠ ل.ل ، في اوروية ٢٥٠ ل.ل ، في البلدان الاخرى ٤٠٠ ل.ل .

ترسل الاشتراكات الى :
مركز الابحاث ، نشرة الاستماع
ص.ب ١٦٩١ ، بيروت - لبنان

اطلب نسختك من الكتب الثلاثة التالية
من قسم التوزيع في مركز الابحاث ص٠ب ١٦٩١
بيروت

المقاطعة العربية لاسرائيل

تأليف

هاني الهندي

٣٠٨ ص٠ الثمن : ٣ ل٠ل٠ (عدا اجور البريد)

كفاح الشعب الفلسطيني قبل العام ١٩٤٨

تأليف

عبد القادر ياسين

٢١٤ ص٠ الثمن : ٣ ل٠ل٠ (عدا اجور البريد)

الحركة الوطنية الفلسطينية

امام اليهود والصهيونية ١٨٨٢ - ١٩٤٨

تأليف

ناجي علوش

٢٩٣ ص٠ الثمن : ٤ ل٠ل٠ (عدا اجور البريد)

اليوميّات الفلسطينية

المجلد الثامن عشر

من ٧/١ الى ١٩٧٣/١٢/٣١

مجلد ضخم مؤلف من ٨٥٠ صفحة من القطع الكبير ، يضم عرضا موجزا ودقيقا لما يحدث في العالم فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية مباشرة ، او ما يقال او يكتب عنها ، يوما بعد يوم .

يغطي هذا المجلد الفترة من ٧/١ الى ١٩٧٣/١٢/٣١ ويضم جدولا بالعمليات العسكرية لقوات الثورة الفلسطينية عن تلك الفترة ، كما يضم فهرسين : الاول بالاسماء والثاني بالموضوعات الواردة في متن اليوميّات .

مجلد لا غني عنه لكل باحث ولكل مهتم بالقضية الفلسطينية .

سعر المجلد ٣٠ ل.ل. يضاف اليها أجور البريد .
اطلبه من : مركز الأبحاث - قسم التوزيع
ص.ب ١٦٩١ - بيروت

مجلة دولاسك الخليج والجزيرة العربية



فَصْلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ تَعْنِي بِشُؤْنِ الْخَلِيجِ وَالْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ
السِّيَاسِيَّةِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ الْاجْتِمَاعِيَّةِ الْثَقَافِيَّةِ الْعِلْمِيَّةِ

رئيس التحرير
الدكتور محمد الرميحي

صدر العدد الأول في كانون ثاني "يناير" ١٩٧٥

تصل أعدادها إلى أربعمائة وخمسة وستين (٧٥٠) قارئاً
توزع في ٣٧ بلداً في أمريكا وأوروبا وآسيا وأفريقيا

يحتوي كل عدد على حوالي ٣٠٠ صفحة
من القطع الكبير
تشتمل على

- مجموعة من الأبحاث تعالج الشؤون المختلفة للمنطقة بأقلام عدد من كبار الكتاب.
- عدد من المراجعات لطائفة من ألقاب الكتب التي تبحث في المناهج المختلفة للمنطقة.
- أبواب ثابتة: تقارير وثائق يومية بيبلوجرافيا.
- ملخصات للأبحاث باللغة الانجليزية

شحن العدد: ٤٠٠ فلس كويتي أو ما يعادلها في الخارج

الاشتراكات: للأفراد سنوياً ديناراً كويتياً في الكويت / ٩,٥٠٠ دينار في البلدان العربية،

١٥ دولاراً أميركياً في الخارج. بالبريد الجوي

- للشركات والمؤسسات والرواثر الرسمية: ١٢ ديناراً في الكويت / ٤٠ دولاراً أميركياً في الخارج

العنوان: جامعة الكويت / بونغ ص ١٧٠٧٢ هاتف ٨١٦٨٠٧ / ٨١٦٧٩٩ / ٨٢١٧٣٠

جميع المراسلات توجهه باسم رئيس التحرير

الصفحة

٢	محمود درويش	: اعلان حرب
٣	رسالة الاخ ياسر عرفات في الذكرى الثالثة عشرة لانطلاقة الثورة الفلسطينية	
١٠	يحيى رباح	: فتح ٠٠ بشارة النيران
٢٠	معين بشور	: في مواجهة التسوية : اوهام ومهمات
٢٨	محمد شديد	: سياسة اميركا. ازاء الفلسطينيين
٦٤	ادوار سعيد	: العربي في الثقافة الاميركية
٨٠	محمد المجذوب	: القرار ٢٤٢ والاعتراف بالكيان الصهيوني
٩٠	نزيه ابو نضال	: السادات بين مواقف الادانة وقرار الفعل
٩٩	جيروم شاهين	: حول السياسة الخارجية لليسار الفرنسي والقضية الفلسطينية
١١٣	جان دايه	: مجلة « العالم الاسرائيلي » البيروتية
١٣٥	نبيل بدران	: التنظيم الشعبي الفلسطيني
١٦٢	حسان حلاق	: موقف الدولة العثمانية من النشاط الصهيوني الدولي ١٨٩٧ - ١٩٠٤
١٧٦	عبد الحفيظ محارب	: سور وبرج
١٨٩	مروان حميد	: جدول بالعمليات العسكرية لقسوات الثورة الفلسطينية ١١/١ - ١٩٧٧/١٢/١٤

ملف / تلك الزيارة

١٩٤ تلك الزيارة ، وهذا الصراع : هيئة التحرير

المواقف

١ - المقاومة الفلسطينية ، عبد الحفيظ محارب ، ٢ - المناطق المحتلة .	١٩٥ فلسطينيا
• غازي الخليلي :	٢٠٧ عريبا
• صبري جريس :	٢٢٣ اسرائيليا
• سمير كرم :	٢٣٨ دوليا
• حسين ابو النمل :	٢٦٦ شعيبا
• جوزيف سماحة :	٢٨٥ اليمين اللبناني

الاصداء

• ناشي طه :	٢٩٢ الصحافة البريطانية والاميركية
• جاكلين فرهود :	٣٠٢ الصحافة الفرنسية
• فيصل دراج :	٣٢٢ الصحافة المصرية

٣٣١ الوثائق

عن الزيارة • بيان اللجنة التنفيذية لـ م . ت . ف • البيان السوري - الفلسطيني المشترك • وثيقة الوحدة الوطنية الفلسطينية • بيان قمة طرابلس • بيان المؤتمر الشعبي •	: خطاب السادات في مجلس الشعب • بيان بيغن للمصريين • دعوة بيغن للسادات • قبول السادات للدعوة • خطاب السادات امام الكنيست • خطاب بيغن امام الكنيست • البيان الاسرائيلي
---	--

بعَدَ "رَوْعَة مِصرَ" وَ "رَوْعَة لِبْنانَ" يَصْدُرُ قَرِيبًا

رَوْعَة الأَرْضِ المَقْدَسَة

The Splendor of the Holy Land

كِتَابٌ ضَخْمٌ فَاحِرٌ يَجْمَعُ ٢٠٠ لَوْحَةً وَمُحْفَورَةً عَنِ الأَرْضِ المَقْدَسَة رَسَمَهَا كَبَارُ المُنَافِئِينَ العَالَمِيِّينَ فِي القَرْنَيْنِ الثَامِنِ عَشَرَ وَالثَّامِنِ عَشَرَ

بِحَمَمِهَا وَقَدَّمَ لَهَا:

الدكتور مروان بختيار والسيدة ليلى غنطوس بختيار

التجليد يدوي والجلد طبعي مذهب بالذهب الخالص عيار ٢٣ قيراطاً من القطع الكبير (٣٣ × ٥١ سم)

نسخ محدودة ومرقمة من ١ إلى ١٠٠٠. ثمن النسخة ٣٠٠ دولاراً أميركياً

للحجز: المؤسسة الدولية للطبوعات - ص.ب. ٤٠٠٤٠/١١٣ بيروت، لبنان

Palestine Affairs

Published monthly in Arabic by the Palestine Research Center; *Editor* , Mahmoud Darwish : *Annual Subscription* (airmail) : Lebanon and Syria LL 60. other Arab countries LL 75 or equivalent, Europe LL 100 elsewhere LL 125 ; *Annual Subscription* (surface mail) : Countries outside the Arab World LL 65. *Address* : P. O. Box 1691 , Beirut, Lebanon ; Tel. 351261 : Cables : MARABHATH.

السعر :

- ١٠ ل.ل. في لبنان
- ١٢ ل.س. في سوريا
- ١٢٠٠ فلس في الكويت والعراق
- ٢٠ درهما في دولة الامارات العربية
- ١٢ ل.ل. في سائر الاقطار العربية
- ١٧٠٠ درهم في ج.ع.ل.